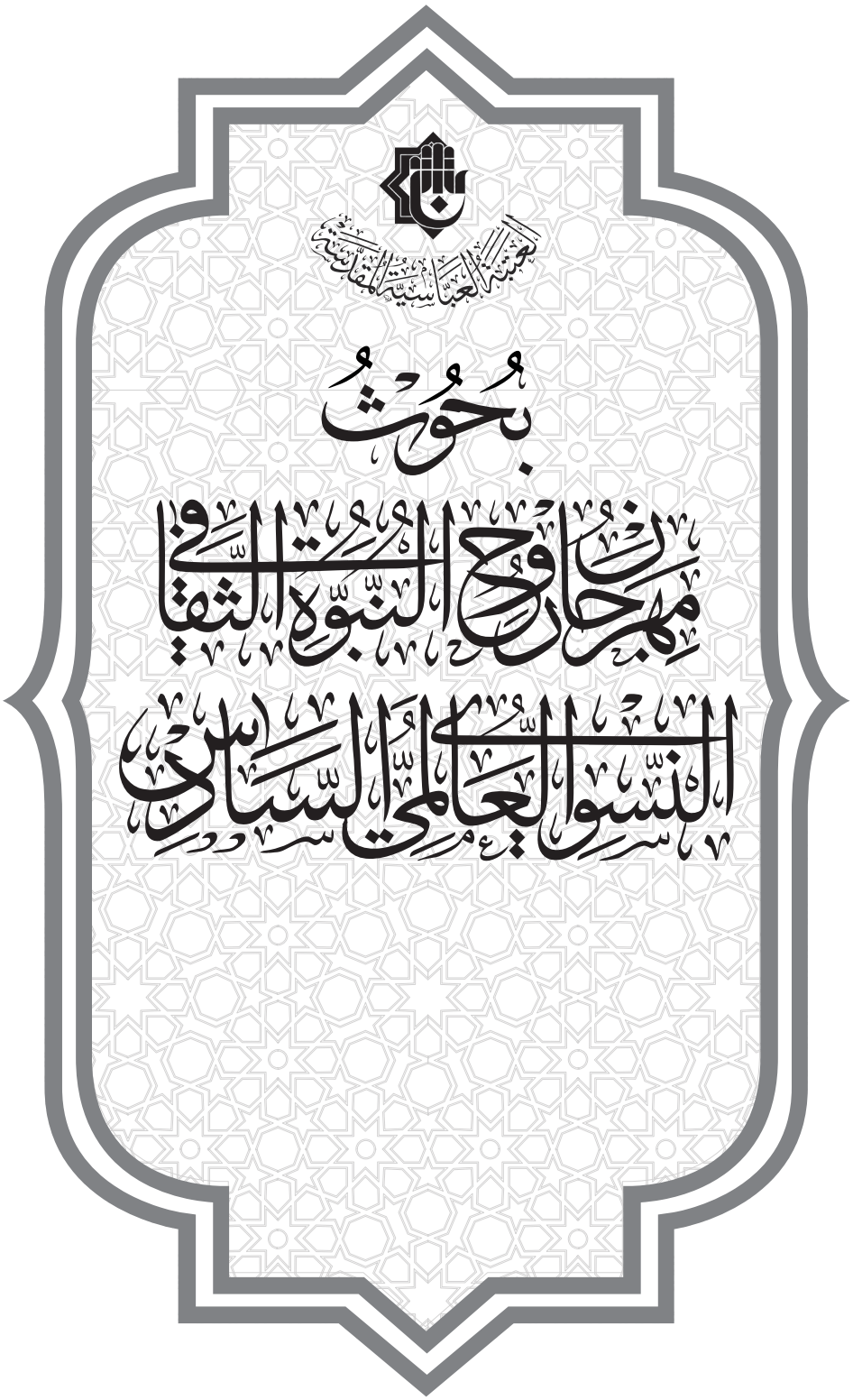
بحوث
مهرجان فاروق النبوة الثقافي
النسوي العالمي السادس

الكتاب: بحوث مهرجان روح النبوة االثقافي النسوي العالمي السادس.

الناشر: العتبة العباسية المقدسة.

إشراف وتدقيق: اللجنة العلمية للمهرجان.

الاخراج الطباعي وتصميم: علاء سعيد الاسدي، علي عبد الحليم.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ٢٥٠ .

شهر محرم الحرام ١٤٤٧هـ-تموز ٢٠٢٥م

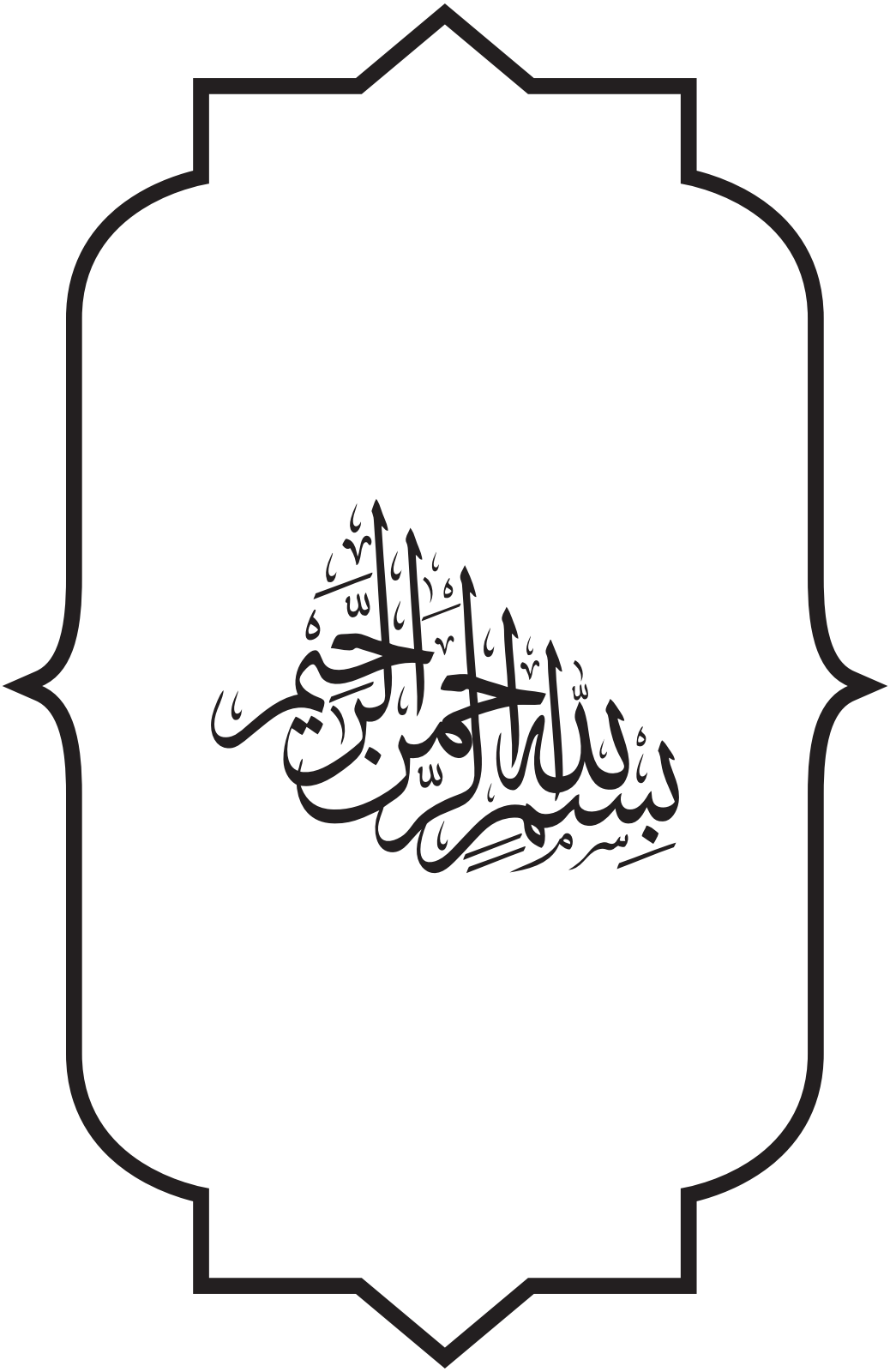
بسم الله الرحمن الرحيم

اللجنة التحضيرية للمهرجان

الست بشرى جبار الكناني	رئيساً
الست منى وائل عباس	عضواً
الست زينب العرداوي	عضواً

اللجنة المشرفة على المهرجان

أ.د سلمى عبد الحميد حسين

جامعة البصرة

أ.د فضيلة عبوسي محسن

جامعة البصرة

أ.م . نوال عائد هلول

جامعة الكفيل

أ.م . زهراء رؤوف جواد

الجامعة المستنصرية

أ.م . آمال خلف علي

كلية الإمام الكاظم الجامعة

أ.م . إيمان صالح مهدي

جامعة بغداد

المحتويات

المقدمة ٧

النموذج التربويّ النوراني في شخص السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ١٣

الباحثة: الدكتورة منى محمد يونس

مراتب التقوى في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام الفدكية ٤٤

الباحثة: د. حسناء عبد الجبار علي الموسوي

اقتران العطاء بالنور في نصرت الإسلام السيدة خديجة عليها السلام أنموذجا ٧١

الباحثة: ندى كريم عبد الله

أنواعُ الحِجَاج في الخطبة الفدكيَّة مُقاربة تداولية ٨٠١

الباحثة: أبرار حسن نعمة الموسوي

النمذجة الالهية للعنصر النسوي، الزهراء انموذجا ١٤٠

الباحثة: منتهى محسن محمد

السيدة الزهراء عليها السلام عنوان التصدي للانحراف ١٧٠

الباحثة: حكمة عودة خلف محمد الحسيني

الباحثة: هناء حسين احمد شهاب التميمي

كمالات النفس البشرية عند السيدة الزهراء عليها السلام ١٩٨

الباحثة:م. رغد عزيز كاظم التميمي

الابعاد الرسالية للسيدتين خديجة والزهراء عليهما السلام دراسة مقارنة ٢٢١

الباحثة: سندس سعدون مهدي الشمري

خصائص أهل الفتن في الخطبة الفدكية ٢٥٥

الباحثة: أ. ج

المنهج التداولي في سورة الكوثر (دراسة تواصلية) ٢٨٠

الباحثة: أ.م. د. كلثوم عامر شخير

مستلزمات التخاطب اللساني في التراث الفاطمي ٩٩٢

الباحثة: أ.د أزهار علي ياسين

آليات مواجهة الانحراف العقدي وفاعلية المنهج الفاطمي دراسة تاريخية ٣٢٥

الباحثة: أ.د انتصار عدنان عبد الواحد

المرأة الرسالية قراءة في النص القرآني ٣٥٥

الباحثة: أ. د. أمل سهيل عبد الحسيني

المفاهيم العقائدية في الخطاب الفاطمي (الخطبة الفدكية انموذجاً) ٣٩١

الباحثة: رؤى محمد عبد العزيز

The Method of Dealing with Perverts and Sedition in the Words of Hazrat … 1

Pr. Nahla Gharavi Naeeni

Hazrat Fatima Al-Zahra: The Symbol for Purity and Courage 28

Alaa Abdul-Imam Abdul-Zahra

المقدمة

مثلما حرص سماحة المتولي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة العلامة السيد أحمد الصافي دام عزه، على ان يفرد للنساء فيها تشكيلات إدارية وفكرية وثقافية خاصة بهن، كي يكون لهن دورهن الفاعل في بناء الفرد والمجتمع كونهن عماد الأسرة التي ينشأ فيه الفرد وينمو ويتعلم.

فإن سماحته سعى دائما إلى تفعيل دورهن التربوي والإرشادي سواء في التشكيلات العلمية أو المجتمعية الرسمية وغير الرسمية من أجل الحيلولة دون شيوع المشكلات التربوية والسلوكية والأخلاقية في بينة المجتمع وفي بيئته، بعد تقصّيها ورصد مستجداتها في تلك الميادين والآثار الناجمة عنها، والحدّ دون سلبيّاتها، من خلال دراستها وتقصّي آثارها، وإيجاد الحلول الناجعة لها، من خلال حثّهنّ على الرجوع إلى مدونة أهل البيت عليهم السلام، والتدبُّر في تراثهم والتأمل فيه لفهمه ومعرفة أسراره والكشف عن مكنوناته وعن المواعظ التي فيه والعمل بمضمونها..

ومن تلك التشكيلات (شعبة مدارس الكفيل الدينية النسوية) ومن نشاطاتها (مهرجان روح النبوة الثقافي النسوي العالمي) بنسخه المتتالية عبر السنوات، لا سيما فعاليات (المؤتمر العلمي) في المهرجان الذي ينطلق عادة بمناسبة الذكرى العطرة لولادة السيدة الزهراء عليها السلام.

وإن التركيز على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وعقد المهرجانات والمؤتمرات حولها، والكتابة عنها، يستهدف إعادة قراءة تراثها الإسلامي، ورصد المحطات الفكرية والعلمية فيه، ، من أجل تكريسها في معالجة الأزمات المفتعلة التي تحيق باستقرار المرأة المعاصرة، وإظهار آثارها، وتجلية سيرتها وأدوارها في التصدي الراهن للشبهات الفكرية التي تنال من المرأة بل من حياتنا المعاصرة، والتسلّح بها في مواجهة التيارات المنحرفة، ومن هذا المنطلق تحرص اللجنة العلمية لكل مؤتمر على

الدعوة إلى الكتابة في موضوعات ومحاور معينة تكون فيها البحوث نابعة من حاجة فعلية لمتطلبات الزمن الراهن، وعلى الأصعدة كافة، وأن لا يكون نظريا أو ترفا فكريا بعيدا عن واقعنا ومقتضياته.

كما أنها تستهدف فيما تستهدفه، الوقوف ضد ما كان شائعا في الأزمان البائدة وفي أطوار تاريخية سابقة معروفة من معارضة نشر تراثها عليها السلام، وفضائلها، والحيلولة دون إذاعة سيرتها وما تكتنزه من قيمة معنوية ومعرفية كبرى ليس فقط للمسلمين بل للإنسانية جمعاء، وما تزخر به للمسلمين من هدى، وهو نهج بدأ مع أمير المؤمنين عليه السلام؛ إذ منعت السلطة إذاعة علومه، وتحاشى كثير من الكتاب مجرّد ذكره، حتى قال أحمد بن حنبل فيه عليه السلام: «كتم أصحابه فضله خوفاً ، وكتمه أعداؤه حسداً، حتّى شاع من بين ذا وذاك ما طبق الخافقين».

وطالما شدّدت رؤية سماحة السيد الصافي دام عزه على ضرورة تعزيز الدور النسوي في المشهد الثقافي ضمن مساع دائبة، لتوسيع دورهنّ التربوي والفكري في الاسهام في تطوير قدراتهن، وتمكينهن معرفيا ودينيا للإسهام في بناء المجتمع، والنهوض بالفرد والأسرة، وتعزيز الحوار الثقافي بينهنّ، إيمانا منه بأن ذلك سوف يؤثر حتما وبشكل إيجابي على النشء الجديد، حيث ستنقل المرأة له المهارات والقدرات ومن قبل ذلك القيم، وستلهمه في بناء مجتمع وتوفر له بيئة داعمة ملهمة محفّزة.

كما يستهدف من خلال فاعليتها في المهرجانات والمؤتمرات إكسابها المهارات والمعارف كي تكون فاعلة في البناء، وتعزيز دورها في كافة الأصعدة، وجعلها قادرة على مواجهة التحديات، والتعامل معها..

إن أهمية تراث السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تنشأ من منبع ذلك التراث ومن مصدره، فهي تتلقاه عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وعليها وعلى آله اجمعين، وهو يأخذه عن الله عز وجلّ، وإن أية محاولة لفهمها، والتقرب إليها، واستيحاء تراثها، هي في صميم التفقه والتدبر في رسالة الإسلام الخالدة، كونها أحد تجلياته المترجمة لتعاليمه على أسمى وأبهى وأدق ما تكون الترجمة أو التجسيد أو التطبيق.

نعم، إن تراثها صلوات ربنا وسلامه عليها، من صميم السنة النبوية الشريفة، وإذا كانت تلك السنّة هي ثاني مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، فإن تراثها عليها السلام جزء لا يتجزأ منها، فهو يبين معاني القرآن، ويوضّح معالمه؛ لذلك فنحن نؤمن بأن أفعالها وأقوالها وتقريراتها حجة شرعية ومصدر تشريعي، بدليل أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أمرنا بالرجوع إلى أهل بيته عليها السلام، وفرض علينا طاعتهم، ونهى عن مخالفتهم : « **إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**

وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

فلا شك، ولا ريب، من أن إظهار تراثها سيكون حافزا لاستقطاب النساء المسلمات في كل مكان إلى خطها وإلى منهجها، وفي هذا رسالة عظمى وهدف نبيل تسعى الشعب النسوية في العتبة المقدسة إلى تحقيقه، إيمانا منها بأن ذلك يصب في أجر رسالة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو مودة قرباه، والزهراء عليها السلام أصل تلك القربى، فضلا عما فيه من استجابة لتوجيه المعصوم عليه السلام بإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام؛ فإن من إحياء أمرهم إظهار سيدة نساء العالمين إلى الملأ كي يعلموها تجسيدا لقول المعصوم عليه السلام «**فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا**».

ومما تهدف اليه العتبة المقدسة في نشاطاتها النسوية هو توفير منصة ثقافية داعمة ومحفزة، من أجل صقل مهارات الملاكات النسوية وتطويرها وتفعيلها في خدمة المجتمع، والسعي إلى الإسهام في تعزيز المعرفة والوعي بأهمية التراث الإسلامي عموما.

وثمة غاية أسمى هي نشر الإسلام من منبعه الأصل، واستقاء مادته، والتعريف بنهجه من تلك البيوت التي طالما كانت الملائكة تدخلها وتطأ بُسُطَها، ويتنزل فيها وحي الله سبحانه وتعالى، ومنها الكشف عن نماذج طيبة للقدوة الصالحة الحسنة التي ترجمت النظرية الإسلامية في سلوكها وتفكيرها وترجمتها واقعا ملموسا، تتوافق فيها النظرية مع التطبيق.

إن مهرجان روح النبوة السنوي النسوي العالمي يعدّ تجربة فكرية رائدة لم يسبق للمشهد البحثي أن أفرد للباحثات مجالا علميا مثله؛ وملتقى متكررا كل سنة أملا في أن يسفر كل ملتقى علمي عن صناعة فكرية مشتركة تتمخض عنها فرق بحثية تنهض بمشاريع بحثية هي ثمرة ونتاج تلاقح عقول من بيئات شتى وثقافات وانتماءات شتى عراقية وعربية ودولية..

ولا بدّ بعد كل هذه الأهداف والغايات السامية النبيلة، من أن تجد تلك البحوث والدراسات المشاركة سبيلها إلى الطبع، ولأننا نتحدث عن مؤتمر علمي، فقد كانت هذه الوقائع..

ولا يخفى عن المطلع على رؤية العتبة العباسية المقدسة، أنها تُعنى ـ فيما تُعنى به ـ بالتوثيق؛ ودون ذلك أسباب وغايات؛ منها:

أولا: من أجل أن نصون الصحائف من عبث أيادي الزمان والأقلام المأجورة التي بها ((تنحرف الحقائق، وتنقلب الموازين، وتغيب المصداقية))، كما نص على ذلك سماحة المتولي الشرعي دام عزه في

كلمته التي قدم بها لسفر موسوعة الدفاع الكفائي الخالد، في طبعتها الأولى عن دار الكفيل للطباعة والنشر.

ثانيًا: يعدّ الطبع الباب الأول من أبواب نشر العلم و إذاعة المعرفة وإشاعة الثقافة..

ثالثًا: حماية حقوق الملكية الفكرية، ونسبتها إلى أصحابها، فطباعة الجهد الفكري لأي باحث ونشره، يعدّ وثيقة نسبةٍ إليه، كما يوثّق زمنه، وموقعه من نتاجه الفكري المعاصر.

رابعًا: حماية الهوية الثقافية والحفاظ على المنجزات الفكرية، وصون تراث أهل البيت عليهم السلام، وتعريف العالم الإسلامي بهم، وبتعاليمهم، وسيرهم وآثارهم.

وستظل هذه الوقائع وما يليها وما سبقها من بحوث ودراسات قطرة في بحر سيدة نساء العالمين اللجّي، وحيّز صغير في فضائها الفكري والمعرفي والعقائدي، ولكنها قراءات تلتمس فيها أقلامها الأجر: أجر رسالة نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو مودة قرباه، والزهراء عليها السلام أصل تلك القربى، ومن عُرِف بمودتها فإنه سيكون في منجاة من أمره، فهي من سفن النجاة كما أن في سيرتها ومعارفها يوجد الحل الناجع والترياق الشافي من علل الأزمان وأوجاعها، مثلما أن التأمل في نهجها عليها السلام والتمعن في تراثها، يوصل الباحثين إلى صياغة برامج تربويّة قادرة على مواجهة التحدّيات المعاصرة وبمستويات مختلفة..

خامسا: تقدير جهد الباحثين كلّ بحجمه الحقيقي الذي يظهر في المدونة الحقيقية.

سادسا: تسهيل عملية الرجوع إلى بيانات الباحثين العلمية وبحوثهم.

سابعا: أن يفيد اللاحق من تجارب السابقين له، في بناء معرفته وتراكمها وتنميتها، وفهم تجاربهم والإفادة منها في بناء التجارب اللاحقة وتجنب الإخفاقات السابقة.

ثامنا: ثمة سيرة يمرّ بها أي حقل معرفي أو مجال أو محور، وإن توثيق البحوث فيه يجعلنا نراقب مراحل تلك السيرة، وتحولاتها، وخط سير تقدمها.

تاسعا: امتلاك قواعد للبيانات الفكرية والثقافية وذاكرة حية وتوفيها لطالبيها، وأرشفة المحتويات، وتدوينها رسميًا.

عاشرا: تعد الوقائع بمثابة مصادر حديثة، يمكن للقراء الاطلاع عليها والإفادة منها، فضلا عن أنواع المصادر الأخرى.

حادي عشر: إنّ لنشر البحوث المشاركة ، هنا في هذه الوقائع، أهمية بالغة؛هي أن بعضها لمن ينلْ حظه الكافي من الاستعراض بسبب ما تحاصر به الباحثة عادة من تحديد لزمن الالقاء بوقت قصير، في حين أن الوقائع ستنشره كاملًا كما خطه يراع تلك الباحثة..

ويبقى علينا أن نحث دائما _ في العتبة العباسية المقدسة_ على الإفادة من التوثيق، من خلال تخطي مرحلة جمع البيانات إلى قراءتها وتحليلها، وهو الدور القادم للقارئات والقراء الكرام.

وإذا كنا_ فيما صار معروفا عنّا في العتبة العباسية المقدسة_ قد نشّطنا الحركة الكتابية في كل تخصص او اتجاه بحثي ، ثم وثّقنا ذلك في وقائع مطبوعة، فإن ثمة فائدة مضافة لمهرجاننا ذلك، وهي الحركة الحوارية التي انشغلت بها الباحثات سواء خلال قراءة البحث ومناقشته، أو في جلسات حوارية مستقلة كان حصادها أفكارا جديدة ستكون عماد بحوث جديدة أو مشاريع بحثية قادمة، ولعل نشرها هنا سيعيد المتحاورين إلى معترك البحث، ليقولوا فيه كلمة فصلا.

نضع هذه الوقائع بين يدي القرّاء لتكون مساحة تفاعلية غنية بالحوار العلمي المثمر، وفضاء تلتقي عند نبعه الباحثات، ويحدونا الأمل في أن تكون هذه الوقائع مرجعا أصيلا يسهم في إغناء المكتبة النسوية وإثرائها بدراسات خاصة بسيدة نساء العالمين عليها وعلى أبيها وبعلها بنيها والسرّ المستودع فيها صلوات الله وسلامه..

والحمد لله أولا وآخرا

النموذج التربويّ النوراني

في شخص السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

الباحثة: الدكتورة منى محمد يونس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

سعت الرسالة الإسلامية التي اتى بها الرسول محمدﷺ بكل تضحياتها الجسيمة منذ بزوغها إلى يوم القيامة، لتحقيق هدفها السامي الذي رسمه الله تعالى لها، وهو تطبيق الثوابت في حياتنا ومجتمعاتنا الإنسانية المتنوعة، وهذا يتحقق من خلال فهم ودراسة سيرة الأئمة الأطهار والأشراف من أهل النبوة والإمامة. ومن النماذج المُميزة في قواعدنا الدينيّة الإسلامية السيدة فاطمة الزهراء عليها افضل الصلاة والسلام، فهي إبنة المعصومين وأم المعصومين وجدة المعصومين، إنها ابنة نبيّ هزّ جذور الفكر الإنساني وقفز به إلى الأوج في الأخلاق والمعرفة والحكمة والبصيرة، كما أنّها زوجة رجل هو ركنٌ من أركان الحقّ وامتداد لأعظم نبيّ في تاريخ الإنسان.

تميّزت بالعقل الراجح والروح النقيّة وكرم المحتد، وعاشت في جوّ ايماني مشع وعبّرت عنه فكراً وانتاجاً، وغدت نبراسًا لله في الرسالة الإسلامية فكانت هي مدماكًا اساسيًا من مداميكها التي لا يمكن فهم أبعادها من دون فهم تاريخ سيدة نساء العالمين عليها افضل الصلاة والسلام.

تُعتبر استراتيجية النمذجة من أهم نظريات التعلميَّة – التعليميَّة التي تهدف إلى فهم أفضل وأعمق لسلوكيات الأفراد، إذ يتم الاعتماد عليها في نقل فكرة أو سلوك معين أو خبرات إلى فرد أو مجموعة أفراد وتوظيفها في المواقف الحياتية المختلفة وخاصة المواقف التربوية والاجتماعية، ومحاولة كسب الفرد لأنماط سلوكية جديدة من خلال مواقف تحدث أمامه أو يتأثر بها. فهو بذلك يعمل على النمذجة والمحاكاة، ويمكن تسميت هذه الطريقة بالتعلم الاجتماعي أو التعلم المعتمد على الملاحظة، كما أنها أيضًا نوع من أنواع التعلم غير المباشر الذي لا يتطلب حدوث توجيه مباشر[1].

كما يمكننا تعريف التربية بأنها مجموعة القيّم الأخلاقية المستمدة من القواعد الدينيّة، والمبادئ

(١) www.almrsal.com / مقالة علميّة – موقع المرسال– سمر عادل– ١٩آب ٢٠٢٠.

الاجتماعيّة، والتي تساهم في توجيه سلوك الأفراد داخل مجتمعهم، أي أنها عبارة عن المؤثرات التي تؤثر على الأفراد، ضمن البيئة التي يتواجدون فيها، مثل العائلة، والمجتمع والمجال الجغرافي الذي يحيا فيه الإنسان، وتلعب النمذجة دورًا بارزًا ومهمًا وفعالًا في التربية اذ تساعد في تدعيم المبادئ الأخلاقية والإنسانية التي يكتسبها الأفراد. وتعتبر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مثالًا وقدوة في فكرها التربويّ النيّر، لأنها تمتلك الأصالة والعقيدة مما يجعل نهجها يتألق مدى الزّمن ويشهد على أهمية أبعاد شخصيتها الإيمانية وما يترشح عنها، من قيم وجدانيّة ومفاهيم تربويّة وأخلاقيّة، ومعطيات وعظيه تساهم في إكساب المتعلم الكثير من المفاهيم التربويّة والنفسيّة والاجتماعيّة التي يحتاجها في تطوير الكفاءات والمبادئ المطلوبة في بناء شخصيته وسلوكه ليواكب تحديّات العصر والمستقبل و يعمل على إرساء حسّ الفكر النّقدي المنظم والمُمنهج، وحلّ المشكلات وفق تحليل منطقيّ مدروس، إضافة إلى تطوير الخبرات العلميّة والفكريّة والثقافية عنده للوصول إلى مرحلة الإبداع والابتكار.

انطلاقاً من كل ذلك تم اختيار موضوع هذا البحث ليستجلي المعاني السامية والنبيلة من مسيرة حياة السيدة الزهراء عليها السلام لتظهر أن أصحاب القيّم والفكر العقائدي يؤثرون في الناشئة خاصةً عندما يمتلكون أفكارًا أصيلةً نابعةً من خبرة حياة مع الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ومن معاناةٍ فكريّةٍ ووعيٍ حقيقي بجهاد أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام، ولسيرتهم آثارٌ كبيرة في مسيرة التربية والتعليم لذا نطرح السؤال التالي:

كيف تسهم الأبعاد الفِكْرِيَّة والعَقَائِدِيَّة وَالمُعْطَيَات الوَعْظِيَّة في سيرة السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها افضل الصلاة والسلام في توعية الأجيال تربويًا وسلوكيًا بشكل مستقيم؟

ويجب الإشارة إلى أن المناهج التربويّة في لبنان تسعى إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما:

١-بناء شخصية الفرد بحيث «تراعى في تكوينه الشخصية القادرة على تحقيق الذات وتحمل المسؤولية والالتزام الأخلاقي والتعامل مع الآخرين بروح المواطنية المسؤولة والمشاركة الإنسانية».[1] وذلك من خلال تنمية كافة جوانب الشخصية الإنسانية (المعرفية، المهاراتية / الحركية، والعاطفية).

٢-الانفتاح على المجتمع وذلك لجهة «المشاركة في العمل الاجتماعي والسياسي ضمن إطار النظام

(١) الجمهورية اللبنانية، وزارة التربية والشباب والرياضة، المركز التربوي للبحوث والإنماء: الدليل التربوي – التعليم الأساسي (طبعة أولى ٢٠٠٠). – أمال وهيبة: ص٤٠.
www.crdp.gov.lb

اللبناني الديموقراطي البرلماني، وهذا حق للمواطن وواجب عليه تجاه مجتمعه ووطنه».[1]

أما أهمية هذه الدراسة فتتجلى في:

١-تسليط الضوء على المنهج النفسي والتربويّ قي سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لأنها نموذج يُقتدى بها في موضوع التربية النفسية والسلوكية السوية الذي يأتي في طليعة اهتمامات الدول على اختلاف مستوياتها.

٢-تبني إستراتيجيات السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام السلوكية والتربوية ومواقفها الحياتية في سبيل مواجهة صعوبات الحياة وبناء شخصية إنسانية متوازنة.

• أهم النقاط التي ستتناولها الدراسة:

١-مفهوم استراتيجية النمذجة.

٢-فكر السيدة الزهراء عليها السلام التربوي والسلوكيّ.

٣-بناء المواطن المتوازن نفسيًا واجتماعيًا.

٤-دور السيدة الزهراء عليها السلام في تطوير الخبرات التربويّة والثقافية والفكرية.

٥-تأثير الفكر العقائدي في صناعة التغيير لبناء مستقبلٍ أفضل.

أولاً: منهجية البحث:

أ. أهداف الدراسة.

تَهدف هذه الدراسة إلى:

• الإضاءة على الصِفَاتُ التربوية للسيدة الزهراء عليها السلام وممارساتها العمليّة في حياتها.

• ايضاح اهمية الفكر التربويّ للسيدة الزهراء عليها السلام في فكر الناشئة وَأَثَرُهَا فِي صِنَاعَةِ الإِنْسَانِ وأهميتها في تعزيز الحوار الفكريّ بين السكان في المجتمع اللبنانيّ.

• تبيان دور الفكر التربوي للسيدة الزهراء عليها السلام وانعكاساتها اَلِاجتماعيّة وَالأَخْلَاقيّة على الناشئة وتلاقيها مع النظريات التربويّة الحديثة فيما يخص تحقيق أهداف التنمية البشرية المستدامة لا سيما فيما

(١) الجمهورية اللبنانية، وزارة التربية الوطنية والشباب والرياضة، المركز التربوي للبحوث والإنماء: «مناهج التعليم العام أهدافها»: تعميم رقم ٢٢/ م/ ١٩٩٧ تاريخ ١/ آب/ ١٩٩٧ تفاصيل محتوى منهج مادة الجغرافيا. ص٣.

يخص أهداف التعليم والتربية.

ب. الإشكالية.

تُعد سيرة السيدة الزهراء عليها السلام غنية جداً بمعلوماتها ومعطياتها رغم صغر سنها أثناء وفاتها، لذا كانت مُلهمة كثيراً للباحثين والمتعلمين، وتفتح بابًا فكريًا وتربويًا كبيرًا أمامهم، إذ نموجًا اجتماعيًا وتربويًا مهمًا يكتسب منه الإنسان الكثير من القيّم والمبادئ والعِبر المهمة في تنشأته وبناه الاجتماعي والفكري. اذ تحتوي على إجابات للكثير من التساؤلات، التي ناقشها عقل الإنسان في كافة الميادين التعليميّة والتربويّة، هكذا تتمظهر آثار سيرة السيدة الزهراء عليها السلام في ثقل شخصية الإنسان بشكل واضح مما لا يحمل أي التباسٍ، من هنا كانت فكرة هذه الدراسة التي تطرح الإشكالية التالية:

• كيف يمكن غرس سيرة السيدة الزهراء عليها السلام في فكر الناشئة عبر نظرية النمذجة التربويّة؟

• كيف تؤثر في صِنَاعَةِ فكر الإِنْسَانِ وتقبله للآخر المختلف عنه عقائديًا وما أهميتها في حث المتعلمين على التعلم والتثقف والتماثل بالصالحين لتفعيل دورهم في المجتمع اللبنانيّ بشكل خاص والمجتمع الإنساني بشكل عام؟

ج. الفرضيات.

بناء على الأسئلة التي تضمنتها الإشكالية، وضعت الفرضيات التالية:

• تعتبر السيدة الزهراء عليها السلام نموذجًا تربويًا مميزًا يجب ان يكتسب من بحرها المثقفين والمتعلمين.

• لا يعرف الكثير من المعلمين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع اللبناني أهمية الإضاءة على الجوانب الحياتيّة والفكريّة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

• الإطلاع على تجارب سيدة نساء العالمين ميدانً يتم اكتساب الأهداف اَلِاجتماعيّة وَالأَخْلَاقيّة والوجدانيّة من قبل الناشئة بشكل سلس وتحقق الكثير من أهداف التنمية البشرية المستدامة في لبنان وغيره من الدول العربية والإسلاميّة.

د. أدوات الدراسة ومراحلها.

بهدف تأطير الدراسة ووضعها داخل إطار سوسيولوجي، يرتكز على مجتمع المدرسة عن طريق اعتماد المنهج التجريبي المناسب لهذه الدراسة والذي يستخدم التجربة في اثبات الفروض

والفرضيات،[1] حيث شملت عينة البحث صف الثامن الاساسي في مدرسة تتبع للقطاع الخاص في الحلقة الثالثة من التعليم الأساسي في محافظة البقاع، كما تشمل الدراسة عدة ادوات هي:

• مستندات ومعلومات درس التنمية البشرية في الصف الثامن الاساسي صفحات ٢٢٨ إلى ٢٣٤ وفق المنهج الرسمي اللبناني الصادر عن المركز التربوي للبحوث والانماء[2]، اضافةً إلى لينك فيديو عن اليوتيوب يتناول عقد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، من خارج الكتاب المُعتمد في هذه المدرسة «السلسلة العلمية في الجغرافيا» + التقييم بعد كل نشاط وارد في الكتاب عينه.

• إختبار تحصيل علمي لهذا الدرس (بعد مرور اسبوع).

• ولقد تم عرض النتائج بواسطة جداول ورسوم بيانية.

هـ. مراحل الدراسة.

بناء على ما سبق فإن الطريقة المعتمدة في الدراسة هي عرض لنماذج متعددة من طرائق تعليم الجغرافيا افي الصف الثامن الأساسي في الحلقة الثالثة من التعليم الاساسي في وحدة «قضايا وتحديات عالميّة» المكونة من اربع دروس، تم اختيار الدرس الأول منها «التخلف والتنمية». ومحاولة تتبع كيفية الربط بينها من قبل المدرّس في فترات متلاحقة، وتقويم تحصيل المتعلمين اثناء الحصة التعليميّة وبعد مرور أسبوع للحصول على مدى أثر استخدام طريقة النمذجة في بناء أثر التعلم. لتحقيق هذه الأهداف تم اتباع المراحل التالية:

• مرحلة التشخيص اي سبر التصورات السابقة في المعرفة الجغرافيّة لدى المتعلمين[3].

• مرحلة سير العملية التربوية التعليمية (السمعية – البصرية).

• مرحلة التقييم النهائي للمتعلمين بعد اختيار شخصية مؤثرة انفعاليًا للمتعلمين. (اللينك من اليوتيوب عن صفات السيدة فاطمة الزهراء يتم عرضه على LCD

(١) يوسف عبد الأمير طباجة (٢٠٠٧). منهجية البحث تقنيات ومناهج. لبنان. دار الهادي: ص٣٤٤.

(٢) الجمهورية اللبنانية، وزارة التربية والشباب والرياضة، المركز التربوي للبحوث والإنماء: دليل المدارس التعليم العام ١٩٩٧ – ١٩٩٨.

www.crdp.gov.lb

(3) Badran، I.(2008). L`enseignement de la geographie au Liban: analyse du nouveau Curriculum Et des manuels de l `enseignement secondaire. Universite de Nantes، Paris،p134.

بعدما تم استعراض منهج الدراسة فإننا سوف نبدأ بالقسم النظري.

ثانياً: القسم النظري:

يشمل هذا القسم تعريفات وتوضيحات لبعض المصطلحات والمفاهيم العلمية التي مرت في البحث، إضافةً إلى الدراسات السابقة التي تناولت مواضيع قريبة من موضوعه.

١. مصطلحات البحث:

- استراتيجية النمذجة: إنه ذلك النوع من التعلم القائم بشكل أساسي على اكتساب خبرة، أو فكرة، أو تعلم مهارة، من خلال مراقبة وملاحظة السلوكيات التي تصدر من الآخرين الذين يُمثلون نماذج التعلم، أي تتم ملاحظة الشيء المراد تعلمه منها، ثم حفظه، ثم تقليده[١] وتجدر الإشارة إلى أنّ استراتيجية التعلم بالنمذجة لها العديد من المُسميات، والتي من أبرزها التعلم الاجتماعي المنسوب لعالم النفس ألبرت باندورا (Albert Bandura)، كما تُسمى أيضًا بالتعلم المتبادل، والتعلم بالملاحظة، والتعلم بالتقليد، وتؤكد جميع هذه المسميات على أهمية تفاعل المُتعلم مع الأفراد الآخرين، واعتماده على ملاحظة ما يرغب بتعلمه منهم[٢]، لكي تنجح عملية التعليم - التعلّم.

- المعرفة: المعرفة هي الإدراك والوعي، والتّجربة، وفهم الحقائق وجمع المعلومات، والتّوصل إلى نتائج والقدرة على تفسيرها[٣]. وتتكون عن طريق التّأمل والتّفكر في كل الموضوعات المحيطة بالإنسان، كما تعتبر رغبة فطرية في البحث عن خفايا الأمور، واكتشاف غموضها؛ كي ترقى بصاحبها إلى أعلى الدّرجات، فحصلت المعرفة في الآونة الأخيرة على مكانة متميّزة؛ لأنّها باتت عصب التطور والتقدم في كافة نواحي الحياة[٤].

- نموذج نوراني: يمثل الحقيقة النورانية الوحيدة والجميلة للمرأة في الحياة، وهو النموذج الإسلامي الصحيح الذي يقوم على أساس الإسلام الخالص لله عز وجل والاستضاءة بنوره الرباني

(1) almo3allem.com

(شاهين، رانيا. استراتيجية التعليم المتمايز- ٢٦ كانون الأول ٢٠٢١).

(2) Bell، D. (1973). Technology، nature and society. In Technology and the frontier of knowledge. Garden City، NY: Doubleday،p.80

(3) hyatok.com www.

(١٢-٨-٢٠١٩) / إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤن المطابع الآميرية، القاهرة،١٩٨٣ ص١٨٧ .

(٤) المروني، المكي، (١٩٩٣)، البيداغوجيا المعاصر وقضايا التعليم النظامي، كلية الآداب، الرباط: ص ١١٠(١٢-٨-٢٠١٩)

والالتزام المطلق بطاعته[١].

– الفكر التربويّ: يُعتبر دراسة آراء المفكرين الخاصة بالعملية التعليميّة وأهدافها وفلسفتها ووسائلها، ويتم ذلك من خلال المفاهيم والمعاني والأسس النظرية بشكل مجرد عن الواقع التربوي[٢]، أو يتم من خلال آراء وتصورات العاملين في مجال التربية والتعليم.

– التنمية البشرية:(Human Development) يقصد بها «التنمية الإنسانية»، يمكن تعريفها على أنه تطوّر الأشخاص واستغلال نقاط القوة لديهم لتحسين مستويات الحياة الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية من حيث من حيث تحفيز الإنسان وتعليمه...كيفية استثمار العناصر المتاحة من وقت ومال وجهد وعلاقات لتطبيق نظرية التطور الاجتماعي[٣].

– المقرر: موضوعات رئيسية وفرعية يتم اختيارها من بين المعارف المتضمنة في المصادر العلمية المتاحة في ضوء معايير محددة هي أهداف المنهج[٤].

– البيداغوجيا: يمكن تعريفها بعدة معانٍ اذ اعتبرها إميل دوركايم نظرية تطبيقية لعلم التربية تستعير مفاهيمها من علم النفس وعلم الاجتماع[٥]. واعتبرها أنطوان مكارينو العلم الأكثر جدلية، والأكثر حركية والأكثر تعقيدا، والأكثر تنوعا ولاسيما نظرية التربية التي هي قبل كل شئ ترمي إلى هدف عملي.[٦]

٢. الدراسات السابقة:

أ. أهل البيت، تنوع أدوار ووحدة هدف: نشرت دار التعارف للمطبوعات، في بيروت، لبنان، سنة ٢٠١٦ هذا الكتاب من تأليف السيد محمد باقر الصدر. وتناول الكتاب الكثير من المواضيع انطلق بها من التغيير والتجديد.

---

(١) العزاوي، فائزه محمد فخري، (٢٠٠٦)، المنهج الخفي فلسفته وتطبيقاته التربوية، جامعة بغداد، مجلة البحوث النفسية،العدد ٩-١٠، بغداد، العراق.

(٢) الجمهورية اللبنانية. (١٩٧١). تحديد مناهج التعليم في مواد الاجتماعيات.مرسوم رقم ٢١٥١٠تاريخ٤-٨-١٩٧١.

(٣) www. hbrarabic.com / موقع جامعة هارفرد هارفارد بزنس ريفيو- تم الاطلاع في ١٣-٩-٢٠٢١.

(٤) العفون، نادية حسين يونس، واخرون، (٢٠١١)، مناهج وطرائق تدريس العلوم، مكتبة التربية الاساسية، بغداد.

(5) Alain Rey (1979)، la terminologie: Noms et notions. que suis - je. PUF... Paris- p38

(٦) الجمهورية اللبنانية، وزارة التربية والشباب والرياضة، المركز التربوي للبحوث والإنماء: الدليل التربوي – التعليم الاساسي (طبعة أولى ٢٠٠٠). – السنة الاولى في كل حلقة. www.crdp.gov.lb (٩-١٠-٢٠٢٠)

ب. في النبوة، وسرد وقائع ليلة جرح الإمام علي عليه السلام وعن دوره ودور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم استطرد في دراسته عن تاريخ دور الأئمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله، وتولي أمير المؤمنين عليه السلام زعامة المسلمين بمساعدة زوجته فاطمة الزهراء خير نساء العالمين، إلى مواجهة الأئمة لمرحلة الانحراف وخلافة الإمام الحسن، ودور التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقيّة الهزيم وختمها بالإمامة المبكّرة.

ج. فاطمة الزهراء عليها السلام: وتر في غمد نشرت مؤسسة الوفاء، في بيروت، لبنان، الكتاب الذي حاز على الجائزة الأولى في مسابقة التأليف عن الصدّيقة الزهراء في النجف الأشرف، من تأليف سليمان كتاني ابن «بسكنتا»، الضيعة اللبنانية الجبلية، الطبعة الثانية، كتاب أدبي كامل في رحاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ١٩٨٣، وتناول الكتاب الكثير من المواضيع انطلق بها من رأي القران في المرأة، والحياة الزوجية، وسرد بشكل موجز عن حياة قارورة الطيب السيدة الزهراء عليها السلام وعن دورها كأم أبيها، ثم استطرد في دراسته عن تاريخ هذه المرأة العظيمة ورهافتها، وبلاغتها، وصدمتها، ودمعتها وسكونها ودور السيدة فاطمة عليها السلام، وخطابها في باحة المسجد، وبطولتها، وفدكها، ودورها في المطالبة بالإمامة.... والحديث يطول في الكتاب حول ارتباط التاريخ بأم الحسنين، وهكذا اتشحت زهرة الفؤاد عليها السلام بقدسية هذا الرباط، هالة اتشحت بها إزاراً من نبوة وإزاراً من أمومة، وإزاراً من إمامة.

هـ. منشورات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة: التعليم من اجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

نشرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة دراسة حول أهداف «التعليم من اجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة» سنة ٢٠١٧ وذلك ضمن خطة التعليم ٢٠٣٠، والهدف منه تشخيص واقع التعلم في العالم، والحث على التعلم والتعليم لما له من فائدة في تطور المجتمعات وارتقائها وتحقيق فوائد قومية ودولية مهمة. وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. إن بناء عالم أكثر استدامة ومعالجة القضايا المتصلة بالاستدامة التي أوردتها أهداف التنمية المستدامة يتطلب من الأفراد الإسهام في إحداث التغيير الضروري لتحقيق الاستدامة. ومن أجل ذلك، يتعين مدّهم بالمعارف والمهارات والقيم والمواقف التي تمكّنهم من الإسهام في التنمية المستدامة.

٢. يساهم التعليم في تحقيق التنمية المستدامة لأنه يساعد الدارسين من اتخاذ قرارات مستنيرة والتصرف على نحو مسؤول لضمان سلامة البيئة والاستدامة الاقتصادية وعدالة المجتمع.

٣. تقدم الدراسة الإرشادات للقارئ بشأن الاستعانة بالتعليم، ولا سيّما التعليم عن بعد، لتحقيق أهداف التنمية المستدامة.

٤. تبيّن هذه الدراسة أهداف التعلم كما يورد موضوعات مقترحة وأنشطة تعزز عملية التعلم في ما يتصل بكل واحد من أهداف التنمية المستدامة، كما يوضح عمليات التنفيذ على شتى المستويات بدءاً بتصميم المساقات وصولاً إلى وضع الاستراتيجيات الوطنية.

ح. فاطمة الزهراء عليها السلام: من المهد إلى اللّحد.

نشرت مؤسسة الوفاء، في بيروت لبنان، في الكتاب الثاني، من تأليف السيد محمد كاظم القزويني في كربلاء، العراق، دراسة كاملة في رحاب السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام سنة ١٩٨٤، وتناول الكتاب الكثير من الأحداث والمواقف التي تتعلق بحياة سيدة نساء العالمين فأوردها الكاتب بشكل يسهل قبوله ولا يعسر على العقول هضمه ولا يصعب على النفوس تحمله فعرض التطور الفكري والثقافي والاجتماعي والبيئي للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وذكر الكثير من الوقائع والأحاديث حول ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله سواء من حيث دفاعها عن قدسية الإمام أمير المؤمنين، وحول قانون الوراثة، وأحاديث حول الانتساب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وحياتها ونشأتها، وتأثرها بوفاة السيدة خديجة الكبرى إلى الصعوبات التي عاشتها في دار أبيها نتيجة عداء قريش للرسول صلى الله عليه وآله وزواجها من أمير المؤمنين عليه السلام إلى خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام المعجزة، إلى أخلاقياتها في كرامة الأنسان وبر الوالدين إلى عيادة النساء للزهراء عليها السلام، انتهاءً بتألمها من المصائب التي عانى منها أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ض. مقرر طرائق تدريس وأساليب تقييم مواد الاجتماعيات:

تم إعداد هذا المقرر من قبل الهيئة الأكاديمية المشتركة في المركز التربوي للبحوث والإنماء في أيلول ٢٠١٠، والهدف منه دراسة العلاقة بين مواد الاجتماعيات الثلاث «التاريخ، الجغرافيا والتربية الوطنية والتنشئة المدنية»، وفق المنهج اللبناني ومجالات تقييمها.

وتوصل المقرر إلى النتائج التالية:

- تأثير تعليم مواد الاجتماعيات على بناء شخصية المتعلم وتنمية مهاراته وقدراته على مختلف أبعادها.

- أهمية تنفيذ نشاطات مختلفة تحتسب في أساليب التقييم في هذه المواد، وعدم الاكتفاء بالتقييم

التقريري فقط.

- أهمية تنفيذ الدعم المدرسي، وطريقة إعداد بطاقات الدعم.

- آليات الترفيع وفق المنهج اللبناني.

غ. التنمية المستدامة: دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى:

نشرت مجلة المنارة الثقافية، في مجلد رقم ١٢، في العدد رقم (١) دراسة حول التنمية المستدامة.

«دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى» سنة ٢٠٠٦ وذلك من إعداد ماجدة أبو زنط و عثمان غنيم، وتناولت الدراسة علاقة التنمية المستدامة بالتطور الفكري والثقافي والاجتماعي والبيئي.

وقد توصلت الدراسة إلى أن التنمية المستديمة هي أسلوب حياة، ونمط معيشة، تحكمه أطر أخلاقية إنسانية، إلى جانب أنها نمط تنموي يمتاز بالعقلانية والرشد، ويسعى إلى خلق مجتمع أقل ميلاً للنزعة المادية من تغيير كثير من المفاهيم الثقافية السائدة التي تقوم على مبدأ الأكثر هو الأفضل في جوانب الحياة المختلفة.

ز. التعليق على الكتب والدراسات السابقة:

افاد الإطلاع على هذه الدراسات بعض جوانب البحث بما يلي:

- الإفادة من الكتب التي اعدت حول سيرة حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام للإطلاع على صفاتها وتجاربها الحياتيّة والإجتماعية والسياسيّة المهمة ما يؤشر إلى سيرورتها التاريخية وما استفدنا منه في ربط نتائج التجربة التي نفذناها بخصائص حياتها وصفاتها المميزة.

- تعديل في أدوار المعلّمين والمتعلّمين على حدّ سواء في ظل تطبيق طرائق تعليميّة جديدة تحاكي التعلم الإجتماعي والانفعالي مثل طريقة النمذجة المعتمدة في تطبيق التجربة في هذا البحث.

- توظيف التدريب الإلكتروني، والاستفادة من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعرف على شخصيات دينية وتاريخية مفيدة في الممارسات التدريسيّة التي يقوم بها المعلمين مما ساعد في الاستفادة من انتقاء مشاهد الفيلم للسيدة الزهراء عليها السلام الذي تم عرضه في هذا البحث.

- الإطلاع على اسس التقييم المتبعة في تعليم بعض الطرائق التعليميّة - التعلميّة مثل النمذجة وغيرها وماجرى الاستفادة منه في إعداد أسئلة التقييم للبحث.

- تشجيع البيئة التعليميّة الجاذبة أو المحفزة على الإبداع من اجل تحقيق أهداف التنمية المستدامة وذلك من خلال إعادة نشر تجارب اشخاص مؤثرين لأن التربية النفسية والاجتماعية والأخلاقية هي أسلوب حياة، ونمط معيشة، تحكمه أطر إنسانية، بالإضافة لأدوات التواصل والتعاون بين المتعلمين والمعلمين لما له من أثر كبير على نواتج التعلم ما يفيد البحث المنفذ.

- الإضاءة على المشاكل التي يعاني منها التعليم التلقيني أو الروتيني سواء عند المعلمين أو عند المتعلمين مما يعيق التنمية المستدامة التي تعتبر عملية التعليم من أولوياتها وهذا ما يهمنا ابرازه في التجربة التي تم تنفيذها في البحث.

بعد التعليق على الكتب والدراسات السابقة وايضاح مدى الاستفادة منها، لا بد من الدخول إلى موضع التنفيذ والبدء بالقسم التجريبي التحليلي لهذا البحث.

ثالثاً: القسم التجريبي التحليلي (نتائج تحليل التجربة):

يشمل هذا القسم عدة خطوات وعدة مراحل كان لا بد من اتباعها بعد أن تم الارتكاز بشكل أساسي على المنهج التجريبي والتحليلي إذ تم تحليل النتائج التي توصلت إليها التجربة وجدولة وتحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي الإلكتروني[1] للإختبارات التقييميّة التي تم تنفيذها في فترات زمنية متلاحقة.

أ. تنفيذ التجربة ونتائجها:

يتناول هذا القسم تحليل المعطيات الإحصائية والنتائج عن طريق مقارنتها بين الشعب للصف الواحد، مركزاً على نقاط رئيسة تتمثل بما يلي:

- مستوى المتعلمين في كلٍّ من المجموعات.
- مدى تفاعلهم وتجاوبهم مع الوسيلة المعتمدة أي عرض فيلم عن عقد سيدة نساء العالمين عليها السلام.
- ايجابيات وسلبيات اعتماد طريقة النمذجة في التعليم.

ويخلص في النهاية إلى آراء شخصية تتمحور حول الطريقة الأفضل في الإستفادة من حياة الصالحين من الأنبياء والأئمة والاولياء لتحفيز المتعلمين وعدم نفورهم من تعلم مواد الإجتماعيات...

(١) د. يوسف عبد الأمير طباجة (٢٠٠٧)، منهجية البحث تقنيات ومناهج. لبنان، دار الهادي.

أ. التحضير للتجربة:

يشمل القسم التجريبي في البحث عدة خطوات وعدة مراحل كان لا بد من اتباعها باستخدام البرنامج الإحصائي الإلكتروني[١]. وقد تم اعتماد مساراً يتألف من خمسة مراحل كما يلي:

• الخطوة الأولى في التجربة: كانت تحديد عينة البحث الا وهي اربع شعب من صفي الثامن الاساسي من عدة شعب في مدرسة النجاح في البقاع الغربي تتبع للقطاع الخاص، ومن ثم تقسيمها إلى مجموعتين:

١ – مجموعة ضابطة: يُعطى الدرس بطريقة الشرح العادية أي «الإستثمار المنظّم للمستندات الواردة في كتاب المتعلم بدءًا من صفحة ٢٢٨» إضافةً إلى الطريقة الإستجوابية في شعبتين هما أ– د.

٢ – مجموعة تجريبية: يُعطى الدرس بواسطة استعمال لينك الفيديو من اليوتيوب على Power Point.

(سيتم عرض اللينك https://www.youtube.com/watch?v=itkYxYJHYFQ على شاشة العرض داخل غرف الصفين المختارين ب وج).

• الخطوة الثانية: الإختبار التقييمي حيث يتم مباشرة بعد الشرح «تحليل مستندات جغرافية تتناول موضوع الدرس صفحة ٢٣٤» وتحتوي على عدد من الأسئلة التي بإمكانها «قياس كمية المعلومات ونوعيتها»[٢]وذلك نظراً لأهمية ما يُسمى بالتقييم التقريري كخطوة أساسية لا غنى عنها.

• أما بالنسبة للمراحل التي تم اعتمادها في سير التجربة هي:

– المرحلة الأولى: هي مرحلة اختيار الموضوعات العلمية[٣] ومحاولة ملاءمتها مع المقرر المطلوب في المنهج الرسمي اللبناني، وقد تم الأخذ في الاعتبار لعدد من الحاجات التربوية عند هذا الجيل الذي ندرّسه في المدارس التي نعمل بها ومحاكاته لعصر التكنولوجيا الرقمية وهذا ما تشير له الصورة رقم (١) لأهمية دراسة الحاجات التربوية وأهمية انتقاء نموذج مميز يثير حشرية المتعلم الفكرية والروحية وشغفه أيضًا.

– المرحلة الثانية: هي مرحلة التحضير للعرض وتشمل:

(١) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. ديسمبر ٢٠٠٠. الامارات العربية المتحدة. العدد ٩٩.

(٢) عواضة، هاشم، (٢٠٠٥)، التخطيط في التعليم التعلم. لبنان، دار العلم للملايين، ص٦٨.

(3) Bernard ،Wallet ، Farges.1997: Le film dans le cours d'histoire géographie (مع تعديل الباحث).

• تحضير بطاقات ما قبل العرض وقد تم اعتماد المعلومات العامة حول معرفتهم بالسيدة الزهراءعليها السلام وكيف عاشت؟ وماهية التنمية البشرية؟ وأهميتها (تسبق العرض: وتعني تحضير الشرائح التفاعلية عبر shapes ومن الانترنت).

• تحضير بطاقات أثناء العرض عبر المحاذاة البناءة، ويُقصد بها بطاقات تشرح طريقة إستثمار مستندات الكتاب (للمجموعة الضابطة) وإستثمار معطيات الفيلم المعروض صوتًا وصورة (للمجموعة التجريبية)

مع بعض الأسئلة حوله والتوسيعات إذا اقتضى الأمر (الصورة رقم ١).

• تحضير بطاقات ما بعد العرض، وتعني بطاقات الإختبار التحصيلي الأول بهدف قياس مدى إستيعاب المتعلمين للموضوع المشروح وقياس مدى فعالية الوسيلة في آن واحد أي التمارين في صفحتين من كتاب المتعلم ٢٣٢ و٢٣٤.

المصدر: مقرر مادة الحاجات التربوية ومقاربتها مع د. نعمة صفا – دبلوم تعليمي للارشاد والتوجيه٢٠٢٢– جامعة القديس يوسف – بيروت– لبنان.

– المرحلة الثالثة: هي مرحلة عرض الدرس بواسطة الكمبيوتر والـ L.C.D. (لوحة عرض الحائط) ويتم خلالها ملاحظة تفاعل المتعلمين مع سيرة سليلة بيت النبوة فاطمة الزهراء خير نساء العالمينعليها السلام، بالإضافة إلى التوقف عند بعض المشاهد أو إعادة عرضها مع التعزيز للمهارات ما وراء المعرفية من خلال تعريف المتعلم لكيفية المراقبة للمشاهد ومساعدته على كيفية التفكر والتفهم للأهداف وصولًا لإكتسابها عبر محاكاة العلوم العصبية وعلاقتها بالتربية neuro- science، وذلك لأن الفيلم يحمل أهدافًا كثيرة (معرفية– مهاراتية ووجدانية) كما يتم شرح الدرس بالطريقة الاعتيادية «الاستثمار المنظم للمستندات «للمجموعة الضابطة.

- المرحلة الرابعة والأخيرة وتأتي بعد الإنتهاء الكلي من التجربة فتكون عبارة عن تحليل للنتيجة ونقدها وتعليلها وربطها بالمعطيات الناتجة واستطلاع آراء لعدد قليل من المعلمين في المدارس الرسمية عبر إجراء مقابلات سريعة معهم حول موضوع الدراسة.

• بالنسبة للتجربة:

تم تنفيذ التجربة كما تم الذكر سابقًا في صف الثامن الاساسي في مدرسة بقاعية تتبع للقطاع الخاص، ولم يتم تنفيذ التجربة في مدرسة رسمية بسبب عدم السماح بإدخال أفلام فيها ايديولوجيا معيّنة إلى التعليم الرسمي من وجهة نظر وزارة التربية لأنها مدارس عامة ترفض اعتماد نموذج لطائفة محددة دون الطوائف الأخرى.

اما من حيث توصيف وقائع التجربة فكانت شرح درس «مؤشرات التنمية والتخلف» ل ٩٥ متعلم في مدرسة النجاح بطريقتين مختلفتين (كما تم الذكر سابقًا) وكما يظهر الجدول رقم (١):

الشعب التي نفذت فيها الدراسة	عدد التلاميذ في كل شعبة
السابع الإنكليزي أ	٢٤
السابع الإنكليزي ب	٢٤
السابع الإنكليزي ج	٢٤
السابع الإنكليزي د	٢٣
المجموع	٩٥

الجدول الاحصائي رقم (١): اعداد المتعلمين في الصفوف التي خضعت للدراسة.

نفذت استراتيجية النمذجة من قبل معلمة الصف، بإستعمال الفيلم في صفي الثامن الإنكليزي (ب-ج) في مدرسة النجاح، مشغرة وذلك نهار الجمعة الواقع في ٣-٤-٢٠٢٢ بعدما تم تزويدها بالتحضير ومناقشتها فيه.

بينما نفذت الطريقة الاعتيادية عبر الاستثمار المنظم للمستندات الواردة في كتاب المتعلم في صف الثامن الإنكليزي (أ- د) في المدرسة عينها. كما يظهر الجدول رقم (٢) إذ ان اعداد المتعلمين في كلٍّ من الشعب التي خضعت للدراسة كانت شبه متساوية، ومن خلال عملنا كمعلمة ومنسقة سابقًا

في هذه المدرسة إذ لدينا معلومات كافية عن طريقة تصنيف المتعلمين ضمن الشعب كما ذكرنا في منهجية البحث،اي ان مستوياتهم التعليميّة متعادلة تقريبًا، وهذا ما تم تأكيده من ادارة المدرسة المعينة بالدراسة عندما تم الاستئذان منها لتنفيذ التجربة في كلٍّ منهم.

ب. تحليل المعطيات الاحصائية الناتجة عن الإختبارات:

ان تحليل نتائج التقييم التقريري الذي نفذ في مباشرةً بعد حصص الشرح لدرس «التخلف والتنمية «في المجموعات ونتائج التقييم النهائي الذي نفذ بعد حوالي الأسبوعين، وقد أظهرت بوضوح شديد، تفوّق المجموعة التجريبية (ب-ج) على المجموعة الضابطة (أ- د) كما يظهر الجدول رقم (٢).

الجدول الاحصائي رقم (٢): اعداد المتعلمين بحسب التقييم التقريري في كلٍّ من المدرستين المتعاونتين.

العلامات من ١٠	المجموعة الضابطة في الشعبة أ عدد التلاميذ من ٢٤	المجموعة الضابطة في الشعبة د عدد التلاميذ من ٢٤	المجموعة التجريبية في الشعبة ب عدد التلاميذ من ٢٤	المجموعة التجريبية في الشعبة ج عدد التلاميذ من ٢٤
اقل من ٥	٤	٥	٣	٢
من ٥ إلى ٧	١٦	١٥	١٣	١٢
اكثر من ٧	٤	٣	٦	١٠

نفذت معلمة الصفوف في كلٍّ من الشعب التقييم التقريري المحضر مباشرةً في الحصة التالية التي أعقبت شرح الدرس أي بعد مرور فترة قصيرة ودون الطلب من المتعلمين بمراجعة المعلومات، أي الاكتفاء بشروحات الصف، وذلك للتأكد من مدى اكتساب المتعلم للأهداف التعلميّة واحتسبت علاماته من ١٠ في كلٍّ من المجموعتين.

بعد تصحيح المسابقات من قبل المعلمة وبإشراف التنسيق، تم فرز العلامات وتوزيعها وفق ثلاث مجموعات (اقل من ٥ – من٥ إلى ٧ – أكثر من ٧ علامات)، كما هو مبين في الجدول رقم ٣، حيث جرى حساب عدد التلاميذ الذين نالوا من دون الخمسة واعتبروا انهم بحاجة إلى بطاقات دعم ولم

يكتسبوا الأهداف التعلميّة، بينما اعتبر ناجحًا ومكتسبًا للأهداف كل متعلم ارتفعت علاماته عن ٥ من ١٠، مع الأخذ بعين الاعتبار لبعض الأخطاء العبثية التي تمت مناقشتها مع معلمات مادة الجغرافيا في هذه الصفوف.

الجدول الاحصائي رقم (٣): مقارنة نتائج التقييم في مدرسة النجاح للمجموعات التجريبية والضابطة سنة ٢٠٢٢.

العلامات من ١٠	المجموعة الضابطة نسبة التلاميذ (٪)	المجموعة التجريبية نسبة التلاميذ (٪)
اقل من ٥	٧،٢	٤,٣
من ٥ إلى ٧	٧٦,١	٦٥,٢
اكثر من ٧	١٦,٧	٣٠،٥

يُلاحظ من الجدول رقم (٣) أن نسبة التلاميذ الذين نالوا علامات دون (٥ من ١٠) في المجموعة التجريبية في صفي (ب-ج) كانت (٤,٣٪)، مقابل (٢,٧٪) في المجموعة الضابطة، وذلك يعود إلى رغبة المتعلمين بتعلم مادة الجغرافيا بعد الإطلاع على سيرة جاذبة للصالحين والقديسين فكيف إذا كانت قصة من قصص حياة سيدة نساء العالمين تحاكي إنسانية الإنسان ورأفته، وتربيته، وقيمه ومبادئه كما تكسبه منظومة قيّم نبيلة تنعكس على سلوكه ومواقفه الحياتية المُعاشة، كما إنعكس ذلك على سرعة اكتسابهم للأهداف التعلميّة إذ بلغت نسبة نتائج التلاميذ الذين تتراوح علاماتهم من (٥ إلى ٧) علامات في المجموعة التجريبية (٦٥,٢٪) بينما في المجموعة الضابطة بلغت هذه النسبة (٧٦,١٪) حيث استعملت الطريقة الاعتيادية اي الاستجوابية عبر الإستثمار المنظم للمستندات اضافةً إلى انهم اعتمدوا على استذكار المعلومات.

والأمر اللافت أيضاً في هذه التجربة أن عدد المتعلمين في هذه المدرسة الذين نالوا علامات تفوق الـ(٧) في التقييم التقريري في المجموعة الضابطة (١٦,٧٪)، بينما تضاعف العدد بشكل لافت في المجموعة التجريبية حيث وصل عدد التلاميذ إلى(٣٠,٥٪) هذا دليل آخر على تفاعل المتعلمين مع سيرة الصالحين وسرعة اكتساب الأهداف التعلميّة من الفيلم الذي تناول مساعدة الفقراء عبر تقديم

اغلى ما يملك الإنسان وهذا دليل على عظمة فاطمةعليها السلام أم أبيها لا سيما أن الرسولصلى الله عليه وآله هو من قام بإرسال هذا الشخص الفقير إلى إبنته لعلمه بمبادئها وقيّمها وتربيتها وحبها ومؤازرتها للخير وتقديمها الغالي والنفيس لمرضاة الله والتقرب له، إنها أمثولة بناءة وتجربة أعظم الشخصيات التي يُستخلص منها الكثير من العبر والتحفيز على مساعدة الفقراء والتكافل والتضامن الاجتماعي، خاصةً بعد أن انقذ واعتق هذا العقد الكثير من الأشخاص وحررهم من العبودية.... إنه ثمين وقيّم بنفس درجة صاحبته لأن فاطمةعليها السلام جوهرة ثمينة ولؤلؤة مشعّة تشع النور والخير أينما حلت وهذا ما يؤكد صحة فرضيتنا الثالثة المقترحة في هذا البحث.

وقد اعتمدنا لإظهار نتائج التقييم التقريري الختامي الذي تم تنفيذه بعد مرور حوالي أسبوعين عن التقييم المباشر الذي حصل بعد الإنتهاء من شرح الدرس، وظهرت النتائج متشابهة مع الإختبار التقييمي المباشر إذ تتفوق نتائج المجموعة التجريبيّة المعتمدة على قصة عقد فاطمةعليها السلام على نتائج المجموعة الضابطة كما يبيّن الرسم البياني رقم (١).

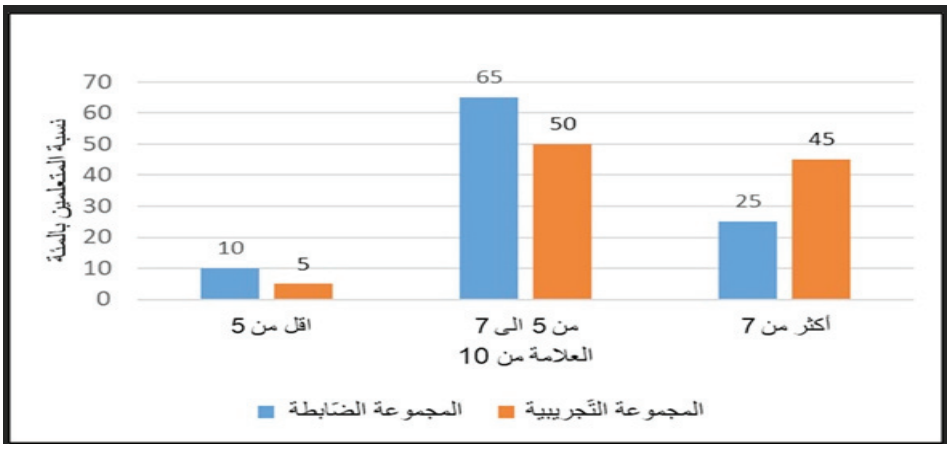

الرسم البياني العمودي رقم ١ : مقارنة نتائج التقييم النهائي للمجموعتين التجريبية والضابطة في سنة ٢٠٢٢.

يُلاحظ من الرسم البياني رقم (١) أن نسبة التلاميذ الذين نالوا علامات دون الـ (٥ من ١٠) في المجموعة التجريبية كانت (٥٪)، مقابل (١٠٪) في المجموعة الضابطة، وذلك يعود إلى الإنعكاس الإيجابي لإستراتيجية النمذجة على تعلم مادة الجغرافيا ما أدى إلى سرعة اكتساب المتعلمين للأهداف التعلميّة إذ بلغت نسبة نتائج التلاميذ الذين تتراوح علاماتهم من (٥ إلى ٧ علامات) في المجموعة التجريبية (٥٠٪) بينما في المجموعة الضابطة حوالي (٦٥٪) وذلك يعود لعدة اسباب منها: اعتياد

المتعلمين على استثمار المستندات واستذكار المعلومات.

لكن الأمر اللافت أيضاً في هذه التجربة أن عدد المتعلمين في هذه المدرسة الذين نالوا علامات عالية تفوق الـ(٧) في التقييم التقريري في المجموعة الضابطة هو (٢٥)، بينما تضاعف هذا العدد بشكل لافت في المجموعة التجريبية حيث وصل إلى (٤٥) وهذا دليل آخر على تفاعل المتعلمين مع النموذج المختار وسرعة اكتساب الأهداف التعلميّة من هذه الطريقة إذا احسن استثمارها في العملية التعلمية التعليمية ما يؤكد أهمية المحاذاة البناءة في هذه التجربة.

وفيما يلي ستتم مقارنة نتائج العلامات بين المجموعتين في الجدول رقم (٥)

الجدول رقم (٤): مقارنة نتائج التقييم للمجموعة التجريبية والضابطة في المدرستين.

مدرسة النجاح – البقاع الغربي				
الصف	السابع الأساسي – أ (المجموعة الضّابطة)	السابع الأساسي – د (المجموعة الضّابطة)	السابع الأساسي – ب (المجموعة التجريبيّة)	السابع الأساسي– ج (المجموعة الضّابطة)
عدد المتعلمين	٢٤	٢٣	٢٤	٢٤
اعلى علامة	٩	٩	١٠	٩
ادنى علامة	٢	٤	٤	٣
المعدل الوسطي للصف	٨,٧	٦,٨	٧,٥	٦,٤

يمكننا الإستنتاج من نتائج هذا الجدول رقم (٤) إلى أن التعلم بالنمذجة عبر الاطلاع على سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يساعد في اكتساب المتعلمين لعادات وسلوكيات إنسانية مهمة، دليل على صحة الفرضية الأولى المقترحة في الدراسة لأن السيدة الزهراء عليها السلام لم تكتف بما هيّأ لها بيت الوحي من معارف وعلوم، ولم تقتصر على الاستنارة العلميّة التي كانت تهُيئّها لها شموس العلم والمعرفة المحيطة بها من كلّ جانب، بل كانت تحاول في لقاءاتها مع أبيها رسول الله وبعلها عليهما السلام باب مدينة

علم النبي أن تكتسبَ من العلوم ما استطاعت لتحصل على المعرفة، كما كانت ترسل ولديها الحسن والحسين عليهما السلام إلى مجلس الرسول بشكل مستمر ثم تستنطقهما بعد العودة إليها، وهكذا كانت تحرص على طلب العلم كما كانت تحرص على تربية ولديها تربية فضلى، ولقد كانت تبذل ما تكتسبه من العلوم لسائر نساء المسلمين بالرغم من كثرة واجباتها البيتيّة. وبذلك تقدم نموذجًا مميزًا ومضيئًا عن أهمية طلب العلم في كل المراحل العمرية، ويمكننا بذلك إن نستنتج ملامسة هذه المقاربة للقدرة الثانية من قدرات التنمية البشرية وأهدافها الا وهي إن يحظى الأنسان بالمعرفة عن طريق التعلم وبكل المهارات المكتسبة.

كذلك يجب القول بأن بناء الإنسان يبدء من تربيته ثم تعليمه وتطوير النمو الفكري والعاطفي والاجتماعي والجسدي والروحي للشخص بأكمله. فهو يتجاوز المعرفة الأكاديمية، ولأنه يُفترض عليه اكتساب أشكال متنوعة من الذكاء (الذكاءات المتعددة)، فهو يسعى إلى تنمية التفكير النقدي والإبداع والوعي الذاتي والتعاطف والقيم الأخلاقية والترابط مع الآخرين والعالم الطبيعي وهذا يمكن تحقيقه من خلال الإطلاع على سيرة الصالحين مثل أهل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام بدءًا من فاطمة وأبيها إلى بعلها وبنيها وذريتها من الإثني عشر إمام عليهم السلام. كما يشتمل التعليم الشامل عن طريق إستراتيجية النمذجة وغيرها على التعلم الشخصي، والتعلم التجريبي، والمناهج متعددة التخصصات، وممارسات اليقظة الذهنية، والتعلم الاجتماعي والعاطفي، والمشاركة المجتمعية، والممارسات التأملية

لذا يمكن اعتبار هذا الفيلم وتحديداً استعمال هذه الوسيلة نقطة التحول الفجائية أو «العتبة الفاصلة» في أداء المتعلمين بالمجموعتين اذ يعد هذا الدرس صعباً لدى المتعلم ومصطلحاته غير سلسة، أما بالنسبة للنتائج المستخلصة من التجربة فسنعرضها على شكل نقاط هي التالية.

ب. النتائج التي تم التوصل إليها فيما بعد التجربة:

بعد التجربة تبيّن التالي:

- يمكن عرض بداية الفيلم المقترح حول سيدة نساء العالمين في بداية الحصة التعليميّة كتقييم تشخيصي أو لطرح الموضوع والإستماع إلى آراء المتعلمين في طريقة قدح الافكار، أو مدعماً للمعلومات اثناء تنفيذ الانشطة أو في نهاية الحصة، لكونه مثبتاً فعالاً لتلك المعلومات.

- تم عرض المشاهد بشكل متقطع «أي إعطاء وقت للمتعلم للتفكر وخلق نوعاً من النقاش

ومن ثم متابعة العرض، طبعاً بشكل منظّم ومدروس بما يتناسب مع الأهداف، لا سيما أن مدة عرض الفيلم ٢٧ دقيقة ما فرض تقسيمه إلى ست مراحل كل ثلاث مراحل في حصة تعليميّة ومدة المرحلة ٤,٥ دقيقة» (Edgard morin).

الخلاصة: تجدر الإشارة هنا إلى أن هدفنا من هذه الدراسة ليس التعليم فقط وإنما تربية المتعلم سلوكيًا وجعله يتنمط بنمط الصالحين والصديقين وتحليل شخصية هؤلاء الأشخاص ومعرفة صفاتهم ومميزاتهم السلوكية والوجدانية المرضية لله عز وجل، لذا كان من الضروري حسن انتقاء الفيلم والمشاهد أو بالأحرى حسن إعدادها.

كما يمكننا القول، أن طريقة عرض الفيديو وتفصيل محتواها أو مضمونها هي الطريقة التي كانت الدواء لداء الضجر، وهي التي أعادت اثارت انتباه المتعلمين حول البحث والتقصي عن هذه الشخصية الفذّة فاطمة عليها السلام إبنة رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وأبعدتهم عن الملل والتكرار إذا أمكن القول انها منحت الحيويّة للمجموعة التجريبية، كما وأثبتت مع الطريقة التي اتبعناها في بداية التجربة، فعاليّة استخدام الحاسوب ووسائل التواصل الرقميّة وربطه بما يفيد.

إن وسيلة الأفلام المنتقاة بدقة لها دور بارز في تنشيط الذاكرة وتقوية التركيز بالإضافة إلى أنها وسيلة مدرِّبة على الإصغاء من خلال جذب الإنتباه لا سيما انها تحاكي أنماط تعليميّة مختلفة للمتعلمين كما الخرائط التفاعلية الرقمية على مختلف أنواعها عبر الـshapes أو الـ autocad.

يجب الإشارة إلى ان هذه التجربة تفتقد إلى التطبيق في المدرسة الرسمية للأسباب التي تم ذكرها سابقًا وللحد من مساوئ هذا الامر لجأنا إلى اجراء مقابلات مع عدد من أساتذة التعليم الرسمي في عدد من محافظات لبنان (الجنوب- بيروت والبقاع) وتناقشنا معهم في أهمية الإضاءة على حياة عدد من الشخصيات في ديانتنا في تدريس مواد الإجتماعيات لما لها من ايثار وجذب المتعلمين لها واستخلصنا النتائج التي سيتم التطرق إليها في الفقرة التالية.

ويضيف د. الحيله في كتابه تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، « أن استراتيجية التعليم الحديث بما فيها النمذجة تساعد المعلم على مواكبة النظرة التربوية الحديثة التي تعد المتعلم محور العملية التعليميّة -التعلميّة، وتسعى إلى تنميته من مختلف جوانبه الفسيولوجية، والمعرفية واللغوية، والانفعالية، والخلقية الاجتماعية . لكن هذه الطرائق تواجه بعض العقبات التي سنوجزها في الفقرة التالية.

ج. عقبات تعترض تعليم الأهداف التعلميّة المتعلقة في التنميّة البشرية بطريقة النمذجة:

من ابرز الصعوبات التي واجهت المعلم في تعليم الأهداف التعلميّة بطريقة النمذجة هي:

١-الافتقار إلى خطة مستقبلية واضحة بسبب كثافة المنهج اللبناني في مختلف المراحل التعليمية بما فيها الحلقة الثالثة لا سيما لمادتي الجغرافيا والتاريخ، اضافةً إلى احتواء هذا المنهج على الكثير من المعلومات المفصلة التي لا يشعر المتعلم بأهميتها ولا تحاكي واقعه المعاش ولا تشمل الفكر التربوي، ولا تتناسب مع اهداف التنمية البشرية، بل تشكل عائقًا وتحول دون إعطاء المتعلم الوقت لإكتساب اهداف التنمية المستدامة.

٢-قلة تطبيق التقويم المبني على الوضعيات والمشكلات وبيداغوجيا المشروع، لم تجد مكانها ضمن حقل التربية والتكوين؛ مما يجعل تجسيدها في الأداء الديداكتيكي صعب التحقيق على الرغم من أهميتها في تحقيق اهداف التنمية البشرية.

٣-الافتقار إلى تطبيق التعلم الاجتماعي الانفعالي اذ لا تزال ذهنية المعلم التقليدية طاغية على أفكار عدد من المعلمين لا سيما ان المحافظات التي أجريت فيها هذه الدراسة بعيدة عن العاصمة بيروت التي يخضع فيها الأساتذة إلى التدريب المستمر ما يوسع آفاقهم.

٤-النفس الطائفي الذي يسيطر على آراء بعض الأساتذة والمتعلمين في العديد من المدارس سواء الرسمية أو الخاصة اذ وجب إعطاء نماذج لصالحين وقديسين من الديانتين المسيحية والإسلام ليتم السماح بتطبيق هذه الطريقة في بعض المدارس.

بعدما تم تنفيذ التجربة والبحث فإننا نختم في التوصيات.

رابعًا: توصيات البحث:

في ختام هذه الدراسة لا بد من تقديم توصيات هي في الحقيقة أفكار تم استنتاجها من خلال تنفيذ البحث، يمكن استعراضها بما يلي:

- على الجهات التعليميّة المعنيّة لا سيما المركز التربوي ووزارة التربية تجديد المناهج لكافة المواد بما فيها مادة التاريخ ومادة الجغرافيا لمواكبة الحداثة والحوسبة في الوقت الحاضر.
- تشجيع الأفكار الجديدة وتدعيمها من حيث الابتكار والتطوير ومراعاة الفروقات الفردية

بحيث يكتسب المتعلم استجابات جديدة وتعديل في السلوك.

• الإضاءة على حياة السيدة الزهراء ومواقفها في كل المؤسسات التعليميّة على اختلاف ايديولوجيتها وانتماءاتها السياسيّة، كونها رمزًا إنسانيًا مهمًا.

• تفعيل الانشطة التربوية والإنسانية والقيام بجولات ميدانية للطلاب والاطلاع بشكل مباشر على تجارب العظماء لتحسين الأوضاع المعيشية والإنسانية لمختلف فئات المجتمع.

• تعميم مشروع تدريس مواضيع الجغرافيا عبر البحث والمشاريع والنمذجة وتنفيذ الخرائط الرقمية والمجسمات...

• إنشاء قسم أو وحدة لتصميم البرامج الحاسوبية التعليميّة وتطوير وترجمة البرامج التعليمية الجيدة من قبل الجهات المسؤولة عن السياسة التربوية في لبنان ووضع هذه البرامج في متناول معلمي الجغرافيا.

• تفعيل التدريب المستمر لأساتذة مادة الجغرافيا، لاسيما فيما يخص تكنولوجيا التعليم والطرائق والإستراتيجيات التعليميّة.

• مناقشة القيم والسلوكيات المجتمعية السائدة وتحديد أداورها الموجبة والسالبة على المجال البشري والطبيعي مثل مواضيع التربية على السلوكيات المجتمعية، لأن هذه الأخيرة تعتبر من أساسيات المجتمع المدني وعلى رأسها الاعتزاز بالمواطنة، ومعرفة مسؤوليات المتعلم وواجباته وحقوقه في مجتمع متنوع مثل المجتمع اللبناني.

• تعميق المعرفة والتحليل الصحيح لمفهوم التنمية البشرية وذلك بدراسة المفاهيم العالميّة عن العظماء بشكل دقيق وواضح وادخالها في تجديد المناهج التعليميّة في لبنان وغيره.

• جعل عملية التعلم اكثر ارتباطًا بواقع المتعلم اي سد الثغرة بين معارفه وواقعه المعاش بل هذه المعارف هي اداة تساعده في مستقبله وتفتح امامه آفاق للإبداع والابتكار.

• تخصيص مادة خدمة مجتمعية أو انمائية ضمن المدارس وتفعيل دورها للتعرف على شخصيات دينيّة وإنسانية مهمة.

• تعزيز تعليم الروايات المختلفة والقصص سواء عن السيدة النورانيّة أم أبيها فاطمة الزهراء عليها السلام أو غيرها من الشخصيات الإنسانية المميزة لا سيما في تعليم الاجتماعيات وتجسيد هذه الروايات ضمن

لعب الأدوار على المسرح لترسيخها في أذهان المتعلمين.

• تمكين المتعلمين من استخدام خبراتهم الشخصية بإعطائهم نصيباً أكبر من الاستقلالية والاستنتاج وحل المشكلات.

ختامًا لا بد من الاشارة إلى اننا في لبنان بحاجة ماسة إلى قرارات تربوية حاسمة ترعاها سياسة تربوية جديّة وطموحة في ظل أوضاع راهنة تطغى عليها التكنولوجيا والمعلوماتية. وهذا ما يؤدي إلى إيجاد تربية فاعلة وديناميكية مرنة، خلاّقة، مستقلة، واجتماعية علمية وإنسانية قابلة دوماً للتطوير كل ذلك في سبيل بناء مواطن مبدع بالعقل والفكر والعمل الخلاّق.

الخاتمة

بعدما تم استعراض التجربة ونتائجها، حيث أظهر نموذج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام القدرة التي تتمتع بها كونها صاحبة الفكر النيّر والصفات النبيلة المؤثرة في كل تفاصيل حياتها القصيرة، ما قد اثار اهتمام ودافعية المتعلمين بما تقدمه من مادة علميّة وتربويّة وصور أخاذة وسلوك مدروس ومتناسق خاصة في الفيلم والموضوع المختار من مادة الجغرافيا الدامجة بين الطبيعية الجافة بمفاهيمها المجردة والبشرية الاقتصادية المرتبطة بحياة الإنسان التنموية. كما تلعب التقنيات الحديثة لا سيما الحاسوب والبرامج الإلكترونية مثل اليوتيوب... دوراً اساسياً في عملية التعلّم ونضج الخبرة الحسية وزيادة القدرة على الفهم والتفكير، وإثارة النشاط العقلي، وتنمية القدرة على التذكر، والتخفيف من النسيان، وتطوير عنصري الملاحظة والإصغاء، وتكوين المبادئ، والأسس والمفاهيم العلميّة اللازمة وعندما يتم اعتماد طريقة ناشطة وحيويّة مثل النمذجة تصبح عملية التعليم-التعلم أيسر وأسهل لا سيما إذا تم اختيار شخصية فذّة ومحفزة مثل أم أبيها فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله.

كما تعد مواد الإجتماعيات غنية جداً وملهمة كثيراً للمتعلمين، وتفتح باب حوار كبير أمامهم، عندما يُحسن المعلم في تعليمها، ويساعدهم في إيجاد إجابات لتساؤلاتهم، ويستمع لآرائهم، ويناقشهم بها، ويشجعهم على البحث والقراءة وتحليل المعطيات خاصةً بإعتمادها نماذج يُعتد بها، تستقطب عقل المتعلم ووجدانه، لذا كانت هذه الطريقة اجتماعية وانفعالية ومعرفية في آنٍ واحد لأنها جمعت سيرة فاطمة عليها السلام وأبيها بصفاتهم الإنسانية البحتة التي حاكت الضمير الإنساني وأخلاقه قبل أن تتوجه إلى قدراته العقلية والمعرفية، وتعمل هذه الشخصيات النورانيّة على تصحيح طريقة تفكير الأجيال الصاعدة وتدفعهم إلى التماثل بصفات الصالحين والتعرف إلى أسباب تميّزهم وارتقائهم بتفكيرهم نحو رضا الله عز وجل خاصةً في الأمور والمرتبطة بواقعهم الحياتي.

إن مواد الإجتماعيات من أفضل المواد التى تجعل الإنسان مستمتعاً بقراءتها فكيف إذا اعتمدت على شخصيات كالسيدة التي جمعت في شخصيتها النورين للنبوة والإمامة إنها سيدة نساء العالمين عليها السلام التي تغذي الروح والعقل والقلب ، كما أنها تنمى عند الإنسان القدرة على التفكير الابداعي وهذا هو

أفضل ما يصل الإنسان إليه حيث يستطيع أن يلم بخبرات الأحداث والتواريخ السابقة ويصل إلى الهدف الوجداني بنفسه كما أن هذا النموذج السامي، لم يترك جانب من الجوانب الحياة لم تتحدث عنه، لذا من الضروري إطلاع المتعلمين على مميزات هذه الشخصية وسيمائيتها لما لها من علامات ومدلولات مؤثرة وتساعد في عملية التربية والتعليم وتفتح آفاق جديدة أمام الأجيال الصاعدة للبحث في هذه الشخصيات والإطلاع على سيرتها لإغناء عقولهم وتقويم سلوكهم.

المصادر والمراجع

- ابن أبي الثلج، تاريخ الأئمة، ضمن مجموعة نفيسة ـ مكتبة السيد المرعشي ـ قم، ايران.
- ابن منظور (١٩٧٢)، لسان العرب، دار صادرة بيروت، لبنان.
- الكتاني، سليمان، فاطمة الزهراء وتر في غمد، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.
- الحيله، محمد محمود (١٩٩٨)، تكنولوجيا التعليم بين النظرية والتطبيق، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- الحيلة، محمد محمود (٢٠٠٣)، طرائق التدريس واستراتيجياته، العين، الإمارات، دار الكتاب الجامعي.
- اللقائي، احمد (١٩٧٤)، تدريس المواد الاجتماعية، القاهرة، عالم الكتب.
- العفون، نادية حسين يونس، واخرون (٢٠١١)، مناهج وطرائق تدريس العلوم، مكتبة التربية الأساسية، بغداد.
- المروني، المكي (١٩٩٣)، البيداغوجيا المعاصر وقضايا التعليم النظامي، كلية الآداب، الرباط.
- رايبورن، دان (٢٠١٢). البث والوسائط الرقمية. فهم الأعمال والتكنولوجيا تايلور وفرانسيس.
- عواضة، هاشم، (٢٠٠٥)، التخطيط في التعليم التعلم. لبنان، دار العلم للملايين.
- يوسف عبد الأمير طباجة (٢٠٠٧). منهجية البحث تقنيات ومناهج. لبنان. دار الهادي.
- Alain، Rey (1979). la terminologie: Noms et notions. que suis - je. PUF. Paris.
- Badran، I. (2008). L `enseignement de la geographie au Liban: analyse du nouveau Curriculum Et des manuels de l `enseignement secondaire. Universite de Nantes، Paris.
- Bernard، Wallet، Farges.1997: Le film dans le cours d'histoire géographie.
- Bell، D. (1973). Technology، nature and society. In Technology and the frontier of knowledge. Garden City، NY: Doubleday.
- الجمهورية اللبنانية، وزارة التربية والشباب والرياضة، المركز التربوي للبحوث والإنماء: الدليل التربوي – التعليم الأساسي (طبعة أولى ٢٠٠٠). – أمال وهيبة.
- الجمهورية اللبنانية، وزارة التربية الوطنية والشباب والرياضة، المركز التربوي للبحوث

والإنماء: «مناهج التعليم العام أهدافها»: تعميم رقم ٢٢/ م / ١٩٩٧ تاريخ ١/ آب/ ١٩٩٧ تفاصيل محتوى منهج مادة الجغرافيا.

- الجمهورية اللبنانية، وزارة التربية والشباب والرياضة، المركز التربوي للبحوث والإنماء: دليل المدارس التعليم العام ١٩٩٧ – ١٩٩٨.. www.crdp.gov.lb
- تكنولوجيا التربية. (١٩٩٢). فلسطين. القدس. جامعة القدس المفتوحة.
- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. ديسمبر ٢٠٠٠. الامارات العربية المتحدة. العدد ٩٩.
- فتوح، أماني عربي إبراهيم. (٢٠٠٨). أثر استخدام برنامج الرسم الهندسي في اكتساب مفاهيم التحويلات الهندسية لدى تلاميذ الصف التاسع. رسالة ماجيستير. جامعة صنعاء. اليمن.
- albasirah.net/ مقالة – عبد الوهاب حسين- في خطى فاطمة عليها السلام/ ٢٣-٦-٢٠٠٨.
- almo٣allem.com٢٦-١٢-٢٠٢١/ مقالة- استراتيجية التعليم المتمايز/ .
- www.almrsal.com ١٩-٨-٢٠٢٠ / مقالة – موقع المرسال- سمر عادل/ .
- hyatok.com. / مفهوم المعرفة- مقالة / ١٢-٨-٢٠١٩.
- hbrarabic.comموقع جامعة هارفرد هارفارد بزنس ريفيو/ .

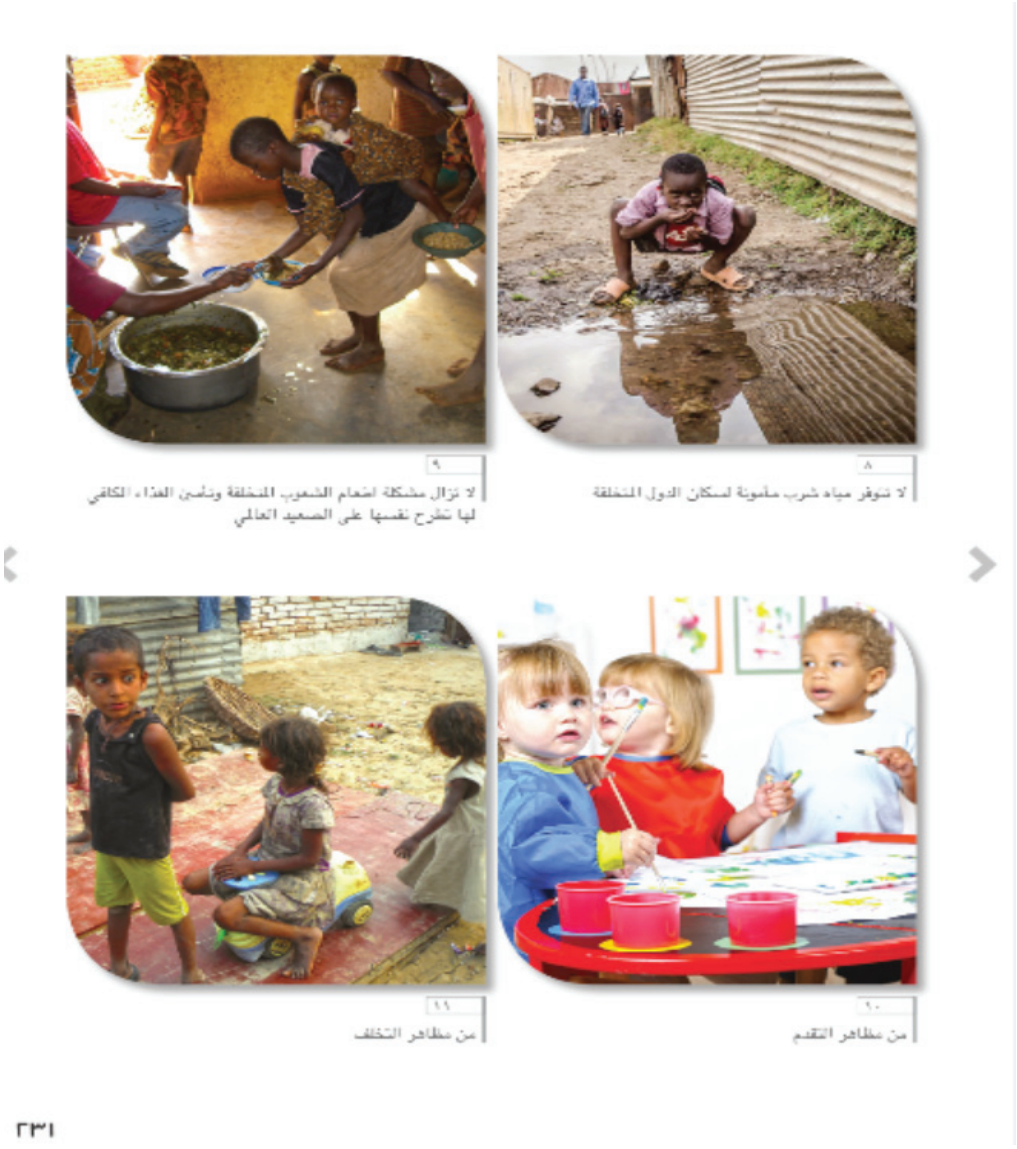

ملحق رقم (١): مستندات كتاب المتعلم

ملحق رقم (٢): مشاهد من الفيلم

٣- استعمال مستند:

... هل التزايد السكاني هو سبب التخلف والفقر في بلدان العالم الثالث؟ أم هل الظلم الاجتماعي والحرمان هما الدافعان لهذا التزايد؟

من البديهي القول أن الظلم الاجتماعي هو الذي يفرز أقلية تملك كل شيء وأغلبية لاتملك شيئاً، ما يدفع بالفقراء الى انجاب عدد كبير من الاولاد كزد من الفقراء على افقارهم. فالولد ينتظر أهله يعني العمل. كما أن الانجاب يحقق للعائلة الكبيرة وزناً اجتماعياً في البلاد المتخلفة التي يقتصر سلم التقدم الاجتماعي فيها على الاغنياء. ففي حين يكون المال مصدر قوة الأغنياء، يكون عدد الاولاد مصدر قوة الفقراء.

١- حدّد طبيعة المستند وموضوعه.

٢- من خلال المستند، حدّد:

أ- السبب الذي يدفع بالفقراء الى انجاب عدد كبير من الاطفال.

ب- مصدر قوة كل من الاغنياء والفقراء.

٣- يشير المستند الى أن التزايد السكاني هو سبب التخلف والفقر. أوضح:

- الاسباب التي تؤدي الى ارتفاع معدل الولادات في الدول النامية.

٤- كتابة نص جغرافي:

من خلال المستند ومعلوماتك المكتسبة، اكتب نصاً جغرافياً (من ٥ الى ٧ أسطر) بعنوان التقدم والتخلف، تبيّن فيه:

- مظاهر التقدم والتخلف في كل من البلدان الغنية والفقيرة.

٢٣٤

ملحق رقم (٣): التقييم التقريري النهائي.

مراتب التقوى

في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام الفدكية

(دراسة في ضوء القرآن الكريم والسنة الشريفة)

الباحثة: د. حسناء عبد الجبار علي الموسوي

ملخص البحث

يتناول هذا البحث موضوع التقوى ومراتبها في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام الفدكية، والتي استندت فيها عليها السلام إلى القرآن الكريم نصاً وروحاً في الاحتجاج بالتقوى على من غصبها حقها ومن رضي بذلك أو سكت عنه، فجاءت المرتبة الأولى تذكيراً للمسلمين بأن التقوى تعد معياراً للإيمان بالله وما جاء بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، وأنهم بدون التقوى لا يمكنهم التمييز بين الحق والباطل، فهي طريق النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، وأما المرتبة الثانية فتناولت فيها جملة من علل الشرائع المرتبطة بصورة مباشرة بالتقوى في القرآن الكريم تنبيها منها عليها السلام على أهمية ترويض النفس على طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام من بعده، وأما المرتبة الثالثة فهي التي عليها المعول في ازدهار هذا الدين ونهوضه وتقدمه بين الأمم ولكن بشرط النجاح أولا بالمرتبتين السابقتين، فهي غاية التقوى ومنتهاها، فلا يصل العبد إلَّا بالتضحية والإخلاص بالعبادة، والتسليم والطاعة المحضة لله جل وعلا ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

الكلمات المفتاحية: السيدة الزهراء، التقوى، مراتب التقوى، حق التقوى، الاحتجاج.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

وبعد.....

إن من تتبع التقوى ومراتبها في القرآن الكريم والسنة الشريفة يجد اهتماماً كبيراً ومساحة واسعة لم تنالها كلمة، فجعلها الله سبحانه وتعالى ميزاناً لأعمال المسلمين في جميع أمورهم، فقال جل وعلا: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]، وهي خير الزاد الذي يحتاجه المؤمن في مسيرته التكاملية في قوله تعالى: ﴿**تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[2]، أن التقوى لا يقتصر دورها على الأقوال والأفعال، بل هي شاملة للاعتقادات والأفكار والتصورات، فإن من واجب المؤمن أن يتقي الله عز وجل في العقيدة التي يتدين بها ويملأ قلبه بها ويحرص على ثبات إيمانه بها وبأصول الدين وفروعه، ومن هنا جاء اهتمام النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام من بعده الاستناد إلى التقوى في كلامهم وخطبهم لأنها تعد الهدف النهائي لكل عبادة وهي الأساس لكل عمل صالح، وهي عز وشرف لكل مؤمن، قال الإمام علي عليه السلام: «**لا شرف أعلى من الإسلام ولا عز أعز من التقوى ولا معقل أحسن من الورع**»[3]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما نقل عبد من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلاَّ أغناه من غير مال وأعزه من غير عشيرة وآنسه من غير بشر**»[4]، ولكن تتعدد مراتب التقوى ودرجاتها تبعاً لطاقة الفرد المسلم واستطاعته، المهم بذل الوسع وافراغه بنية خالصة، وهذا البحث يتناول موضوع التقوى ومراتبها في خطبة السيدة الزهراء عليها السلام الفدكية، والتي استندت فيها عليها السلام إلى القرآن الكريم نصاً وروحاً في الاحتجاج بالتقوى على من غصبها حقها ومن وافقه أو سكت عنه من المسلمين، فجاءت المرتبة الأولى تذكيراً للمسلمين بأن التقوى تعد معياراً للإيمان بالله وما جاء بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، وأنهم بدون التقوى لا يمكنهم التمييز بين الحق والباطل، فهي طريق النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة، وأما المرتبة الثانية فتناولت فيها جملة من علل الشرائع المرتبطة بصورة

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٣) نهج البلاغة: خطبة ٣٧١.

(٤) الكليني، الكافي: ج٢ ص٧٦.

مباشرة بالتقوى في القرآن الكريم تنبيها منهاعليها السلام على أهمية ترويض النفس على طاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة نبيهصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام من بعده، وأما المرتبة الثالثة فهي التي عليها المعول في ازدهار هذا الدين ونهوضه وتقدمه بين الأمم ولكن بشرط النجاح أولا بالمرتبتين السابقتين، فهي غاية التقوى ومنتهاها، فلا يصل العبد إلَّا بالتضحية والإخلاص بالعبادة، والتسليم والطاعة المحضة لله جل وعلا ورسولهصلى الله عليه وآله وأهل البيتعليهم السلام.

١-أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في أن التقوى تمثل أساس لأي برنامج إصلاحي للمجتمع الذي تظهر عليه علامات الفساد، والسيدة الزهراءعليها السلام وجهت خطابها إلى المسلمين في وقت هم أحوج فيه إلى الإصلاح والعودة إلى جادة الطريق الصحيح بعد أن لعبت بهم الأهواء، فلم يكن هنالك أفضل من الابتداء بخطابها ببيان مراتب التقوى التي ذكرها القرآن الكريم في أكثر من آية، ولذلك أردنا الممازجة بين ما بينتهعليها السلام وبين ما طرحه القرآن الكريم للدلالة على ان القران والعترة يؤيد بعضهما البعض

٢-مشكلة البحث

تمثل الخطبة الفدكية اللقاء الوحيد الذي جمع السيدة الزهراءعليها السلام بالمسلمين بشكل مباشر وعلني، ومما لاشك به فإنهاعليها السلام كانت واعية ومدركة لهذا الأمر، لذا كانت خطبتها منهاجاً متكاملاً للمسلمين من بعد وفاة النبي الخاتمصلى الله عليه وآله، ولأنها خرجت للاحتجاج جاءت الخطبة بنسق مختلف، فالمسلمين جديدي عهد بهذا الدين، لا علم لهم بتفاصيله بشكل دقيق وواضح إلَّا القليل منهم، فصار على عاتقهاعليها السلام أن تبين وتحتج في وقت واحد، ففي كل مقطع منذ بداية الخطبة استمر هذا النسق، لكن لحدود هذا البحث اقتصرنا على ما تناولته في مقدمة خطبتها تبييناً لمراتب التقوى كما ذكرها القرآن الكريم، على اعتبار أن التقوى تمثل المعيار الحقيقي بين الحق والباطل في كل مفاصل الحياة ومن جميع الجوانب، فجاء كلامها توضيحا لهم للجانب التطبيقي والعملي لهذه المراتب، فلا حجة لهم بعد ذلك للاعتذار بالقصور وعدم العلم.

٣-تساؤلات البحث

تبعاً لما تقدم يمكن طرح التساؤلات التالية:

ما هو مفهوم التقوى ومراتبها في القرآن الكريم؟، ولماذا اختارت السيدة الزهراء عليها السلام الاستناد إليها في خطبتها الفدكية؟، وماهي المرتبة الأسمى والأعلى من التقوى؟، وما هو وجه الربط لهذه المرتبة بمقام الاحتجاج على من غصب حقها وحق الإمامة؟

٤-خطة البحث

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى:

مبحثين ومقدمة وخاتمة تضمنت أهم النتائج، تناول المبحث الأول: مفهوم التقوى ومراتبها في اللغة والاصطلاح، والقرآن الكريم والسنة الشريفة، وتناول المبحث الثاني: مراتب التقوى في الخطبة الفدكية.

٥-مصادر البحث

اعتمد البحث على نص الخطبة الفدكية الذي جاء في بحار الأنوار بعد أن ذكر المجلسي مصادر الخطبة والأسانيد التي رويت بها، ولأن الدراسة تعتمد القرآن الكريم والسنة الشريفة مصدراً ومنهجاً لها، فإن كل مصادر الحديث وشروحه وكتب تفسير القرآن تعتبر من مصادرها، وبالخصوص شروح الخطبة الفدكية، فضلاً عن كتب اللغة والاصطلاح وكل مصادر الشريعة الإسلامية أصولها وفروعها.

المبحث الأول: مفهوم التقوى ومراتبها

المطلب الأول: التقوى في اللغة

التقوى من الفعل وقى جاءت بعدة معان في اللغة منها: «دفع شيء عن شيء بغيره»[1]، واتق الله: توقه، ووقيت الشيء إذا صنته وسترته من الأذى، وقد اتقيت وتوقيت الشيء: حذرته، وقد يكون المراد من الوقاية المواظبة والسعي على حفظ الشيء[2]، وقد تأتي التقوى بمعنى الخوف، بجعل النفس في وقاية مما يخاف، فيسمى الخوف تارة تقوى والتقوى خوفاً[3].

المطلب الثاني: التقوى في القرآن والسنة الشريفة

تعددت معاني وصيغ التقوى التي ذكرها القرآن، فهو بحث واسع ومتشعب تغلل معظم آيات القرآن الكريم سواء كان المعنى صريحاً أم ضمناً، والتي لم تخرج عن المعنى اللغوي بصورة عامة، ومن جملة المعاني التي ذكرها القرآن الكريم للتقوى: الخشية والهيبة: ومثاله في قوله تعالى: ﴿ **وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** ﴾[4]، ومنها الطاعة والعبادة: ومثاله في قوله تعالى: ﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ** ﴾[5]، ومنها تنزيه القلوب عن الذنوب: ومثاله في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[6]، ومنها: قول لا إله إلَّا الله في قوله تعالى: ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾[7]، ومنها الإخلاص: في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[8].

وفي السنة الشريفة لم تختلف معاني التقوى عما جاء في القرآن الكريم، بأنها الخشية والخوف من الله

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج٦ ص١٣.
(٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: ج١٥ ص٤٠١.
(٣) ينظر: الراغب الأصفهاني، المفردات: ص٥٣٠، ٥٣١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٤١، ينظر تفسيرها: الطريحي، مجمع البحرين: ج١ ص٤٥٢.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٢، ينظر تفسيرها: الطريحي، مجمع البحرين: ج١ ص٤٥٢.
(٦) سورة النور: الآية ٥٢، ينظر تفسيرها: الطريحي، مجمع البحرين: ج١ ص٤٥٣.
(٧) سورة الفتح: الآية ٢٦، ينظر تفسيرها: الطوسي، التبيان: ج٤ ص٢٧٤.
(٨) سورة الحج: الآية ٣٢، ينظر تفسيرها: الرازي، تفسير الرازي: ج٢ ص٢١.

والعمل بأوامره والاجتناب عن معاصيه، منها ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «**تمام التقوى أن تتعلم ما جهلت وتعمل بما علمت**»[1]، وعن الإمام علي عليه السلام بأنها: «**الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل**»[2]، وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام بأن التقوى: «**أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك**»[3].

المطلب الثالث: التقوى في الاصطلاح

قال الجرجاني (ت٨١٦): «التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص، وفي المعصية يراد بها الترك والحذر، وقيل أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل محافظة آداب الشريعة، وقيل مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى، وقيل ترك حظوظ النفس ومباينة النهى، وقيل أن لا ترى في نفسك شيئاً سوى الله، وقيل أن لا ترى نفسك خيراً من أحد، وقيل ترك ما دون الله، وقيل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله قولاً وفعلاً»[4].

وقال أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ): «التقوى هي ترك الإصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وهي التي يحصل بها الوقاية من النار والفوز بدار القرار، وغاية التقى البراءة من كل شيء سوى الله، ومبدؤه اتقاء الشرك وأوسطه اتقاء الحرام، والتقوى منتهى الطاعات، والرهبة من مبادئ التقوى، وقد تسمى التقوى خوفاً وخشية ويسمى الخوف تقوى»[5].

وقال السيد عبد الأعلى السبزواري (ت١٤١٤هـ): «هي صفة أو حالة نفسانية تعرض للإنسان الملتزم بالدين وقد تزول عنه حسب العوامل النفسية والمكائد الشيطانية، فهي من الأمور الإضافية تختلف حسب درجات الإيمان والثقة بالمبدأ عز وجل»[6].

إذن يمكن القول أن التقوى هي أساس كل عمل يقوم به الفرد المسلم سواء كان العمل مادياً أو معنوياً، فهي الطريق الصحيح لتمييز الحق من الباطل، والعلامة الواضحة على الإيمان بالله واليوم الآخر ولذا جعلها الله سبحانه وتعالى معياراً لكل الإعمال، وبداية دعوة أنبياءه ورسله، وقد اختصر أمير المؤمنين عليه السلام أهمية التقوى في حياة الفرد المسلم في قوله: «**فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم وبصر**

(١) أبن أبي فراس المالكي، تنبيه الخواطر: ج٢ ص١٢٠.
(٢) الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد: ج١ ص٤٢١.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج٦٧ ص٢٨٥.
(٤) التعريفات: ص٢٩.
(٥) الكليات: ص٢٩٩.
(٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ج١١ ص١٩٧.

عمى أفئدتكم وشفاء مرض أجسادكم وصلاح فساد صدوركم وطهور دنس أنفسكم وجلاء غشاء أبصاركم وأمن فزع جأشكم وضياء سواد ظلمتكم»[1].

المطلب الرابع: مراتب التقوى

للتقوى مراتب أشار إليها القرآن الكريم، هذه المراتب تتعلق بمدى استطاعة العبد وصبره على الطاعة والعبادة، فلا تُنال إلَّا بالعمل الدؤوب، وبذل الوسع واستفراغه، قال تعالى: ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿ **سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾[3]، فالطريق إلى تحصيل هذه المراتب ليس سهلًا ويسيراً، فلابد من المسارعة والمسابقة في أداء الواجبات وترك المحرمات والابتعاد عن الشبهات، فضلاً عن ترك بعض المباحات توقياً عن الوقوع في الحرام، ولذلك قرن سبحانه وتعالى التقوى بالامتحان لصعوبة هذا الطريق وبلوغ أعلى مراتبه، قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى** ﴾[4]، وقد قسم العلماء مراتب التقوى تبعاً لما ورد في القرآن الكريم إلى عدة تقسيمات: منها ما هو ناظر إلى أفعال الفرد الفعلية والقلبية، فقسموها إلى ثلاثة مراتب[5]:

الأولى: وقاية النفس عن العذاب المخلد بتصحيح العقائد الإيمانية، والثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وهو المعروف عند أهل الشرع، والثالثة: التوقي عن كل ما يشغل القلب عن الحق وهذه درجة الخواص بل خاص الخاص.

ومنها ما هو ناظر إلى مقام تكليف الفرد وحدود استطاعته فقسموها إلى ثلاثة مراتب[6]:

الأولى: تقوى العوام وهي اجتناب المحرمات، والثانية: تقوى الخواص وهي اجتناب المكروهات، والثالثة: تقوى خواص الخواص وهي اجتناب المباحات وكل ما يشغل عن الله تعالى.

ومنها ما هو ناظر إلى الحالة الخُلقية الباطنية للفرد، فقسموها إلى مرتبتين[7]:

---

(١) نهج البلاغة: خطبة١٨٩ ص٢٣٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية١٣٣.
(٣) سورة الحديد: الآية٢١.
(٤) سورة الحجرات: الآية٣.
(٥) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار: ج٦٧ص ١٣٦.
(٦) ينظر: شبر، عبد الله، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: ص٦٨.
(٧) ينظر: السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن: ج٦ ص٢٠٧.

الأولى: تقوى ظاهرية خالية عن الخلوص والإخلاص، والثانية: تقوى باطنية حقيقة مشتملة عليهما (الخلوص والإخلاص)، وهي التي لا يشوبها باطل ولا فساد وهي العبودية المحضة التي لا كمال بعدها وهذا النحو من التقوى هو حق التقوى الذي يليق بساحة الله تبارك وتعالى.

بالنظر فيما تقدم يمكن تقسيم التقوى إلى ثلاثة مراتب:

المرتبة الأولى: اتقاء الشرك بالله، ويتم ذلك بالتوحيد وتصحيح الاعتقادات الخاطئة، قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[1].

المرتبة الثانية: اتقاء المحرمات: وهي موجهة إلى الصفات الفعلية للفرد والمتعلقة بالمحرمات والواجبات التي بينها الله تعالى، وهي مرتبة واضحة حددها الشرع وفصل أحكامها لحفظ النفس من العذاب والخلود في النار، وأوعد المتقين منهم بالتكفير عن السيئات وصغائر الذنوب في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا** ﴾[2]، وقال جل وعلا: ﴿ **وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[3].

المرتبة الثالثة: اتقاء الشبهات وهي متعلقة بالصفات الخلقية والسلوكية، فمن أدى حق التقوى بالمرتبتين السابقتين وتجنب الشبهات وامتلأ قلبه بحب الله جل وعلا وحب نبيه صلى الله عليه وآله وآل بيته الكرام عليهم السلام، بانت على سلوكه وجوارحه آثار التقوى وصار معروفاً بها، فالتقوى بهذه المرتبة هي الغاية والهدف من المرتبتين السابقتين، وهي الكمال المطلوب للإنسان، وأما المرتبتين السابقتين فهي التي تهيء الأرضية للوصول إلى هذا الكمال، وهي حق التقوى في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** ﴾[4]، التي عدها العلماء آخر مراتب التقوى وأعلاها درجة، هذه المراتب الثلاث للتقوى والتي تمثل محور هذا البحث بينتها السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية المعروفة، مسلطة الضوء فيها على المصداق الأمثل لحق التقوى وغايته التي رسمها الله لعباده والتي سيأتي الكلام عنها في طيات هذا البحث.

---

(١) سورة الشمس: الآية ٧-١٠.

(٢) سورة الطلاق: الآية ٥.

(٣) سورة الحج: الآية ٣٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

المبحث الثاني: مراتب التقوى في الخطبة الفدكية

المطلب الأول: مرتبة التقوى في العقائد

ابتدأت السيدة الزهراء عليها السلام بعقيدة التوحيد في خطابها الموجه إلى الحاضرين في المسجد وذلك على اعتبار أنهم جميعهم ممن يشهد الشهادتين ويؤمن بالله سبحانه وتعالى ولو على نحو الظاهر، فجاء الخطاب على نحو المسلمات، فقالت بعد الحمد والثناء والشكر لله سبحانه وتعالى جرياً على أصول الخطاب الإسلامي الذي سن قواعده وأرساها والدها نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله: «**وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها، وضمن القلوب موصولها، وأنار في الفكرة معقولها، الممتنع من الإبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته**»[1]، فتضمن خطابها عقيدة الإمامية الحقة بالتوحيد والتي تتمثل بأن: «**الله تعالى واحد أحد، ليس كمثله شيء قديم لم يزال سميع بصير عليم حكيم حي قيوم عزيز قدوس قادر غني لا يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض ولا خط ولا سطح ولا ثقل ولا خفة ولا سكون ولا حركة ولا مكان ولا زمان**»[2].

والمراد (بالإخلاص) في خطابها عليها السلام هو: «**جعل الأعمال كلها خالصة لله تعالى وعدم شوب الرياء والأغراض الفاسدة، وعدم التوسل بغيره تعالى في شيء من الأمور وهذا هو تأويل كلمة التوحيد، لأن من أيقن بأنه الخالق والمدبر وبأنه لا شريك له في الالوهيه فحق له أن لا يشرك في العبادة غيره ولا يتجه في شيء من الأمور لغيره**»[3]، قال تعالى: ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[4]، وقال الإمام علي عليه السلام: «**أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له**»[5]، ثم أن هنالك مرحلتين للإخلاص في توحيد الله سبحانه وتعالى[6]:

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج ٢٩ ص٢٢١.
(٢) الصدوق، الاعتقادات: ص٢١.
(٣) المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٥٢.
(٤) سورة غافر: الآية ١٤.
(٥) نهج البلاغة: الخطبة الأولى: ص١٤.
(٦) ينظر: الشيرازي، محمد، من فقه الزهراء عليها السلام: ج٢ ص١٤٤.

الأولى: أن يملأ الإنسان قلبه وضميره بكلمة التوحيد لفظاً ومضموناً وأن يظهر ذلك على لسانه دوماً وبينه وبين نفسه.

والثانية: هي مرحلة تعامل الإنسان مع الآخرين في هذا البعد عبر بيان ذلك للناس قولاً وفعلاً وكتابة وغير ذلك وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿ **صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً** ﴾[1] فاللازم أن تتحول الشهادة صبغة عامة للمجتمع شاملة لشتى ميادين الحياة.

إذن كلمة لا إله إلَّا الله لا بد من اقترانها بالإخلاص بالنية والعمل، وإلَّا كانت مجرد لقلقة لسان، وهذا الذي نبهت عليه السيدة الزهراء عليها السلام فاشترطت أن يكون تأويلها الإخلاص الذي لا يأتي إلَّا بالتقوى وترويض النفس على تحمل مشاق ومسؤولية هذا الدين، فمتى اقتضى الأمر الوقوف في وجه الظالم والجهر بها، أداها وإن كان في ذلك خسارة حياته، هذه الكلمة التي ألزمها الله عباده في قوله تعالى: ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى** ﴾[2]، والتي ورد عن النبي صلى الله عليه وآله تأويلها بكلمة التوحيد، فقال في تفسير لا إله إلَّا الله: «**وهي كلمة التقوى يثقل الله بها الموازين يوم القيامة**»[3]، هي عهد عليهم بأن لا يشركوا به شيئاً في القول والفعل، فإن الشرك كما يكون بالقول يكون بالفعل، فمن قدم طاعة مخلوق على طاعة الخالق عبده واشرك بالله، وهذا ما بينه الإمام الصادق عليه السلام في قوله: «**ليس العبادة هي السجود ولا الركوع وإنما هي طاعة الرجال، من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبده**»[4]، ولذا كان تذكير السيدة الزهراء عليها السلام بالتوحيد تنبيهاً لهم بأن تخاذلهم عن نصرة الحق قد يوقعهم بالشرك بالله من حيث لا يعلمون.

ثم عطفت عليها السلام بعد ذلك إلى التذكير بعقيدة النبوة وأن والدها محمد صلى الله عليه وآله عبده ورسوله الذي أنار الله به ظلمة الكفر وعبادة الأصنام وأنقذهم من ذلك المجتمع الوثني البائس، فقالت: «**وأشهد أن أبي محمداً عبده ورسوله، اختاره وانتجبه... فرأى الأمم فرقا في أديانها، عكفا على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بمحمد صلى الله عليه وآله ظلمها وكشف عن القلوب بهمها، وجلى عن الأبصار غممها، وقام في الناس بالهداية، وأنقذهم من الغواية، وبصرهم من العماية، وهداهم إلى**

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٨.
(٢) سورة الفتح: الآية ٢٦.
(٣) الصدوق، علل الشرائع: ص٢٥١.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج٩٤ ص٦.

الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم»[1]، ولأن ثمرة التوحيد الخالص هي الإيمان بكل ما نزل به الكتاب وأمر به تعالى وأن طاعة الرسول من طاعة الله، قال تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[2] وهذا هو أصل التقوى، ولذا جاءت التقوى مقترنة بطاعة الرسول في القرآن في عدة مواضع، لأن النبي أو المرسل هو المفسر لما أنزل الله سبحانه وتعالى من أحكام الشريعة، ولأن ثمرة التقوى هي بإطاعة الأوامر واجتناب النواهي وهذه لا يمكن أن نعرف تفاصيلها إلَّا من النبي حامل الرسالة ومبلغها والأمين عليها، قال تعالى: ﴿ **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾[3].

وعندما عطفت بالخطاب إلى الإمامة وجهت كلامهاعليها السلام للحضور بشكل مباشر، مع تحول في لهجة الخطاب إلى العتاب فقالت: «**أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه، وحملة دينه ووحيه**»[4]، لأن الأمة في هذه اللحظة متفقة على عبادة الله عز وجل ونبوة محمدصلى الله عليه وآله، وإنما الخلاف هو حول الإمامة، فأنتم يا عباد الله بمجرد أن قبض الله تعالى نبيهصلى الله عليه وآله أصبحتم الأمناء على دينكم أمام الله سبحانه وتعالى تأتمرون بأوامره وتنهون عن نواهيه، والمراد من (حملة دينه ووحيه) هنا هو: «تحمل التكاليف الدينية أصولية وفروعية، أي أن الله تعالى قد حمل أمانة التكاليف عليكم، ووجه أوامره ونواهيه إليكم، فأنتم الحاملون للتكاليف الشرعية، والمتحملون لأعباء الأوامر والنواهي الدينية، فلابد لكم أن تطيعوه تعالى فيما أمر ونهى بلسان رسوله الذي ما كان ينطق عن الهوى»[5]، ولكن هذه الأمانة مشروطة بزعامة الثقلين كتاب الله وعترة نبيهصلى الله عليه وآله في قولهاعليها السلام: «**وزعمتم حق لكم لله فيكم عهد قدمه إليكم، وبقية استخلفها عليكم، كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق**»[6]، فالمراد بالبقية أهل البيتعليهم السلام، وبالعهد ما أوصاهم النبيصلى الله عليه وآله فيهم[7]، وجاءتعليها السلام بكتاب الله الناطق في قبال كتاب الله الصامت، كون العترة الطاهرة هم تراجمة الكتاب بعد النبيصلى الله عليه وآله، والمراد بخطابهاعليها السلام الإمامة متمثلة بالإمام عليعليه السلام، وقد ورد عنهعليه السلام أنه قال: «**هذا كتاب الله الصامت وأنا المعبِر عنه، فخذوا بكتاب الله الناطق وذروا الحكم**

(١) المصدر نفسه: ج٢٩ ص٢٢١، ٢٢٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٣١.
(٣) سورة الشعراء: الآية ١٠٧، ١٠٨، وينظر: الآية ١١٠، ١٢٦، ١٣١، ١٤٤، سورة آل عمران: الآية ٥٠، سورة الزخرف: الآية ٦٣، سورة نوح: الآية ٣.
(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٢.
(٥) التبريزي الأنصاري، اللمعة البيضاء: ص٤٩٩.
(٦) المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٢.
(٧) المصدر نفسه: ج٢٩ ص٢٥٤.

بكتاب الله الصامت إذ لا معبر عنه غيري»[1]، وقال أيضاً: «**ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلمتكم**»[2]، وعن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى ﴿ **وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ** ﴾[3] قال: «**إيانا عنى، وعلي أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي** صلى الله عليه وآله»[4]، فالسيدة الزهراء عليها السلام قرنت القرآن الكريم بالإمامة في خطابها كونهم عليهم السلام يمثلون أحد الثقلين اللذين أمر النبي صلى الله عليه وآله باتباعهما، واللذين لا يفترقا حتى يردا عليه في قوله: «**إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا**»[5]، فمن آمن بالكتاب لابد أن يؤمن بإمامة علي وولده عليهم السلام من بعد النبي صلى الله عليه وآله وإلَّا كان إيمانه منقوصاً، فإن العقائد الحقة لا تتجزأ ولا يمكن الانتقاء فيها فيختار المكلف ما يريده منها ويناسب تطلعاته ومصلحته الشخصية ويترك ما عداها.

المطلب الثاني: مرتبة التقوى في الطاعة والعبادة

تمثل المرتبة الثانية من مراتب التقوى مرحلة الانخراط في هذا الدين الجديد من خلال أداء مجموعة من التكاليف الموجهة إلى الفرد المسلم والتي تمثل الميزان لمدى صبره وتحمله وتضحيته، والتي بمجموعها تمثل التقوى في الطاعة والعبادة، فابتدأت السيدة الزهراء عليها السلام هذه المرتبة بالإشارة إلى أن القرآن الكريم تضمن كل ما يحتاجه الفرد من أمور تشريعية وعقائدية وأخلاقية لتنظيم حياته وفي شتى المجالات، وهي وإن كان بعضاً منها على نحو الإجمال فإن تفصيلاتها أودعها النبي الخاتم صلى الله عليه وآله عند وصيه وحجة الله على خلقة الإمام علي عليه السلام وهو بدوره سينقلها لأولاده من بعده عليهم السلام، فصار القرآن الكريم بهم مكتمل الجوانب نصاً وظهوراً وتفسيراً، واضحاً جلياً بين أيديهم: «فإن الأسرار الخفية في القرآن منكشفة لمن تدبر فيها واستعان بمن نزل القرآن في بيوتهم»[6]، فقالت عليها السلام: «**بينة بصائره منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة أسماعه، به تُنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيناته الجالية، وبراهينه الكافية،**

(١) ابن بطريق، العمدة: ص٣٣٠.
(٢) الكليني، الكافي: ج١ ص٦١.
(٣) سورة الرعد: الآية ٤٣.
(٤) الكليني، الكافي: ج١ ص٢٢٩، حديث ٦.
(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٣٧.
(٦) الشيرازي، من فقه القرآن: ج٢ ص٣١٠.

وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة»[1]، فالسيدة الزهراء عليها السلام تريد أن تقول: بأقوال النبي صلى الله عليه وآله والحجج المعصومين عليهم السلام وأفعالهم وتقريرهم تنال العزائم والرخص، وبهم يكمل الإيمان كونهم القادة إلى النجاة من النار والفوز بالجنة، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إن مثل الدين كمثل شجرة ثابتة، الإيمان أصلها والصلاة عروقها، والزكاة ماؤها والصوم سعفها وحسن الخلق ورقها، والكف عن المحارم ثمرها فلا تكمل شجرة إلَّا بالثمر كذلك الإيمان لا يكمل إلَّا بالكف عن المحارم**»[2]، والتحذير من ارتكاب المحرمات أحدى واجبات الإمامu من بعد النبي صلى الله عليه وآله، ولا يقتصر التحذير في قولها عليها السلام على المحارم في الأحكام الشرعية وإنما يشمل كل ما حذر منه القرآن الكريم، ومنه معصية الرسول وأولي الأمر، فكل ما يوجب شر الدنيا والآخرة داخل في كلامها عليها السلام.

إن كلام السيدة الزهراء عليها السلام موجه في معظم سطور الخطبة إلى أهمية الإمام ودوره في حفظ الأمة من الضياع، فهو «**القائد إلى الرضوان أتباعه**»[3] لمن تبعه وسار على نهجه، فلابد أن يكون القائد ممن هو قادر على قيادة أتباعه إلى الرضوان والسعادة، ومن مثل الإمام علي عليه السلام أهل لهذه المهمة الخطيرة بعد النبي صلى الله عليه وآله، وقد ورد عنه أنه قال: «**وأنا قائد المؤمنين إلى الجنة، وأنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى وكلمة التقوى، وأنا عين الله ولسانه الصادق ويده..**»[4].

ثم بعد هذا البيان والتوضيح ذكرت عليها السلام جملة من علل الأحكام التي ربطها القرآن الكريم بشكل مباشر بالتقوى وقد سوّرتها عليها السلام بعلتي الإيمان ابتداءً وتحريم الشرك انتهاءً كون التكاليف الشرعية والعبادات لا تقبل إلَّا بعد الإيمان الصادق الخالي من شائبة الشرك بشتى أنواعه، أو أن هذه العبادات من أداها بإخلاص واتقى الله فيها تطهر من الشرك وتنزه من الكبر وزكى نفسه وثُبت إخلاصه وتشيد وترسخ دينه...، تمهيداً للوصول إلى المرتبة الثالثة من التقوى التي تعد الغاية مما تقدم من المرتبتين السابقتين، وفيما يأتي استعراض لجملة من هذه العلل وما يقابلها من القرآن الكريم من الآيات المرتبطة بالتقوى ليظهر لنا جلياً دقة الاختيار وعظمته:

قالت عليها السلام: «**فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، والزكاة تزكيةً للنفس، ونماءً في الرزق، والصيام تثبيتاً للإخلاص، والحج تشييداً للدين، والعدل**

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٢.
(٢) الصدوق، علل الشرائع: ص٢٤٩.
(٣) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٤١.
(٤) الصدوق، التوحيد: ص١٦٥، الشيخ المفيد، الاختصاص: ص٢٤٨.

تنسيقاً للقلوب، وطاعتناً نظاما للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة، وبر الوالدين وقاية من السخط، وصلة الأرحام منماة للعدد، والقصاص حقناً للدماء، والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة، وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس، والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة، وترك السرقة إيجاباً للعفة، وحرم الله الشرك إخلاصاً له بالربوبية»[1]، وقد جاء في كتاب نهج البلاغة على لسان الإمام علي عليه السلام جملة من علل الشرائع تكاد تكون مطابقة لما ورد في هذا المقطع[2].

١- «**فجعل الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك، والصلاة تنزيها لكم عن الكبر**»، اقترن الإيمان وإقامة الصلاة بالتقوى في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ۞ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ۞ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3]، فالإيمان تطهير عن رجس الشرك والكفر بالله تعالى وإنكار كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله ومنها خلافة علي الذي لا يقبل الله الإيمان إلَّا بولايته كما جاء على لسانه صلى الله عليه وآله: «**المخالف على علي بن أبي طالب بعدي كافر، والمشرك به مشرك، والمحب له مؤمن، والمبغض له منافق، والمقتفي لأثره لاحق، والمحارب له مارق، والراد عليه زاهق ....لا يقبل الله الايمان إلَّا بولايته وطاعته**»[4]، ثم «أن المعادل الآخر للإيمان من جهة القلب هو الصلاة فهي عمود الدين ومحققة للخضوع في مقابل الكبر الذي يدعو الإنسان للتمرد على أوامر الله تعالى»[5] ولذا نرى الطواغيت يتكبرون عنها وعن كل ما يؤدي بهم إلى الخضوع والاستسلام، فمن تكبر في الصلاة تكبر عن ولا يتهم عليهم السلام، وقد ورد هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**لا يدخل الجنة أحد فيه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار عبد فيه مثقال حبة خردل من إيمان، فقلت له: جعلت فداك، فوالله إن الرجل منا يلبس الثوب الجديد، أو يركب الدابة، فيكاد أن يدخله، قال: ليس ذلك بذلك، إنما الكبر من تكبر عن ولايتنا، وأنكر معرفتنا**»[6]، فالصلاة جاءت لتعلم وتدرب الفرد المسلم أن يتخلص من الكبر والاستسلام لأوامر الله ونواهيه التي أوكلهم عليهم السلام

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٣.
(٢) ينظر: المعتزلي، ابن أبي الحديد: ج١٩ ص٨٦.
(٣) البقرة: الآية ١-٤.
(٤) الصدوق، الأمالي: ص٦١.
(٥) ينظر: فوزي آل سيف، أني فاطمة وأبي محمد: ص٨٣.
(٦) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٥، ح١٣٤٤٤.

تبليغها للمسلمين كافة.

٢- «**الزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق**» اقترنت الزكاة بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ** ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ **وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۞ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى** ﴾[٢]، والسبب في أنها عليها السلام جعلت الزكاة تزكية للنفس، هو أن الله تعالى جعل لكل عمل صالح أثراً وضعياً تكوينياً وآخر أخروياً مجانساً له، فإذا صارت الزكاة والعطاء ملكة للإنسان ترققت النفس ولان القلب وتزكى وتطهر من الذنوب[٣]، قال تعالى: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا** ﴾[٤]، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**أيها المسلمون زكوا أموالكم تقبل صلاتكم**»[٥]، ولذا جاءت عليها السلام بعلة الزكاة بعد الصلاة في تنبيه رائع إلى ارتباط العبادات بعضها بالبعض الآخر، فمن لم يزكي أمواله لم تقبل صلاته، وهي أيضا (نماء في الرزق)، فمن زكى أمواله نمت وزادت ومن بخل بها واشتغل بها بطرق غير شرعية يمحقها الله، قال تعالى: ﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ** ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ** ﴾[٧].

٣- «**الصيام تثبيتاً للإخلاص**»، اقترن الصوم بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[٨]، وسبب أنها عليها السلام قرنت الصيام بالإخلاص لأن «**الإخلاص في الصوم عميق جداً إذ أن الإنسان يستطيع عادة أن يتظاهر بالصوم ويرتكب المحرمات سراً**»[٩]، فهو أمر بين العبد وخالقة لا يطلع عليه أحد فلا يؤدي هذه العبادة بالشكل الصحيح إلَّا المخلصون، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «**فرض الله الصيام ابتلاء**

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٢) سورة الليل: الآية ١٧-١٨.
(٣) ينظر: الشيرازي، من فقه الزهراء عليها السلام: ج٢ ص٣٦١.
(٤) سورة التوبة: الآية ١٠٣.
(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج٩ ص٩، باب وجوب الزكاة، ح١.
(٦) سورة البقرة: الآية ٢٧٦.
(٧) سورة الروم: الآية ٣٩.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٨٣.
(٩) الشيرازي، من فقه الزهراء عليها السلام: ج٢ ص٣٦٦.

لإخلاص الخلق»[1]، وقال أيضاً: «**اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم**»[2] فمن نجح في هذا الامتحان ثبُت إخلاصه الذي هو وجه آخر للتقوى كما تقدم.

٤- «**الحج تشييداً للدين**»، اقترن الحج بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[3]، وسبب أنها عليها السلام خصت الحج بتشييد الدين لظهوره ووضوحه وتحمل المشاق فيه وبذل النفس والمال، فالإتيان به أدل دليل على ثبوت الدين واستقراره في النفس[4]، وقد جاء في علة تشريع الحج عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه سبباً لتشرف الحجاج بلقاء الأئمة عليهم السلام والإقرار بولايتهم، قال: «**إنما أمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار فيطوفوا بها ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرتهم**»[5]، ومما لاشك أن الدين بنصرتهم والإقرار بإمامتهم وولايتهم يتشيد ويزدهر عليهم السلام.

٥- «**العدل تنسيقاً للقلوب**»، اقترن العدل بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[6]، فإن مراعاة العدل في جميع أمور المسلمين موجب لتنظيم القلوب واتساقها فيما بينها، فيتخلص المجتمع من الضغينة والحقد والشعور بالظلم الموجب للعداوة، والسبب في أنها عليها السلام جاءت بالعدل بعد الحج استكمالاً للإقرار بولايتهم عليهم السلام فإن الميل إلى حبهم وطاعتهم موجب لانتظام القلوب واعتدالها في الاعتقاد[7]، فمن أراد العيش في دولة يسودها العدل والإنصاف فليوالي عليا عليه السلام وأولاده عليهم السلام من بعده، وقد جاء عنه عليه السلام أنه قال: «**بنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة**»[8].

٦- «**طاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أماناً من الفرقة**»، اقترنت طاعة الرسول صلى الله عليه وآله بالتقوى في قوله

---

(١) نهج البلاغة: ج٤ ص٥٥.
(٢) المصدر نفسه: قصار الحكم، ص٣٢٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٧.
(٤) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٥٩.
(٥) الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج١٠ ص٢٥٢/ باب تأكيد استحباب زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام وخصوصاً بعد الحج/ ح١.
(٦) سورة المائدة: الآية ٨.
(٧) ينظر: التبريزي الأنصاري، اللمعة البيضاء: ص٥٥٤.
(٨) أبي الفتح الإربلي، كشف الغمة: ج٣ ص٢٧٣.

تعالى: ﴿ **إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾[1]، وطاعة أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[2]، فإن طاعتهم عليهم السلام تؤدي إلى تنظيم واستقرار أمور المسلمين، وذلك عن طريق جمعهم وتأليف قلوبهم وصونها عن التشتت والانجرار إلى الأهواء المظلة، وهذا ما حصل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، فإذا ترك المسلمين طاعتهم أُفسد النظام وتاهوا في حيرة الضلالة وفقدوا صمام الأمان الذي يحميهم من الفرقة، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال «**طاعتنا طاعة الله ومعصيتنا معصية الله**»[3].

٧- «الجهاد عزا للإسلام»، اقترن الجهاد في سبيل الله بالتقوى في قوله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿ **لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ** ﴾[5]، والسبب في أنها عليها السلام جعلت الجهاد عزاً للإسلام، لأن الغاية من الجهاد هو إعلاء كلمة الإسلام وإقامة شعائر الإيمان[6]، وإن ترك هذه الفريضة يؤدي إلى هدم الدين وتمكين أعداء الإسلام وتسليطهم على المسلمين ليعيثوا في الأرض الفساد ويهلكوا الحرث والنسل، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**إن الله عز وجل فرض الجهاد وعظّمه وجعله نَصْرَه وناصره والله ما صلحت دنيا ودين إلَّا به**»[7]

٨- «**الصبر معونة على استيجاب الأجر**»، اقترن الصبر بالتقوى في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ **اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[8]، وفي قوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾[9]، فإن مجرد الصبر دون التقيد بالشريعة وما جاءت به من أحكام لا يورث نجاحاً أو فلاحاً، وجاء الصبر مقترناً بآيات الجهاد في أكثر من موضع في القرآن الكريم، فبالصبر يرد الله كيد الأعداء كما في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ**

(١) سورة الشعراء: الآية ١٤٤.
(٢) سورة التوبة: الآية ١١٩.
(٣) الصدوق، الأمالي: ص٥٥٨، مجلس٨٢/ ح١٦.
(٤) سورة التوبة: الآية ٣٦.
(٥) سورة التوبة: الآية ٤٤.
(٦) ينظر: الشيخ الجواهري، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ج٢١ ص٣، كتاب الجهاد.
(٧) الكليني، الفروع من الكافي: ج٥ ص٨، ح ١١ باب فضل الجهاد.
(٨) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.
(٩) سورة هود: الآية ٤٩.

شَيْئًا ﴾[1]، وبالصبر يأتي إمداد السماء بالملائكة، كما في قوله تعالى **﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾**[2]، ولذا جاءت عليها السلام بعلة الصبر بعد الجهاد لأن الجهاد في سبيل الله يمثل غاية الصبر ومنتهاه، فليس هنالك أصعب من الصبر على بذل النفس التي هي أعز ما يملك الإنسان في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، وكذلك الصبر على العبادة واجتناب المعاصي لا يكون إلَّا بمجاهدة النفس وترويضها بالتقوى، وقد جاء عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «**الصبر على ثلاثة أوجه: فصبر على المعصية، وصبر عن المعصية، وصبر على الطاعة**»[3].

٩- «**القصاص حقناً للدماء**»، اقترن القصاص بالتقوى في قوله تعالى: **﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**[4]، أي لكم في وقوع القتل حياة لأنه لا يقتل إلَّا القاتل دون غيره بخلاف ما كان يفعله أهل الجاهلية الذين كانوا يتفانون بالعداوة[5]، فجعل الله القصاص حقناً للدماء، لأن من علم أنه إذا قتل شخصاً سيقتل قصاصاً، خاف وارتدع، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**من خاف القصاص كف عن ظلم الناس**»[6]، إن السيدة الزهراء عليها السلام طالبت المسلمين في هذه الفقرة الرجوع إلى أحكام الله في القصاص لأن تعطيله يعطي أعداء الدين والمذهب الجرأة على الله سبحانه وتعالى ونبيه صلى الله عليه وآله وآل بيته الكرام عليهم السلام، وقد جاء عن الإمام زين العابدين عليه السلام في تفسير الآية التي هي مصداق لقولها عليها السلام بأن هنالك ما هو أعظم من القصاص بالقتل في الدنيا قتلاً لا ينجبر ولا يحيى بعده أبداً، فقال: «**أن يضله عن نبوة محمد صلى الله عليه وآله وعن ولاية علي عليه السلام ويسلك به غير سبيل الله ويغريه باتباع طرائق أعداء علي عليه السلام والقول بإمامتهم ودفع علي عليه السلام من حقه وجحد فضله...فهذا القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم خالداً مخلداً أبداً، فجزاء هذا القتل مثل الخلود في نار جهنم**»[7]، فيا أصحاب القلوب الرشيدة اتقوا الله من قصاص أبدي والخلود في جهنم بتخاذلكم عن نصرة النبي صلى الله عليه وآله وآله أمام من سلبهم حقهم وتجرأ عليهم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.
(٣) ابن شعبة الحراني، تحف العقول: ص٢٠١.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٩.
(٥) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان: ج١ ص٤٩١.
(٦) الكليني، الكافي: ج٢ ص٣٣٥، ح٢٣/ باب الظلم.
(٧) الطبرسي، الاحتجاج: ج٢ ص٥٠.

المطلب الثالث: مرتبة حق التقوى

بعد أن أنهت السيدة الزهراء عليها السلام كلامها في المرتبتين السابقتين اتجهت في خطابها إلى المرتبة الأسمى والأعلى شأناً، والتي تمثل نهاية الغاية من عبادة الله وطاعته، ولذا كان لابد من التحول بالخطاب إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم بصورة مباشرة لإقامة الحجة عليهم فقالت عليها السلام: «**فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلَّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء**»(١)، فاقتبست عليها السلام آيتين لتحديد هذه المرتبة نذكرها بالترتيب:

١-قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾(٢)، ذكرت هذه الآية المرتبة الثالثة من التقوى بشكل صريح لذلك جاءت بها السيدة الزهراء عليها السلام في نهاية استعراضها المذهل لعلل الأحكام، فكان موضعها في السياق هو الأبلغ من عدة نواح، منها أن ما تقدم من المرتبتين كان تفسيراً وتمهيداً وافياً لها، وأنه يمكن اعتبار تلك المقدمة العقائدية الفقهية من شروط التقوى في هذه المرتبة، وإذا أردنا أن نعلم المعنى الوافي لحق التقوى لابد لنا من تتبع كلام المعصومين عليهم السلام وآراء المفسرين فيها:

وقد استشهد النبي صلى الله عليه وآله بالآية الكريمة في خطبه مستفتحاً بها بعد الثناء والحمد(٣)، وهذا منهج أهل البيت جميعاً وضعه لهم النبي صلى الله عليه وآله ولم يأتي اعتباطاً فنجده في معظم خطبهم(٤)، وفي حق التقوى في الآية نقل الرواة عنهم عليهم السلام عدة معان منها:

أ- التسليم التام لله سبحانه وتعالى والنبي صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام: عن الإمام علي عليه السلام قال: «**لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه**»(٥)، وجاء عن الإمام الكاظم عليه السلام في تفسير ﴿**مُسْلِمُونَ**﴾ أنه قال: «**إلَّا وأنتم مسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم الإمام عليه السلام من بعده**»(٦)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**وأنتم مسلمون بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى النبي صلى الله عليه وآله به منقادون له**»(٧)، فإن مجرد الدخول إلى هذا الدين لا يكفي، إنما لابد من المحافظة عليه بالإيمان

(١) المجلسي، بحار الأنوار: ج٢٩ ص٢٢٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.
(٣) ينظر: فرات الكوفي، التفسير: ج١/ ص٣٥٠.
(٤) ينظر: الكليني، الكافي: ج٨/ ص٣٥٤.
(٥) السيوطي، الدر المنثور: ج٢/ ص٦٠.
(٦) العياشي، تفسير العياشي: ج١/ ص١٩٤.
(٧) الطبرسي، مجمع البيان: ج٢/ ص٣٥٦.

والاعتقاد الراسخ والتسليم لله ورسوله وأولي الأمر من بعده إلى آخر لحظة من حياة الفرد المسلم، ولا يكون ذلك إلَّا بالوقوف في وجه الطغاة ومواجهتهم ولو كان في ذلك موتهم، وفي ذلك تنبيه منها عليها السلام للمسلمين بأن لا يموتوا وهم خارجين عن الإسلام من غير أن يعلمون، بسبب ظلمهم للعترة الطاهرة ومعصيتهم الرسول صلى الله عليه وآله في مقابل طاعة أعداء الإسلام، وقد جاء هذا المعنى في خطبة للإمام علي عليه السلام لأهل الكوفة: «**أيها الناس عليكم بتقوى الله حق تقاته، وإطاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم من المنتحلين المدعين القائلين إلينا، يتفضلون بفضلنا ويجحدونا في أمرنا وينازعونا حقنا ويدفعونا عنه، وقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقون غيّا...**»[1].

ب- الحضور التام للطاعة والعبادة في قلب العبد: عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ قال: «**يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر**»[2]، ومنها ما ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه لم يعمل بها بشكل تام وصادق إلَّا النبي صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام وأنها منسوخة بآية أخرى فقال: «**والله ما عمل بهذا غير أهل بيت رسول الله عليهم السلام نحن ذكرنا الله فلا ننساه، ونحن شكرناه فلا نكفره، ونحن أطعناه فلا نعصيه، فلما أنزلت هذه الآية قالت الصحابة: لا نطيق ذلك، فأنزل الله: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾**[3]»[4]، وفي المعنى نفسه جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنها منسوخة بقوله تعالى ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾[5]، فالمراد في (حق التقوى) هو العبودية المطلقة لله سبحانه وتعالى التي لا تشوبها شائبة أو سمعة أو عجب وهي التي تتحقق بالرضا التام بقضاء الله وبحضوره سبحانه وتعالى في القلب دائماً فلا يغيب عنه لحظه[6]، ولكن الكمال في هذه المرتبة لا يمكن تحصيله لجميع المسلمين لاختلافهم في مستويات الفهم والاستطاعة، فالمراد بها أن لا تذروا التقوى في شيء مما تستطيعونه، فإن الاستطاعة تختلف باختلاف قوى الأشخاص وأفهامهم وهممهم، ولذا حق التقوى في هذه المرتبة ليس في وسع كثير من الناس، فهم في مراحل مختلفة وعلى درجات مختلفة قد تتغير وتختلف طبقاً لعمل الفرد في طاعة الله وعبادته[7].

---

(١) المدني، ضامن بن شدقم، وقعة الجمل: ص١٥٩.
(٢) الصدوق، معاني الأخبار: ص٢٤٠.
(٣) سورة التغابن: الآية ١٦.
(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص١٧٧.
(٥) العياشي، تفسير العياشي: ج١ ص١٩٤.
(٦) ينظر: الشيرازي، من فقه الزهراء: ج٢ ص٤٤٨.
(٧) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: ج٣ ص٣٦٧.

٢-قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[١]، فالخشية تمثل أحد معاني التقوى، ولذا كان ذكر هذه الآية بعد حق التقوى استكمالاً للفكرة التي طرحتها السيدة الزهراء عليها السلام، باعتبار أن من يتقي الله حق تقاته ويخشى الله حق الخشية هم العلماء بالله وبدينه وسنة نبيه صلى الله عليه وآله «**فإن شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وأفعاله فما كان أعلم به كان أخشى**»[٢]، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إني أخشاكم لله وأتقاكم له**»[٣]، وجاء في تفسير الآية بروايات أهل البيت عليهم السلام: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إن من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل يقول الله: إنما يخشى الله من عباده العلماء**»[٤]، وعنه عليه السلام: «**قال: يعني بالعلماء من صدق فعله قوله، ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم**»[٥]، وعن عليه السلام: «**ودليل الخشية التعظيم لله والتمسك بخالص الطاعة وأوامره والخوف والحذر ودليلهما العلم، ثم تلا الآية**»[٦] وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «**وما العلم بالله والعمل إلاَّ إلفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه، وحثه الخوف على العمل بطاعة الله، وإن أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له ورغبوا إليه، وقد قال الله: إنما يخشى الله من عباده العلماء**»[٧]، إذن من يتق الله ويخشاه حقاً كما أمر الله تعالى في كتابه وجاء على لسان نبيه وأوصيائه من بعده يسير على النهج الذي أُمر به ولا يخاف في الله لومة لائم، ويقف في وجه الظلم ويدافع عن هذا الدين بكل ما يملك من إمكانات وقوة، فإن الأمر لا يقتصر على معرفة أصول الدين وفروعه وإنما لابد من العمل بهما وبمضامين الرسالة بشكل تام، وبالخصوص الأمور التي تتطلب من الإنسان التضحية بما يملك من نفس ومال لأنها الأصعب والتزام الإنسان بها يعد مؤشراً على خشيته وعمق إيمانه بالله.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.
(٢) الفيض الكاشاني، التفسير الصافي: ج٦ ص١٢٧.
(٣) البخاري، صحيح البخاري: ج٦ ص١١٦.
(٤) الكليني، الكافي: ج١ص ٦٩، باب الخوف والرجاء، ح٧.
(٥) المصدر نفسه: ج١ ص٣٦، باب صفة العلماء، ح٢.
(٦) التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، مصباح الشريعة: ص٤.
(٧) الكليني، الكافي: ج٨ ص١٦.

نتائج البحث

بعد هذه الجولة السريعة بين القرآن وخطاب السيدة الزهراء عليها السلام وكلمات المعصومين عليهم السلام تبين للبحث ما يأتي: أن للتقوى مراتب متعددة تناولها القرآن الكريم على نطاق واسع، ابتدأت بها السيدة الزهراء صلى الله عليه وآله خطبتها في مقدمة للاحتجاج على من ظلمها حقها، حيث ربطت كل مرتبة من مراتب التقوى بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر من بعده، فمن أراد عبادة الله وحده لا شريك له، فلابد له أن لا يطلب رضا سواه من البشر، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وهذه هي التقوى في العقيدة، ومن أراد أداء التكاليف الموجهة إليه في الشريعة بشكل صحيح عليه أن يأخذها من منبعها الأصيل وهو القرآن الكريم والعترة الطاهرة المفسرة له وهذه هي التقوى في الطاعة والعبادة، ومن أراد العبودية المحضة التي لا تشوبها شائبة فعليه أن يهيئ النفس للتضحية بالغالي والنفيس لإعلاء كلمة الإسلام ومواجهة الظلم والاستبداد، فهذه المراتب الثلاثة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً لا ينفك أحدها عن الآخر، وكأنها سلسلة من الرياضات والكمالات التي لابد للعبد من خوضها للوصول إلى حق التقوى وحقيقتها، والتي تمثل البرنامج المتكامل لإصلاح أي مجتمع مهما كانت درجة فساده وانحطاطه، وهذه هي ثمرة التقوى التي احتجت بها صلى الله عليه وآله في ذلك الجمع من المسلمين الحديث العهد بالإسلام وما يتضمن من أصول وفروع، في محاولة منها عليها السلام لإرجاعهم إلى الدين الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله والذي كادوا أن يخرجوا عنه من حيث لا يعلمون.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإربلي، علي بن عيسى، ابن أبي الفتح (ت٦٩٣هـ)، كشف الغمة، ط/ ٢، دار الأضواء، بيروت، لبنان (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).
- الإمام العسكري عليه السلام (ت٢٦٠هـ)، التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، ط/ ١، تح ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم (١٤٠٩هـ).
- آل سيف، فوزي، إني فاطمة وأبي محمد (في رحاب مضامين خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام المعروفة بالفدكية، ط/ ٣، مركز فجر عاشوراء الثقافي التابع للعتبة الحسينية المقدسة، ممثلية قم المقدسة (١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ط/ ١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١٤٠١هـ-١٩٨١م).
- ابن بطريق، يحيى بن الحسن، الأسدي الحلي (ت٦٠٠هـ)، عمدة عيون الأخبار في مناقب إمام الأبرار، ط/ ١، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة (١٤٠٧هـ).
- التبريزي الأنصاري، محمد بن علي (ت١٣١٠هـ)، اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، تح: السيد هاشم الميلاني، ط/ ١، مؤسسة الهادي، قم المقدسة (١٤١٨هـ).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ)، التعريفات، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).
- الجواهري، محمد حسن، النجفي (ت١٢٦٦هـ-١٨٤٩م) جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، تح: الشيخ عباس القوجاني، ط/ ٢، دار الكتب الإسلامية، طهران، (١٣٦٥هـ-١٩٤٥م).
- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ- ١٦٩٢م)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط/ ٢، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت٦٠٦هـ-١٢٠٩م)، مفاتيح الغيب (التفسير

الكبير)، ط/ ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
- الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (ت٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، ط/ ١، نشر دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، (١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).
- السبزواري، عبد الأعلى، الموسوي (ت١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط/ ٥، نشر دار التفسير، قم، إيران، مكتبة المهذب، النجف الأشرف، العراق (١٤٣١هـ-٢٠١٠م).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن إبن أبي بكر (ت٩١١هـ-١٥٠٥م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ت).
- شبر، عبد الله (ت١٢٢٠هـ)، الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء)، ط/ ١، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
- ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين (ت: ق٤)، تحف العقول عن آل الرسول|، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط/ ٢، نشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م).
- ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، (د. ط)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف (١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).
- الشيرازي، محمد الحسيني (ت١٤٢٢هـ)، من فقه الزهراء عليها السلام، ط/ ١، مطبعة شريعت، قم المقدسة (١٤٢٨هـ).
- الصدوق، محمد بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، الأمالي، ط/ ١، تحقيق ونشر: مؤسسة بعثة، قم، إيران (١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
- .....؛ التوحيد، تحقيق: هاشم الحسيني الطهراني، (د.ط)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، إيران (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
- .....؛ معاني الأخبار، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (د.ط)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، إيران (١٣٧٩هـ-١٩٦٠م).
- .....؛ الاعتقادات في دين الإمامية، تح: عصام عبد السيد، ط/ ٢، دار المفيد للطباعة والنشر (١٤١٤هـ).
- .....؛ علل الشرائع، تح: محمد صادق بحر، (د.ط)، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف

(١٣٨٥هـ-١٩٦٦م).

- الطباطبائي، محمد حسين (ت١٤٠٢هـ-١٩٨١م)، الميزان في تفسير القرآن، ط/ ٧، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، مؤسسة النشر الإسلامي، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
- الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٤٨هـ)، الاحتجاج، ط/ ١، مؤسسة الأعلمي، بيروت (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م).
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تقديم: محسن الأمين العاملي، ط/ ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- الطريحي، فخر الدين (ت١٠٨٥هـ) مجمع البحرين، تح: السيد أحمد الحسيني، ط/ ٢، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).
- الطوسي، محمد بن الحسن بن علي (ت٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط/ ١، دار إحياء التراث العربي، مطابع مكتب الإعلام الإسلامي (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).
- عبدة، محمد (ت ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م)، شرح نهج البلاغة، ط/ ١، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، (١٤١٢هـ- ١٩٩١م).
- العياشي، محمد بن مسعود بن عياش، السلمي السمرقندي (ت٣٢٠هـ-٩٣٢م)، تفسير العياشي، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، (د. ط)، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، إيران، (د. ت).
- الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت١٠٩١هـ)، تفسير الصافي، قدم له وعلق عليه وصححه: حسين الأعلمي، ط/ ٢، مطبعة مؤسسة الهادي، قم، إيران (١٤١٦هـ- ١٩٩٦م).
- القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسن الرازي (ت ٣٩٥هـ-١٠٠٤م) ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، ط/ ١، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ايران (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).
- الكفوي، أيوب بن موسى أبو البقاء (١٠٩٤هـ-١٦٨٢م)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش محمد المصري، (د. ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ت).
- الكوفي، فرات بن إبراهيم (ت٣٥٢هـ)، تفسير فرات الكوفي، تحقيق: محمد كاظم، ط/ ١، طهران، إيران (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق، أبي جعفر الرازي (ت٣٢٩هـ-٨٤٣م)، الكافي في

الأصول والفروع، تح: علي أكبر الغفاري، ط/ ٥، نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، (١٣٦٣هـ-١٩٧٣م).

- المالكي الأشتري، ورام بن أبي فراس (ت٦٠٥هـ)، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، ط/ ٢، دار الكتب الإسلامية، طهران (١٣٦٨هـ).
- المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ-١٦٩٩م)، بحار الانوار، ط/ ٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، (١٣٠٤هـ-١٨٨٦م).
- المدني، ضامن بن شدقم (ت ١٠٨٢هـ)، وقعة الجمل، تحقيق ونشر: تحسين آل شبيب الموسوي، ط/ ١، مطبعة محمد (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).
- المعتزلي، عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين إبن الحديد (ت٦٥٦هـ-١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/ ١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٣٧٨هـ-١٩٥٨م).
- المفيد، محمد بن النعمان، العكبري، البغدادي (ت ٤١٣هـ)، الاختصاص، تح: علي أكبر الغفاري، محمود الزرندي، ط/ ٢، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة (١٤١٤هـ- ١٩٩٣م).
- إبن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، الإفريقي، المصري (ت٧١١هـ)، لسان العرب، ط/ ١، نشر أدب الحوزة، (١٤٠٥هـ-١٩٩٤م).
- الميرزا النوري، حسين الطبرسي (ت١٣٢٠هـ-١٩٠٢م)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط/ ١، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت، (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م).

اقتران العطاء بالنور في نصرت الإسلام

السيدة خديجة عليها السلام أنموذجا

الباحثة : ندى كريم عبد الله

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه وخاتم رسله محمد واله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

من الأسباب التي دفعتنا إلى كتابة هذا الموضوع هو حبنا وتقديرنا لامرأة خلدها التأريخ صاحبة الإيثار ألا وهي الطاهرة السيدة خديجة عليها السلام خديجة وما أدراك من خديجة هي أما للمؤمنين هي زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله هي أم لأفضل نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام يعجز عن وصف مآثرها البيان. إن مظاهر السيدة الجليلة وإنسانيتها الفياضة يمثل حديثا عن أجمل معاني الإيثار والفضيلة. لأنها فدت بأموالها وتجارتها رسول الله صلى الله عليه وآله كانت السند ورافع العزيمة للنبي صلى الله عليه وآله.

إن أبرز ما يرشد إليه البحث إن للمرأة دور كبير ومهم في بناء المجتمع لها ما للرجل فقد شاركت عبر الأزمان في شتى المجالات، ولاسيما في العصر الإسلامي، وقد اخترنا السيدة خديجة عليها السلام أنموذجا للمرأة المسلمة ودورها الفعال في رفع شأن المرأة وتغيير صورة المرأة النمطية وإنها قادرة على التجارة والعمل.

وقد اعتمدنا في كتابتنا لهذا البحث على المنهج التاريخي. وقد كان بحثنا في ثلاث مباحث تناولنا في المبحث الأول: سيرة السيدة خديجة عليها السلام ونشأتها وولادتها وناقشنا مسألة إشكالية إسلامها وزواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله وفي المبحث الثاني: تناولنا مقامات السيدة خديجة في الإسلام ومدح المعصومين لها وولادتها لزهراء عليها السلام وإن الله تعالى خصها بالتحية والسلام حيث بعث جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليقرأ خديجة السلام لعظمتها عند الله تعالى. وفي المبحث الثالث ناقشنا معنى التجارة وكيف نصرت السيدة خديجة عليها السلام الإسلام بتجارتها وكيف أنفقت تلك الأموال في سبيل بقاء كلمة لا إله إلَّا الله وأن محمد صلى الله عليه وآله رسول الله. وتناولنا عمل المرأة وتجارتها في الشريعة الإسلامية وإن المرأة قادرة على العمل في جميع مجالات الحياة بشرط الحفاظ على العفة والحجاب وعدم مخالطة الرجال إذ يؤدي إلى الخلل بالمرأة المسلمة.

وفي هذا البحث اعتمدنا عدة مصادر أصيلة ومنها مراجع ومنها مصادر مساعدة ومن جملة هذه المصادر والمراجع الأصيلة كتاب بحار الأنوار للعلامة المجلسي، كتاب الكافي للشيخ الكليني، وكتاب أعيان الشيعة سيد محسن الأمين، وكتاب ضوابط التجارة للإستاذ رعد غالب. وقد واجهتنا مصاعب في كتابتنا لهذا البحث منها ضيق الوقت وقلة المصادر الورقية. نسأل من الله تعالى أن يتقبل هذا العمل بأحسن القبول وأن يجعله شفيعا لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلَّا من أتى الله بقلب سليم.

المبحث الأول: سيرة السيدة خديجة عليها السلام ونسبها الطاهر

المطلب الأول: السيدة خديجة عليها السلام نسبها - نشأتها – ولادتها:

أن من السمات الخاصة التي اتسمت بها سيدة خديجة الكبرى عليها السلام هي قرابتها النسبية من رسول الله صلى الله عليه وآله فهاشم واسد أولاد عم وجدهم بن كلاب. وبذلك تكون خديجة قد جمعت النسب والسبب مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

اسمها الشريف: خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن كعب بن مره بن لؤي بن غالب بن فهر. خديجة عليها السلام تتصل مع النبي صلى الله عليه وآله بالجد الرابع وهوه قصي بن كلاب وأن امها وجدتها الأولى والثانية، يتصلنَ مع النبي صلى الله عليه وآله بالجد الثامن وهو (لؤي بن غالب) وهذا يعد من النسب القريب ايضا. وبهذا عدت خديجة عليها السلام بأن لها رحماً ماسة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد جاء في الحديث: «**أن الرحم شجنة من الرحمن فقال الله من وصلك وصلته ومن قطعكَ قطعتهُ**».

ومن خلال هذا نلمس مقدار العناية الالهية، والحكمة الربانية، التي اختارت لخديجة عليها السلام بأن تكون اما لأولاد النبي صلى الله عليه وآله إن لهذا النسب القريب أثره الكبير والبالغ في انتقال الجينات الوراثية إلى ابناء النبي صلى الله عليه وآله ولقد أشارت كثير من الأحاديث إلى ضرورة عملية إنتقاء المرأة وخطورة أثرها في تحديد نوعية الذرية وصلاح أمرها كقوله صلى الله عليه وآله «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**».[1]

أبوها: هو خويلد بن أسد بن عبد العزيز بن قصي بن كلاب. كان شريفا في قومه سيدا كريما مشهور بالجود والسخاء.

ارتباط نسبها بنسب الرسول صلى الله عليه وآله كما عرفت إن قصي هو الجد الثالث لخديجة فقد اجتمعت مع الرسول صلى الله عليه وآله في قصي الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه وآله.[2].

أمها: هي فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحه بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لؤي.

---

(١) نبيل الحسيني، خديجة بنت خويلد أمة جمعت في أمرأة: ج١ص٧٦-٧٨، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

(٢) القرشي، حسين هادي القرشي، السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين: مكتبة طريق المعرفة، دار الإضواء، ص٢٥.

وأم فاطمة أي جدة خديجة هي حالة بنت عبد مناف بن الحارث الذي يصل إلى لؤي بن غالب. فكان ابواها من أعرق البيوت في قريش نسبا وأعلاهم حسبا، فقد نبتت في بيت واسع الثراء، ملتزم بالأخلاق الفاضلة، ومعروف بالتدين والبعد عن الإنغماس في الملاهي التي كان بعض بيوتات قريش غارقة فيها، وكانت عناية الله تعالى ترعى خديجة وتحرسها منذ طفولتها الأولى لأنها خلقت لتكون أما للمؤمنين.(١)

فمن تكون خديجة؟ أنها أصل الشرف ومحتد الكرم وطيب العنصر وطهر علو النسب فلا امرأة تسبق خديجة. الشريفة الكريمة الطاهرة الطيبة الحسيبة النسيبة الجيدة (أم هاشم) كما يسميها جيرانها أهل مكة المكرمة فالسيدة خديجة عليها السلام يجمعها مع رسول الله صلى الله عليه وآله النسب في جده قصي من جهة أبيها وفي لؤي من جهة أمها وفي عبد مناف بن قصي من جهة جدتها لأمها. لقد اختار الله هذه السيدة بجوار المصطفى وأكرمها وكرمها ورزقها رجاحة العقل وحسن الخلق وآتاها حزما وعزما وسعة رزق سخرها لخدمة النبي صلى الله عليه وآله وأعانته على تبليغ الرسالة فصمدت وضحت شدت أزره وأيدته فكانت عظيمة بوفائها وعطائها لرسول الله صلى الله عليه وآله. لقد ولدت خديجة عليها السلام قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة.(٢) إما أولادها عليها السلام إن ولد الرسول صلى الله عليه وآله كلهم من خديجة إلَّا إبراهيم وأجمعوا على أنها ولدت له أربع بنات كلهن أدركن الإسلام زينب وهي أكبرهن ورقية وأم كلثوم وفاطمة الزهراء وهي أصغرهن وأجمعوا على أنها ولدت له ابنا يسمى القاسم.(٣) ويؤكد بن شهر اشوب ان أولاد النبي صلى الله عليه وآله ولد له من خديجة القاسم وعبد الله وهما الطاهر والطيب، واربع بنات. زينب، ورقية، وام كلثوم وهي آمنة، وفاطمة وهي أم أبيها ولم يكن له ولد من غيرها إلَّا إبراهيم من ماريه القبطية(٤) والحقيقة التاريخية الثابتة والمنطقية، والقول الحق هو ما عليه شيعة أهل البيت عليهم السلام تبعاً لأئمتهم عليهم السلام، وأهل البيت أدرى بما فيه. وقولهم هو: لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله بنتاً غير فاطمة الزهراء عليها السلام، وأما رقية وزينب فهما ابنتي هالة أخت خديجة، حيث تكفّلهما رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة هالة وهما طفلتان، وليستا هما بنات خديجة (سلام الله عليها)، لان خديجة تزوّجت من رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عذراء، ولم تلد له من البنات إلَّا فاطمة عليها السلام.(٥) ونحن نميل لرأي المحق السيد جعفر العاملي..

(١) السيلاوي، غالب السيلاوي، الأنوار الساطعة في الغراء الطاهرة: ص٩، مطبعة ثامن الحجج.

(٢) محمد عبده يماني، خديجة بنت خويلد سيدة في قلب المصطفى: ص١١.

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج٦ ص٣١٠.

(٤) جعفر محمد بن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٢١٠.

(5) https: //www. aqaed. com/faq/ 1547/مركز الابحاث العقائدية

ولادتهاعليها السلام: ولدت قبل عام الفيل بخمسة عشر سنة، وتوفيت في شهر رمضان سنة عشرة من البعثة في يوم العاشر من شهر رمضان بعد وفاة أبي طالب بثلاثة أيام.(١)

تسميتها: سماها أبوها خديجة وهذا اسم من الأسماء الكريمة وقد احتلت في طفولتها عواطف ومشاعر أبوها وأسرتها.

كانت السيدة خديجةعليها السلام كنيتها: تكنى بالطاهرة منذ صغر سنها لشدة عفافها وطهارتها، كما كانت تسمى سيدة قريش وذلك لما تتمتع به من الصفات الرفيعة والنزعات الشريفة(٢) وذكر المجلسي إن السيدة خديجة تكنى أم هند(٣).

المطلب الثاني: السيدة خديجةعليها السلام بين إشكالية إسلامها وزواجها:

برزت إلى الدنيا شخصيات كثيرة وكثيرة وعلى رأسها أو في مقدمتها رسول اللهصلى الله عليه وآله وبعده الإمام أمير ألمؤمنين وسيد المتقين علي ابن أبي طالبعليه السلام ومن بعده أولاده الأحد عشر إماما وآخرهم الإمام الحجة بن الحسنعجل الله فرجه الشريف. كذلك برزت في دنيا الإسلام نساء مجاهدات أخذن مساحة واسعة مثل السيدة الجليلة الطاهرة صاحبت الأدوار المشرفة السيدة خديجة بنت خويلدعليها السلام والسيدة العظيمة فاطمة الزهراءعليها السلام بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله والسيدة زينبعليها السلام بنت أمير المؤمنينعليه السلام. كما برزت هناك شخصيات نسائية في معركة الطف مثل أم وهب الكلبي، وطوعة امرأة جليلة التي آوت مسلم بن عقيل خوفا من الزمرة الأموية فهي تعد من النساء الأوائل في معركة الشهيد الخالد مسلم بن عقيلعليه السلام عندما آوته، وخولة بنت خويلد لها دور في معالجة الجرحى أثناء حروب رسول اللهصلى الله عليه وآله في معركة أحد عندما كانت تعالج جرحى المسلمين، وها هي السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين زوجة سيد المرسلين إلى الخلائق أجمعين سيدة فاضلة شريفة طاهرة عفيفة تعد أعقل نساء زمانها وأفضلهن عفة ونجابة وأحسنهن أخلاقا وسلوكا تنحدر من اشرف بيوتات مكة ألمكرمة خديجةعليها السلام أول أمرآة استجابت وآمنت برسالة رسول اللهصلى الله عليه وآله فقد صدقته وآزرته في كل مراحل دعوته وبذلت له جل مالها وعبيدها وما تملك خدمة للرسالة السماوية السمحاء فقد عاشت حرة كريمة آثرت رسول اللهصلى الله عليه وآله في جميع أموره فقد أكرمها رسول اللهصلى الله عليه وآله وحباها وأحبها قي حياتها كما أكرمها وأعزها بعد مماتها ومن

(١) محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى: ج٢ ص٢٣٣.
(٢) حسين هادي القرشي، السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين: ص٢.
(٣) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار: ج١٦ ص١٢.

دواعي حبه لها كان يكرم صديقاتها ويتفقدهن بين الحينة والحينة ويرسل لهن الصلاة المختلفة.[1] خديجة عليها السلام هي المرأة التي سجل لها التاريخ أنموذجا من أظهر النماذج في الإسلام، وأعظمها خطرا، وأجلها شأنا. حيث كانت الحازمة الوحيدة التي قامت بأحسن نظام في تدبير شؤونها الاجتماعية، وكانت الناهية في قومها، والمستشارة العالية في أمور السياسة العامة. ولولا مخالفة نظام العرب لزعامة المرآة لكانت خديجة أحق بالزعامة من غيرها، لحزمها وسعة عقلها، وجليل ثروتها حتى كانت تضارب أكثر بيوت قريش في مالها وكان لها في كل ناحية تجارة وفي كل بلد مال مثل مصر والحبشة وغيرهما ومن الجواري والمواشي حتى قيل إن لها أكثر من ثمانين إلف جمل متفرقة.[2] خديجة عليها السلام امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوما تجار، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وآله من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه وعرضت عليه إن يخرج في مالها تاجرا إلى الشام.[3]

إسلامها: من الامور المتّفق عليها لدى الجميع أنّ السيّدة خديجة عليها السلام هي أوّل امرأة أسلمت وآمنت برسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد بقيت تصلّي مع رسول الله صلى الله عليه وآله سرّاً ما شاء الله، فعن عفيف الكندي قال: جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أُريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فنزلت على العباس بن عبدالمطّلب، قال: فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة وقد حلّقت الشمس، فارتفعت إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء فنظر ثم استقبل الكعبة قائماً مستقبلها، فما لبثت إلّا يسيراً حتى جاء غلام حتى قام عن يمينه ثم ما لبثت إلّا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما ثم ركع الشاب، فركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب رأسه ورفع رأسه الغلام ورفعت المرأة رأسها، ثم خرّ الشاب ساجداً وخرّ الغلام ساجداً وخرّت المرأة، قال: فقلت: يا عباس إنّي أرى أمراً عظيماً. فقال العباس: أمر عظيم، هل تدري مَن هذا الشاب؟ قلت: لا أدري.

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب ابن أخي، هل تدري مَن هذه؟ قلت: لا أدري.

قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا، إنّ ابن أخي هذا الذي ترى حدّثنا إنّ ربّه ربّ السماوات والأرض، أمره بهذا الدين الذي هو عليه، والله ما علمت على ظهر الأرض كلّها على هذا

(١) القرشي، حسين هادي القرشي، السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين: ص١١-١٣، مكتبة طريق المعرفة.
(٢) البعاج، عبد الستار البعاج، خديجة الكبرى: ص٦، مطبعة الغري الحديثة النجف الاشرف.
(٣) المجلسي، محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار: ج١٦ ص١٤.

الدين غير هؤلاء الثلاثة[1] إنها عليها السلام أوّل من أسلمت من النساء وآمنت برسول الله صلى الله عليه وآله منهن، وأوّل من صلّت خلفه صلى الله عليه وآله.[2] وكانت أول امرأة آمنت برسول الله صلى الله عليه وآله ولم يخالف في هذا أحد. ومن الرجال هو امير المؤمنين عليه السلام كان أوّل من آمن من الرجال. ومما يدل ايضا على سبق خديجة في الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله ما جرى في قضية بدء الوحي، ونزول القرآن، لأن النبي صلى الله عليه وآله عندما انحدر من غار (حراء) واخبر زوجته خديجة بما جرى له واجه مباشرة ايمان زوجته به وقبولها لكلامه، وتصديقها برسالته، تصريحا وتلويحا، هذا فضلا عن انها كانت تسمع من قبل اخبار تتعلق بنبوته ومستقبل رسالته من كهنة العرب وأهل الكتاب، وهذه الاخبار وأمانة فتى قريش وصدقه الذي اشتهر به هي التي دفعت بها إلى ان تتزوج بالفتى الهاشمي محمد صلى الله عليه وآله.[3]

إيمانها: فإنها إحدى النسوة الأربع، وجلالتها معلومة فأنها آمنت بالله ساعة بعث الله نبيه صلى الله عليه وآله كأمير المؤمنين عليه السلام.[4] هذه المرأة الجلية العظيمة الطاهرة استطاعت في مدة زمنية يسيرة ان تكون الزوجة المخلصة، وأم المؤمنين سباقة الخلق إلى الإسلام، نشأت خديجة عليها السلام في بيت طاهر كريم مترف يملأه الحنان والعطف، وكانت أفضل نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً وأحسنهن جمالًا.

المطلب الثالث: زواج السيدة خديجة عليها السلام من رسول الله صلى الله عليه وآله

اقتران العطاء بالنور وهو أول اقتران لرسول الله صلى الله عليه وآله بالطاهرة خديجة عليها السلام بلغ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ريعان الشباب مفعما بالفضائل والاستقامة، والخلق القويم والانقطاع إلى عبادة ربه الواحد الأحد متبتلا إلى الله سبحانه وتعالى، يحمل بين جنباته روح الإنسانية والتفاني في إسعاد الآخرين ويطفح إيمانا وحبا وخلقا جسد مكارم الأخلاق بكماله وتمامه ومثل هذا الشخص العظيم لابد له أن يفكر بالاقتران بامرأة تشاطره هذه الصفات وترتفع إلى مستوى حياته وتعاضده في بلوغ اهدافه المقدسة وتتفهمه وتصمد امام الهزات والصدمات التي تنتظره في المستقبل وتبذل كل غالي ونفيس في سبيل نيل الأهداف السامية. ولم يكن في سماء تفكير محمد صلى الله عليه وآله ثمة امرأة تفهمه وتتحسس مشاعره وأحاسيسه وتصلح لتحمل هذه المهمة الصعبة غير إن الله تعالى قيض له السيدة الطاهرة خديجة الكبرى عليها السلام المرأة العاقلة اللبيبة الفاضلة الثرية سيدة مكة الأولى كانت تعد أثرى امرأة قرشية وأغنى امرأة في مكة إذ

(١) الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ج١ ص١١٣، ١١٢.
(٢) الميرزا النوري، مستدرك الوسائل: ج٦ ص٤٥٦.
(٣) جعفر السبحاني، سيد المرسلين: ج١ ص٣٥٤، ٣٥٣.
(٤) محمد تقي التستري، تواريخ إعلام الهداية النبي وآله: ص٨٦، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

كانت أموالها وتجارتها سائرة في رحلاتها صيفا وشتاءّ بين مكة والشام وبين مكة واليمن سيدة ببركتها كان يعيش العشرات بل المئات من الناس بفضل تجارتها وكانت تحتفظ بأنوثتها وجاذبيتها وقد بلغت من العمر ثمان وعشرون سنة على خلاف المشهور خطأ بأن عمرها كان أربعين عاما.[1] ما الذي رأته خديجة في محمد ولماذا خديجة اختارها الله لمحمد: الذي رأته خديجة عليها السلام حديث الناس في مكة بلا استثناء صفاته وأخلاقه ويحترمون أمانته وورعه، ويكبرون صدقه وصواب رأيه. وكان الحديث بين الناس بالصادق الأمين هذه الصفات التي كانت خديجة تنتظرها حتى تقترن بهذا الشخص العظيم. لعظم ايمانها وتضحيتها اختارها الله ان تكون أما للمؤمنين..

ولقد ترك كل ذلك في نفوس القرشيين عمومًا ولا سيما المكيين انطباعًا في تقديره واحترامه صلى الله عليه وآله خرج النبي صلى الله عليه وآله مع ميسره إلى التجارة بعد أن أوصاه أعمامه به وباعوا تجارتهم وربحوا أضعاف ما كانوا يربحون وعادوا فسرت خديجة بذلك ووقعت في نفسها محبة النبي صلى الله عليه وآله وحدثت نفسها بالتزوج به وكان قد خطبها أشراف قريش فردتهم فتحدثت بذلك إلى أختها أو صديقة لها اسمها نفيسة بنت منية فذهبت إليه وقالت ما يمنعك أن تتزوج قال ما بيدي ما أتزوج به قالت فإن كفيت ذلك ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة الا تجيب قال فمن هي قالت خديجة قال كيف لي بذلك: قالت علي ذلك فأجابها بالقبول وخطبها إلى عمها وحضر مع أعمامه فزوجها به عمها لأن اباها قد مات وقيل زوجها أباها وأصدقها عشرين بكرة وانتقل إلى دارها وكان ذلك بعد قدومه من الشام بشهرين وأيام. وكانت امرأة حازمة جلدة شريفة آمنت برسول الله صلى الله عليه وآله أول بعثته وأعانته بأموالها على تبليغ رسالته وخففت من تألمه لخلاف قومه وقوت عقيدته ببراهين نبوته أول ظهورها وعزيمته في المضي لما بعث به.[2]

كيف اعجبت خديجة برسول الله صلى الله عليه وآله وكيف تم هذا الزواج المبارك.؟ كانت السيدة خديجة منشغلة بالتجارة السائدة آنذاك (الطعام، الأقمشة، العطور) من عيون التجار ونشاطها له صدى ملحوظ في مكة المكرمة، كان هناك فريق من التجار يتاجرون بأموالها، سمعت خديجة برجل من قريش يقال له الصادق الأمين صادق في كلامه، وافي بوعده، عظيم بإيمانه، أخلاقه حسنه، كريم الطبع، بعثت السيدة خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وعرضت عليه المتاجرة بأموالها إلى الشام وتعطيه مبلغا أفضل (أكثر) مما كانت تعطي غيره من (المضاربين) استجاب لها رسول صلى الله عليه وآله وسار معه غلام لها يقال له ميسرة، فلما

(١) حسين الشاكري، أم المؤمنين خديجة الطاهرة: ص١٨، ١٧.

(٢) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج١ ص٢٢٠.

قدما إلى الشام ونزل رسول الله ﷺ في ظل شجرة بالقرب من صومعة راهب. فقال الراهب لميسرة (من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة). فقال ميسرة: (هذا رجل من قريش من أهل الحرم). أخذ الراهب يقول بدهشة وذهول (ما نزل تحت هذه الشجرة إلَّا نبي) وباع النبي ﷺ بضاعته التي كانت معه. وقد ربح ربحا كثيرا لم تعهد السيدة خديجة مثله، ثم اشترى بضاعة أخرى من الشام وقصد بها مكة المكرمة. فلما وصلا إلى مكة سارع ميسرة إلى سيدته خديجة فقال لها كلام الراهب، وإنه قد رأى تضليل الغمامة وإطالة نظره إلى السماء بكل خشوع، ومناجاته بإخلاص وتذلل وخضوع، كما بشرها بالأرباح الهائلة التي اكتسبها رسول الله ﷺ.

اعجاب خديجة عليها السلام برسول الله ﷺ:

بعد هذه الأمور التي سردها ميسرة على خديجة ملئت نفسها إعجابا وإكبارا وإجلالا لهذا الشاب وما به من سجايا وأخلاق.

وفضائل كريمة وإنه ليس كباقي الشباب (شباب قريش) الذي أخذهم الفسق والمجون والاعتداء على الحرمات والسلب والنهب والخلاعة فقد فاقهم رسول الله ﷺ وتميز عليهم بابتعاده عن الأصنام ونبذه وأخلاقه، حسن سلوكه، كماله وآدابه، معاشر للناس عامة، رجاحة عقله، عفته، طهارته، أمانته حرصه على أموال الناس. وإلى غير هذا من الأخلاق التي جعلته متميزا على جميع شباب قريش. من هذه القرائن أيقنت السيدة خديجة بأن له شأنا كبيرا ومستقبلا زاهرا مشرفا وزاخرا بالصدق والوفاء والعدل. آمنت واعتقدت السيدة خديجة أيمانا لا يغامره شك لابد وأنه النبي المرسل على ما به من هذه الصفات، وهذا هو النبي المرسل من السماء إلى الدنيا بأسرها وهو الذي بشر به الأنبياء، قبل ان تخطبه السيدة خديجة تقدم لخطبتها أناس كثيرون منهم زعماء قريش كان منهم (عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي إيهاب، وأبو جهل، وأبو سفيان) كانت زاهدة فيهم ولم تقبل أي أحد منهم. كانت السيدة خديجة تقول سعدت من تكون لمحمد قرينة (القرينة: الزوجة). قدمت السيدة خديجة المهر من أموالها، وبهر بعض القرشين من هذا الأمر. لأن السائد (في المهر على الرجال للنساء) وليس (المهر على النساء للرجال) فعلت هذا السيدة خديجة لأنها اقترنت بالإيمان وروح الإسلام، فرد عليهم أبو طالب قائلا: «إذا كانوا مثل ابن اخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان، وإن كانوا أمثالكم لم يزوجوها إلَّا بالمهر الغالي...».[1] بعثت خديجة إلى رسول الله ﷺ فقالت له يا ابن عم قد رغبت فيك لقرابتك مني،

(١) هادي القرشي، السيدة خديجة أم المؤمنين: ص٣١، ٣٠.

وشرفك في قومك ثم عرضت عليه نفسها فلما قالت لرسول الله ﷺ ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه منهم حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على خويلد فخطبها إليه فتزوجها النبي ﷺ.[1]

سبقت إرادة الله فاختارها عرسا لنبيه ووزيرا، ومعينا ومشيرا، وسندا ونصيرا، وأختصها وحدها من بين نساء قريش لما أراد الله لهذه السعادة الأبدية ان لا تفوت خديجة هذه الفرصة الذهبية وهذه السعادة الدائمة في الدارين. لما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتى دخل على ورقة بن نوفل عم خديجة فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال: الحمد لرب هذا البيت، ألذي جعلنا من زرع إبراهيم، وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرما آمنا، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه ثم إن ابن أخي هذا ممن لا يوزن برجل من قريش إلَّا رجح به ولا يقاس رجل به إلَّا عظم عنه ولا عدل له في الخلق وإن كان مقلا في المال فإن بالمال رفد جار وظل زائد وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة وقد جئناك لنخطبها، إليك برضاها والمهر علي في مالي الذي سألتموه عاجله وآجله وله رب هذا البيت حظ عظيم ودين شائع ورأي كامل، ثم سكت أبو طالب وتكلم عمها وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر وكان رجلا من القسيسين، فقالت خديجة مبتدئة: يا عماه إنك وإن كنت أولى بنفسي مني في الشهود فلست أولى بي من نفسي، قد زوجتك يا محمد نفسي، والمهر علي في مالي فأمر عمك فلينحر ناقة فليولم بها وادخل على أهلك قال أبو طالب: أشهدوا عليها بقبولها محمدا وضمانها المهر في مالها، فقال بعض قريش يا عجباه المهر على النساء للرجال، فغضب أبو طالب غضبا شديدا وقام على قدميه وكان ممن يهابه الرجال ويكره غضبه، فقال إذا كانوا ا مثل أبن أخي هذا طلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر وإذا كانوا أمثالكم لم يزوجوا إلَّا بالمهر الغالي، ونحر أبو طالب ناقة ودخل رسول الله ﷺ بأهله وقال رجل من قريش يقال له: عبد الله بن غنم: هنيئا مريئا يا خديجة قد جرت لك الطير فيما كان منك بأسعد تزوجته خير البرية كلها، وكان صداق النبي ﷺ اثنتي عشر أوقية ونشا والأوقية أربعون درهما والنش عشرون درهما وهو نصف الأوقية.[2] يا سيدي يا أبو طالب: مهما بذلت أو تبذل السيدة خديجة فهي الرابحة بالدارين فقد قامت على جميع نساء رسول الله ﷺ ونساء الدنيا لأنها آمنت واعتقدت منذ اللحظة الأولى للدعوة الإسلامية الكريمة وصدقت وجاهدت وأخلصت في خدمتها ووقوفها مع زوجها وضحت في سبيل زوجها وبيتها وإسرتها اقترنت بالتقوى والدين والسلامة وهذه المنزلة العظيمه للسيدة خديجة وقد

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار: ج١٦ ص٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

(٢) محمد يعقوب بن إسحاق الكليني، الكافي: ج٥ ص٣٧٤، ٣٧٥.

غبطتها العلاقات من النساء بهذا الاقتران المبارك فهنيئا لك بهذا الاقتران من نساء الدنيا من حين اقترانك وإلى قيام الساعة، كما أغبطت الرجال رسول الله ﷺ على هذه الزوجة الصالحة وعلى بنتها سيدة النساء وعلى ذريتها الذين مثلوا الأرض قسطا وعدلا فهم الشموس المضيئة والأقمار الزاهرة والنجوم المنيرة فهم أوتاد الأرض والحبل المتصل بين السماء والأرض.(١) فكانت أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، ولما بعث النبي ﷺ كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدق محمدا ﷺ فيما جاء به عن ربه وآزره على أمره.(٢)

في هذا الزواج المبارك سعدت الدنيا وفي ذلك اليوم الجميل اشرقت شمس الصباح وكان هذا العالم يستقبل كل يوم صباحا لكن ليس مثل هذا الصباح الذي يرى فيه للأمة فلاحا وخيرا. ما كانت السيدة خديجة عليها السلام ولا أهلها من المشركين ولا يعبدون الاصنام بل كانوا على دين الحنفية دين نبي الله إبراهيم عليه السلام.

-هل كانت خديجة متزوجة قبل النبي ﷺ أم لا:

هنالك الكثير من المؤرخين يرى إنها تزوجت قبل النبي ﷺ. مرتين قبل أن تتشرف بالزواج من النبي ﷺ وكان أول أزواجها عتيق بن عائذ المخزومي، مات عنها ثم تزوجت أبا هالة بن النباش بعد موت زوجها الثاني وأعرضت عن الزواج ورفضت أن تتزوج أحدا ممن تقدم لخطبتها وقد تقدم لخطبتها الكثير من رجال قريش وأشرافها وقد ألهمها الله تعالى أن ترد خطابها وتعرض عنهم.(٣)

نقول: لقد أثبت المرحوم القاضي الشيخ عبد الواحد الأنصاري بأدلة قاطعة من مصادر موثوقة في سلسلته التاريخية أن السيدة خديجة حينما اقترنت بالنبي كانت (عذراء) باكر لم يمسها بشر، وأن ما ادعاه المؤرخون من أهل السنة، من زواجها باثنين من المشركين هي أقوال لا يركن إليها ولا تستند على أساس متين إنما هي تكهنات وفرضيات أموية يراد منها توهين مقام السيدة خديجة عليها السلام وإعلاء شأن عثمان بن عفان ليجعلوه صهرا لرسول الله ﷺ وأطلقوا عليه لقب - ذي النورين - نعود إلى المزاعم القائلة بزواج السيدة خديجة عليها السلام من رجلين جاهليين قبل اقترانها بالمصطفى ﷺ فنقول: إن ذلك لا يناسب هذه المرأة الجليلة، الموحدة والحنيفية الدين أن يطأها مشركان، والتي عرفت لها مكانتها

(١) حسين هادي القرشي، أم المؤمنين خديجة: ص٣٢، ٣٤، مكتبة طريق المعرفة.
(٢) حازم الخاقاني، أمهات الأئمة عليهن السلام: ط٢ ص٢١، توزيع دار الحق، بيروت لبنان.
(٣) عبد الحميد طهماز، السيدة خديجة أم المؤمنين سباقة الخلق إلى الإسلام: ص١٥، ١٦.

الشامخة المرموقة في وسطها من قريش، وكانت تدعى بـ(الطاهرة) وقد دون لها التاريخ سيرتها العطرة، حتى امتازت بين سيدات مجتمعها، فكيف تقترن برجلين نكرتين، أمثال أبي هالة زرارة التميمي، أو عتيق بن عائذ المخزومي، في الوقت الذي هجرتها نساء قريش حينما اقترنت بالمصطفى صلى الله عليه وآله وغضبن عليها، فقلن لها: خطبك أشراف قريش وأمراؤهم فلم تتزوجي أحدا منهم، وتزوجت محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لا مال له؟ مع أن النبي صلى الله عليه وآله في نظر قريش، ذو نسب شريف والمعروف بالصادق الأمين، وحفيد عبد المطلب سيد البطحاء وشيخ قريش، وابن أخ أبي طالب الذي انتهت إليه زعامة البطحاء، فكيف يجوز عقلا أن تتزوج السيدة خديجة من مشركين، وهي الحنيفية دينا وتترك سادات قريش وتمتنع من أشرافهم؟ ألا يعلم أهل البصائر وذوي النهى أنه من أبين المحال، وأفظع المقال.

ولكن المؤرخون من أهل السنة مجمعون على أن السيدة خديجة متزوجة برجلين قبل اقترانها برسول الله صلى الله عليه وآله.[1] إن وجوه قريش وذوي الثراء منهم قد تزاحموا على خطبتها ومن المؤكد ان ذلك لا يكون الا إلى المرأة العذراء دون غيرها حسب العادات العربية قديما وحديثا. ان جمهور من اعلام الرواة ومدوني الاخبار صرحوا بان النبي صلى الله عليه وآله تزوج بالسيدة وهي عذراء، صرح بذلك البلاذري والسيد المرتضى وابن شهر اشوب وغيرهم.[2] وهذا القول الذي نعتمده للسيدة الطاهرة خديجة (سلام الله عليها).

عمرها عليها السلام

عندما تزوجت النبي صلى الله عليه وآله هل فعلا ان عمرها كان أربعين سنة فما فوق كما ذكرت الكثير من الكتب التأريخية. إذا كان عمرها كما يقولون في سن الاربعين فما فوق كيف انجبت من النبي صلى الله عليه وآله كوكبة من الأولاد، ونحن نعلم إذا بلغت المرأة هذا السن وما يزيد عليه فإنها غير قابلة للإنجاب. وقد ذكر السيد جعفر العاملي إن عمر السيدة خديجة عليها السلام حين زواجها بالنبي صلى الله عليه وآله كان ٢٥ سنة أو ٢٨ أو ٣٠ سنة. وكان عمرها مقارب لعمر النبي صلى الله عليه وآله كان عمره ٢٥سنة.[3] والصحيح ان خديجة لم تتزوج قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وكان عمرها حين زواجها ٢٥ سنة أو ثلاثين سنة وكانت بكراً كما صرح بذلك البلاذري وغيره ومما يشهد بذلك مكانتها الاجتماعية فلا يعقل ان تتزوج خديجة مع ماكان لها من الشخصية والمقام المرموق والاموال الطائلة برجلين خاملين لم يكونا حتي من اوسط الناس هما عتيق بن عائذ وابو هالة هند بن زرارة فكيف ترضي خديجة ان تتزوج بهما واحداً بعد واحد وهي التي خطبها الاشراف

(١) حسين الشاكري، أم المؤمنين خديجة الطاهرة: ص٩٣، ٩٢، ٩١.

(٢) باقر شريف القرشي، حياة السيدة خديجة أم المؤمنين: ص٤٧، ٤٦.

(٣) باقر شريف القرشي، حياة السيدة خديجة أم المؤمنين: ص ٤٧.

وامتنعت من الزواج بهم ولم تجدهم اكفاء لها،[1] ونحن نميل لرأي المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي.

البيت الأول في الإسلام:

أول بيت على الإسلام والإيمان قد جمع نور وعطاء وحب وحنان وسوف تنبع من هذا البيت المبارك راية الإسلام وإعلاء كلمة التوحيد ويتحقق العدل ويمنع الظلم والجور ويحطمون الاصنام والأوثان، وتنبع من هذا البيت أم الإمامة ونورها.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله يحب خديجة من أعماق قلبه، ويحترمها غاية الاحترام. كما كان يحب أخيه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام لو لم يكن لهذا البيت عظمة ولم يكن له مكانة قدسية في الإسلام لما قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته التي يشير فيها إلى رغبة الإسلام في مبدأ البعثة النبوية الشريفة. «**لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما**».[2]

إن الحياة البسيطة التي كانوا عليها في معيشتهم وسلوكهم ومعاملاتهم سهلت أمر الزواج ولم تكن هناك مشكلة تعوق مسيرة الزواج فلقد كانا أسعد زوجين وأكرم عروسين.

-تاريخ الزواج المبارك: وكان زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام في العاشر من ربيع الاول.[3]

(1) https: //www. aqaed. com/faq/7020 /، مركز الابحاث العقائدية

(٢) حسين الشاكري، أم المؤمنين خديجة الطاهرة: ص ٣٤، ٣٣.

(٣) محمد الطوسي، مصباح المتهجد: ص٧٩١.

المبحث الثاني: سيرتها خالدة في الدنيا جميعها

المطلب الأول: مكانتها في القرآن:

لقد كرم الله تعالى خديجة عليها السلام أعظم التكريم كما جعل سيرتها خالدة في الدنيا جميعها.

القرآن الكريم جمع بين الأوامر والنواهي والحلال والحرام وحث على فعل الخير والابتعاد عن الشر كما امر بالعطف على الصغير والحفاظ على مال اليتيم وعدم أكله والاعتداء عليه ومن جملة الأمور التي ذكرها القرآن الكريم مسألة السابقون إلى الإسلام والأولون إلى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ **وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ** ﴾[1].

السيدة خديجة عليها السلام من النساء التي ينطبق عليها قول الله تعالى ومن المقربات، والتي تسكن في جنات النعيم لإيمانها وإخلاصها ووقوفها مع رسو الله صلى الله عليه وآله في مراحل حياته قبل الدعوة وأثناء الدعوة وبعدها لحين آخر يوم من حياتها والتحاقها بالرفيق الأعلى.[2]

مدح المعصومين عليهم السلام لسيدة خديجة عليها السلام

لقد اكتسبت خديجة عليها السلام مكانتها بفضل إيمانها العميق بالرسالة السماوية،وتفانيها في سبيل الإسلام، وبسبب حرصها العجيب وإخلاصها وتضحيتها وعملها وحبها ومشاركتها للنبي صلى الله عليه وآله في سبيل أعلاء الإسلام وتحملت ما تحملت من أذى قريش، وبفضل كل هذا وأكثر اكتسبت مكانا عظيما في الإسلام على غيرها من النساء المسلمات والمؤمنات. إن اوسمة الفخر التي صدرت عن المعصومين عليهم السلام لمولاتنا الطاهرة خديجة الكبرى عليها السلام تدل على عظم مقامها وعلو شأنها وطيب سيرتها. وهناك العديد من الروايات عن المعصومين (صلوات الله عليهم اجمعين) عن النبي صلى الله عليه وآله «**خديجة كانت من احسن النساء جمالا وأكملهن عقلا وأتمهن رأيا وأكثرهن عفة ودينا وحياء ومروة ومالا**»، وعنه ايضا أنه قال «**إن الله اختار من النساء اربعة مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم**

(١) سورة الواقعة: الآيات ١٠-١٤.

(٢) حسين هادي القرشي، السيدة خديجة أم المؤمنين: ص١٦.

وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ».[1]

ما رواه أولادها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ففي حديث طويل رواه العلامة في كشف الحق حول كيفية تزويج فاطمة الزهراء عليها السلام قالت أم سلّمة: فلما ذكرنا خديجة بكي رسول الله ﷺ ثم قال: «**خديجة واين مثل خديجة صدّقتني حين كذبني الناس ووازرتني علي دين الله واعانتني عليه بمالها ان الله عزوجل أمرني ان ابشر خديجه بيت في الجنة من قصب الزمرد لاصخب فيه ولا نصب**» فانظر كيف اسقطوا كلمة الزمرد كما اسقطوا صدر الحديث للتقليل من شأن أم المؤمنين خديجة ويشهد لصحة ما ذكرناه ان الحديث رواه نفس العامة كما رواه الشيعة وان البيت في الجنة يكون من قصب اللؤلؤ.[2]

-اعتزاز الأئمة بها:

ومن مكانتها أيضا وعلو مقامها وشأنها اعتزاز الأئمة بها. اعتزت سيدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام بأمها المعظمة حيث قالت: «أنا أبنة خديجة الكبرى...».

ثناء ابي طالب عليها قال شيخ البطحاء في حق أم المؤمنين خديجة عليها السلام: «امرأة كامله، ميمونة فاضلة تخشى العار، وتحذر الشنار»، واعتزاز ريحانة رسول الله ﷺ الإمام الحسن عليه السلام بجدته خديجة قال ذلك حينما خطب معاوية في الكوفة ونال من وصي رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه الإمام علي عليه السلام فقام إليه الحسين عليه السلام ليرد عليه فمنعه الإمام الحسن وانبرى إليه قائلاً: «**أيها الذاكر عليا. أنا الحسن وأبي علي وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله ﷺ وجدك عتبة بن ربيعة وجدتي خديجة وجدتك نتيلة، فلعن الله أخملنا ذكرا والأمنا حسبا وشرفا قديما وحديثا**».

اما الإمام الحسين عليه السلام افتخر بجدته خديجة امام الفجرة المجرمين من أهل الكوفة في صعيد كربلاء قائلا: «**هل تعلمون ان جدتي خديجة أول نساء هذه الأمة إسلاما انها موضع الفخر والاعتزاز لأهل البيت عليهم السلام فهي المجاهدة الاولى في اقامة دعائم الإسلام**».

اما الإمام زين العابدين عليه السلام لما خطب في مجلس يزيد (لعنه الله) افتخر بجدته وقال: «**انا ابن فاطمة الزهراء، انا ابن خديجة الكبرى**» وذكرها في بعض أدعيته قائلا: «**اللهم صل على محمد المصطفى، وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء وخديجة الكبرى**»، وذكرها الإمام الحسن العسكري عليه السلام فصلى على

(١) محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى: ج٢ ص٢٣٢.

(2) مركز الابحاث العقائدية https: //www. aqaed. com/faq/7020/

جدته الزهراء عليها السلام وعلى امها بقوله: «**فصل عليها و على أمها خديجة الكبرى صلاة تكرم بها وجه أبيها محمد صلى الله عليه وآله و تقر بها أعين ذريتها**». وشملت الكثير من كتب الزيارات ذكرها كما في زيارة الإمام الحسين عليه السلام «**السلام عليك يابن خديجة الكبرى**».(١)

ولايخفى عنا ذكرها في كل جمعة عندما نندب الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف «**اين ابن النبي المصطفى وابن علي المرتضى، وابن خديجة الغراء، وابن فاطمة الكبرى**». وان السيدة خديجة قد حفضها الله تعالى من أرجاس الجاهلية كما في زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم الأربعين: «**لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها**».

خديجة المثل الاعلى:

امرأة كخديجة كيف لا تكون الفخر والمثل الأعلى التي تضحي بكل ما لديها في مساندة زوجها وان تبقى إلى جانبه طيلة حياتها مع زوجها لا تدانيها في ذلك امرأة فضلا ان تسبقها. التي وقف لها التاريخ اجلا واكراما لمقامها كم نطأطأ لها احتراما إذا قيل خديجة فماذا ابقيت لأهل النبل وقد كنت سيدة النبلاء. وماذا تركت لأهل الشرف وقد كنت قمة الشرفاء. وماذا فاتك من الكرم حتى يذكر معك الكرماء. وماذا نقصك من الفراسة وقد سبقت إلى معرفة مكانة سيد الأنبياء. وماذا عن الحكماء لم تبلغي فيه الذروة العلياء. كم يعتز التاريخ عندما يستعرض حياتك ويقف اجلالا لهذه السيرة العطرة والسيدة الفاضلة الطاهرة المطهرة الكريمة المعطاة عقيلة قريش وسيدة مكة تهتز القلوب فرحا عند ذكرها.(٢)

المطلب الثاني: فضائلها ومناقبها:

كفاها فضلًا أنها اسبق نساء الأمة إلى الإسلام والإيمان عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله**» وبسنده عن ابن عباس خط رسول الله صلى الله عليه وآله في الأرض أربعة خطوط قال: «**أتدرون ما هذا**، قالوا الله ورسوله أعلم، فقال: **أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**» وفي أسد الغابة بسنده عن عبد الله بن جعفر سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام

(١) باقر شريف القرشي، السيدة أم المؤمنين خديجة: ص٢٢، ٢١.

(٢) محمد عبدة يماني، أم المؤمنين خديجة سيدة في قلب المصطفى، مؤسسة علوم القرآن، منار للنشر والتوزيع: ص١٤.

يقول: «**سمعت رسول**ﷺ **يقول: خير نسائها خديجة بنت خويلد وخير نسائها مريم بنت عمران**». وبسنده عن عروة قالت عائشة لفاطمة الزهراء إلّا أبشرك إني سمعت رسول اللهﷺ يقول «**سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران، وفاطمة بنت محمد**ﷺ **وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم**».[1]

تخصيص الباري لها بالسلام:

فقد بلغت من قداسة السيدةعليها السلام عند الله تعالى درجة كبيرة لذلك خصها بالسلام ان جبرائيل أتى النبيﷺ يسأله ان جبرائيل أتى النبيﷺ يسأله عن خديجة فلم يجدها فقال: «**إذا جاءت فأخبرها ان ربها يقرأها السلام**».

قال رسول اللهﷺ: «**بشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب**» سأل شريك عن القصب قال قصب الذهب. وفي حديث آخر يعني: قصب اللؤلؤ. قال انس: أطعم رسول اللهﷺ خديجة من عنب الجنة، قالت عائشة كان النبيﷺ إذا ذكر خديجة أحسن عليها الثناء، فقلت: ما تذكر حمراء الشدق قد أبدل الله لك خيرا قال: «**ما أبدلني الله خيرا منها صدقتني إذ كذبن وواستني بمال إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد إذ لم يرزقني من غيرها**» (وروى) ان عجوزا دخلت على النبي فألطفها، فلما خرجت قالت: عائشة من هذه؟ فقال إنها كانت تأتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان.[2] ومن فضائلها كان الرسول يعزها ويودها حتى بعد مماتها كانت للسيدة خديجةعليها السلام لها معزّة خاصّة في قلب رسول اللهﷺ وذلك لمناصرتها لـه وإيمانها السريع به وتصديقها إيّاه.

فعن عائشة قالت: سمع رسول اللهﷺ صوت هالة بنت خويلد ... فقال: **ما رأيت كاليوم صوتاً أشبه بصوت أُمّ هند** – يعني خديجة – من هذا الصوت؟ قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله ما يذكّرك عجوزاً من عجائز قريش، فغضب رسول اللهﷺ غضباً شديداً لم أره غضب مثله قبله ولا بعده، ثم قال: **لا تذكري أُمّ هند، فقد كانت لها منّي اثنتان، أول من آمنت بي ورزقت منّي الولد، وحرمتيه**.[3]

أولاد النبيﷺ كلهم منها:

أولاد الرسولﷺ كلهم من السيدة خديجةعليها السلام إلّا إبراهيم فهو من السيدة مارية القبطية، وقد

(١) محسن الأمين، أعيان الشيعة: ج٦ ص٣١٢.
(٢) الفتال النيسابوري، روضة الواعظين: ج٢ ص٢٦٩.
(٣) النعمان المغربي، شرح الاخبار: ج٣ ص٢٠.

ولد بالمدينة وعاش سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام، ومات بالمدينة ودفن في البقيع، فأنجبت السيدة خديجة عليها السلام من الأولاد: القاسم، والطيب، وقد ماتا بمكة صغيرين. وأنجبت من البنات: زينب وأم كلثوم ورقية وفاطمة عليها السلام.(١)

- أكفان السيدة خديجة من السماء:

لما حانت المنية بالسيدة خديجة عليها السلام قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله **أنا خائفة من القبر وأريد منك ردائك الذي تلبسه حين نزول الوحي تكفني فيه.** عندما توفيت السيدة خديجة عليها السلام أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله في تجهيزها وغسلها وحنطها فلما أراد أن يكفنها هبط الأمين جبرائيل عليه السلام وقال: **يا رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله يقرأك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك يا محمد إن كفن خديجة وهو من أكفان الجنة أهداه الله إليها،** فكفنها رسول الله صلى الله عليه وآله بردائه الشريف أولًا وبما جاء به جبرائيل ثانيًا فكان لها كفنان: كفن من الله وكفن من رسول الله صلى الله عليه وآله.(٢)

- خديجة في قلب النبي صلى الله عليه وآله:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **دخل رسول الله صلى الله عليه وآله منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلَّا أن لامك علينا فضلا وأي فضل كان لها علينا ما هي إلَّا كبعضنا، فسمع مقالتها لفاطمة فلما رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله بكت فقال لها: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرت أمي فتنقصتها فبكيت، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: مه يا حميرا فإن الله تبارك وتعالى بارك في الولود الودود وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهرا وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئا.**(٣) وان رسول الله صلى الله عليه وآله عرف بالحسين عليه السلام يوما فقال: **أيها الناس هذا الحسين بن علي خير الناس جدا وجدة جده رسول الله سيد ولد آدم وجدته خديجة الكبرى سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله.**(٤)

---

(١) ابن شهر أشوب، مناقب آل ابي طالب: ج١ ص١٤٠.
(٢) محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى: ج٢ ص٢٣٥.
(٣) الشيخ الصدوق، الخصال: ج٢ ص٤٠٥.
(٤) رضى الدين علي بن موسى ابن طاووس الحسني، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ج١ ص١١٩، ط١.

المطلب الثالث: أكرمها الله لتكون أما لزهراء عليها السلام:

في يوم عظيم ابتهجت الملائكة فرحا وتزينت السماء سوف تبعث الحوراء الإنسية سيدة النساء النور العظيم سيدة الخلائق اجمعين. الزهراء البتول. فاطمة الزهراء عليها السلام. وفي اليوم العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين من المبعث كان مولد السيد الزهراء فاطمة عليها السلام وهو يوم شريف متجدد فيه سرور المؤمنين، ويستحب فيه التطوع بالخيرات، والصدقة على المساكين، وكذا في كتاب المصباح، وفي رواية أخرى سنة خمس من المبعث، والجمهور يرون أن مولدها قبل المبعث بخمس سنين، وقريش تبني البيت، وروي أنها ولدت عليها السلام في جمادى الآخرة يوم العشرين منه سنة خمس وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وآله وفي المناقب روي أن فاطمة ولدت بمكة بعد المبعث بخمس سنين، وبعد الاسراء بثلاث سنين في العشر من جمادى الآخرة.(١) عن الرضا عليه السلام قال: **قال النبي صلى الله عليه وآله: لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل عليه السلام فأدخلني الجنة فناولي من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام ففاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة،** عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال: فاطمة حوراء إنسية قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم. فقالوا. يا نبي الله فما كان طعامها؟ قال: التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد، فلما خلق الله عز وجل آدم وأخرجني من صلبه وأحب الله عز وجل أن يخرجها من صلبي جعلها تفاحة في الجنة.**(٢)

وها هي خديجة عليها السلام استيقظت وشعور غريب ينبعث في نفسها، انبعاث النور في الظلام، فقد كان كل مايحيطها يفجر كوامن الحزن بل ويبعث المرارة واليأس تساءلت في نفسها مالي هذا الفرح لعله الحمل الجديد يعني الربيع والامل والحياة. وحملها هذه المرة عجيب خفيف تكاد تطير به تشعر بالسكينة تترقرق في قلبها كنبع بارد كما لاحظت شيئا اخر مسحة من نور شفاف تطوف فوق وجهها. وشيئا اخر انها لم تعد تشتهي طعاما سوى الرطب والعنب. وكان محمدا حزينا يتأمل مكة ويفكر في مصير العالم وطريق الإنسان يشعر بالحزن وقومه ينادونه بالأبتر. تكهرب الفضاء غلالة شفافة كالضباب تملأ المكان اختفت الاصوات ولم يعد محمد يسمع شيئا سوى كلمات تنفذ في اعماقه نفوذ

(١) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار: ج٩٥ ص١٩٦.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار: ج٤٣ ص٤.

النور في المياه الرائقة. كلمات تضيء في اعماقه كالنجوم. ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ وانقلب الرسول إلى بيته فرحا ودخل على زوجته وجدها فرحه.

تنظر إليه بعينان تفيضان حبا. تمتم النبي صلى الله عليه وآله ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾.. «**اسميها فاطمة ليفطمها الله من الشرور**».[1]

في تلك الليلة العظيمة عندما عرج الرسول صلى الله عليه وآله إلى السماء وصل الجنة فناوله جبرائيل عليه السلام فاكهة من شجرة طوبى، ثم عاد إلى الأرض وانعقدت نطفة الزهراء من تلك الفاكهة التي أكلها رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قال عنها النبي صلى الله عليه وآله: «**إن فاطمة حوراء انسية فكلما إشتقت إلى الجنة جعلت اقبلها**». فهي تمثل ثمار الجنة. وتلك الأم الحنونة خديجة عليها السلام قد وضعت حدا لطعنهم في النبي صلى الله عليه وآله كونه أبتر لا ذرية له. وان فاطمة هي العين الصافية لذرية النبي صلى الله عليه وآله وهي امتداد بين النبوة والإمامة الهداة الميامين عبر القرون حتى يوم القيامة. اغتمت خديجة عليها السلام لهذا الرد الباطل، لكن قلبها كان يطفح بنور الأمل الذي يشعرها بأن ربها لن يتركها وحيدة. وبدأت لحظات الوضع الصعبة، مع غربتها ووحدتها في البيت. ولم تكن هنالك خادمتها التي يمكنها الوقوف إلى جوارها املا فتفتح عينها لترى أربعا من النساء فينتابها القلق. فنادتها إحداهن قائلة: **لا تبتئسي. فقد بعثنا ربك لنجدتك. نحن اخواتك. فأنا سارة وهذه آسية زوجة فرعون وهي رفيقتك في الجنة. وتلك مريم بنت عمران. أما هذه فهي كلثوم ابنة موسى بن عمران وقد جئنا لنلبي أمرك**. فمكثن عندها حتى وضعت سيدة النساء. فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وحمد الله وأثنى عليه وخرست السن خصومه ممن نعتوه بالأبتر حيث بشره سبحانه وتعالى بهذه المولودة المباركة ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾.[2] فوضعت خديجة عليها السلام الدرة الثمينة طاهرة مطهرة. فلما سقطت إلى الأرض اشرق منها النور حتى دخل جميع بيوت مكة، ولم يبقَ في شرق الأرض ولا غربها موضع إلَّا ودخل فيه ذلك النور ودخل عشر من الحور العين كل واحدة منهن معها طست من الجنة، وأبريق من الجنة، وفي الأبريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر واخرجت خرقتين بيضاويتين اشد بياضا من اللبن واطيب ريحا من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة، وقنعتها بالثانية ثم استنطقتها فنطقت فاطمة عليها السلام بالشهادتين، وقالت: **أشهد أنْ لا اله إلَّا الله، وأن أبي رسول الله صلى الله عليه وآله سيد الأنبياء، وان بعلي سيد الأوصياء وإن ولدي سادة الأسباط**، ثم سلمت عليهن، وسمت كل واحدة منهن باسمها، وتباشرت

(١) كمال السيد، وكانت صديقة، ط١: ص١٠، ١٢، بيروت لبنان.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الزهراء سيدة نساء العالمين: ج١ ص١١، ١٤.

الحور العين، وبشر أهل السماء بعضهم بعضا بولادة فاطمة الزهراء عليها السلام وحدث في السماء نور زاهر لم تره الملائكة قبل ذلك، قالت النسوة خذيها يا خديجة طاهرة مطهرة زكية ميمونة، بورك فيها وفي نسلها، فتناولتها فرحة مستبشرة، وألقمتها ثديها، فدر عليها، فكانت فاطمة عليها السلام تنمي في اليوم كما ينمي الصبي في الشهر، وتنمي في الشهر كما ينمي الصبي في السنة.(١)

عن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال عليه السلام: **نعم إن خديجة لما تزوج بها رسول الله هجرتها نسوان مكة فلم يدخلن عليها ولا يسلمن عليها، ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان جزعها وغمها حذرا على رسول الله، فلما حملت بفاطمة كانت فاطمة تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله يوما وسمع خديجة تحدث فاطمة فقال لها: يا خديجة لمن تحدثين قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني قال: يا خديجة هذا جبرائيل يخبرني أنها أنثى وأنها النسلة الطاهرة الميمونة وإن الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه فلم تزل خديجة على ذلك إلى أن حضرت ولادتها فوجهت إلى نساء قريش وبني هاشم لتلين من أمرها ما تلي النساء من النساء فأرسلن إليها أنت عصيتنا ولم تقبلي قولنا وتزوجت محمدا يتيم أبي طالب فقيرا لا مال له فلسنا نجئ ولا نلي من أمرك شيئا فاغتمت خديجة لذلك فبينما هي كذلك إذ دخل عليها أربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن لما رأتهن فقالت إحداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربك إليك ونحن أخواتك أنا سارة، وهذا آسية بنت مزاحم رفيقتك في الجنة وهذه مريم بنت عمران وهذه كلثوم أخت موسى بن عمران بعثنا الله لنلي منك ما تلي النساء من النساء فجلست واحدة عن يمينها وأخرى عن يسارها والثالثة بين يديها والرابعة من خلفها فوضعت فاطمة طاهرة مطهرة فلما سقطت إلى الأرض أشرق منها النور، حتى دخل بيوتات مكة ولم يبق في شرق الأرض وغربها موضع إلّا أشرق فيه ذلك النور ودخل عشرة من الحور العين كل واحدة منهن معها طشت من الجنة وإبريق من الجنة، وفي الإبريق ماء من الكوثر فتناولتها المرأة التي كانت بين يديها فغسلتها بماء الكوثر وأخرجت خرقتين بيضاويتين أشد بياضا من اللبن وأطيب ريحا من المسك والعنبر، فلفتها بواحدة وقنعتها بالثانية.**(٢)

ولدت سيدة النساء في مكة في بيت أمها خديجة الذي يقع بالقرب من زقاق العطارين، وحينما

(١) جعفر محمد بن بابويه القمي المشهور بالشيخ الصدوق، الامالي: ص٦٩١.

(٢)محمد مهدي الحائري، شجرة طوبى: ج٢ ص٢٤٨.

بشر النبيﷺ بولادتها أسرع إلى البيت، وأخذ يقبل وليدته المباركة وأجرى عليها مراسيم الولادة الإسلامية فأذن في أذنها اليمنى واقام في أذنها اليسرى. وهبط الامين جبرائيل فابلغه السلام من الله تعالى ولمولودته المباركة. سمى النبيﷺ سيدة النساء بفاطمة. وقد سئل النبيﷺ عن سبب تسميتها بفاطمة فقال «**لأنها فطمت هي وشيعتها من النار**».

وهي أزكى امرأة فقد زكت وطهرت من كل نقص ورجس بوركت هي وذريتها دعاة الحق والعدل في الأرض.[1] «فأصبحت أم أبيها أم النبوة والإمامة، السلام عليك يا مولاتي حين ولدتي، وحين استشهدت وحين تبعثين حيا».

(١) باقر شريف القرشي، حياة السيدة أم المؤمنين خديجة: ص٥٠.

المبحث الثالث: نصرت السيدة خديجة عليها السلام الإسلام بتجارتها

المطلب الأول: معنى التجارة:

خديجة عليها السلام كيف أسهمت بتجارتها واموالها كلها في سبيل نصرت الإسلام واعلاء كلمة التوحيد ونشر راية الإسلام.

ماهي التجارة: تمثل التجارة إحدى أدوات النمو التي تتيح فرصا للعمل، وتحد من الفقر، وتزيد الفرص الاقتصادية المتاحة. أن التجارة في الماضي والحاضر والمستقبل هي عصب الحياة النابض، وشريانها المتدفق حيوية وغزارة وفاعلية، لذا فهي تؤثر في حياة الإنسان مباشرة في أحواله الفكرية والدينية والدنيوية جميعها وتؤثر في الأمة من نواحيها العسكرية والقانونية والاجتماعية جميعها ولما كانت التجارة بهذه الأهمية فلا بد أن يكون للإسلام خطة واضحة في القضايا التجارية إذ انه شريعة الخلود التي تقدر تماما مال الوضع الاقتصادي من تأثير في حياة الأمة والتي تتجاوب مع مقتضيات التطور والتبدل الذي يمر على البشرية وواجب الإسلام استثمار المال بالطرق المشروعة.[1]

التجارة لغة واصطلاحا. هناك العديد من التعاريف في اللغة العربية للتجارة ومنها، التجارة في اللغة: عبارة عن شراء شيء ليبيع بالربح أو تقليب المال لغرض الربح.[2]

وأما تعريف التجارة في الاصطلاح هناك الكثير من العلماء عرفوا التجارة بأنها:

أولا: التجارة في الجملة من المستحبات الأكيدة في نفسها وقد تستحب لغيرها وقد تجب كذلك أذا كانت مقدمة لواجب أو مستحب. وقد تكره لنفسها أو لغيرها وقد تحرم كذلك.[3]

ثانيا: أنها عبارة شراء شيء لبيع بالربح وعرفها بعضهم وهي الاسترباح بالبيع وعرفها البعض الأخر هي تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأغلى أو بيعها بالغلاء على الأجيال إما هناك تعريفات للتجارة عند المعاصرين: هي شراء السلع من مناطق الإنتاج ونقلها وعرضها وبيعها للمستهلكين في

(١) رعد غالب، ضوابط التجارة في الشريعة الإسلامية، ط٢٠٠٥: ص٩١.

(٢) البركتي، محمد عميم الإحسان المجردي البركتي، التعريفات الفقهية: ص٥٢، دار الطبع بيروت لبنان.

(٣) علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين: ج٢ ص٥.

الإحياء السكنية ثم اتسع معناها إلى إن أصبحت تشمل البيع والشراء.[1]

التجارة في الدليل القرآني:

حضيت التجارة بأهمية كبيرة في الإسلام ومكانة متميزة يتضح ذلك من خلال الآيات القرآنية التي تؤكد على التجارة.

هناك العديد من الآيات ألقرآنية دلت على التجارة ومنها: قال تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾.[2]

هذا الخطاب من الله تعالى لأولئك الذين يرجون تجارة مع الله تعالى أي بمعنى يقرؤون القرآن ويعملون بما فيه ﴿**وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا**﴾ في طاعة الله ﴿**مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ**﴾ أي مما رزقهم الله وملكهم التصرف فيه ﴿سرا وعلانية﴾ أي في حال سرهم وفي حال علانيتهم ﴿**يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ**﴾ أي راجين بذلك التجارة التي لاتكسد وقيل لاتفسد يقال بارت السوق: إذا كسدت، وبار الطعام وبار الشيْ إذا فسد ﴿**إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾ أي انه لعباده ساترا لذنوبهم، انه يعامل بالإحسان معاملة الشاكرين.[3]

ثانيا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**﴾.[4] وهذا قوله تعالى يدل على أولئك الذين لاياكلون أموال الناس بالباطل إشارة إلى انه لابد من التراضي بين الطرفين ويدل هذا الاستثناء على إن التجارة يشترط فيها إن يكون العوضان متساويان بحيث يكون كل منهما على قدر الآخر بالقسطاس المستقيم؛ لأن ذلك يكاد يكون مستحيلا ومن ثم أذن الله تعالى لكل المبايعين إن يأكل الزائد عن ماله مادام الطرف الآخر أوقع الصفقة برضاه وأخباره على شريطة عدم الغش والكذب.[5]

ثالثا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**

(١) رعد غالب، ضوابط التجارة في الشريعة الإسلامية، ط٢٠٠٥: ص٩٢.

(٢) سورة فاطر، الآية ٢٩-٣٠.

(٣) الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن: ج١٠، ص٥٨.

(٤) سورة النساء، الآية ٢٩.

(٥) مغنية، محمد جواد مغنية، تفسير الكاشف: ج٢ ص٣٠٤، دار الطبع بيروت.

وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.(١)

يقول الله تعالى في تفسير هذه الآية **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** فقالوا لونعلم ماهي لبذلنا فيها الاموال والانفس والأولاد. فقال تعالى **﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾** إلى قوله تعالى ذلك الفوز العظيم.(٢) وهناك الكثير من الآيات تحث على التجارة لا يسعنا المقام إلى ذكرها.

التجارة في الدليل الروائي:

أهمية التجارة عند المعصومين عليهم السلام وقد حثوا على التجارة وفضلها واهميتها على غيرها من الاعمال. وإنها نعمة من نعم الله عز وجل وإنها مهنة شريفة كريمة فإنها وسيلة من وسائل الكسب المشروع، وإنها ليست مكروه في الدين.

هناك العديد من الروايات عن أهل البيت المعصومين عليهم السلام عن التجارة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: أولا: «**التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة**».(٣)

وعنه صلى الله عليه وآله «**من باع واشترى فليتجنب خمس خصال وإلّا فلا يبيعن ولايشترن الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا أشترى**».(٤)

ثانيا: عن أمير ألمؤمنين عليه السلام، «أن رجلا قال يا أمير ألمؤمنين إني أريد التجارة، قال: **أفقهت في دين الله؟** قال: يكون بعد ذلك، قال: **ويحك الفقه ثم المتجر فان من باع واشترى ولم يسأل عن حرام ولا حلال ارتطم في الربا ثم ارتطم**».(٥) وعنهُ عليه السلام قال لأحد أصحابه: «**اتجر بارك الله فيك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول الرزق عشرة أجزاء: تسعة أجزاء في التجارة وواحدة في غيرها**».(٦)

ثالثا: وعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال «**التجارة تزيد في العقل**».(٧) التجارة أوسع أبواب الرزق

---

(١) سورة الصف: الآية ١١، ١٠.

(٢) هاشم البحراني، البرهان في تفسير القرآن: ج٥ ص٣٦٨.

(٣) الريشهري، محمد الريشهري، ميزان الحكمة: ج١ ص٣٢٨.

(٤) المجلسي، محمد باقر محمد تقي مقصود علي المجلسي، بحار الأنوار: ج١٠٠، ص٩٦، م١٦٢٧، وفاة١٦٩٩.

(٥) القابنجي، احمد حسن علي القابنجي، مسند الإمام علي عليه السلام ج٦ ص١٧، مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان، سنة ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

(٦) العاملي، محمد حسن حر العاملي، وسائل الشيعة: ج٧ ص١٢، نشر مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.

(٧) العاملي، محمد حسن حر العاملي، وسائل الشيعة: ج١٧ ص١٧، نشر مؤسسة أهل البيت عليهم السلام.

والبركة وقد وردة في أحاديث عديدة لأهل البيت عليهم السلام وعن أبي جعفر الصادق عليه السلام «**إن التجارة تزيد في العقل وأن ترك التجارة ينقص العقل**» وقد باشر النبي صلى الله عليه وآله التجارة بنفسه الشريفة وكان الأئمة عليهم السلام يضاربون بأموالهم قي التجارة لكي يراهم الله تعالى متعرضين لرزقه وإن لم يكونوا بحاجه إلى أرباحها.

رابعا: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال «**اشتروا وإن كان غاليا**».[1]

المطلب الثاني موقف الدين الإسلامي من عمل المرأة وتجارتها:

إن الحديث عن إمكانية عمل المرأة جاء في الحقيقة من الدعاية المشاكسة التي شنها الأعداء على الإسلام والمسلمين وربما جاء في كلام بعض المسلمين أو ممارساتهم وسيلة إلى التهريج ضد الإسلام، وفي الواقع إن الذي يجب أن يأخذ به حيث لا دليل على حرمته أصالة الحلية، فكيف بوجود روايات تحث المرأة على العمل، منها قول الرسول صلى الله عليه وآله: «**نعم الله وللمرأة الصالحة المغزل**». فضلا عن ذلك فإن المرأة كانت تعمل على عهد رسول صلى الله عليه وآله في كل نواحي الحياة الزراعة والنسيج والغزل والطحن والسقاية وما إلى ذلك، وهذه السيدة العظيمة بنت أشرف الخلق فاطمة الزهراء عليها السلام غزلت وحاكت وطحنت وخبزت حتى مجلت يداها وهكذا كانت النساء في العهد الأول من الإسلام.

وظلت المرأة تعمل وتعمل إلى عصرنا هذا دون مانع أو رادع، نعم إنما حرم الله لها المتاجرة بنفسها أو بمفاتنها كما هو رائج عند من لا يؤمن بالله واليوم الآخر من أتباع الحضارة الغربية، وأما إذا كانت المرأة محتشمة ولا ينقص من كرامتها فلا مانع من العمل، وإن كان الإسلام لم يفرض عليها العمل في عيولة الأب أو الابن أو الزوج بل فرض عليهم الكد والعمل للقيام بمهامها وحاجاتها وذلك تكريما لها وإبعادها عن الشقاء والتعب ليلقي العناء على الرجل والذي تتلاءم تركيبته الجسدية والصعبة في قبال المرأة التي أريد منها أن تكون الجنس الناعم وتعمل بما يناسب تركيبتها الجسدية (والفسيولوجية).[2] روي عن أمير أمير المؤمنين عليه السلام قال لرجل من بني أسد، «**ألا أحدثك عني وعن فاطمة عليها السلام أنها كانت عندي فاستقت بالقربة حتى اثر في صدرها، وطحنت بالرحى حتى مجلت يداها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها**»[3]، المرأة صنو الرجل وشريكته في بناء المستقبل والحياة ولهذا فإن أثرها في الحياة والعمل لا يقل أهمية عن أثر الرجل

(١) الكليني، محمد يعقوب إسحاق الكليني، الكافي: ج٥ ص١٥٠.

(٢) الكرباسي، محمد صادق الكرباسي، شمس المرأة لاتغيب: مطبعة بيت العلم للنابهين، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م: ص٥٤-٥٦.

(٣) الشيخ الصدوق، من لا يحظره الفقيه: ج١ ص٣٢٠.

بل إن المجتمع بحاجة إلى عمل المرأة، ولا شك أن الإسلام جاء لإكرامها والحفاظ عليها وصيانتها عن ذئاب بني الإنسان. وتواجه المرأة تحديات في مجال عملها فهي تتحدى المجتمع وتنزل للميدان على الرغم من الظروف البيئية والعائلية المحيطة إننا نعتقد إن النساء قادرات في كل مجتمع بشري وعليهن أن يجدن الفرصة لبذل الجهد في مجال التقدم العلمي والاجتماعي والبناء والإدارة في هذا العالم في حدود سهمهن وفي هذا المجال ليس هناك فرق بين الرجل والمرأة. إن المرأة غير ممنوعة من العمل إذا لم يتناف مع التزاماتها الشرعية بل ربما تجب كما إذا توقف عليه تأمين نفقة نفسها أو نفقة من تجب نفقته عليها كالأولاد مع فقد الأب والجد على ما هو المشهور بين الفقهاء (رضوان الله عليهم).[1] ولنا في هذا المجال أنموذجين:

الأول: ابنتا شعيب عليه السلام واللتان كانتا تستقيان الماء وقد نص عليهم القرآن الكريم وبين كيف كانتا محتشمتين رغم الاختلاط كما كانتا ترعيان أغنام أبيهما. الثاني: السيدة الجليلة الطاهرة خديجة (سلام الله عليها) حيث كانت من كبار تجار مكة وكان الرسول صلى الله عليه وآله يعمل معها في هذا المجال.[2]

-الشروط الشرعية في العمل والتجارة

لا يمنع الإسلام عمل المرأة ولا تجارتها فالله (عز وجل) شرع للعباد العمل وأمرهم به فقال: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾[3]، وقال ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾[4]، وهذا الخطاب يعم الرجال والنساء وشرع التجارة والعمل للجميع فالإنسان مأمور بأن يتجر ويتسبب من أجل الحصول على الحياة الكريمة فهناك نساء مؤهلات للعمل وهناك نساء غير مؤهلات. النساء غير المؤهلات للعمل المرأة العجوز التي لا تستطيع العمل، والطفلة الصغيرة التي لم تصل إلى سن العمل، والطالبة التي لم تتأهل للعمل بعد فليست كل النساء قادرات على العمل في الوظائف الحكومية وغيرها بل حتى النساء القادرات على العمل لا تستطيع العمل بشكل تام فإن النساء يعتريها من العوارض كالحيض والنفاس والحمل والولادة والإرضاع وغيرها من الأمور التي تعطل مسيرة العمل ومن ثم لا يمكن لها العمل بشكل تام كالرجل لكن هذا لا يمنعها من العمل تماما، فإن أي عمل أو مهنة تكون المرآة قادرة عليها وتحفظ كرامتها وشرفها به

(١) علي الحسيني السيستاني، الاستفتاءات الشرعية، موقع مكتب سماحة المرجع الديني الأعلى.
(٢) الكرباسي، محمد صادق الكرباسي، شمس المرأة لاتغيب، مطبعة بيت العلم للنابهين بيروت لبنان.
(٣) سورة التوبة: الآية١٠٥.
(٤) سورة الملك: الآية٢.

المرأة خلقت لتؤدي نوعا خاصا من المسؤولية بينما خلق الذكر ليؤدي نوعا آخر منها. فمثلها مثل ذلك النوع من الحمام الذي يملك ذكره جناحا عن اليمين وحلقه عن اليسار وتملك أنثاه جناحا عن اليسار ونصف حلقة عن اليمين فإذا أرادا الطيران عقد الحلقتين ورف كل بجناحيه وحلقا في السماء فالمرأة تحمل وترضع وتربي، والرجل يسعى في سبيل تحقيق حياة أفضل، وفي المرأة تلك العاطفة الرقيقة والحب العميق نحو زوجها الذي يمكنها من الوفاء بيه والمشاركة معه في الشدة والرخاء وفيها العطف البالغ الذي يحملها على تجشم متاعب الحمل والوضع والرضاعة والتربية وفيها لهذه المسؤوليات الضخمة والكفاءات المماثلة فلها الجاذبية والرقة، وفيها الرحم والثدي وفي الرجل في المقابل العقل المفكر والتدبير الدقيق والشعور والاستقلال وصلاحيات الإدارة وما إلى ذلك من المسؤوليات في حماية الأسرة من النفقة وتأمين معيشتها وسعادتها.[1] قد وضع الإسلام للعمل ميزانا صحيحا يتفق مع الطبائع البشرية والفطرة الإنسانية، وذلك الميزان هو (الإجادة والإتقان) في العمل، فالعمل يسمو بمقدار الإتقان فيه أيا كان نوعه، وينخفض بمقدار الإهمال فيه أيا كانت صفته. والذي يدفع المؤمن لإتقان عمله، وبذل جهده لإحسانه وإحكامه هو شعوره العميق، واعتقاده الجازم بأن الله تعالى يرقبه في عمله، ويراه في مصنعه أو في مزرعته، أو في حال من أحواله، وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء**».[2] ان للمرأة لها ما للرجل من الحق في التجارة بشرط ان تكون تجارتها لا تخالف حكمها الشرعي وان تلتزم بأمور لا تنافي الشريعة الإسلامية المقدسة من حيث الحجاب الشرعي والاختلاط، وان تكون تجارتها لهدف مشروع ونبيل، ولنا انموذج في التجارة المرأة الطاهرة خديجة عليها السلام كيف عملت في تجارتها مع الحفاظ على عفتها وطهارتها.

المطلب الثالث: كيف نصرت خديجة عليها السلام الإسلام بأموالها

إن إرادة الصبر وقوة التحمل والتصبر تظهر لدى الإنسان شيئا فشيئاً فلابد أن تتلاحق حوادث صعبة ولابد أن يمر المرء بنوائب مزعجة حتى تأنس روحة بالأمور الثقيلة والقضايا الصعبة. لقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله شطرا من حياته قبل البعثة في رعي الغنم في الصحاري والقفار ليكون بذلك صبورا في تربية الناس الذين سيكلف بقيادتهم وهدايتهم وليستهل كل صعب قي هذا المجال إن إدارة المجتمع البشري من أصعب الأمور التي تواجه القادة ورجال الإصلاح وربما يكون قيام النبي صلى الله عليه وآله يرعى الغنم

(١) المدرسي، محمد تقي المدرسي، المرأة في المجتمع الإسلامي: ص٧.

(٢) مصطفى البغا، عمل المرأة: ص١٧، دمشق حلبوني.

من هذا الباب. ويمكن إن نذكر هنا سبب آخر وهو إن رجلا حر النفس والعقل كرسول الله ﷺ تجري في شرايينه وعروقه دماء الغيرة والشجاعة كان يشق إن يشاهد كل ذلك الظلم الذي كان يمارسه طغاة مكة، وكذا كان يشق عليه أن يرى تظاهرهم بالعصيان والفسوق في حرم الله وعند بيته المعظم.

مساندتها للنبي ﷺ

وكان لأموال السيدة الطاهرة خديجة بنت خويلد عليها السلام الأثر البالغ، والركيزة الأولى، والمنعطف التاريخي الخطير في تثبيت دعائم الإسلام يوم ذاك وتقويته، إذ كان الدين الإسلامي برعما وفي خطواته الأولى وفي طور التكوين، وكان بأمس الحاجة إلى المال لتبليغ رسالة السماء وبلوغ هدفه فقيض الله سبحانه لخدمة الإسلام السيدة خديجة عليها السلام وأموالها وبفضل مالها تحقق الهدف الأول المنشود فكان ركنا من أركان الإسلام، وقد أشار سبحانه وتعالى بهذه الآية خروج النبي ﷺ بأموال خديجة عليها السلام إلى الشام ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**﴾ أغناك بمال خديجة وقال ﷺ «**ما نفعني مال قط مثل ما نفعني مال خديجة**» وماثبتت دعائم الإسلام إلَّا أموال خديجة وحماية شيخ البطحاء أبي طالب ونصرته وسيف علي بن أبي طالب وجهاده المستميت.(١) لقد بذلت هذه المرأة العظيمة نفسها ومالها في سبيل نصرت هذا الدين الحنيف وهذا مما يدل على عظمة هذه الشخصية حين نذرت نفسها ومالها لصاحب هذا الدين الرسول ﷺ إنها وهبت مالها للنبي ﷺ جميعه ثم إن خديجة قالت لعمها ورقه خذ هذه الأموال وسر بها إلى محمد ﷺ وقل له إن هذه جميعها هدية له وهي ملكه يتصرف فيها كيف يشاء وقل له إن مالي وعبيدي وجميع ما أملك وما هو تحت يدي فقد وهبته لمحمد ﷺ إجلالا وإعضاما له. فوقف ورقة بين زمزم والمقام ونادى بأعلى صوته: يا معاشر العرب إن خديجة تشهدكم على أنها وهبت نفسها ومالها وعبيدها وخدمها وجميع ما ملكت يمينها والمواشي والصداق والهدايا لمحمد ﷺ وهو هدية منها إليه فكونوا عليها من الشاهدين.(٢) لما حاصرت قريش النبي ﷺ وآل ابي طالب في الشعب المعروف بشعب ابي طالب على ان يتراجع عن دعوته والا نقتله ووضعوا عليهم الرقابة على ان لا يصلهم الطعام. في هذه الظروف الصعبة كانوا يتصرفون بأموال خديجة عليها السلام حتى نفذت جميعها ولم يبقى لهم سوى فراش واحد. كل اموالها جعلتها تحت تصرف النبي ﷺ، تميزت السيدة خديجة عن سائر أزواج النبي ﷺ بمواقفها المشرفة قبل الإسلام وبعده، فاختارت أن تعيش مع النبي ﷺ قبل البعثة وشاركته

(١) حسين الشاكري، أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام، ط١: ص١٤.

(٢) السيلاوي، الانوار الساطعة في الغراء الطاهرة، ط٢، مطبعة ثامن الحجج: ص١٥٩.

همومه ومواقفه وآلامه وأتعابه، لما تعرض له من قريش، وبذلت أموالها الوفيرة في سبيل تدعيم ركائز الإسلام ونشره، حتى قيل أن الإسلام انتشر بسيف علي بن أبي طالب عليه السلام وأموال خديجة

أموال خديجة عليها السلام وسيف علي بن أبي طالب عليه السلام إن المعروف: أن الإسلام قد قام بسيف أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله «**لافتي إلَّا علي لاسيف إلَّا ذو الفقار**» وبأموال خديجة عليها السلام ألتي أنفقتها في سبيل الله سبحانه وتعالى، إن أموال خديجة لم تكن تعطى كرشوة على الإسلام، ولا كانت تنفق على المؤلفة قلوبهم. وإنما كانت تسد رمق ذلك المسلم، الذي يعاني أعظم المشاق والآلام، في سبيل أسلامه وعقيدته، هذا المسلم الذي لم تتورع قريش عن محاربته بكل ما تملكه من أسلحة لا إنسانية ولا أخلاقية، حتى بالفقر والجوع، فكانت تلك الأموال تسد رمق من يتعرض للأخطار الكبيرة، وتخدم الإسلام عن هذا الطريق. وهذا معنى قولهم: (إن الإسلام قام بأموال خديجة) وملاحظة لابد منها، هي إن أموال خديجة التي أنفقت في المقاطعة، كانت في غالبها من النوع الذي يمكن الانتفاع به في سد رمق الجائع. وكسوة العاري فلربما لم يتعرض لذلك؟ بسبب عدم القدرة على البيع والشراء.(١) خديجة عليها السلام وهبت كل ثروتها للنبي صلى الله عليه وآله لينفقها في نشر الإسلام وإعلاء كلمة الحق، وإرساء قواعد التوحيد وبث الدين الجديد وأصبحت تلك الدار الفحمة التي كانت تزينها الكراسي المرصعة، والستر المطرزة المصنوعة من أغلى الأقمشة الهندية، والإيرانية، ملجأ للمسلمين وملتقى لأنصار الرسالة.(٢) إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبا شديدة الحساسية ويلقون غبنا بالغا من الواقع الذي يريدون تغييره ويقاسون جهادا كبيرا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه والمعونة. ومن جملة تلك الصفات كانت خديجة عليها السلام سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وآله أثر كريم فهي مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم. فقد آزرته في أحرج الأوقات وأعانته على إبلاغ رسالته وشاركته مغارم الجهاد المر وواسته بنفسها ومالها. نعم واسته بنفسها فضحت براحتها لتضمن له الاطمئنان والسلامة وهذه الصورة الناصعة التي تدلنا على مدى ماكانت تبذله خديجة من جهد وعناء في سبيل المحافظة على النبي صلى الله عليه وآله وكانت خديجة تتحمل الأذى من رجال قريش ونسائها في سبيل مواساتها للرسول صلى الله عليه وآله ولقد صبرت على تلك المتاعب واستمرت في نصرتها ومواساتها لا ترجو بذلك الا رضا الله تعالى وكانت تصبّر

(١) جعفر مرتضى العاملي، الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ج٣ ص١٩٨.

(٢) جعفر السبحاني، سيد المرسلين: ج١ ص٢٥٩، مؤسسة النسر الإسلامية، قم المشرفة.

النبي ﷺ على كل ما يواجهه من أعدائه.[1] وقد عمل رسول الله ﷺ ردّ الفضل إليها وتعظيمها ورفع جلال قدرها، سيما وأنها أصبحت أما لفاطمة الزهراء عليها السلام وحين تناهبتها من يديه كف الأقدار، ظل مداوما على ذكرها بالخير، وتبجيل شخصيتها المتميزة مما حدى بعائشة إلى القول: ما غرت على أحد من أزواج النبي ﷺ ما غرت على خديجة، ومابي أن أكون أدركتها وما ذاك إلَّا لكثرة ذكر رسول الله ﷺ لها وان كان ليذبح الشاة فيتبع بها صدائق خديجة فيهديها لهن، وقالت عائشة أيضا: ما حسدت أحدا ما حسدت خديجة، وماتزوجني رسول الله ﷺ إلَّا بعدما ماتت، وذلك أن رسول الله ﷺ بشرها ببيت في الجنة من قصب[2] لا صخب فيه ولا نصب.[3]

ها هو الكلام يطول في ذكر السيدة الطاهرة الجليلة خديجة بنت خويلد عليها السلام وعن فضائلها وإيمانها وحبها لزوجها النبي ﷺ ولما أتمت لها الكمالات الباهرة، وتوطنت الرتبة السامية العلية الفاخرة، وامتدت أنوارها وآياتها المتكاثرة، وها هنا لقد توفيت (سلام الله عليها) في اليوم الحادي عشر من رمضان، قبل هجرة سيد ولد عدنان، بثلاث سنين على الأصح من الأقاويل وقيل بأربع سنين وقيل بسبع، ولم يصل عليها النبي ﷺ لأنها لم تشرع الصلاة على الميت في ذلك العام، ونزل النبي ﷺ في قبرها وسوى عليها التراب وأحسن نزلها، وهي فضيلة لها دون غيرها، وكان لها من العمر خمس وستون سنه. ودفنت بمقبرة المعلى المعروف بالحجون[4].[5]

وفاة خديجة وأبا طالب، توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها من العمر خمسة وستون سنة، ودخل عليها رسول الله ﷺ وهي تجود بنفسها فقال: **بالكره مني ماأرى، ولعل الله يجعل في الكره خيرا كثيرا، إذا لقيت ضراتك في الجنة يا خديجة فاقرئيهن السلام**: قالت: من هن، قال **إن الله زوجنيك في الجنة وزوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وكلثوم أخت موسى**، ولما توفيت خديجة عليها السلام جعلت فاطمة تتعلق برسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: **أين أمي؟** فنزل عليه جبريل فقال: **قل لفاطمة إن الله تعالى بنى لأمك بيتا في الجنة من قصب لانصب فيه ولا صخب**. وتوفي أبو طالب وله من العمر ست وثمانون سنة، وقيل بل تسعون سنة ولما قيل لرسول الله ﷺ أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات

(١) عبد الستار البعاج، خديجة الكبرى، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف: ص٥٤، ٥٧.

(٢) القصب هو اللؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف في هذا الحديث.

(٣) كمال معاش، فاطمة عليها السلام بين النبوة والإمامة، دار العلوم النشر والتوزيع، بيروت، لبنان: ص٩١.

(٤) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

(٥) محمد بن علوي المالكي، مناقب خديجة الكبرى: ص٤١، ٤٢.

وجبينه الأيسر ثلاث مرات ثم قال: **يا عم ربيت صغيرا وكفلت يتيما ونصرت كبيرا فجزاك الله عني خيرا.**[1] إن خديجة عليها السلام وابي طالب ماتا في عام واحد وسمي عام الحزن وكانت وزيرة صدق على الإسلام وكان الرسول صلى الله عليه وآله يسكن إليها.[2] فهنيئا لخديجة عليها السلام في عالم البرزخ زوجها من جانب وابنتها فاطمة من جانب وصهرها علي من جانب وأحفادها أحد عشر حفيدا من جانب كأنهم نجوم في السماء حول هذه السيدة.

«صلوات الله على هذه المرأة الزاهدة المجاهدة المختارة من النساء والصفية البيضاء، سيدة العفاف المطهرات، ام البتول صفوة النسوة الطاهرات اسبقهن بعبادة رب السماء. السلام عليك يوم ولدت ويوم مت ويوم تبعثين حيا».

(١) احمد اسحاق بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٥.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الانوار: ج١٦ ص١١.

الخاتمة

الحمد لله جل جلالـه فهو وحده سبحانه من وفقنا لما تمكنا من تقديمه إليكم، وها هي آخر محطاتنا في هذا البحث الذي قد اخذ الكثير من الوقت والجهد لكي يخرج بتلك النتائج ولكنه جهد ثمين غير ضائع عند الله تعالى. تضمن بحثنا موضوع من أهم المواضيع المتعلقة بالشريعة الإسلامية وليس آخراً حيث إن الحديث حوله لن ينتهي؛ لما له من أهمية عظيمة وصلة وثيقة بحياتنا ومجتمعنا ولذلك كان لزاماً علينا أن نمنحه ذلك القدر من الوقت.

توصلنا من خلال دراستنا المتواضعة إلى جانب من حياة السيدة الطاهرة خديجة عليها السلام ما يلي:

١. من خلال سيرتها العطرة توصلنا إلى أولاد النبي صلى الله عليه وآله كلهم من السيدة خديجة عليها السلام.

٢. وكذلك هناك من يقول ان السيدة خديجة عليها السلام لم تلد الا الزهراء عليها السلام.

٣. وناقشنا مسالة عمر السيدة خديجة عليها السلام وهو ما يقارب عمر النبي صلى الله عليه وآله.

٤. وتوصلنا ان السيدة خديجة عليها السلام لم تتزوج غير النبي صلى الله عليه وآله.

٥. تعرفنا على مقاماتها في الإسلام وعلو شأنها لذلك كانوا الأئمة عليهم السلام يتفاخرون بها.

٦. ومن خلال ما تقدم في البحث نجد ان نصرت السيدة خديجة عليها السلام للإسلام كان لها الدور الاساسي والفعال في بقاء الإسلام وديمومته ومساندتها لنبي صلى الله عليه وآله في سبيل اعلاء كلمة التوحيد ورفع راية الإسلام.

٧. وتوصلنا إلى ما كان يدور حوله البحث وهو تجارة المرأة وإنها قادرة على العمل مع الشروط الشرعية والحفاظ على العفة والحجاب وإن المرأة لها ما للرجل في كل المجالات وإن الإسلام لا يمنع المرأة من القيام بوظائفها بشتى المجالات. وخلصها من الظلم الذي كان في الجاهلية يمارسونه ضد المرأة.

٨. إن عملها مباح مادام موضوعه مباحاً ومتناسباً مع طبيعتها وليس له تأثير سلبي على حياتها العائلية، وذلك مع تحقق التزامها الديني والأخلاقي وأمنها على نفسها وعرضها ودينها حال قيامها به.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الانوار الساطعة في الغراء الطاهرة، غالب السيلاوي، ١٤٢١هـ، ط٢ مطبعة ثامن الحجج.
- الامالي، جعفر محمد بن بابويه الصدوق، ط١، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم المقدسة، سنة الطبع ١٤١٧.
- الاستفتاءات الشرعية، علي الحسيني السيستاني، موقع سماحة المرجع الاعلى.
- الخصال، محمد بن بابويه الصدوق: ج٢، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، ط١، ١٣٩٧هـ،٢٠١٨م، طهران.
- السيدة خديجة أم المؤمنين، باقر شريف القرشي، سلسلة موسوعة أهل البيت .
- السيدة خديجة أم المؤمنين سباقة الخلق إلى الإسلام، عبد الحميد محمود طهماز، ط٢، دار القلم،دمشق، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.
- السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين، حسين هادي القرسي، مكتبة طريق المعرفة، النجف الاشرف ١٩٥٧.
- البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني: ج٥، قم المقدسة إيران.
- التبيان في نفسير القرآن، ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي: ج١٠، دار إحياء التراث العربي، لبنان بيروت.
- التعريفات الفقهية، محمد عميم البركتي، دار الطبع، بيروت لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- الزهراء سيدة نساء العالمين، ناصر مكارم الشيرازي: ج١، ط١، دار الهادي للطباعة والنشر ١٩٩٣م.
- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، رضي الدين علي بن موسى ابن طاووس: ج١ مطبعة الخيام، قم المقدسة ١٤٠٠هـ.
- الصحيح من سيرة النبي الاعظم، جعفر مرتضى العاملي: ج٣، ط٤، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

- الكافي، محمد يعقوب بن اسحاق: ج٥ ط٣، درا الكتب الإسلامية، طهران ايران ١٣٦٧هـ.
- المرأة في المجتمع الإسلامي، محمد تقي المدرسي، قم المقدسة ١٩٨٧.
- أعيان الشيعة، محسن الامين: ج٦، الناشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- أم المؤمنين خديجة الطاهرة، حسين الشاكري، ط١، دار المجد للنشر والتوزيع، سنة الطبع ١٤٢١.
- أم المؤمنين خديجة بنت خويلد، خالد الحمودي: ج١، ط١، دار القاسم لطباعة والنشر.
- امهات الأئمة عليهم السلام، حازم الخاقاني، ط٢، دار الحق، بيروت لبنان، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.
- بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج١٦، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٠٣٧-١١١٠هـ.
- تاريخ اليعقوبي، احمد اسحاق جعفر اليعقوبي: ج٢، مؤسسة أهل البيت، قم المقدسة، سنة ١٤١٥، ١٩٩٥.
- تواريخ اعلام الهداية النبي واله، محمد تقي التستري، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ١٤٢٥ه ٢٠٠٤م.
- تفسير الكاشف، محمد جواد مغنية: ج٢، ط٤ دار الأنوار للطباعة والنشر، بيروت لبنان، .
- خديجة الكبرى، عبد الستار البعاج، مطبعة الغري الحديثة، النجف الاشرف، ١٣٧٥ه١٩٥٦م.
- خديجة بنت خويلد امة جمعت في امرأة، نبيل الحسيني: ج١، قسم الشؤون الفكريه والثقافية في العتبة الحسينية، شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية، ط١، ١٤٣٢ه ٢٠١١م.
- خديجة بنت خويلد سيدة في قلب المصطفى، محمد عبدة يماني، ط١ مؤسسة علوم القران، منار للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ج٢ طبعة إيران، ط١، مطبعة نكارش، إيران قم المقدسة ١٤٢٣هـ.
- سيد المرسلين، جعفر السبحاني: ج١، مؤسسة النشر الإسلامي ط٤، ١٤٢٩هـ، التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.
- شرح الاخبار، النعمان المغربي: ج٣، مؤسسة النشر الإسلامية قم المقدسة.
- شواهد التنزيل، الحاكم الحسَكاني: ج١، ط١ سنة الطبع ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

- شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري: ج٢، ط٥، مطبعة الشريف الرضي، قم ايران، ١٣٨٥.
- شمس المرأة لا تغيب، محمد صادق الكرباسي، ط١، مطبعة بيت العلم للنابهين، بيروت لبنان، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.
- ضوابط التجارة في الشريعة الإسلامية، رعد غالب، مجلد ٩، مجلد الفتح للبحوث التربوية والإسلامية.
- فاطمة عليها السلام بين النبوة والإمامة، كمال معاش، دار العلوم للنشر والتوزيع، بيروت لبنان.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج١، ط١، دار الحديث للطباعة والنشر، قم المقدسة، ١٤٢٢هـ.
- مسند الإمام علي عليه السلام، احمد حسن علي القابنجي: ج٦ مؤسسة الاعلمي، ط١، بيروت لبنان ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
- منتخب سبل السلام، محمد موسى اليعقوبي، دار الصادقين لطباعة، النجف الأشرف، ط٢، ١٤٣٤ هـ، ٢٠١٣م
- مناقب ال ابي طالب، جعفر محمد بن شهر اشوب: ج١، ط٢، دار الاضواء للطباعة والنشر ١٩٩١م، ١٤١٢هـ.
- مركز الابحاث العقائدية، التابع لمكتب السيد السيستاني، https: //www. aqaed. com/faq/7020/
- وكانت صديقة، كمال السيد، ط١، دار النبلاء، بيروت لبنان، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

أنواعُ الحِجَاجِ في الخطبة الفدكيَّة مُقاربة تداولية

الباحثة : أبرار حسن نعمة الموسوي

ملخص البحث

ذهب البحث إلى قراءة خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام المعروفة بالخطبة الفدكيّة متأملاً صور الحجاج التداولي؛ للوقوف على المعاني المتحققة والمقاصد المرجوة عن طريق التراكيب المنظومة فيها من جهة، و بيان أثَرها في التأثير على المخاطَب من جهة أخرى، وفي ذلك إدراكٌ للأسرار الجمالية التي تنماز بها تلك الخطابات ومساراتها من جهة ثالثة؛ لاسيّما وأن الحجاج كما يشيع عند الدراسين صار منهجاً تحليلياً لقراءة النصوص لا من زاوية الدلالة فحسب وإنما من زاوية كشف المقاصد المرجوة من الحدث الكلامي أو النصوص الإبداعية، وبعبارة أخرى فإن هذه الدراسة تهدف إلى اقتفاء أثر هذا المسار الحجاجي وبوصفه أسلوباً لسانياً وفنّياً، بغية الوقوف على حقيقة آثاره في خلق الخطابات الحوارية المتماسكة، لاسيما وأن تلك الخطابات تتخذ من هذا المسار التداولي سمة تعبيرية ولوناً مميزاً في تحقيق العملية التواصلية والإقناعية.

وقد تحقق ذلك عن طريق «مقدمة» و«مبحثين» تناولتُ في المقدمة أهمية الموضوع بداية بالمنهج المتّبع في الدراسة وليس انتهاءً بالخطبة الفاطميّة وبيان اختيارها كمصداق للدراسة، وأما المبحث الأول والموسوم بـ(المفهوم والمصداق) فإنه اتَّسع للحديث عن المصطلحات التي وردت في العنوان الرئيس للبحث، من وجهة النظر المعجمية والقرآنيّة، والتعاطي الاصطلاحي واللساني لها.

وأما المبحث الثاني فقد خُصص للحديث عن «أنواع الحجاج التداولي في الخطبة الفدكيّة» وقد اتَّسع لثلاثة محاور، جُعل الأول منها للحديث عن «الحجاج التوجيهي»، بينما جُعل الثاني للحديث عن «الحجاج التقويمي» وأما المحور الثالث فقد جاء مختصاً بالحديث عن «الاستدراج بوصفه حجاجاً تداولياً.

وبالمجمل فإن هذه الدراسة تحاول أن تقدّم دراسة لسانيَّة وبلاغيَّة جديدة في دراسة الخطاب الفاطمي بصورة عامة والخطبة الفدكيَّة على وجه الخصوص وبصورة تليق بالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام أولاً وقبل كل شيء.

المقدمة

لّما كانت الخطبة «الفدكيَّة» مجموعة من الحجج والبراهين التي قدّمتها السيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي من أجل الوقوف أمام حجج الطرف الآخر الذي اتَّخذ من مناطق التأويل الوعرة «إن جاز لنا الوصف» ميداناً لتمرير الكثير من الغايات والمآرب السياسيَّة والاجتماعيَّة والفكريَّة والدينيَّة بالدرجة الأساس غير المتفقة مع تعاليم التشريع الإلهي المخصوص بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام.

ولم يكنِ الحديث عن الحجاج حديثاً منقطعاً أو منفصلاً عن نظرية المعرفة الإنسانية واللسانية بالدرجة الأساس، وأبعادها العلمية وأن المرسِل قد أدرك المرسل منذ الأزل أنه لا يستطيع إيصال رسالته إلى الآخرين إلَّا عن طريق الربط بين المعنى الذي يسعى للتعبير عنه، والرموزِ والعلامات الدالة على ذلك؛ والذي يستدعي بالضرورة التوجّه نحو منطقة المخاطب من أجل حصول عمليتي التأثير والاقناع، ومن ثمَّ الأخذ بيده صوب المقاصد المرجوة من العملية التواصلية؛ لاسيما وأن الحجاج نشاط تواصلي أداته اللغة، وأنه ميزة فاعلة في الخطاب الإنساني، وركيزة مهمة من الركائز التي تستند عليها النصوص المتضمنة قضايا «الجدل، والنقاش، والنقد و...»

لَّما كان ذلك وغيره الكثير فقد جاء هذا البحث الموسوم بـ(أنواع الحجاج في الخطبة الفدكيَّة مقاربة تداولية) ليسلِّط الضوء على هذا النسق التداولي ــ الحجاجي؛ للوقوف على المعاني المتحققة والمقاصد المرجوة من خلال التراكيب المنظومة فيها من جهة، و بيان أثَرها في التأثير على المخاطب وإقناعه من جهة أخرى، وفي ذلك إدراكٌ للأسرار الجمالية التي تنماز بها تلك الخطابات ومساراتها من جهة ثالثة؛ لاسيّما وأن الحجاج كما يشيع عند الدراسين صار منهجاً تحليلياً لقراءة النصوص لا من زاوية الدلالة فحسب وإنما من زاوية كشف المقاصد المرجوة من الحدث الكلامي أو النصوص الإبداعية، وبعبارة لسانية أخرى فإن هذه الدراسة تهدف إلى اقتفاء أثر هذا المسار الحجاجي وبوصفه أسلوباً لسانياً وفنّياً، بغية الوقوف على حقيقة آثاره في خلق الخطابات الحوارية المتماسكة، لاسيما وأنها / تلك الخطابات/ تتخذ من هذا المسار التداولي سمة تعبيرية ولوناً مميزاً في تحقيق العملية التواصلية والإقناعية.

وإذا كانت تلك الأسباب المعرفية والجمالية هي التي قادتني لاختيار هذا الموضوع والخوض فيه، فيبدو من جهة ثانية أن هنالك من الأسباب ما هو ذاتيّ/ شخصي/ لعب دوراً كبيراً في هذه السيرورة البحثية؛ إنه سببٌ متعلق بذاكرة طفلةٍ هيمنت عليها هذه الخطبة (عيّنة البحث) وغيرها من الكتب والمدونات الناجية في مكتبة بيتنا من حروب الإبادة والدفن التي مورست ضدها؛ كنتيجة طبيعية لسلطة الفتك والقمع الثقافي، وفلسفة العنف المعرفي وأيديولوجياته التي عاش العراق تحت ظلالها أعواماً طويلة وأزمنة من القهر؛ فكان أن صارت هذه الخطبة غوايتي الأولى والدائمة؛ لِما تنطوي عليه من أنساق وخصوصيات ومواقف تتصل بالتكامل الروحي والأخلاقي لنا، ولأنها وباختصار شديد جزء من حياتي(الشخصية)، وكائنٌ معرفيّ لا يمكن محوه أو تجاهله.

ومهما يكن من أمر فقد اقتضت طبيعة المنهج المتّبع «الحجاج التداولي» وطبيعة المادة المدروسة والمتحصَّل عليها أن يقسَّم البحث على مبحثين تتقدمهما مقدمة وتقفوهما خاتمة.

أما المبحث الأول والموسوم بـ(المفهوم والمصداق) فإنه اتَّسع للحديث عن المصطلحات التي وردت في العنوان الرئيس للبحث، وفي إطار النظر المعجمي والقرآني، والنسق الاصطلاحي (اللساني له).

وأما المبحث الثاني فقد جاء مخصصاً للحديث عن «أنواع الحجاج التداولي في الخطبة الفدكيّة» وقد اتَّسع لثلاثة محاور، جُعل الأول منها للحديث عن «الحجاج التوجيهي»، بينما جُعل الثاني مخصصاً للحديث عن «الحجاج التقويمي» وأما المحور الثالث والأخير منها فقد جاء مختصاً بالحديث عن «الاستدراج بوصفه حجاجاً تداولياً «.

وكان هذا كله مشفوعاً بخاتمة استوعبت مجمل النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث، ولابد لي من الاشارة إلى التفاوت الحاصل في حجم المقاصد والمحاور؛ ولعل هذا عائد إلى طبيعة المنهج المتَّبع والعيّنة المتحصّل عليها والتي حتمت مثل هذا التفاوت.

وأخيراً فلابدَ لنا من الإشارة إلى أن هذه الخطبة الفاطميّة وبوصفها ميداناً لسانيَّاً وحجاجياً خصباً فقد تناولتها الكثير من الأقلام بالبحث والدراسة «ولعلها تستحق ذلك وأكثر»، ولكن ما يزيد دراستنا أهمية وجمالاً أن تناول موضوعات الحجاج المتصلة بالمرسل والمرسل إليه في هذه الخطبة، وتحديداً من وجهة النظر التداولية المنطلقة من ذلك التقسيم الذي جاء به رائد التداولية العربية الدكتور طه عبد الرحمن، لم يتحقق إلى الآن حسب اطلاعنا المتواضع.

المبحث الأول: المصطلح والمفهوم

يتوافر اللسانيون على حقيقةٍ مفادها أن الأبحاث العلمية بصورة عامة واللسانية منها على وجه الخصوص تولي المصطلح (أي مصطلح) وضرورة تحديده أهمية كبيرة؛ لِما له من دورٍ فعَّال في بناء النظريات والمناهج، ولذلك فقد ارتأيتُ أن أجمع بعض المفاهيم والمعاني لضبط مصطلحات العنوان الرئيس للدراسة؛ أي مصطلحات «الحجاج، الخطبة الفدكية، التداولية» من الناحيتين اللغوية «المعجمية» والاصطلاحية؛ لاسيما وأن» التحكّم في المصطلح هو تحكّم في المعرفة المراد إبلاغها، والقدرة على ضبط أنساقها «[1]، وكما يأتي:

- **أولا: الحجاج**

لم يخرج «الحجاج» في معناه اللغوي عن دائرة الجدل والخصام، وطلب الدليل والادّعاء؛ فقد ورد في (لسان العرب) «يُقال حاججته أحاجه حِجاجاً ومحاجة حتى حججته؛ أي غلبته بالحجج التي أدليتُ بها...، وقيل: الحجة ما دافع به الخصم من أجل إثبات رأيه، وقال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة... وجمع حجة حُجَج وحِجاج، وحاجه محاجة وحِجاجاً: نازعه الحجة، وحجَّهُ يحُجُّه حَجَّاً غلبه على حُجَّته، واحتَجَّ بالشيء: اتَّخذه حجَّةً»[2].

وعادة ما يقترن مفهوم الحجة والحجاج قرآنياً بالأدلة والبراهين ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[3].

وهكذا نجد أن الحجاج في المعنى (المعجمي)، والقرآني لا يخرج عن دائرة الحوار الذي تكون غايته الإبلاغ والإقناع باستخدام الأدلة والبراهين بمختلف أنواعها، وأن الأساس فيه الارتكاز على دليل

(١) السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، د. علي آيت ارشان: ص١١.
(٢) لسان العرب، ابن منظور: (مادة حجج): ص ٢٢٦-٢٢٧.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٥ و٦٦.

وبرهان معيّن، بغية إثبات قضية من القضايا، ومن ثمَّ بناء موقف ما[١].

أما في الاصطلاح فأن معنى «الحجاج» لا يبتعد كثيراً عن مفهومه في المعجمات اللغوية- لاسيَّما وأن التهانوي(ت ١١٥٨هـ) قد جعله مرادفاً للدليل، والمقصود منه إلزام الخصم واسكاته[٢]- وإن تعددت تعريفاته عند اللغويين المحدثين والمعاصرين؛ العرب منهم وغير العرب، وسنكتفي بأخذ نماذج عن كلِّ صنف؛ ففي الفكر الغربي يبرز اسم (شاييم بيرلمان و أولبريخت تيتكا) ولا سيّما بعد ظهور مؤلفهما المشترك والموسوم بـ(مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة) عام ١٩٥٨م حيث عرّفا الحجاج بأنه «موضوع يدرس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم، بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»[٣].

ويبرز أيضاً كل من (ديكرو وإنسكومبر) في كتابهما المشترك الموسوم بـ(الحجاج في اللغة) حيث أشارا إلى أن الحجاج متجذّر في اللغة ولا يمكن فصل اللغة عنه؛ لان النص الأدبي نص لغوي بالنتيجة، وخلصا إلى أن الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج[٤]؛ إذ إن «مجال البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث، هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة، وتوضيح شروط استعمالها»[٥].

أما عند العرب فقد برزت نظرية الحجاج على يد جملة من المعاصرين؛ ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الباحث المغربي الدكتور طه عبد الرحمن – الذي يعود إليه الفضل في وضع مصطلح التداوليات كمقابل للمصطلح الغربي (Pragmatique) – فقد انطلق من البعد الإقناعي في تعريفه للحجاج الذي يرى بأنه «فعالية تداولية جدلية؛ فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، وهو أيضاً جدلي؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية»[٦].

ومنهم أيضاً الدكتور أبو بكر العزاوي الذي يرى أن «الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية

(١) ينظر: البنية الحجاجية في كتاب اللؤلؤ والمرجان(اطروحة)، الطيب رزقي: ص١٣-١٤.
(٢) ينظر: كشاف اصطلاح الفنون، محمد علي التهانوي: ج١ ص٦٢٢.
(٣) الحجاج أطره ومنطلقاته، عبد الله صولة (بحث) منشور في كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم): ص ٢٩٩.
(٤) ينظر: أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي، د. مثنى كاظم صادق: ص ٢٢.
(٥) نظرية الحجاج في اللغة، شكري المبخوت (بحث) منشور في كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم): ص ٣٥١.
(٦) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن: ص ٦٥.

إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاح متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، أن كون وظيفية اللغة حجاجية يعني أن التسلسلات الخطابية محدودة لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضاً وأساساً بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها»[١].

وتأسيساً على ما سبق فإن الخطاب الحجاجي في كنهه إنَّما هو خطاب موجّه للتأثير على آراء وسلوكيات المخاطب أو المستمع، وذلك عبر اعتماده تقديم أي قول يصدر منه مدعماً صالحاً، أو مقبولاً كنتيجة بمختلف الوسائل؛ لاسيما وأن الحجاج في أصله فعلٌ إقناعي خطابي يقوم على الاعتقادات والوقائع، وأنه ذو كفاية نصّية وسياقية، يعمد إليه المتكلم بوصفه إحدى أهم الاستراتيجيات التي توظّف العوامل الذاتية والقدرات الخطابية؛ ليحقق النجاح والفعاليّة[٢].

ومن ثم فمن الطبيعي أن تكون أدواته الاجرائية، وقواعده التي يتأسس عليها أقرب إلى القصدية منها إلى الاعتباطية والعفوية في الاستخدام النصّي؛ لاسيما وأن ذلك يجعلها جديرة بأن تكون حاملةً لخصائصه التي تمثل البؤرة المركزية للنص الأدبي الحجاجي، ذلك لأن الحجاج «فعل استدلالي يأتي به المتكلم بغرض إفادة المستمع وإقناعه، خصوصاً في الأدوار الخطابية للمتكلم والمستمع الذي تدل عليه في الحجة أدوات لغوية خاصة»[٣].

• ثانيا: الخطبة الفدكيَّة

سيكون من المفيد قبل أن نتابع عرض التصوّر المعجمي للفظة (الخطاب)، أن ننطلق من القرآن الكريم؛ لاسيما وأن مصطلح الخطاب من المصطلحات التي نشأت في أحضان البيئة الأصولية من جهة، وأن المعجمات العربية لم تخرج في إيضاح دلالته عن المفهوم الديني الملتصق به من جهة أخرى؛ ففي حديثه عن قوله تعالى ﴿**وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[٤]، يفسرّ الزمخشري(٥٣٨هـ)

(١) اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي: ص١٦-١٧.

(٢) ينظر: البنية الحجاجية في القرآن الكريم، (بحث)منشور في مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية، الجزائر، ع/ ١٢، ١٩٩٧م، والنظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس: ص١٧٠.

(٣) الاستدلال في معاني الحروف، دراسة في اللغة والأصول، د. أحمد كروم: ص ١٨٩.

(٤) سورة ص: الآية ٢٠.

فصل الخطاب بقوله: إنه «البيّن من الكلام، الملخص، الذي يتبينه المخاطب به ولا يلتبس عليه»[١]، ولا يبتعد تفسير ابن عربي(٦٣٨هـ) عن تفسير الزمخشري وإن كان يحصر دلالته في الشريعة إذ يرى بأن فصل الخطاب «الفصاحة المبينة للأحكام، أي الحكمة النظرية والعملية والشريعة، وفصل الخطاب هو المفصول المبين من الكلام المتعلق بالأحكام»[٢].

أما في ما يخص دلالة الخطاب في المدونة المعجمية العربية فكما قلنا مسبقاً فإنها لم تخرج عن المفهوم الديني له، خصوصاً وأن المعجمات العربية تشير إلى دلالات ومعانٍ قريبة مما هو موجود في المدونة التفسيرية؛ فقد ورد في لسان العرب أن «الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان»[٣]، وورد في صحاح الجوهري(٣٩٣هـ) ما نصّه «وخطبت على المنبر خُطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً»[٤]، وهكذا فقد مثَّلت الدلالة القرآنية للفظة الخطاب رافداً مهماً تستقي منه المدونات المعجمية مختلف المعاني والاستعمالات.

أما في الاصطلاح فإن مصطلح الخطاب يُعرّف كما يذكر الكفوي(١٠٩٤هـ) في كلّياته بأنه «اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، احترز «باللفظ» عن الحركات، والإشارات المفهمة بالمواضعة، و«بالتواضع عليه» عن الألفاظ المهملة، وبالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطاباً، وبقوله «لمن هو متهيئ لفهمه» عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم»[٥].

و يرى التهانوي في «كشافه» أن الخطاب: «توجيه الكلام نحو الغيرِ للإفهام، ثمّ نُقل إلى الكلام الموجَّه نحو الغير للإفهام، وقد يعبّر عنه بما يقع به التخاطب، قال في الأحكام: الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه»[٦]، واضح جداً كيف تطور مفهوم الخطاب من الاستعمال المعجمي ليستوي مصطلحاً وموضوعاً خاصاً عند العلماء العرب القدماء.

أما في الدرس اللساني الحديث والمعاصر فإن «الخطاب» من الألفاظ والموضوعات التي شاعت في حقل الدراسات اللسانية، ولقيت اقبالاً واسعاً من قبل الدارسين والباحثين، لاسيما وأن مصطلح

(١) الكشاف، الزمخشري: ص٨١
(٢) تفسير القرآن الكريم، ابن عربي: ص٣٤٩.
(٣) لسان العرب، ابن منظور: مادة خطب.
(٤) الصحاح، الجوهري: مادة خ ط ب.
(٥) الكليات، الكفوي، القسم الثاني: ٢٨٦.
(٦) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ٥-٦.

الخطاب (كما بيّنا) ليس بالمصطلح الجديد، ولكنه كيان متجدد، ذا استعمالات عديدة يشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة التداولية، والسيميائية والاجتماعية، والنفسية... ولذا فقد حظي بتعريفات متعددة بتعدد التخصصات وزوايا الرؤيا؛ وهكذا فقد عرف هذا المصطلح اضطراباً واسعاً؛ «نظراً لارتباطه بتصورات مختلفة للغة، انعكست على تحديده؛ إذ هناك من يربطه بالنص، وهناك من يربطه بالملفوظ وهناك من يميزه عن اللغة التي تشكّل نظاماً لمجموعة من القيم المفترضة وهو بذلك استخدام للغة ضمن سياق خاص».[١]

ولعل أبسط تعريف للخطاب من وجهة نظر لسانية هو ما ذهب إليه اللساني الغربي (اميل بنيفيست) - الذي يعدّ من أبرز الذين أسسوا لمصطلح الخطاب بعد هاريس- من أن الخطاب هو كل تلفّظ يفترض متحدّثاً وسامعاً، على أن تكون للأول نيّة التأثير في الثاني ولو بشكلٍ من الأشكال؛ حيث يعرّف الخطاب بأنه «كل تلفظ يفترض متكلماً ومستمعاً، وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما».[٢]

وهذا ما نجده أيضاً في الرؤية التي تذهب إلى أن الخطاب وفقاً للمنهج التداولي يجري في إطار عملية تواصلية مشتركة بين المخاطِب والمخاطَب؛ فالمخاطِب يبحث عن أفضل وسيلة لإنشاد خطاب يؤثر على المخاطَب، كما أن المخاطَب يبحث على أفضل طريقة إلى مقاصد وأهدف المخاطِب[٣].

وتأسيساً على ذلك فإن الخطاب في بعده الشمولي يعد أهم ما يمكن من ضبط الاتصال بين المرسل والمتلقي عبر الوسيط اللساني، وما يضمنه الخطاب هو الكفيل بتحديد بنيته النوعية، وبرصد غايات عملية التواصل[٤].

أما فيما يتعلّق بـ(الخطاب الفاطمي، والخطبة الفدكية على وجه التحديد) فإن من المسلَّمات التي لا يحتاج فيها الباحث إلى مقدّمات تفسيرية، للبتِّ فيها هي أن الخطاب النسوي العَلَوي بصورة عامة، والفاطمي منه على وجه الدقة والتحديد يمثّل ذروة البلاغة العربية وقمة الفصاحة؛ فقد شكّل ولمَّا

(١) اشكالية مصطلح الخطاب في الدراسات النقدية، د. إبراهيم فضالة (بحث منشور) في مجلة الآداب واللغات، المجلد ٧، العدد ٢ لسنة ٢٠١٨: ص ١٩٥.

(٢) تحليل الخطاب الروائي «السرد، الزمن، التبئير» سعيد يقطين: ص ١٩.

(٣) ينظر: تداولية الخطاب في المسرح الجزائري(اطروحة)، مقدس نورة: ص٧٣.

(٤) ينظر: آليات تلقي الخطاب المسرحي عند سعد الله ونوس (اطروحة) بوزيد قاسم: ص١٣، وينظر: جدلية الحركة والسكون في الخطاب الشعري، سعودي النواري: ص٢٢.

يزل مرتكزاً فاعلاً وأساسيَّاً في تاريخ الأدب العربي؛ لما يحمله من صور بلاغيَّة متنوعّة ومضامين دينية وفكرية وسياسيَّة واجتماعية ثريَّة؛ يقول العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي: «إن من أشرف الخطب وأعلاها رتبة في البلاغة، وأسناها ذروة في الاشتمال على المعارف الإلهية؛ ما صدرت عن مشكاة النبوة ومغرس الإمامة، بضعة المصطفى، وحليلة المرتضى، وأم الأئمة النقباء سيدة النساء فاطمة الزهراء سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها»(١).

فضلاً عن ذلك فإن الخطاب الفاطمي؛ واسع ومفتوح إلى الحد الذي لا يمكن اختزاله في جهة معرفيَّة واحدة من الجهات في كثير من الأحيان، لاسيَّما وأنه ينتمي إلى الحقل الأدبي الفني المنتج للقراءات المتنوعة التي أفرزت تفاعلاً وجدلاً من الطراز الأمثل بين المرسل والمتلقي.

ومن الجدير بالذكر أن للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام خطبتين مشهورتين روتهما العامة والخاصة بطرق عديدة وأسانيد جمّة؛ «أما الخطبة الأولى فهي التي أنشأتها عليها السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وآله حين بلغها منع أبي بكر لها فدك، واخراجه وكلاءها منها واستيلاؤه عليها تغلّباً ومصادرة...فأوردت الخطبة في المسجد بمحضر من المهاجرين والأنصار، تحاج فيها أبا بكر وتقيم الحجة عليه في أمر فدك... وأما الخطبة الثانية فهي التي أصدرتها في بيتها حين جاءت نساء المهاجرين والأنصار لعيادتها في شكواها»(٢).

وأننا في هذا البحث نسلط على الضوء على الخطبة الأولى الموسومة بالخطبة الفدكيّة؛ للوقوف على طبيعة السلوكيات الحجاجيّة التي انتهجتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي تقدم خطاباً حجاجياً واعتراضاً من أجل دحض حجج الطرف الآخر الذي اتَّخذ من منطقة التأويل ميداناً لتمرير الكثير من الأغراض والغايات السياسية والفكرية والمجتمعية.

• ثالثاً: التداولية

لعله من المناسب جداً الاطلالة على مفهوم(التداولية) عبر مسارها المعجمي؛ لاسيما وأن لفظ (التداولية) يرجع في أصل اشتقاقه إلى مادة(دول) التي تدلُّ على التحوّل والتناقل؛ قال ابن فارس(٣٩٥هـ): «الدال والواو واللام أصلان: أحدهما يدل على تحوّل الشيء من مكان إلى مكان والآخر يدلّ على ضعفٍ واسترخاء فأما الأول فقال أهل اللغة: اندال القومُ، إذا تحوّلوا من مكان إلى

(١) الزهراء عليها السلام وخطبة فدك، شرح الخطبة الفدكية، العلامة المجلسي: ص٥.
(٢) المصدر نفسه: ص٥-٦.

مكان ومن هذا الباب تداول القومُ الشيءَ بينهم؛ إذا صار من بعضهم إلى بعضهم»[١]، على أن الذي يعنينا هو الدلالة الأولى؛ أي تحوّل شيءٍ من مكان إلى آخر، وهذا ما لمحه الخليل بن أحمد قبل ابن فارس(٣٩٥هـ) حين قال: «دول: الدُولةُ والدَّولة ومنه الإدالة... إن الأرض سَتُدال منا كما أدلنا منها، أي نكون في بطنها كما كنَّا على ظهرها»[٢].

وقد وردت هذه المادة في (أساس البلاغة) بمعنى التناقل؛ إذ يقول الزمخشري: «والله يداول الأيام بين الناس، مرةً لهم ومرة عليهم... والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، وتقول دواليك أي دالت لك الدولة كرة بعد كرة»[٣].

واعتماداً على ما سبق فإن دلالة التحوّل والانتقال التي تقتضي وجود أكثر من حال ينتقل بينهما الشيء يمكن انطباقها على حال اللغة بوصفها متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، وكونها متنقلةً بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مفهوم (التداولية) أكثر لصوقاً وثبوتاً بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى من مثل (الذرائعية، النفعية، والسياقية)[٤].

أما في الاصطلاح فقد تعددت تعريفات التداولية وتنوعت بحسب الحقل الذي انحدرت منه، على أن جميعها تصب في مجال دراسة اللغة في أثناء الاستعمال، وأن أول تعريف (التداولية) يرجع إلى الفيلسوف (تشارلز موريس) إذ قدّم لها تعريفاً في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات وهو «إن التداولية ميدان من السيميائية يتناول العلاقة بين العلامات ومستعمليها»[٥].

وترى «فرنسواز أرمينكو» أن الشروط القبلية هي جوهر التداولية فتحدّها بالقول أن التداولية «هي دراسة الشروط القبلية التواصلية كما هي فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية بل بشروط تواصلية عامة»[٦].

وهكذا ومن خلال استقراء التعريفات التي يقدّمها اللسانيون الغربيون؛ فإن التداولية تُعنى بدراسة اللغة في أثناء عملية التخاطب، وهذا ما نجده في تعريف (آن ماري دبير وفرانسوا ريكانتاي)؛

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (مادة دول): ج٢ ص٣١٤.
(٢) العين: ج٨ ص٧٠.
(٣) أساس البلاغة، الزمخشري: ج١ ص٣٠٣.
(٤) ينظر: في اللسانيات التداولية (مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم)، خليفة بو جادي: ص١٤٨.
(٥) تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير: ص٢، وينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان، فليب بلا نشيه: ص٤٥.
(٦) المقاربة التداولية، فرانسوارز أرمنكو: ص٨٤.

فالتداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب، ومعاينة القدرة الخطابية بين أركان عملية الخطاب؛ المتكلم والمتلقي، والخطاب[١].

ومن العرب نجد «مسعود صحراوي» الذي يقدّم تعريفاً إجرائياً للتداولية؛ إذ يربطها بالتواصل على نحو يجعلهما شديدي الالتصاق إذ يعرفها «بأنها إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرّف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير (التداولية) من ثم جديرة بأن تُسمَّى (علم الاستعمال اللغوي)»[٢].

ويرى الدكتور صلاح فضل (رحمه الله) أن التداولية تُعنى بالشروط والقواعد اللازمة الملائمة بين أفعال القلوب ومقتضيات المواقف الخاصة به؛ أي العلاقة بين النص والسياق[٣].

وهكذا تتعدد وتتشعب التعريفات إلَّا أنها ترجع جميعاً إلى تعريف موريس في تأسيسه لعلم العلامات السابق الذكر؛ لاسيما وأن التداولية تسعى إلى دراسة الاستعمال اللغوي في الاتصال اللساني على وفق معطيات سياقية، واجتماعية معينة وهي تبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى الكلام وعلى هذا إن مفهوم التداولية يتعدى حدود البنية اللغوية؛ لتبحث في الأقوال، والعلاقة بين المتخاطبين بما في ذلك معرفة المقام الذي قيل فيه الكلام، ومحاولة إعطاء تفسيرات دقيقة حول كيفية إنتاج القول وتفسير مقاصده وغاياته[٤].

(١) ينظر: المقاربة التداولية: ص٨.

(٢) التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية: ص١٦-١٧.

(٣) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل: ص٢٤- ٢٥.

(٤) ينظر: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية: ص١٥.

المبحث الثاني: أنواع الحجاج في الخطبة الفدكيَّة مقاربة تداولية

توطئة

لَمَّا كان الحجاج التداولي هو فعالية استدلالية خطابية يكون مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها إقناع غيرك بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعترَض عليه استناداً إلى مواضعات البحث عن الحقيقة الفلسفية[1]؛ فإن الفكرة في الخطاب الحجاجي عادة ما ترتبط بالعمل؛ فيسهم في إنشائها المتكلم والمستمع، وذلك في موقف متفاهم ومتعاون بين الطرفين المتحاورين كما يقول (دوجلس Douglas): «لو دخلتُ أنا وأنت في حوار إقناع؛ فإن من واجبي محاولة إقناعك برأيي انطلاقاً من مقدمات أنت تسلّم بها أو تقبلها، وواجبك محاولة إقناعي برأيك انطلاقاً من مقدمات أسلّم بها أو أقبلها»[2] لاسيما وأن ماهية الخطاب ليست مجرد إقامة علاقة تخاطبية بين جانبين فأكثر؛ لأن هذه العلاقة على قدرها وفائدتها قد توجد حيث لا يوجد طلب إقناع غيرك بما دار عليه الخطاب؛ فقد يحصل أحد الجانبين القصدين المطلوبين في قيام هذه العلاقة وهما: قصد التوجّه إلى الآخر وقصد إفهامه مراداً مخصوصاً، من غير أن يسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد، ولا أن يزيد في يقين أو ينقص من شكٍّ، وإنما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدين التخاطبيين المذكورين قصدين؛ هما: (قصد الادعاء) و(قصد الاعتراض)، ومعنى هذا أن الذي يحدد ماهية الخطاب إنما هو (العلاقة الاستدلالية) وليست العلاقة التخاطبية وحدها؛ فلا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطِب من غير أن تكون له وظيفة (المدعي) ولا مخاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترض[3].

ولأن الحجاج عبارة عن «ملفوظات واقتراحات متسلسلة بشكل منطقي، وواضح لابد من تجريدها، والبحث عن مظاهرها الحجاجية واستجلاء طريقة بنائها وانتظامها داخل مسار حجاجي معين، وداخل سياق استدلالي محدد، والغرض من هكذا كله هو معرفة كيفيّة اشتغال مؤسسة الحجاج

(١) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ص٦٦.
(٢) البلاغة والاتصال: جميل عبد المجيد: ص١١٢.
(٣) ينظر: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ص٢٢٥-٢٢٩.

ضمن سياق تواصلي معين من المجرد إلى المحسوس»[1]، وانطلاقاً من مسلمة أن الحجاج شديد الصلة بالخطاب والجدل والحوار من جهة، وأننا بصدد الحديث عن الأنواع الحجاجية وبنيتها في الخطاب الفاطمي بصورة عامة، والخطبة الفدكيَّة منه على وجه التحديد من جهة أخرى؛ فقد اعتمدنا التصنيف التداولي للحجاج الذي يذكره الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه «اللسان والميزان أو التكوثر العقلي» والحديث هنا (الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي)؛ وذلك باعتبار استحضار حجاج المرسل إليه من عدمه، سواء الحجاج السابق أو المتوقع؛ فقد يكتفي المرسِل بإنتاج خطابه دون تفكير فيما لدى المرسَل إليه من حجج قد يواجهه بها، أو بأن يضع تلك الحجج المفترضة أو المتوقعة في حسبانه فتصبح أساساً يبني عليه خطابه[2]، ذلك لأن «العلاقة الاستدلالية سبب في تكوثر الخطاب، وأن هذا التكوثر. يتمثل في كون المستدل قد يتوسل... بالحجة الموجهة أو بالحجة المقومة»[3].

فضلاً عن ذلك فإن مسالك هذا التصنيف التداولي للحجاج واضحة المعالم، وأنها تسهم مساهمة فعّالة في قضية استنطاق الشواهد المختارة من خلالها بعيداً عن مسألة لَي عنق النصوص وإجبارها على أن تفصح عن معنىً خلاف المبنى أو لنقل قريب من القصد ولكن من المؤكد أنه ليس ذات القصد ولعله الأهم في المقاربة التداولية للنصوص؛ فالخطاب / أي خطاب/ «يبقى بنية كبرى تظهر فيها المستويات اللغوية المختلفة وتنعكس فيها المؤشرات السياقية؛ مقامية كانت أو ثقافية أو اجتماعية»[4] طالما كان بعيداً عن الأحكام والإسقاطات المسبقة.

ولعل الأهم من ذلك والذي نروم تأكيده في خاتمة هذا المدخل والإشارة إليه بقوة هو أن الانزياح عن فكرة الأصل في تقسيم الحجاج تداولياً، واختراق تفرعاتها شبه الثابتة قد يحقق لهذه الدراسة ما يجعلها تنماز عن غيرها؛ ولذا فقد عملنا في هذا المبحث على إضافة نوع حجاجي ثالث والحديث هنا عمّا يسمّى «بالاستدراج» اعتماداً منّا على أن «المرسل قد يواكب آلية الحجاج باستراتيجيات أخرى الهدف منها التوصّل إلى الإقناع؛ كأن يلجأ إلى ما يسمّيه البلاغيون بالاستدراج»[5]؛ لاسيّما وأن التأصيل والإضافة فيما لو تحقق بشكل فعّال في هذه الدراسة وعبر مسارات هذا النوع؛ فإنها ستشكّل في النهاية سمة مائزة لحيثيات هذه الدراسة؛ ورافداً تداولياً لا يقلّ أهمية عن سابقيه من الأنواع الحجاجية على أن

(١) نحو مقاربة نقدية أدبية جديدة (المقاربة التساؤلية)، د. جميل حمداوي: ص١٠٠-١٠١.
(٢) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي الشهيري: ص٤٧٠.
(٣) اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمن: ص٢٢٩.
(٤) الحصيلة اللغوية في ضوء المقاربة النصية، السنة الثالثة ثانوي أنموذجاً: ص١٣.
(٥) استراتيجيات الخطاب، دراسة لغوية تداولية: ص٤٧٥.

الغاية الرئيسة من ذلك كله كما بيّنا مسبقاً هي محاولة الوصول إلى ذات النص وروحه لكي نستجلب منه المقصدية المطلوبة، وفيما يلي تفاصيل ومصاديق كل نوع منها:

المحور الأول: الحجاج التوجيهي

في محاولة منه لبيان مفهوم الحجاج التوجيهي يرى الدكتور طه عبد الرحمن في كتابه الموسوم بـ«اللسان والميزان أو التكوثر العقلي» أن المقصود بالحجاج التوجيهي هو «إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، علماً بأن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجّته إلى غيره؛ فقد ينشغل المستدل بأقواله من حيث إلقاؤه لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصة، غير أن قَصْرَ اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتية يفضي به إلى تناسي الجانب العلاقي من الاستدلال؛ هذا الجانب الذي يصله بالمخاطب ويجعل هذا الأخير متمتعاً بحق الاعتراض»[1].

ومعنى ذلك أن المرسِل ينشغل بأقواله وخطابه، ولا يبالي برد فعل المتلقي؛ حيث يكتفي المرسل بقصده فقط في تكوين حججه وتنظيم أقواله؛ فلا يجرد من ذاته ذاتاً تمثّل المرسل إليه، في محاولة لتوقع اعتراضاته واستباق حججه؛ ليدحضها ويصل إلى إقناعه، حتى ليبدو لنا أن المرسل في عمله هذا لا يقيم وزناً كبيراً للمرسَل إليه، كما لا يهمه مقدار إسهامه في إثراء الخطاب وتوفير الوقت، لا سيما وأنه يتناسى الجانب الذي يصله بالمرسل إليه وهو التمتع بحق الاعتراض.

ومثال ذلك ما نجده في خطاب السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في أثناء حديثها مع الأنصار وبيان ظهور النفاق والشقاق من المنافقين؛ ممن أضمر العداوة للرسول صلى الله عليه وآله قبل وفاته، وانتهز الفرصة بعد وفاته.

فقد جاء في الخطبة الفدكية ما نصّه «**ثم رمتْ بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معاشرَ الفتية، وأعضادَ الملة وأنصارَ الإسلام ما هذه الغميزة في حقي؟ والسنة عن ظلامتي أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: (المرء يُحفظ في ولده)؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال وخشعت الجبال،**

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن: ص٢٢٧.

وأُضيع الحريم وأزيلت الحرمة عند مماته فتلك والله النازلة الكبرى والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة أعلن بها كتاب الله ـ جل ثناؤه ـ في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم هتافاً وصراخاً وتلاوة وإلحاناً، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1]»[2].

لعل أول ما يثير انتباهنا في هذا الخطاب الفاطمي هو ذلك المدخل الاستفهامي الذي انطلق منه المرسل (السيدة الزهراء عليها السلام؛ المدخل الذي لا يُنتظر من خلال طرحه إجابة من قبل المرسل إليه، بقدر ما يُتيح للمرسل جمع الذخيرة المعلوماتية (الثقافية منها والفكرية) وعلاقتها بالإنسان وبكل أبعادها الحجاجية والإقناعية؛ لأن الحجاج قد يكون «من خلال استعمال الاسئلة التي تنتمي إلى الاستفهام التقريري، حسب ما يقتضيه الاستلزام الحواري، فالأسئلة أشدّ إقناعاً للمرسل إليه، وأقوى حجة عليه، وذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر»[3]، كما في هذا الحوار الحجاجي الذي تنطلق فيه الصديقة الزهراء عليها السلام وبوصفها مرسلاً في تقديم عدد من الحجج الاستفهاميَّة التقريرية التي تحاول عن طريقها التأثير في الحاضرين واقناعهم بحجتها؛ وفي مقدمة تلك الحجج السؤال الذي صاغت عن طريقه المثل «سرعان ذا إهالة» في قولها: «**أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبي يقول: «المرء يُحفظ في ولده»؟ سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة**» على التهكم والتسمية على الضد.

وغرض الصدِّيقة الطاهرة عليها السلام في ذلك التعجّب من تعجيل المسلمين، ومبادرتهم إلى إحداث البدع، وترك السنن والأحكام، والتخاذل عن نصرة عترة سيّد الأنام محمد (عليه وعلى آله أفضل السلام وأتمّ التسليم) مع قرب عهدهم به وعدم نسيانهم ما أوصاهم به، وقدرتهم على نصرتها وأخذ حقها ممن ظلمها[4].

فضلاً عن ذلك فإن الصدِّيقة لما أخذت في بيان ما أرادت من تقريعهم وتوبيخهم عن طريق الاحتجاج بالآية الكريمة ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ**

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.
(٢) الزهراء عليها السلام وخطبة فدك، الشيخ محمد باقر المجلسي: ج١٠٣ ص١١٠.
(٣) استراتيجيات الخطاب: ص٤٨٤.
(٤) ينظر: الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: ١٠٦-١٠٧.

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] وأنها أشارت من طريق تلاوتها إلى أن مثل هذه الأمور قد صدرت قبل ذلك، وأعلن القرآن بها، فلم يكن يتوقع منهم صدور تلك الزلة مرة أخرى بعد تلك التذكرات والإنذارات هو في حد ذاته فعلٌ حجاجي؛ إذ «إن القيام بانتقاء عناصر معينة وتقديمها للمستمع (Auditoire) ينطوي مسبقاً على أهميتها وملاءمتها للنقاش، وبالفعل يمنح هذا الاختيار لهذه العناصر حضوراً يعتبر عاملاً جوهرياً في الحجاج»[2]، والأهم من ذلك فإن «اختيار عناصر معينة نحتفظ بها ونقدمها في خطاب ما يجعلها تحتل موقع الصدارة في وعينا، وبذلك فهو يعطيها حضوراً يمنع من إهمالها»[3].

وتساوقاً مع ذلك فإن المرسل هنا / الصديقة الطاهرة عليها السلام استطاعت أن تقدّم خطابها دون أن يقاطعها أحدٌ؛ لا سيّما وأنها قد حاولت في خطابها أن تحتج لفكرتها عن طريق التمثيل لها بصورة حسّية تعمل على إيصال الفكرة وتقريبها للمخاطبين اعتماداً منها على ما يسمّى بقياس التمثيل أي «إلحاق أحد الشيئين بالآخر، وذلك بأن يقيس المستدل الأمر الذي يدّعيه على أمر معروف عند من يخاطبه، أو على أمر بديهي لا تنكره العقول ويبيّن الجهة الجامعة بينهما»[4]، اعتماداً منها على قطعية الحجج وسلطة مقبوليتها عند الآخرين وبوصفها أمراً بديهياً.

وهكذا فإن الايقاع بالخصم في هذا الخطاب الفاطمي واضح جداً؛ إذ يعوّل المتكلم في هكذا خطابات على التعجيز الذي تفيده تلك الاستفهامات؛ ليحمل المتلقي على الإذعان لما يريد قوله وتوضيحه؛ «ففي غياب الجواب يضطلع السؤال بوظيفة الافحام»[5].

وتقنية الحجاج التوجيهي واضحة أيضاً في ما قالته السيدة الزهراء عليها السلام، وهي تخاطب المسلمين بصورة عامّة، وأبا بكر على وجه التحديد حين قالت: «**أيها المسلمون أُغلب علـى إرثيهْ يا ابن أبـي قحافة أفي كـتاب الله أن ترث أبـاك، ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئاً فرياً، أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾**[6]**، وقال فيما اقتص من**

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج تحليل بلاغي للمبحث الثالث من كتاب الدكتور محمد العمري دائرة الحوار ومزالق العنف: د. الحسين بنو هاشم (بحث) منشور في مجلة عالم الفكر، العدد٢، المجلد ٤٠ اكتوبر- ديسمبر ٢٠١١: ص٤٨.

(٣) المصدر السابق: ص٤٨

(٤) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن: ص٢٢٧.

(٥) الحجاج في الشعر العربي: ص ١٣٦.

(٦) سورة النمل: الآية ١٦.

خبر يحيى بن زكريا عليه السلام إذ قال رب ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[1]، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾[2]، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾[3]، وزعمتم ألا حظوة لي، ولا إرث من أبي لا رحم بيننا! أفخصّكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون أهل ملتين لا يتوارثان، أولست أنا وأبي من ملة واحدة؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي؟ فدونكها مخطومة مرحولة. تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد والموعد القيامة، وعند الساعة ما تخسرون ولا ينفعكم إذ تندمون، ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ﴾[4] و ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾»[5].

تحشّد السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في هذا الخطاب أبعاداً دينية، وفكرية واقتصاديَّة واجتماعيَّة، تشتغل مجتمعة في فضاءات حجاجية واضحة للكشف والإدانة وتعرية الفكرة، التي يحاول المرسل إليه أبو بكر بكل طاقته تزينها للمسلمين بطريقة تقوّض الحقيقة لا لشيء سوى أنه يحاول أن يقدّم لهم إحساساً بالبدعة التي جاء مدافعاً عنها أي «**أن الأنبياء لا يورثون**»؛ ولذا فإن الصدّيقة الزهراء عليها السلام وفي هذا المتن تحديداً لم يكن همّهُا اثبات حقّها في فدك من طريق انشغالها بالاحتجاج بالآيات القرآنيّة التي تصرّح بـ«وراثة أبناء الأنبياء للمال وما يدخل في حكمه» بقدر ما كان مشروعها إقامة حدٍّ فاصل بين «الدين» و«استغلال السلطة» على أن ذلك لا يخرجها من الجانب الحجاجي والإقناعي الذي أرادت إقحام (أبي بكر) والحاضرين فيه؛ لاسيما وهي تنطلق من حجة قائمة على بنية منطقية واضحة، أي (حجة التناقض وعدم الاّتفاق) التي يسعى من خلالها المرسل إلى إقناع الجميع ببيان قوله وفعله من جهة، ودفع اطروحة الخصم (المرسل إليه) وكشف تناقضاتها من جهة أخرى.

ولعل الواقف وراء ذلك كله هو أن هذا الصنف من الحجج عادة ما تتصل به حجة أخرى طريفة هي ما يعبّر عنها بقلب البرهان على صاحبه وتنصُّ على اعتماده على حجة الخصم وإثبات أنها في حقيقة الأمر تناقض ما يذهب إليه أي تقف ضده[6] على نحو ما يظهر لنا في هذا النص؛ إذ إن احتجاج الخصم

(١) سورة مريم: الآية ٥، ٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(٤) سورة الانعام: الآية ٦٧.

(٥) الآية ٣٩ من سورة هود، الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: ١٠١-١٠٣.

(٦) ينظر: الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي: ١٩٦-١٩٨.

بحديث مكذوب عن لسان النبي صلى الله عليه وآله أي «**نحن معاشر الأنبياء لا نورّث**»[1] يتنافى مع صريح القرآن الكريم في هذه المسألة والذي دلّلت عليه الآيات المحتج بها وفي مقدّمتها قوله تعالى: ﴿**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ**﴾[2]، لاسيّما وأن «لفظ الميراث في اللغة والشريعة والعرف إذا أطلق ولم يقيّد؛ لا يُفهم منه إلَّا الأموال وما في معناها، ولا يستعمل في غيرها إلَّا مجازاً».[3]

ونخلص من كل هذا إلى أن السيدة الزهراء عليها السلام وعن طريق علاقتها بالخطاب وبنائه أكثر من علاقتها بالمرسل إليه واعتراضاته؛ استطاعت (وهي سليلة البلاغة القادرة على ذلك) أن توظف الآليات الحجاجية التوجيهية في خطابها توظيفاً دقيقاً؛ إذ إنها جعلتها أحدّ المعايير الحوارية من جانب، وأحد الأسس ذات التأثير الإقناعي من جانب آخر.

المحور الثاني: الحجاج التقويمي

إن المتكلم في العملية التخاطبية – وكما يرى الكثير من اللسانيين– ليس ذاتاً ناقلة فحسب؛ بل هو ذات فوقها ذوات تجمع بين ما هو صريح وما هو ضمني، ولذلك فهو عندما يحاول أن يفكّر، أن يتحدّث، أن يقولَ شيئاً ما، أن يكتبَ... هذا يعني أنه يطرح سؤالاً، وليس التواصل إلَّا شكلاً من هذه الأشكال، يتحقق عن طريق اللغة وبواسطتها لكنه يفترض غيره ويفترض اختلافاً إشكالياً معه، إن التواصل هو غير الحيوي والمنساب في الفكر والمندمج فيه إلى درجة أن غيره يتشكل داخل الذهن ولا يفارقه[4]؛ يقول ميشيل مايير: «إن القدرة على الحجاج الجيّد، أي القدرة على الإقناع، تقتضي المعرفة بما يمكن أن يحرّك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب، أي معرفة ما يحركها»[5].

وبلحاظ ذلك فمن البديهي جداً أن يبني المرسِل – العارف بخفايا وخبايا المرسَل إليه– خطابه وحججه بناءً على اعتراضات أو تعليقات متخيّلة فيقوم بدحضها قبل أن يتلفّظ بها المرسل إليه؛ و قد

(١) يقول العلامة المظفَّر الشيخ محمد حسن رحمه الله بعد اثبات تفرّد أبي بكر في نقل الخبر «فإذا عرفت أن أبا بكر متفرّد بهذه الرواية عرفت أنه لا يصح التعويل عليها؛ إذ لا يمكن أن يخفي نبي الرحمة والهدى هذا الحكم عمّن هو محل الابتلاء به وهم ورثته، ويعرف به أجنبياً واحداً حتى يصير سبباً للفتنة والخلاف بين ابنته الطاهرة ومن يلي أمر الأمة إلى أن ماتت غضبى عليه» دلائل الصدق: ٣/ ٥٩ ٦٠.

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

(٣) الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: ١٧٩ ١٨٠..

(٤) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢١٦، عندما نتواصل نغيّر، مقاربات تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير: ٤٥، ١٩٧.

(٥) مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان(بحث) د. محمد الولي: ٣٠

يكون خطاب المرسل حجاجاً على خطاب (متوقّع) من مرسل إليه (متخيّل) يفترض المرسِل وجوده تحسباً لأي اعتراضات قد يواجه بها خطابه، انطلاقاً من معرفته به وبعناصر السياق، ومن ذلك حججه المفترضة؛ إذ يراعي المرسِل في خطابه الحجاجي أمرين هما؛ الهدف الذي يريد تحقيقه، وهو الإقناع، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المرسل إليه والتي يضعها في الحسبان في أثناء بناء خطابه، ويمحصها عند استحضار حججه؛ فيفندها ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المرسل إليه، فلا يتمسك بها إلَّا إذا أدرك أنها تؤول بخطابه إلى القبول والتسليم وهذا ما يسمى بالحجاج التقويمي[1].

والمقصود بالحجاج التقويمي كما ينصُّ على ذلك الدكتور طه عبد الرحمن حين عرّفه قائلاً: «هو إثبات الدعوى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرّد من نفسه ذاتاً ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه؛ فها هنا لا يكتفي المستدل بالنظر في فعل إلقاء الحجة إلى المخاطب، واقفاً عند حدود ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدى ذلك إلى النظر في فعل التلقي باعتباره هو نفسه أول متلقٍ لما يلقي، فيبني أدلته أيضاً على مقتضى ما يتعيّن على المستدل له أن يقوم به، مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضراً مختلف الأجوبة عليها ومستكشفاً إمكانات تقلبها واقتناع المخاطب بها، وهكذا فإن المستدل يتعاطى لتقويم دليله بإقامة حوار حقيقي بينه وبين نفسه، مراعياً في كل مستلزماته التخاطبية من قيود تواصلية وحدود تعامليّة، حتى كأنه عين المستدل له في الاعتراض على نفسه».[2]

ويتجسد هذا النوع في الخطاب الفاطمي (محور البحث) في بعض المقاطع التي تستثمر فيها الصديقة الطاهرة وبوصفها مرسلاً ألفاظاً مثل (وزعمتم... أم هل تقولون...أفخصّكم.... أم أنتم أعلم..) أي الاستعانة بالسؤال الافتراضي وبوصفه آلية حجاجية، ولاشكَّ أن ما يدعم الطاقة الإقناعية والتأثيرية في هذه الآلية الحجاجية هي أنها قائمة على عنصر الافتراض؛ «افتراض السؤال المنطوق، وجوابه المفهوم» أي افتراض ما يدخل في مركزية الحجاج ومنطقته التي يتأسس فيها؛ لاسيما وأن كلّ الأقوال في العمليات التّخاطبيّة تقوم على «مبدأ الافتراض المؤسّس على الجواب والسّؤال المفترضين انطلاقا من مجموعة من المقوّمات التّي تحكم العمليّات التّواصليّة، كالسّياق والمعلومات الموسوعيّة والتّجربة الذّاتية والقدرات الفكريّة والتّأويليّة والتّخييليّة، إذ يصبح كلّ قول (خبر، إنشاء سؤال، تعجبا، أمرا، نهيّا) افتراضا لشيء ما داخل سياق تخاطبي معيّن أي جوابا عن سؤال سابق وسؤال لجواب لاحق، بهذا يعبّر الافتراض عن انتظارات متعدّدة ومختلفة تقتضيها العلاقات الإنسانيّة

(١) وينظر: استراتيجيات الخطاب، دراسة لغوية تداولية: ص٤٧٣.

(٢) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص ٢٢٨.

لتحقيق أهدافها ومراميها».[1]

وغير ذلك من الأساليب والألفاظ التي يتأسس عليها الخطاب الحجاجي والتي تدل على أن المرسل يستبق اعتراضات المرسل إليه المتخيّل، ثم يدحضها بحجج في الخطاب نفسه؛ على نحو ما نجده في قول السيدة الزهراء عليها السلام:

«وزعمتم ألا حظوة لي، ولا إرث من أبي لا رحم بيننا، أ فخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم هل تقولون أهل ملَّتين لا يتوارثان، ولستُ أنا وأبي من أهل ملّة واحدة؟ أم أنتم أعلمُ بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمّي؟ فدونكها مخطومة مرحولة»[2].

يلاحظ في هذا الخطاب أنه حافلٌ بالحجاج التقويمي، حيث نرى من خلاله كيف أن المرسِل (السيدة الزهراء عليها السلام) ينادي الموضوعات والافتراضات التي يستحضر من خلالها ذواتاً يصوّر للمتلقي اعتراضها على ما يقدّم من خطاب، على أن نزوع المرسل إلى هذا الاسلوب الافتراضي والاستدعاء الحجاجي للذات المفترضة إنما كان لكي يقدمه للمتلقي على أنه الدليل والحجة الأقوى التي تدعم الهدف والنتيجة المتوخاة؛ فالمرء يحمل - وبسبب طبيعته التكوينية- نزوعاً واضحاً للاستعانة بكل ما يحمل من طاقة حجاجية إقناعية عليا.

فالصديقة الطاهرة وبوصفها مرسلاً تورد في خطابها مجموعة من الحجج والأدلة التي تدعم فلسفة النظام الاجتماعي والاقتصادي الذي جاء به الرسول الكريم(عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم) والقائم على مجموعة من الأسس والمقولات التي في مقدمتها المقولة لتي تنصُّ على: «وراثة أبناء الأنبياء للمال وما يدخل في حكمه»، وعن طريق ما تورده فإن الصديقه تحاول النفاذ إلى مجموعة من الاعتراضات والأقوال المفترضة والمتخيّلة، والعمل على دحضها بحجج تسندها في تكوين خطابها الحجاجي، الذي يؤمّن لها عمليتي «الإقناع والتأثير» في المرسل إليه- الخليفة الأول- ذاك الذي يؤمن بمقولة: (ألَّا أرث لورثة الأنبياء).

وهذا ما يظهر لنا أيضا في قولها عليها السلام: «**وأنتم تزعمون ألا إرث لنا، ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[3]؛ أفلا تعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية، أني**

(١) عندما نتواصل نغيّر، مقاربات تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج: ص١٩٦.

(٢) الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: ص١٠٢-١٠٣.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٠.

ابنته»[1].

والأهـم من هذا كله أن بنية الحجاج هنا على أقل تقدير تفترض ومن دون شك؛ أن يكون جمهور المتلقين (في المسجد) على وعي تامّ بما يقدَّم من خطاب، وما يتضمَّنه من اعتراضات افتراضية متخيّلة، تعمل على تسيير الخطاب نحو الهدف المنشود؛ ولاسيّما وأن الخطاب الحجاجي هنا ناتجٌ عن تواصل تفاعلي بين المرسِل(السيدة الزهراء عليها السلام)، والمرسَل إليه (الخليفة الأول) من جهة، وبين السيدة الزهراء والمتلقين (جمهور الأنصار والمهاجرين) من جهة أخرى؛ ولتحقيق هذا السياق الفعلي للتواصل يفترض المرسِل -كما بيّنا- مخاطباً معترضاً تتم عبره عمليتي التواصل والتحاجج، وتنبثق من ثمَّ عوامل التفاعل بين المرسل والمتلقين ككل.

فإننا فيما لو أمعنا النظر في هذا الخطاب أي(وأنتم تزعمون...)، والخطاب المتقدّم (وزعمتم ألا حظوة لي...)؛ أدركنا أن المخاطب الذي يحتويه المتكلم فعلياً، أو المشار إليه لغوياً يؤدي وظيفتين؛ إحداهما حجاجية والأخرى حوارية، وأولهما منبثقة من الثانية؛ فانطلاقاً من الأجوبة المتخيّلة، التي يفترض أن تكون مطروحة في المقام؛ يكون مسار الكلام وطبيعة مكوناته البلاغية واللغوية، ويظهر ذلك بصفة جليّة في الخطاب الشفوي ـ البلاغي منه ـ فعامل الحضور العيّاني فيه يُعدُّ مصدرَ إلهام الصور، وأساس التفاعل مع المقام، ذلك التفاعل الذي يعمل على تشكيل الحوار الذي ينبغي أن تسفر عنه لوازم أفعال الكلام[2].

ومما هو جدير بالذكر ها هنا أن مما يساعد المرسِل في اختيار حججه وفي دقة وحُسن توظيفها هو خلفيّته المعرفية ومعرفته بالسياق وعناصره، فقد لا يتمكن من ذلك عند غياب هذه المعرفة؛ إذ تقصر همّته دون حجاجه، ويغيب عنه ما لو بدا له لعذر نفسه؛ لا سيما وأن الهدف هاهنا هو إقناع المتلقين وعدم اعتراضهم على أقواله وما يؤمن به[3]، فكيف ونحن نتحدث عن خطاب صادر عن سليلة البيت النبوي وجزء لا يتجزأ من البلاغة العلوية.

المحور الثالث: الاستدراج بوصفه حجاجاً تداولياً

ولأن الحجاج كما يرى بريتون (Breton) ينتمي إلى عائلة الأفعال الإنسانية التي هدفها الإقناع،

(١) الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: ص١٠٠-١٠١.

(٢) ينظر: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم محمد الأمين: ٧٠.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ٤٧٥.

ومن خصوصياتها التسلح ببرهنة عقلية حجاجية ضمن سياق تواصلي ما[١]، ولأن المحاجج بالنسبة لغرايس(Grize) يحوّل غيره إلى موضوع للتطويع والتحفيز عبر تبادل الآراء إقناعاً وتأثيراً، من خلال تعديل آرائه ومواقفه ووجهات، أو تثبيت بعض آرائه، أو تعميم الأخرى أو اقتراح أشياء أخرى؛ فقد يواكب المرسِل آليّة الحجاج باستراتيجيات أخرى الهدف منها التوصل إلى الإقناع كأن يلجأ إلى ما يسمّى بالاستدراج، ومصطلح (الاستدراج) من أكثر المصطلحات عمومية وشمولاً، لا سيما وأن الكثير من العلماء وفي المجالات اللسانية والمعرفية المتعددة قد استعملوه مرادفا لمصطلحات أخرى أو قريباً منها؛ كالتعريض والحجاج، والمذهب الكلامي[٢].

والذي يعنينا ها هنا (الاستدراج) الذي يُعرّف بأنه «التوصّل إلى حصول الغرض من المخاطب والملاطفة له في بلوغ المعنى المقصود من حيث لا يشعر به»[٣]، ويقال: «استدرج فلانٌ فلاناً إذا توصل إلى حصول مقصودة من غير أن يشعره من أول وهلة»[٤]؛ ولذلك صار هذا اللقب(الاستدراج) إنما يطلق على بعض أساليب الكلام، وهو ما يكون موضوعاً لتقريب المخاطب والتلطف به واستدراجه للإذعان إلى المقصود منه ومساعدته له بالقول الرقيق والعبارة الرشيقة، كما يحتال على خصمه عند الجدال والمناظرة بأنواع الإلزاميات، والانتماء إليه بفنون الافحامات؛ ليكون مسرعا إلى قبول المسألة والعمل عليها، وكمن يتلطف في اقتناص الصيد فإنه يعمل في الحبالة كل حيلة ليكون ذلك سبيلاً إلى ما يقصده من الاصطياد، فهكذا ما نحن فيه، إذا أراد تحصيل مقصد من المقاصد فإنه يحتال بإيراد ألطف القول وأحسنه، فما هذا حاله من الكلام يقال له: الاستدراج، ولاسيما وأنه استفعال من قولهم: استدرجته إلى كذا إذا نزلته درجة درجة حتى تستدعيه إليك وينقاد لما قلته من ذلك، قال الله تعالى: ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٥].

ولذا فإن أول ما ينبغي أن نشير إليه في هذا السياق هو أن وظيفة (الاستدراج) هنا تتمثل في تحقيق المتواليات الخطابية التي ينبني أحداهما على الآخر، لاسيما وأن الترابط الحجاجي بين المتواليات إنما يتم وفقاً للأسس التي يقدّمها (الاستدراج)، وليس استناداً إلى طبيعة الوقائع الخارجية؛ وذلك «بأن

(١) نظريات الحجاج، د. جميل حمداوي ٤٤.

(٢) ينظر: مصطلح الاستدراج، المفهوم والأثر دراسة بلاغية تأصيلًا وتطبيقاً، د. محمد بن عبد الرحمن، (بحث) منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، ع / ٣٥ لسنة ٢٠١٥: ص٨٢٣.

(٣) المثل السائر، ابن الأثير: ص٢٣٥.

(٤) ينظر: البلاغة العربية في الإمتاع والإقناع، د. مسعود بودوخة: ص١٣٣.

(٥) سورة القلم الآية ٤٤، وينظر لتفصيل ذلك الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ج٢ ص١٤٨.

يلجأ المرسل إلى استعمال الاستراتيجيات التي تسم العلاقة الخطابية، وتؤسس لها في معرض خطابه الحجاجي، بالتلفظ وفقاً لما يقتضيه مبدأ التأدب مع المرسل إليه؛ لأن خلو الخطاب منه يعدُّ كما يقتضي الخطاب في التداول»[1]على نحو ما يظهر لنا في خطاب السيدة الزهراء عليها السلام وهي بصدد الإجابة على أبي بكر، إذ قالت عليها السلام:

«**سبحان الله! ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله عن كتاب الله صادفاً ولا لأحكامه مخالفاً، بل كان يتّبع أثره، ويقفو سوره أ فتجمعون إلى الغدر اعتلالاً عليه بالزور؟ وهذا بعد وفاته شبيهٌ بما بغي له من الغوائل في حياته هذا كتاب الله حكماً عدلاً، وناطقاً فصلاً، يقول: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[2]، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[3] فبين عز وجل فيما وزع عليه من الأقساط، وشرع من الفرائض والميراث، وأباح من حظ الذكران والإناث ما أزاح علة المبطلين وأزال التظني والشبهات في الغابرين، كلا ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾**»[4].

معلوم إن الفعالية الحجاجية، باعتبارها فعالية خطابية لا تظهر ولا تتجسم لغوياً إلَّا بمهارات أسلوبية وتأثيرات بلاغية، فهذه العوامل تخضع للشروط الابداعية والابتكارية، بعدّها متطلبات جمالية وألبسة يتلبسها مسار الحجاج وعلاقاتها الداخلية على أن هذه العوامل تتفاوت من خطاب حجاجي إلى أخر، فعلى سبيل المثال أن الاستدراج وبوصفه مهارة من مهارات البيان والتبيين يعمل على تقوية الحجج ويزيد من فعاليتها، بمعنى أن أنه يعمل لمصلحة عمليتي التأثير والإقناع[5]؛ ففي هذا الخطاب نلاحظ أن المرسِل (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام) ومن أجل تقوية دليلها وإجهاض الفكرة التي تذهب إلى (أن الأنبياء لا يورثون إلَّا الكتاب والحكمة والنبوة)؛ وهي بطبيعة الحال الفكرة التي يؤمن بها الخصم / أبو بكر؛ فقد عملت على إقامة حوارٍ استدراجي بينها وبين الخصم إيماناً منها بفعالية هذا الأسلوب الاستنطاقي، وماله من أثر كبير في تماسك الخطاب، لتعمل من خلاله على بث العديد من الاستفهامات التي تريد من ورائها السيطرة على مجريات العملية التواصلية بل والسيطرة على ذهن المستفهَم، وتسيير الخطاب نحو المنطقة التي ينشدها ويريد الوصول إليها، إذ لا يمكننا أن ننسى ما للاستفهام من دور كبير ومهم في العملية الحجاجية؛ ولاسيما في قولها: «**أفتجمعون إلى الغدر اعتلالاً**

(١) استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية: ص٤٧٥.

(٢) سورة مريم: الآية ٥-٦.

(٣) سورة النمل: الآية ١٦.

(٤) من سورة يوسف: الآية ١٨، الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: ١٣٠-١٣٥.

(٥) سرقة في مجتمع فاضل: ص٤٠.

عليه بالزور؟» «نظراً لما يعمله من جلب القارئ أو المستمع في عمليّة الاستدلال، بحيث إنّه يشركه بحكم قوّة الاستفهام وخصائصه، فهو أسلوب إنشائي... يخدم مقاصد الخطاب ويلعب دوراً أساسيّاً في الإقناع بالحجة»[1]؛ ذلك لأنه وببساطة استدراج للمرسل إليه لتوريطه في إثبات نتيجة مقررة سلفاً، ويكون ذلك باستشارة مخيلته واستدعاء خبراته فيشارك في تقرير النتيجة التي يريد المرسل الوصول إليها؛ لأن ذلك أدعى للإقناع بها وتبنّيها، وتعود أهمية هذه الاستراتيجية إلى خطورتها في الاستدلال، وعظيم أثرها في المخاطب وكفاءتها الحجاجية في إقناع المخاطبين[2]، ولعلها النتيجة التي يمكن الوقوف عليها في جواب أبي بكر على هذه الفقرة تحديداً حين قال: «صدق الله ورسوله، وصدقت ابنته، أنت معدن الحكمة، وموطن الهدى والرحمة، وركن الدين وعين الحجة، لا أبعد صوابك، ولا أنكر خطابك».

والحال يصدق أيضاً على ما يظهر في الحوار الاستدراجي بين (السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام) و(المسلمين) بصورة عامّة والذي جاء فيه:

«أيهاً بني قيلة! أأُهضم تراث أبِيَه وأنتم بمرأى مني ومسمع، ومبتدأٍ ومجمع؟! تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة وأنتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنة، توافيكم الدعوة فلا تجيبون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والنجبة التي انتجبت، والخيرة التي اختيرت! قاتلتم العرب، وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى دارت بنا رحى الإسلام ودرّ حلب الأيام، وخضعت نعرة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنّى جرتم بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيمان؟ ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾»[3].

واضح جداً كيف انعكست البنية الحوارية في هذا الخطاب الفاطمي، والتي أسستها بنية الاستدراج بالسؤال لِما لهما ولأدواتها اللسانية من أثر في تكوين العملية التواصلية من جهة، وفي تماسك الخطاب

(١) البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، الحواس مسعودي، (بحث) منشور في مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد ١٢ ديسمبر ١٩٧ ص٣٤١-٣٤٢.

(٢) ينظر: الحجاج في قصص الأمثال القديمة، مقاربة سردية تداولية: ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٣، الزهراء عليها السلام وخطبة فدك: ص١١٤، ١١٩.

وتسييره باتجاه مقاصد المرسِل، وإدراك حججه، ومن ثمَّ تحقيق عمليتي التأثير والإقناع من جهة أخرى، إذ إن صيغة التوجيه الاستفهامية - وكما بيَّنا ذلك مسبقاً - ذات بعد حجاجي مهم، فعن مفعولها الحجاجي يرى الكثير من اللسانين المحدثين أن: «صيغة التوجيه الاستفهامية نمط حجاجي ذو أهمية بلاغية رفيعة، إن السؤال يفترض وجود أمر يستند عليه، ويوحي بأن هناك اتفاقاً على وجود هذا الأمر»[١].

وبذلك نستطيع أن نتفهم قول ابن الأثير في الاستدراج حين وصفه قائلا: «وإذا حقق النظر فيه» الاستدراج «عُلم أن مدار البلاغة كلها عليه لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطِب بها»[٢].

وتأسيساً على ذلك كلّه فإن أهمية هذا الفضاء الحجاجي تكمن في أن المرسل وفي مواطن كثيرة من خطابه وحواره الاستدراجي يستعين بحجج ذات سلطة ونفوذ يستدعي من خلالها المشترك المجمع عليه في ثقافة المرسل إليه و ثوابته الفكرية والقيمية، وهنا يتحول الصوت الإقناعي الهادئ المستعين بالموضوعية والمتلبس بشيء من المنطق إلى صوت حاد يطلب الإذعان والتسليم ويجبر على القبول بدعوى امتلاكه سلطة القيم والفضائل[٣]،على أن يتمَّ له ذلك عن طريق عملية (الاستدراج الحجاجي) وبوصفه ظاهرة أسلوبية نصية ووسيلة إقناعية للمخاطَب تستند إلى قابلية المتكلم لبلوغ غايته من التكلم؛ باستعمال مهارات خطابية عالية الدقة في إيصال ذلك المخاطَب إلى الإيمان والقناعة الكافية لأداء المطلب المضموني الذي يمليه عليه ذلك الخطاب(أي خطاب) من دون تردد أو هوادة[٤]، إذ إن الاستدراج كما يتضح لنا من الخطابات المختارة إنما هو بحد ذاته عملية إقناعية، أو لنقل إنه فعالية تداولية مقصودة لا تأتي عفواً أو عرضاً ولكنها مستندة إلى وعي توظيفي تحصّل لدى المرسل؛ فاتخذه سبباً حجاجياً في أثناء محاورته الخصم/ المرسل إليه.

(١) آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج تحليل بلاغي للمبحث الثالث من كتاب الدكتور محمد العمري دائرة الحوار ومزالق العنف: د. الحسين بنو هاشم: ص٥٦.

(٢) المثل السائر: ج٢ ص ٦٤.

(٣) ينظر: الحجاج في قصص الأمثال القديمة، مقاربة سردية تداولية: ص٢٠٦.

(٤) ينظر: ظاهرة الاستدراج في النص القرآني -دراسة تفسيرية في إثبات وحدانية الله تعالى- سيروان عبد الزهرة الجنابي، زينب حكيم عبيد الوطيفي (بحث) منشور في مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية/ المجلد ٢٣، العدد١، لسنة ٢٠١٠: ص٣٨٤-٣٨٥.

الخاتمة

كانت الحصيلة الاستنتاجية بعد رحلة الكشف والتحليل في دراسة الخطاب الفاطمي، بصورة عامة والخطبة الفدكيّة منها على وجه الخصوص وعن طريق عيّنة الاجراء المحددة بالحجاج ومقاربته تداولياً؛ الحزمة الختامية الآتية:

١. إن الخطاب في الخطبة الفدكيَّة يمثّل ميداناً تداولياً، وأرضاً حجاجية خصبة بامتياز؛ إذ إن الخطاب فيها بصورة عامة لا يقصد منه الاخبار فحسب؛ وإنما يسعى الباث من خلاله إلى التأثير في المتلقي واقناعه بما يقدم من طروحات؛ لاسيما وأن «الخطاب» فيها جاء كنتيجة طبيعة للهدف الذي قيلت من أجله تلك الخطبة ككل، وعليه فقد كان توظيفنا للحجاج ومساراته التداولية في مفاتشة هذه المدونة وفحصها مثمراً، وأنه مكَّننا من اكتشاف ما ينماز به الخطاب الحجاجي، ووسائله التي تسهم مساهمة فعّالة في إغناء العملية التخاطبية وعناصر الحجاج الرئيسة؛ أي (المحاورة والجدل و الاقناع).

٢. تبيّن لنا من خلال مفاتشة الخطبة (عينة البحث)؛ مركزية المرسل وعلاقته بالمرسل إليه من جهة، وعلاقته بنوعية خطابه وآلية طرحه من جهة أخرى في صناعة الحوارات والخطابات الحجاجية الرامية لتحقيق الهدف الإنساني المنشود، وكيف يصبح هذا الزوج اللساني/ التخاطبي (المرسل والمرسل إليه) إجراءً منهجياً يُنطلق منه في رسم مختلف الممارسات اللفظية الحجاجية وتحليليها، الممارسات التي تندرج عند اللغويين والاسلوبيين فيما يسمونه بـ»الرسالة».

٣. إن المرسِل (السيدة فاطمة الزهراء) وفي مواطن متعددة من الخطبة قد تنشغل بأقوالها وتنسيق خطابها للحد الذي يجعلها لا تُبالي بردة فعل المرسَل إليه؛ فتنطلق في خلق و تكوين الحجج المناسبة والتي تسهم مساهمة فعّالة في تنظيم أقوالها حتى ليبدو أنها في عملها وتصرفها هذا؛ لا تقيم وزناً أو اعتباراً كبيراً للمرسّل إليه، بل أنها تتناسى الجانب الذي يصلها بالمرسل إليه، أي التمتّع بحق الاعتراض؛ وبعبارة أخرى فإنها تلجأ إلى ما يسمّيه التداوليون «بالحجاج التوجيهي».

٤. إن محاججة المتلقي قد تجعل المرسِل – كما وجدناه في الخطبة الفدكيَّة– ينسّق خطابه وما يتضمنه من حجج يركن إليها في تدعيم ما يقول وما يذهب إليه؛ بناءً على اعتراضات أو تعليقات متخيّلة من

قبل المرسِل نفسه، فهو هنا يستخرج من نفسه -إن جاز لنا الوصف- ذاتاً ثانية وينزلها منزلة المعترِض على ما يقول، ومعنى ذلك أن المرسِل السيدة الزهراءعليها السلام لا تكتفي فقط بفعل إلقاء الحجة على المتلقي، وإنما تتعداه إلى النظر في فعل التلقي بوصفه المتلقي الأول لِما يُلقي؛ وهكذا تبني خطابها وفقاً لما يسمى حسب وجهة النظر التداولية بالحجاج التقويمي.

٥. كثيرة هي المواطن التي وجدنا فيها المرسل (السيدة الزهراءعليها السلام) في هذه الخطبة تعمل على إقامة حوارٍ استدراجي مع المرسَل إليه؛ الغرض منه تقوية دليلها من جهة، واجهاض الأفكار والآراء التي يؤمن بها المرسل إليه من جهة أخرى؛ اعتماداً منها على ما ينماز به هذا الأسلوب الاستنطاقي واستراتيجيته التواصلية، وما له من أثر في تماسك الخطاب وتسييره؛ لاسيما وأنها تعمل من خلاله على بث العديد من الاستفهامات التي يبغي من ورائها السيطرة على مجريات العملية التواصلية الاقناعيَّة؛ إذ أن الاستدراج الذي يعمد إليه المرسل في أي خطاب وبوصفه أداة حجاجية اقناعية لا يقف عند مسألة الاستخبار وطلب الاجابة وهكذا ليكون في إطاره الضيق، وإنما يتعدى ذلك ليستقيم أداة حوارية فعّالة، وتقنية تداولية حجاجية مهمة يعمد إليها المرسل/ السائل ليقيم الحجة على خصمه ويدفعه نحو منطقة «مجاهل الرد» والصمت أمام ما يقدّم، كل ذلك ولعل ذلك وغير الكثير هو الذي سوّغ لنا اضافة هذا المنحى اللغوي، والفضاء الحواري الاستنطاقي ضمن الأنواع الحجاجية التداولية.

وبصورة عامة فإن العناصر والتقانات الحجاجية في هذه الخطبة (مجتمعة) لها أثرٌ ودورٌ هامٌّ في تحقيق الانسجام التلفظي التداولي في الخطبة محور البحث، وفي هندسة الأفكار والحجج التي يركن إليها المرسِل (السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام)من جهة أخرى، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى استمرارية الخطاب الذي يقدَّم، استمرارية تسهم في اغراء متلقي الخطاب، إغراء ربّما يحمله على الاذعان والتسليم بما يقدّمه المرسِل - على أن ذلك هو الغاية المنشودة من الخطاب الفاطمي - لاسيما وأنه يصدر من سراج إلهيّ، وأنه يرتوي بلاغةً من ذلك النهر العلوي العذب، وكيف لا! ونحن نتحدث عن بضعة المصطفى (عليه وعليها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم)، وحليلة أمير المؤمنينعليه السلام؛ سيدة النساء فاطمة الزهراءعليها السلام.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار بيروت للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٢م.
- الاستدلال في معاني الحروف (دراسة في اللغة والأصول)، الدكتور أحمد كروم، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.
- استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهيري، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- أسلوبية الحجاج التداولي والبلاغي تنظير وتطبيق على السور المكّية، د. مثنى كاظم صادق، منشورات ضفاف، الاختلاف، دار عدنان، الطبعة الأولى ٢٠١٥م.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، الدكتور صلاح فضل، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- البلاغة العربية بين الإمتاع والإقناع، د. مسعود بودوخة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٢٠١٨م.
- البلاغة والاتصال، الدكتور جميل عبد المجيد، دار غريب للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.
- تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، د. سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء ٢٠٠٠م.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الثانية ٢٠٠٣م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- تفسير ابن عربي، محيي الدين بن العربي الطائي الاندلسي، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١١م.

- الحجاج في قصص الأمثال القديمة، مقاربة سردية تداولية، د. عادل بن علي الغامدي، دار كنوز المعرفة العلمية، الطبعة الأولى ٢٠١٦م.
- الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، د. سامية الدريدي، عالم الكتب الحديث، الطبعة الثانية ٢٠١١م.
- دلائل الصدق لنهج الحق، العلامة محمد حسن المظفر، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الطبعة الأولى ٢٠١٧.
- الزهراء عليها السلام وخطبة فدك، شرح الخطبة الفدكية، العلامة محمد باقر المجلسي، علّق عليه وأكمله أية الله الشيخ محمد تقي شريعت مداري، دار كلستان كوثر للنشر، طهران، ١٣٨١.
- السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، علي آيت أوشان، دار الثقافة للنشر والتوزيع مطبعة النجاح الجديدة، ط١، ٢٠٠٠م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة ١٩٩٠م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، تحقيق محمد شاهين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.
- عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، د. عبد السلام عشير، أفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، ٢٠٠٦م.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥ هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، د. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة ٢٠١٤م.
- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، خليفة بو جادي جادي، بيت الحكمة، الجزائر الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: رفيق العجم – علي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوده التنزيل: محمود بن عمر الزمخشري، رتبه وضبطه: محمد عبد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة الاولى ١٩٩٥م.

- الكفايات في علوم التربية، بناء كفاية، ترجمة وإعداد الحسن اللحية، أفريقيا الشرق، (د.ط)، (د.ت).
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، منشورات مؤسسة الرسالة - ١٩٩٨م.
- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، نشر آدب الحوزة، قم المقدسة - إيران -١٤٠٥هـ.
- اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، الدكتور طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
- اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانه، دار الرفاعي، الرياض ١٩٨٣م.
- معجم مقاييس اللغة: أبو الحسن أحمد بن زكريا (٣٩٥ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مركز النشر، مكتب الاعلام الإسلامي جمادي ١٤٠٤هـ.
- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة الدكتور سعيد علوش، مركز الانماء القومي، (د.ط)، (د.ت).
- نظريات الحجاج، د. جميل حمداوي، شبكة الألوكة، (د. ط)، (د.ت).
- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
- آليات الحجاج في كشف ما هو في الحقيقة لجاج تحليل بلاغي للمبحث الثالث من كتاب الدكتور محمد العمري دائرة الحوار ومزالق العنف: د. الحسين بنو هاشم (بحث) منشور في مجلة عالم الفكر، العدد٢، المجلد ٤٠ اكتوبر- ديسمبر ٢٠١١م.
- إشكالية مصطلح الخطاب في الدراسات النقدية، د. إبراهيم فضالة(بحث منشور) في مجلة الآداب واللغات، المجلد ٧، العدد ٢ لسنة ٢٠١٨م.
- البنية الحجاجية في القرآن الكريم، سورة النمل أنموذجاً الحواس مسعودي(بحث) منشور في مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية وآدابها، الجزائر ع ١٢، ديسمبر ١٩٩٧م.

- البنية الحجاجية في كتاب « اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» الطيب رزقي(اطروحة)، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، جامعة الأخوة منتوري - قسنطينة، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- تداولية الخطاب في المسرح الجزائري « مسرحية الجزائر ثائرة لباعزيز بن عمر أنموذجاً، مقدس نورة (اطروحة)، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجيلاني اليابس- سيدي بلعباس، ٢٠١٦-٢٠١٧م.
- ظاهرة الاستدراج في النص القرآني -دراسة تفسيرية في إثبات وحدانية الله تعالى- سيروان عبد الزهرة الجنابي، زينب حكيم عبيد الوطيفي (بحث) منشور في مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية/ المجلد ٢٣، العدد١، لسنة ٢٠١٠م.
- مدخل إلى الحجاج، أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، د. محمد الولي(بحث) منشور في مجلة عالم الفكر، العدد ٢ المجلد ٤٠ اكتوبر، ديسمبر ٢٠١١م.
- مصطلح الاستدراج، المفهوم والأثر دراسة بلاغية تأصيلاً وتطبيقاً، د. محمد بن عبد الرحمن، (بحث) منشور في مجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق، ع / ٣٥ لسنة ٢٠١٥م.

النمذجة الالهية للعنصر النسوي، الزهراء انموذجا

الباحثة : منتهى محسن محمد

المقدمة

في زحام الحياة وانعطافاتها الخطيرة ومنزلقاتها الوخيمة يتطلب وقفة جبارة وصبر جميل وتحدي شرس لمواجهة شتى أنواع الصراعات، وفي زمن اختلط الأخضر باليابس، وعم الفساد برائحته التي تزكم الانوف، كان لابد على الجميع من ان يهب لنصرة دينهم إزاء الريح العاتية والموج العارم الذي يجتاحنا بكل عنف وشراسة.

نعم في هذا الوقت الحرج الذي تمنى به امة الإسلام واشتداد الفتن والأهواء وانتشار الفساد والإنحلال بكل صوره، كان لابد من التعاضد لنصرة الدين عبر العودة لمنهاج السماء، وكانت المرأة المدعوة الأولى في هذا البحث، لأنها أساس الاسرة وصانعة الأجيال، لذا التقطنا جوهرة كانت للدين درعا ووقى، وللحياة عزة وكبرياء، وللنساء فخرا وسناء، انها مولاتنا الزهراء عليها السلام، لتكون القدوة المنشودة والاسوة المبتغاة في حراكها الدؤوب طيلة ثمانية عشرا عاما، وهكذا جاء البحث متسلسلا بمباحثه ومطالبه حول حياة المرأة قبل الإسلام وبعده لتبزغ شمس الزهراء في سماء الوجود عبر تجلياتها العظيمة.

جاء المبحث الأول (المرأة في حمى الإسلام) موضحا في البدء حال المرأة عند الاقوام المتمدنة وغير المتمدنة وحالها عند عرب الجاهلية، ثم بين مكانتها في حمى الإسلام حيث قسم إلى ثلاثة اقسام: (كرامتها ومساواتها في الإنسانية وحقوقها الشرعية)، اما المبحث الثاني؛ فاكهة البحث، فقد غصنا في حياة الزهراء عليها السلام عبر (النمذجة المثال لسيدة النساء عليها السلام، وتشرفنا بالإطلاع على حياتها في أدوارها الثلاثة (بنتا وزوجة وأمّاً) في أروع ما قدمته الدنيا كنموذج إسلامي رائد، وفي المبحث الثالث الموسوم (السيدة الزهراء أطروحة الحياة) توقفنا لنغترف من شمائلها عبر مطالب ثلاثة تناولت الجانب الإنساني ثم الرسالي ثم الجهادي، كان رسالة صريحة إلى المرأة التي انشغلت بتوافه الأمور وتركت ركب البتول عليها السلام مفادها؛ أن انظري صوب سيرتها المعطاء، وكوني مثلها إنسانة رسالية متصدية للانحرافات، ثم وصلنا لذروة البحث في المبحث الرابع (مقارنة بين منهج السماء ومنهج الشيطان)، في مقارنة جديدة تتوائم مع المقارنة الأولى في المبحث الاول، من خلال ثلاثة مطالب لكل مطلب ثلاثة

نقاط.

فجاء المطلب الأول (منهاج السماء) في مواضيعه على التوالي (الخلافة والرسالة والتصدي)، وهي ذات الأسس التي تبنتها مولاتنا الزهراء في سيرتها العطرة، ثم تناولنا في المطلب الثاني (منهاج الشيطان) في مواضيعه على التوالي (تمييع الحجاب وإشاعة الشذوذ الجنسي (الجندر) ومراكز عمليات التجميل)، وختمنا بالمطلب الثالث الذي تضمن عرضاً للحلول والمعوقات عبر ثلاثة أسس نطمح من خلالها إلى تحقيق الفارق المراد: (استنهاض القدوة، وصنع المرأة الرسالية، وتذويب المعوقات)، ثم عززنا البحث بالخاتمة والنتائج ثم ادراجنا المصادر.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها:

١- ماهو منهاج الله تعالى الذي اراده للبشرية؟

٢- ما هو منهاج الشيطان واهله؟

٣- ما اخطر ما تتعرض إليه المرأة اليوم من انحرافات؟

٤- ماهي الحلول والمعالجات لإمكانية عودة المرأة لمنهل الإسلام وخطه المستقيم.

٥- ما هي النمذجة المبتغاة للنساء؟

اهمية الدراسة وسبب اختيارها:

١-ما نشهده من ضياع القيم والمثل العليا وانخراط جيل الشباب في امور وتوافه ومفاسد بعيدة كل البعد عن تعاليم الدين واحكامه، إلى الحد الذي ينساق الكثير من ابناء الامة إلى مفاهيم فاسدة ونظريات مهترءة وافكار ضاله ومضللة، لذا وجدنا من حس المسؤولية وروح الحمية ان نخوض غمار هذا البحث الرصين.

٢-قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾[1]، ان الله دعانا في كتابه المجيد إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذا يممت روحي واقبلت إلى محراب التذكير والتحذير مشيرة إلى خطورة الوضع المتمثل بأوجه الانحراف التي قصدتها في هذا البحث، كي القي الضوء حول الهوة الهائلة بين التعاليم الإسلامية المبتغاة وبين ضياع القيم

(١) سورة التوبة: الآية٧١.

والانجذاب نحو النظريات الفاسدة.

٣-تطبيقا لقول رسول الله ﷺ: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**»، حيث تأخذنا حمية الحفاظ على الدين من موجات الانحلال، التوجه نحو سبل التغيير والاصلاح علنا نستطيع بتوفيق الله ان نردم تلك الهوة الكبير، وتحجيم مساحته.

٤-فتح افاق جديدة لدراسة المواضيع الخطيرة التي تقودها اجندات هدفها الرئيسي افساد المجتمعات المسلمة والعمل على انسلاخ المسلم من كل قيمه واخلاقه.

٥-بسبب ما اراه والمسه انا شخصيا من الحالات المشوهة والوجوه المصنعة والافكار الغريبة المقززة التي اجتاحت بيوتات المسلمين، في محاولة جادة وحثيثة للعودة إلى ينبوع الدين الصافي الرقراق.

ضرورة البحث:

نرى اننا إذا لم نتعرض لهذا الموضوع سوف يتم تغييب صورة القدوة الحسنة للمرأة المسلمة والنمذجة الفعالة؛ (السيدة الزهراء عليها السلام)، وتصدير شخصيات مشوهة وتافهة ومهترئة للمجتمع وعندئذ سينقص من خزانة الفكر العلمي هذا النوع من البحوث التي هدفها الارتقاء بحال المرأة المسلمة وحمايتها من تداعيات الانفلات والانفتاح غير المقنن.

الدراسات السابقة للموضوع:

من خلال بحثي واستقصائي حول مواضيع مشابه لبحثي وجدت ان البعض قد تطرق لها لكن لم تجمع في بحث واحد عبر فصول ما عرضته، فلم تربط المواضيع بسيرة أم أبيها الزهراء البتول عليها السلام باعتبارها الصورة المثلى لمنهاج اراده الله تعالى ان يتبع من قبل المؤمنين، لذا كان منها:

١-تداعيات تطور مقاربة قضايا المرأة من الجنس إلى الجندر على العالم الإسلامي، سامية صالحي، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، ٢٠٢٣ .

٢-الجندر والادوار الجندرية في وسائل الاعلام مقاربة المفهوم في اطار نظرية الدور، فاطمة الزهراء كشرود، مخبر الدراسات الاعلامية والاتصالية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، بن ار نسيمة، ٢٠٢٠.

٣-مفهوم الحجاب، دراسة تأصيلية في ضوء الإسلام، رسالة ماجستير في الثقافة الإسلامية، تغريد بنت يحي المقحم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣١هـ.

٤-الاسراف في استخدام ادوات التجميل وعلاقته ببعض سمات الشخصية ومفهوم الذات لدى المرأة السعودية بمدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير، بهجة بنت عبد اللطيف جستنية، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، ١٤٢٧هـ.م

٥-اثر القران الكريم في التأصيل لفقه التجميل، رزاق محسن محمد شريف

٦-احكام جراحة التجميل في الفقه الإسلامي، د: محمد عثمان شبير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت.

منهج البحث: بحث تحليلي

المبحث الأول: المرأة في حمى الإسلام

المطلب الأول: تكريم المرأة

بعد زمان من الانتقاص والتهميش والذلة التي منيت بها حياة المرأة عند الاقوام غير المتمدنة «كذلك كانت حياة النساء عند الرجال في هذه الأمم والقبائل حياة تبعية، وكانت النساء مخلوقة عندهم، لأجل الرجال بقول مطلق...كان للرجل أن يبيع المرأة لمن شاء وكان له أن يهبها لغيره، وكان له أن يقرضها لمن استقرضها للفراش أو الاستيلاد أو الخدمة أو غير ذلك، وكان له أن يسوسها حتى بالقتل، وكان له أن يخلي عنها، ماتت أو عاشت، وكان له أن يقتلها ويرتزق بلحمها كالبهيمة وخاصة في المجاعة و في المآدب، وكان له ما للمرأة من المال و الحق خاصة من حيث إيقاع المعاملات من بيع وشراء وأخذ ورد»[1]، واستمر حال المرأة على نفس الحال المتدني عند الاقوام المتمدنة «تشترك جميع هذه الأمم في أن المرأة عندهم، ما كانت ذات استقلال و حرية؛ لا في إرادتها و لا في أعمالها، بل كانت تحت الولاية والقيمومة...ويلزم عليها مشاركة الرجل في جميع أعمال الحياة؛ من كسب و غيره، اضافة لاختصاصها بأمور البيت والأولاد، كما عليها طاعة الرجل في جميع ما يأمرها ويريد منها...وكان للرجل أن يتخذ زوجات متعددة من غير تحديد وكان لها تطليق من شاء منهن».[2]

ولم يختلف حالها عند عرب الجاهلية التي كانوا يرون فيها صورة من العار والخزي حتى شرعوا قتلها واستباحوا دمها البريء «الوأد كما يعرفه الزمخشري: يخرج الرجل وليدته وقد حفر لها بئرا في الصحراء، فيدسها هناك ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر، وقيل كانت الحامل إذا أوشكت على الوضع، حفرت، حفرة ونقلت قريبا منها، عندما يجيئها المخاض، فاذا ولدت بنتا رموا بها في الحفرة، وان ولدت ذكرا أمسكوه وعادوا به».[3]

وبعد تلك الحياة المهينة التي عاشتها المرأة، اشرقت شمس كبريائها وكرامتها في ظل دين سماوي انزله الله ليكون خاتم الأديان، ورسوله خاتم الأنبياء والرسل، وكتابه اخر كتب الوحي المبين، حيث

(١) محمد حسين الطباطبائي، المرأة في الإسلام: ص ١٥٦- ١٥٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل: ج٤ ص ١٨٨.

حظيت المرأة بمكانتها الحقيقية حيث لا غبن ولا ذل، فقد جاءت الشريعة بكل ما يحفظ كرامة المرأة ويعزز دورها في كل الآفاق، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[1].

والمتدبر في نصوص الآي الكريم يلمس بالتأكيد الأدوار المناطة بها، وأهمها احتضان الأسرة والإهتمام بالأبناء وتربيتهم، وبهذا قسمت الأدوار بينها وبين الرجل وفق الطبيعة الفسيولوجية لكليهما، مع ان الشارع لم يمنعها من تحصيل العلم أو السماح لها بالعمل وفق ضوابط وشروط تعزها وتكرمها «فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان من ذكر وأنثى وجعل لكل منهما خصائص ومقومات وأَهَّلهُ لما سيقوم به، فأعطى الرجل قوة في الجسم ليسعى على الرزق ويكدح من أجل لقمة العيش، ومنح المرأة العطف والحنان لتربية أولادها وتنشئتهم نشأة طيبة».[2]

ومن المهم ذكره أن الدين الإسلامي يؤسس لكيان المرأة منذ انفصالها عن رحم أمها إلى نهاية المطاف، وهو كثيرا ما يعالج نظرة المجتمع لها فالمجتمعات لا تقيمها تقييما موضوعيا باعتبارها شقائق الرجال، وانما استأنفت النظرة الدونية لها «لا شك أن المجتمع يقيمها تقييماً ذاتياً، بمعنى يقيمها وفق ميراثه من الجاهلية والعصور التي سبقت، فينظر لها هذا المنظار، وذلك كمن يلبس نظارة زرقاء فيرى الأشياء من حوله زرقاء على غير حقيقتها، فنحن في جانب النظر إلى المرأة نلبس نظارة من الميراث الاجتماعي، أو التحليلات المخطوءة لنصوص الشريعة....وكلّ ما في الأمر أن العملية هي عملية تصنيف لا تفضيل».[3]

المطلب الثاني: المساواة في الإنسانية

بعدما بينا تكريم الإسلام للمرأة ننتقل إلى رافد اخر يظهر جليا مبدأ المساواة الذي بينه النص القرآني الذي يعد التشريع الأول في الإسلام، فآيات القرآن ترى تبين المساواة في الإنسانية مع الرجل، والتي عبرت عن الذكر والأنثى بالإنسان كما في قوله تعالى:

﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۞ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ۞ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ۞**

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.
(٢) توفيق علي وهبة، دور المرأة المجتمع الإسلامي: ص١٦.
(٣) الشيخ أحمد الوائلي، المرأة في الإسلام: ص ٤٦-٤٧.

﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾[2]، حيث أطلقت الآية الشريفة عنوان الإنسان على كل من الذكر والأنثى بقرينة الإشارة إلى كيفية الخلق».[3]

والجدير بالذكر أن التعامل مع اختلاف الأمور وتباين الجوانب بأسلوب واحد ليس بصحيح ولا عادل، ولا تسوده المساواة والانصاف، لان هنالك ظلماً سيلحق في طرف دون أخر «فإذا أردت أن امتحن شخصين أحدهما طبيب والآخر بناء – مثلا فمن الطبيعي أن يكون سؤالي للأول عن الطب وللثاني عن البناء هذا هو العدل والإنصاف، وليس العدل أن أسأل الشخصين سؤالاً طبياً لأنني سأظلم بذلك البناء، وكذلك ليس من العدل أن أسألهما سؤالاً معمارياً لأنني سأظلم الطبيب، فالظلم هو أن أسألهما سؤالاً واحداً مع اختلافهما.

وهذا نفسه موجود في موضوع الرجل والمرأة فصحيح أن كليهما إنسان ولكن لكل منهما مميزات وخصائص يجب الإلتفات إليها عند توزيع التكاليف والمهمات ولا يمكن التعاطي معهما بشكل واحد.... فالقانون الذي يصدر أحكاماً واحدة للرجل والمرأة من دون ملاحظة خصوصياتهما هو القانون الظالم، ظالم للرجل وللمرأة معاً، وملاحظة هذه الفروق وإصدار الأحكام المختلفة بناء عليها هو الإنصاف والعدل».[4]

المطلب الثالث: حقوق المرأة

ان دينا قوامه العدل والإنصاف، وقاعدته الحق والمساواة، ودعائمه الرحمة والإحسان، لابد أن ينشر عبيره على حياة المرأة لتنال في حماه نصيبها الأوفر بالحقوق، كحقها في التعليم والعمل والتملك والإنتخاب والترشيح وغيره، «للإنسان كل الحق في ممارسة ما يشاء ليرفع شأنه ويخدم مجتمعه فهو فرد فعال في المجتمع له حق في أن يطرق الباب الذي يحب. ولا يتوقف هذا الأمر إلَّا عند حد الضرر بالنفس أو بالمجتمع، فلا يحق للإنسان أن يؤذي نفسه أو يؤذي مجتمعه سواء كان هذا الإنسان رجلاً

(١) سورة القيامة: الآية ٣٦-٣٩.
(٢) سورة الطارق: الآية ٥-٧.
(٣) الشيخ محمد صنقور، قضايا المرأة (اشكاليات وردود).
(٤) المرأة في فكر الإمام الخميني، اعداد: مركز نون للتأليف والنشر، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية: ص٢٧-٢٨.

أو امرأة، لذلك نجد الإسلام وضع للمرأة حدوداً - كما وضع للرجل - تمنعها من الانحطاط ومن إضرار المجتمع، فالإسلام أحرص على المرأة من المرأة نفسها».[١]

وكذا الحال يدور حول حقها في العمل، فالأمر جائز لكن مع الحفاظ على تكليفها الشرعي في الستر والاحتشام، ذلك أن محافظتها على حجابها في العمل يحفظها من نظرات الابتذال ويحد من فرص استغلالها واهانتها «فلتعمل المرأة ولكن بالحجاب، لا مانع من عملها في الدوائر الحكومية ولكن مع مراعاة الحجاب الشرعي[٢] والحفاظ على الشؤون الشرعية، فتركها للحجاب الشرعي والاحتشام سيحوّل وجودها في المؤسسات ومراكز العمل من دور بناء وفاعل في خدمة المجتمع إلى دور الانحراف وتهديم المجتمع بمعاول الفساد التي تنخر فيه بالتدريج حتى نجد أنفسنا أمام مجتمع منحل تماماً خال من كل شيء يمت للإنسانية بصلة، وللمرأة بكرامة».[٣]

ومن حقوقها أيضا التي اجازها لها الإسلام حق التعليم، فقد فتح لها افاق العلم والتعليم، وجاءت النصوص والسنة تحثان على طلب العلم وعده فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولم نجد في أي آية أثر أو دعوة تنادي بحرمان المرأة من العلم «أيها الأخوة والأخوات في الإيمان، انطلقوا في تعبئة طاقاتكم لإزالة هذا النقص المؤلم، استأصلوا جذور هذه المشكلة، التعليم والتعلم عبادة دعانا إليها الله تبارك وتعالى».[٤]

ومن اجل نشر العلم بالشكل المطلوب لابد من جعل العلم والتعلم حالة شعبية تقع على عائق كل فرد قادر على ممارستها: «على أئمة الجمعة والجماعة في المدن والأرياف دعوة الناس لتعليم الأخوة والأخوات القراءة والكتابة في المساجد والتكايا، وأن لا يجلسوا بانتظار مبادرات الحكومة، بإمكانهم تعليم الأخوة والأخوات الأميين في المنازل، وعلى الأميين أن يستجيبوا لذلك»[٥].

(١) المصدر السابق، من حديث في اوساط طبقات الشعب المختلفة بتاريخ ٢٩/ ٣/ ١٩٧٩.
(٢) المصدر السابق، من حديث في جمع من علماء الدين وطلبة العلوم الدينية في قم بتاريخ ١٩٧٩/ ٣/ ٦: ص ٢٦.
(٣) المصدر السابق: ص٢٦.
(٤) المصدر السابق: ص ٢٩.
(٥) المصدر السابق: ص ٢٩-٣٠.

المبحث الثاني: النمذجة المثال عند سيدة النساء عليها السلام

المطلب الأول: دورها بنتاً

بعد أن تناولنا في المبحث الأول حال المرأة في العهود الغابرة، وقارنا ذلك مع شروق شمس الإسلام وتطلعنا إلى الفارق الكبير بينهما، نتوغل ونقف مليّاً حول صورة المرأة الإنموذج، المرأة التي نسعى لإحياء صورتها وهويتها رغم كل افرازات الحياة المشوهة التي نحياها، ونشهد نمذجتها لمشروعها السماوي، فأطروحة السيدة الزهراء عليها السلام الملكوتية تختلف عن باقي بنات جلدتها دماثة وخلقا وكرامة، فقد حملت همها؛ هم الرسالة المجيدة، فساندت وناصرت، وتحملت، وجاهدت، وواجهت ورفضت، كل ذلك وهي لم تتجاوز سني الطفولة بعد، فكانت أمَّ أبيها بكل مدلولات هذه الكنية العظيمة.

«لقد نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى إعترضه سفيه من سفهاء قريش فنشر علي رأسه التراب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه فقامت إليه فاطمة عليها السلام فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: **لا تبكي يا بنية، فان الله مانع أباك**».[1]

واستمر حراك السيدة الزهراء الدؤوب وهي على صغرها في كل موقف يحتاج أبوها العون والنصرة، «روي أنها كانت الوحيدة في الدفاع عنه، عندما رمي عليه أبو جهل الاوساخ وهو صلى الله عليه وآله يصلي وأصحابه عند الكعبة، فلم يجرؤ أحد على التدخل، لكنها خرجت وأسمعت أبا جهل ما روعه عن الإستمرار في السخرية من النبي صلى الله عليه وآله».[2]

كانت الزهراء الصغيرة شجاعة بما يكفي لأن تتصدر الموقف لوحدها امام أعنف وأشد الناس غلظة، ومن مواقفها عليها السلام مداواة جراح أبيها صلى الله عليه وآله بعد إنتهاء المعارك «بعد أن انقضت فصول معركة أحد وغادر جيش العدو ساحة الوغى، كان الرسول صلى الله عليه وآله لا يزال في ميدان أحدٍ وقد كسرت رباعيته

(١) السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري: ج١ ص٤١٦.

(٢) الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ص ١٩-٢٠.

وشج جبينه، وبينما هو كذلك إذا أقبلت فاطمة عليها السلام وهي صغيرة السن من المدينة إلى أحدٍ سيراً على الأقدام، لتقوم بغسل وجهه المبارك وإزالة الدم عن محياه الشريف، لكن الجبين لم يزل ينزف، عندها قامت بحرق قطعة من الحصير، ثم وضعت رماده، على مكان الجرح فانقطع النزيف، والأعجب من ذلك أنها كانت تهيء لأبيها السلاح، في المعركة التي جرت في اليوم القادم.(١)

هكذا كان حب الزهراء لأبيها نابعاً من ايمانها المطلق بصدق دعوته، فكانت نعم البنت البارة لأبيها، وكان أبوها صلى الله عليه وآله يبادلها الحب، حيث ملكت شغاف قلبه الشريف والسيرة الغناء حافلة بذلك «لم يخاطب المسلمون الرسول صلى الله عليه وآله باسمه، بل أخذوا ينادونه يا رسول الله أو يا أيها النبي - تقول فاطمة عليها السلام **لما نزلت الآية الشريفة هبت رسول الله أن أقول له يا أبه، فكنت أقول: يا رسول الله، فأعرض عني مرة واثنين أو ثلاثاً، ثم أقبل علي فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيك ولا في أهلك ولا في نسلك أنت مني وأنا منك، إنما نزلت في أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر ثم أضاف هذه العبارة الروحية العجيبة قولي؛ يا أبه فإنها أحبي للقلب وأرضي للرب**»(٢)، من هنا نستشعر مصداق حب النبي لابنته ومدى تأثير صوتها الحنون ووقعه كوقع النسيم العذب على قلبه الشريف «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا سافر كانت آخر الناس عهداً به فاطمة وإذا رجع من سفره كانت عليها أفضل الصلاة أول الناس عهداً به»(٣) وظل ذلك الحب المتبادل يعطر افياء الوجود بطيب نسماته المتدفقة ورحيق رياحينه العذبة، وبهذا وغيره من المواقف المماثلة أراد النبي التصريح والتلويح بمكانة ابنته الزهراء عليها السلام .

وعظيم شأنها من جهة، ومن جهة أخرى أراد صلى الله عليه وآله ان ينسف تلك النظرة الدونية عن المرأة من خلال اظهار الحب والتقدير لأبنته عليها السلام، وان الانثى كالذكر في سيرها نحو الكمالات العليا والقرب إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: دورها زوجة

ومن بنوة فاطمة عليها السلام ننتقل إلى دورها كزوجة لأمير المؤمنين عليه السلام ولننظر إلى علياء مجدها من خلال نافذة التاريخ، فلم ولن تنجب الدنيا مخلوقة تتألق في كل أدوراها وتسمو في صغرها كشخصيتها الفذة،

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج١ ص٧١.
(٢) المصدر السابق: ج٣ ص٣٢٠.
(٣) الفضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد مرتضى الحسيني الفيروز ابادي: ج٣ ص ١٣٢.

ولا أرفق زوجة، ولا أعظم أم كأمنا البتول، فبعد ان تحملت أول صغرها مشاق الرسالة، انتقلت إلى دور اخر تكمل بها وهج رسالتها، لتشمخ في عرصات مجدها وتسطع عبر مدرسة متكاملة، وقدوة يقتدي بها الرجال والنساء على حد سواء.

تقاسمت السيدة الزهراء عليها السلام مع الإمام علي عليه السلام أعمال الحياة الزوجية تقسيما عادلًا فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: من نقل الحطب وأن يجيء بالطعام**»(١).

نعم كانت عليها السلام خير زوجة، فقد قالت لزوجها علي عليه السلام: «**يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني**، فقال علي عليه السلام: **معاذ الله أنت اعلم بالله وأبز واتقى وأكرم، وأشد خوفاً من الله، أن أوبخك غداً بمخالفتي**».(٢)

المطلب الثالث: دورها أمًّا

ومن دور البنت البارة والزوجة المخلصة ننتقل إلى دورها التربوي وصناعة الإنسان، فقد حققت السيدة الزهراء عليها السلام أعلى مراتب التميز في تنشئة أولادها وتربيتهم التربية الإسلامية الحقة، بعدما ترعرعت هذه النبتة في بيت النبوة والوحي تحت خيمة أبيها صلى الله عليه وآله، ثم ازهرت في بيت زوجها بيت الإمامة، وتعاني ماتعانيه في ذلك البيت الطيني الصغير الذي ضم أشرف أرواح عرفتها البشرية، وأن تكابد شظف العيش وجشوبة الحياة، وتكون مثال الأم الرؤوم لأسرتها من جانب، ومن جانب أخر تحمل هموم الرسول صلى الله عليه وآله واعباء الرسالة ومسؤولية التبليغ على أتم وجه.

وبين شقي هذه المعادلة، كابدت وصابرت وتحملت الكثير «... فكانت تقوم بشؤونهم، وتغذيهم بالفضيلة والتقوى، وتربيهم بأحسن ما يكون، وقد ورد إنها كانت تحثهم على إحيائهم ليالي الجمع من أول الليل إلى الصباح.. وبمثل هذه التربية الرفيعة ربت الزهراء عليها السلام أولادها فكانت خير أم عرفتها البشرية جمعاء»(٣) ولم يقف الأمر عند تربيتها والاهتمام بأسرتها على اتم وجه، بل عانت كذلك الكثير من عسر الحالة الاقتصادية التي الزمتها بمهام شاقة ارهقتها «وقد صبرت فاطمة على الفقر مع زوجها، فبالإضافة لحالة الفقر العامة التي يعيشها الناس آنذاك كانت حياة علي وفاطمة في بيتهما

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام، امتداد النبوة، محمد حسيني شيرازي: ص ١٧.
(٢) فاطمة الزهراء عليها السلام افضل اسوة للنساء، محمد حسيني شيرازي ص: ٣١.
(٣) فاطمة الزهراء عليها السلام افضل اسوة للنساء، محمد حسيني شيرازي، ص٣٣.

مثل حياة أبسط الناس من ناحية مستلزمات العيش مع أنه كان البيت الثاني في الإسلام بعد بيت النبي صلى الله عليه وآله»[1].

لتعطي مدرسة الزهراء عليها السلام درسا عمليا قيما لكل نساء الكون، لتقول في الأخير.. إن هذه الحياة ماهي إلَّا قنطرة للأخرة «.. وكانت مثال المرأة التي تلتزم بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله: «**جهاد المرأة حسن التبعل**»[2]»، وقد وصفها زوجها عليها السلام وهي تقوم بخدمة بيتها وتربية ابنائها: «.. إنها جرت بالرحى حتى أثر في يدها واستقت بالقربة حتى أثر في نحرها وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار حتى دكنت ثيابها، وأصابها من ذلك ضرر شديد...»[3] و[4].

(١) شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام، اعداد شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينية: ص٣١-٣٢.

(٢) ينظر: بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي: ج١٤ ص٧.

(٣) ينظر: كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي: ج١٥ ص ٥٠٨.

(٤) شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام، إعداد شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينية: ص٣٣.

المبحث الثالث: السيدة الزهراء عليها السلام أطروحة حياة

المطلب الأول: إنسانية الزهراء

لكل إنسان طريقته وأسلوبه في الحياة، له رؤاه وأفكاره التي ينطلق منها ليحقق مشروعه الإنساني، وسواء كانت تلك المتبنيات صحيحة أم سقيمة فإنها ستسبغ على الإنسان ظلالها ويحصد اثرها في الدنيا والأخرة، ولهذا كان لابد للعبد من الإستعلام الجيد عن الوجهة الصحيحة، والتوثق الأكيد من صحة المسار، والنهل من معين الزهراء عليها السلام وتجلياتها في الحياة.

فلقد قدمت عليها السلام منهجا قرآنيا كاملا بكل مقوماته ودلالاته، فكانت كأبيها صلى الله عليه وآله قرآنا يمشي على الأرض، بكل حركاتها وسكناتها، لتكون الأولى بين نساء الكون دون منازع، فارتفعت حيث تدنى آخرون، وسمت حينما أفلت نجوم الكثيرين، وثبتت عندما انزلق المنافقون، وبرغم عمرها القصير، إلَّا أنها جمعت كل الخصال الكريمة، وحازت كل المقامات الرفيعة، وعلى الرغم من كل ما كابدته، إلَّا انها استطاعت بشخصها الملكوتي، وكيانها الفردوسي، ومقامها العرفاني، أن تنسف الكثير من الأفكار البالية، وتسحق العديد من الإعتبارات الوضعية الواهنة، التي كانت سائدة قبل فجر الإسلام، وأولها تلك النظرة القاصرة للمرأة «وكان من نتيجة تلك النظرة العادلة أن ظهرت نساء ارتفعن وسمون إلى منازل القدوة في جميع الخصال والصفات الرفيعة السامية، فتراهن مثال الشجاعة والصبر والمقاومة والتحمل حين الإقدام والمبادرة إلى رفض الظلم والتجبر والطغيان... فإذا بهن قمم شامخة في الشجاعة والجرأة والعلم والتقوى، وكل معالم الفضيلة، والأخلاق الرفيعة، وآفاقها الواسعة، ولا شك أن فاطمة الزهراء عليها السلام تقف في مقدمة هؤلاء النساء الرافضات للظلم والطغيان والمعلمات للمرأة دروس الجهاد والمشاركة في تحمل أعباء المسؤولية الرسالية»[1].

المطلب الثاني: رسالية الزهراء عليها السلام

ليس من السهل أن يكون الإنسان رساليًا بحق، يحمل همّ الأمة والمجتمع، ويمارس دوره التكليفي بكل عزم وثبات، متحديًا الضغوط والتحديات والصعوبات. وتتجلى عظمة الرسالة حين تتحملها

(١) فاطمة الزهراء قدوة الصديقين، محمد تقى مدرسى: ص ٩-١٠

المرأة، لما لها من خصوصيات في الدور الأسري والاجتماعي والعاطفي، فتضيف بذلك إلى رساليتها بُعدًا إنسانيًا متفردًا، لا ينتقص منها، بل يزيدها تكليفًا ورفعة تعالوا نتأمل سويًا في المرأة الأنموذج، لنشهد إنجازاتها النيرة في دنيا الإسلام، وخصوبة أهدافها، ونجاح خلافتها في الأرض؛ تلك الخلافة الحقة التي لم تُمنح إلَّا لقلة من النبي وآله صلى الله عليه وآله.

«تجلّت هذه الرسالة بعد النبي العظيم في شخصيتين رائدتين: علي بن أبي طالب عليه السلام الذي كان المثل الأعلى للقرآن، وفاطمة الزهراء عليها السلام التي جسدت الرسالة في أسمى معانيها» «فإن هذه المعجزة دونها كل معجزة»[1]، والحديث القدسي «**يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك، ولو لا علي لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما**»[2]، يشير إلى مكانة وعظمة السيدة الزهراء عند بارئها تعالى.

«وان امرأة – رغم ما جعل الله في طبعها من عوامل الضعف البشرى – تتحدى كل هذه العوامل، وتقطع كل صلة لها بالتراب، وتقف من أول الليل وحتى الفجر لتدعو ولكن ليس لنفسها وإنما للآخرين، وتقول لابنها الحسن المجتبى عليه السلام توصيه بالإحسان إلى الجيران: **يا بني الجار ثم الدار هذه المرأة قد وصلت إلى مرحلة من السمو والكمال، بحيث إن الله تعالى باهى بها ملائكته، وأولياءه، وحملة العرش**».

المطلب الثالث: الجهاد والتصدي

على رمضاء هذه المعمورة التي اوجدها الله تعالى للعبادة والخلافة، يتهافت العباد على ظلم بعضهم البعض وسلب حقوقهم بمختلف الأساليب والطرق، والوجع يبلغ أشده عندما يتفاقم الظلم على النزر المبارك، أولئك الذين خلقهم الله تعالى لغايات سامية، وعلى الرغم من ذلك الظلم الذي عصف بها فانه لم يثنها عن الوقوف وإكمال أدوارها، وما زادها ذلك إلَّا ثقة ويقينا، حيث افصحت عن رفضها مرة بلسانها، ومرة بأفعالها، وأخرى بإيماءاتها الشريفة، مجسدة معنى جليا في كيفية وقوف المرأة بعنفوان في وجه الظالمين دون خوف.

«رغم كل الجراح والآلام التي تعرضت لها الزهراء عليها السلام، إلَّا أنها لم تنهار ولم تسقط، بل بقيت صلبة وقوية في كل مواقفها، صادعة بالحق من دون أن تخاف في الله لومة لائم، ولم تكن هذه الآلام والمظالم تعني لها شيئاً على المستوى الشخصي والذاتي، ولم تكن فدك عندها قضية مال وحق شخصي

(١) المصدر السابق، ص١٢– ١٣.

(٢) كشف اللآلئ، لصالح بن عبد الوهاب بن العرندس: ص٩، وملتقى البحرين للعلّامة أبو الحسن المرندي، ص١٤.

كما تقدم، لأنهاعليها السلام في المستوى القيادي الرسالي همها الإسلام، وغصب فدك يعني لها غصب الحق وغصب الخلافة، وأما الآمها الشخصية رقم قساوتها، فإنها لا تمثل شيئاً أمام ألمها الكبير بإبعاد عليعليه السلام عن حقه، وهذا ما عبرت عنه في خطبتها في المسجد، حيث لم تتحدث فيها عن هجوم القوم على بيتها وغير ذلك من آلامها، وإنما تحدثت عن فدك كرمز للخلافة، تحدثت عن مخالفة القرآن في مسألة الإرث تحدثت عن خلافة عليعليه السلام».[1]

بهذا نصل لحقيقة مفادها أنها سلام الله عليها لم تعش لأجل نفسها بل أنها ذابت بكل عناصرها العرفانية العظيمة تضامنا مع الحق وأهله، فكانت الرسالية المثال في الوجود، التي لم تنهار عندما نالها الظلم، ولم تنزوي جانبا حينما تعرضت للجور.

لقد رفضتعليها السلام أن تكون ضحية في سجل التاريخ وأنها مجرد امرأة استلبت حقوقها، انما أرادت ان تنفتح إلى الرسالة بكل افاقها وان تعيش لخدمة الدين وأهله بكل طاقاتها «إن خلاصة حياة هذه الإنسانة العظيمة أنّها لم تعش لنفسها طرفة عين أبداً، وإنما عاشت لأجل الرسالة، لأجل أبيها رسول اللهصلى الله عليه وآله، ولأجل زوجها أمير المؤمنين، ولأجل ولديها الإمامين الحسنينعليهما السلام اللذين قال فيهما رسول اللهصلى الله عليه وآله: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، ولم تعش لهم قرابة فقط، ولكنها عاشت لهم رسالة، فقد أفنت حياتها في خدمتهم لأنها رأت في ذلك خدمة للإسلام الذي كان أكبر همها وغاية جهدها ومبلغ علمها»[2].

(١) بحار الانوار، الشيخ محمد باقر المجلسي: ج٤٣ ص٨١، رواية ٣.

(٢) المصدر السابق: ص٢٠٧.

المبحث الرابع: الفارق بين منهاج السماء ومنهاج الشيطان

المطلب الأول: منهاج السماء

١- الخلافة

تعد الخلافة غاية الوجود الإنساني والمهمة السماوية التي انيطت بالإنسان اول خلقه قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[١]، فهذا اعلان الهي صريح لوظيفة الإنسان الرئيسية التي عظمها الله وبين أهدافها، وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾.[٢]

فكلنا مأمورون لأن نكون خلائف الله في ارضه، نعبده نسبحه، ونطيعه، نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، فلم نخلق عبثا أو لهوا، بل لغية سامية ثم خيرنا في الطريق اما شاكرا واما كفورا، «إن الخلافة – المهمة الوجودية للإنسان – تعني الخلافة عن الله تعالى لتنفيذ مراده في الأرض وإجراء أحكامه فيها، وهذا معناه أن يكون الإنسان سلطاناً في الكون بغاية تطبيق المهمة التي كلفه بها المستخلف – الله – ائتماراً بما أمر وانتهاء عما نهى، وهو ما شرحه الرسولﷺ فيما رواه ثوبان إذ قال: قال رسول اللهﷺ: **من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو خليفة الله في الأرض وخليفة كتابه وخليفة رسوله**».[٣]

لذا فان منهج السماء في خلافة الإنسان، حصر طاقاته بما ينفعه ويجلب له ولمجتمعه السعادة، وذلك لن يكون إلَّا من خلال العمل في ساحة طاعته ورضاه «ولذلك فإن الإنسان الخليفة جوهر خلافته أن يحصر همه وجهده في الاقتراب من الله مستخلفه، وذلك بالعمل الدائب والكدح المستديم لترقية ذاته وتنميتها، حتى يبلغ من الإكتمال الدرجة التي ذكرها الله في قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾.[٤] [٥]

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٥.

(٣) ينظر: كنز العمال، المتقي الهندي: رقم ٥٥٦٤.

(٤) سورة الانشقاق: الآية ٦.

(٥) خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي: ص٦١-٦٢.

٢- الرسالة

ترى ماذا على خليفة الله احرازه كي يحدث فارقا ملموسا، ويكون نعم العبد المطيع، ومثالا يحتذى به؟ وجوابا نقول؛ يحتاج ان يكون رساليا في كلامه وافعاله، أقواله وسلوكياته، منضبطا صابرا.

«وانطلاقاً من هذه الروحية المحبة، نجد النبي يواجه حالات الانفعال الطائش من قبل قومه المعارضين بمزيد من التمثل، فعندما يقول الملأ من قوم هود: ﴿**إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[١]، نجده يرد عليهم بقوله: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[٢]، فنبي الله هود يجيب عن سؤالهم هذا بكل روح هادئة عقلانية، توحي بأننا إذا كنا نتحرك في أجواء الدعوة إلى الله، فإن علينا أن نواجه أسلوب السباب والاتهام اللامسؤول بالأسلوب الهادئ الذي يعمل على إثارة التفكير في عقول هؤلاء الشتامين والمتهمين».

اذن يجب ان نقول ان الإنسان الرسالي الذي يحمل هموم الأمة بين أضلعه لابد له ان يتأسى بسيرة الصالحين من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليه أن يسمو نفسا وروحا، ويرتفع عن سفاسف الأمور، لأنه يرى ما لا يراه الآخرون، لذا كان من الحتمي أن يكون صاحب خلق عظيم «والرسالي يحمل بين جوانحه قضية لا يحملها الناس، ولذا فهم لا يثمنوه ولا يُقدروه حق قدره مثلهم مثل الذي وضعت بيده حجارة كريمة وهو لا يدري قيمتها، وثمنها، فيرمي بها بعيداً غير آبه، إذاً فمن أجل أن يعرف الناس قيمة هذا الثائر عليه ان يكون محسناً اليهم، ويسعهم بأخلاقه وإيمانه وإحسانه متواضعاً لهم»[٣].

ومن أجل إيجاد نماذج رسالية تعمل بفاعلية وشغف وهمة، كان لابد من العمل على دعم تلك الفئات والمؤسسات التي همها العمل الرسالي في تجمعاتها الواعية، عن طريق إعمال الفكر، والعمل الجاد في مشروع الإصلاح «التجمع الرسالي الحق هو الذي يحارب سلبيات الأمة ويستبدلها بإيجابيات، لينشأ ذلك التجمع النظيف كالتجمع المحيط برسول الله صلى الله عليه وآله والإمام الحسين يوم عاشوراء، فهذا التجمع هو التجمع الرسالي بأن تكون يد الله معه، ولينطبق عليه الحديث المعروف، يد الله مع الجماعة»[٤] [٥]

(١) سورة الأعراف: الآية ٦٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية٦٧.

(٣) من محاضرات السيد محمد تقي المدرسي، برنامج الرسالي في عصر الانحسار: ص ١٣-١٤.

(٤) كنز العمال، المتقي الهندي، ص٢٠٧.

(٥) استراتيجية الحركة الرسالية، السيد محمد نقي المدرسي: ص ١١٥.

٣- الصراع والرفض والتحدي

وهكذا وبعد ان يثبت العبد حضوره الثر على أرض البسيطة من خلال خلافته عليها، وينفض عن روحه غبار الجمود والإتكالية، وينطلق حاملا شعلة الرسالة، فأنه لابد ان يمر في صراعات وتحديات شديدة، مما يتطلب منه ان يكون شديد البأس، عالي الهمة، متوثباً للنائبات، وهذا الصراع يوقد روح التنافس، ويرفع راية التحدي والتغيير، فلولاه لفسدت الأرض ومن عليها، قال تعالى: ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[1] وعلى العبد أن يقبل النزال وألا ينهزم مهما أشتد ليل الظالمين، لأن الصراع بوابة النمو والتطور «فالصراع وهو مسرح التقدم البشري، في مجالات الحياة، ومجالات الدين، فالحياة من جهتها قائمة على الصراع بين الإنسان وبين عوامل الطبيعة، كما أن الدين من جهته قائم على الصراع بين عقل الإنسان وارادته وبين شهواته، ورغباته، وملذاته، أو الصراع بين أهل الحق واهل الباطل.. وهكذا نجد ان الايمان يتحدى ظلمات الكفر، وان إبراهيم يتحدى نمرود، وموسى يتحدى فرعون، وعيسى يتحدى بني اسرائيل، ومحمد يتحدى قريش وهكذا.. إلى يوم يبعثون»[2].

المطلب الثاني: منهاج الشيطان

١- تمييع الحجاب

بعد كل ذلك التدرج في معرفة أهم أسس منهج السماء، وصلنا لأول صيحات النشاز عند أهل الشيطان، فترتفع الآنات وتتعالى الآهات وتنشج الويلات نحيبها، بسبب حضيض ودناوة تلك النظريات، وفساد تلك التوجهات، في تمييع الحجاب وتذويب أهدافه، حيث أصبح الحجاب عبارة عن مظهر دون مضمون، واكتفاءا بربطة تظهر من تحتها خصلات الشعر المصبوغ مع كامل المكياج، ثم يعد ذلك حجابا! ناهيك عن ارتداء الملابس الشفافة والمخصرة وكشف الجيوب، كأرتداء البنطال الضيق، فأين الحجاب المتحقق بشرطه وشروطه، وأين مضمون الستر في ذلك اللبس الفاحش؟! وهل يوجد تشابه بين هذه الخرقة المتواضعة وبين حجاب أمنا وقدوتنا الزهراء عليها السلام؟!

ولابد هنا من ان نلقي الضوء على الرجل ولي أمر المرأة، حري بنا ان نسأل ما هو دوره في هذه المهزلة؟ وأين هو في هذا الحطام.. وأين تفعيل قوامته بهذا المنزلق الخطير، ولماذا يكتفي بالتفرج

(١) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٢) الصراع والتحدي في حياة الرسالي، هادي المدرسي.

والإذعان والصمت؟

«وهذا ما نشهده اليوم للأسف الشديد قبال اعيننا في الأسواق والأماكن العامة حيث يصطحب الأب أو الزوج أو الأخ عرضه بصورة مزرية وفاضحة متعمدا ومتفاخرا وممعنا في الاستهانة بأحكام الله تعالى وتشريعه المجيد، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾[1]»[2]، من هنا يتضح التقصير الكبير لولي أمر المرأة وقلة حرصه من جانب، ومن جانب اخر موافقته وعدم تفعيل دوره بمنع ذلك الخرق في تعاليم الإسلام.

الأمر الثاني نقول أن السبب الرئيسي في تمويع الحجاب واذابة أهدافه؛ ما يتدفق إلينا من أفكار ومفاهيم منحطة تسيء للإسلام وللمرأة على حد سواء، للإسلام لانه يقيد المرأة ويمنع حريتها بالحجاب، وللمرأة بكونها متخلفة وجاهلة «وصار التصوير المشوه لأحكام الدين من خلع الحجاب أو تمييعه، أقوى الأهداف لديهم، وتجريد المرأة من الستر والحياء ابلغ غاياتهم»[3].

وهنا لابد من توجيه بيان عاجل للنساء مفاده: ضرورة الالتفاف والالتحاق بركب سيدة النساء عليها السلام لأنها طريق خلاصهن في الدنيا والآخرة «حذار أن تصدقي أن حجابك هو الشرعي الذي يرضي الله تبارك وتعالى ورسوله، وإياك أن تنخدعي بمن يبارك عملك هذا، ويكتمك، النصيحة، ولا تغتري فتقولي: إني أحسن حالا من صويحبات التبرج الصارخ؛ فإنه لا أسوة في الشر، والنار دركات كما أن الجنة درجات، فعليك أن تقتدي بأخواتك الملتزمات بحق بالحجاب الشرعي بشروطه».[4]

٢- (الجندر)

بعد ان تعرفنا على أول مناهج أهل الشيطان في تمييع الحجاب وافراغه، ننتقل إلى ثاني تلك المناهج وهو الأشنع والأفظع؛ وما يدعى بالجندر، وقد أشبعها الباحثون تفصيلاً.

٣- مراكز وعمليات التجميل (التقبيح)

لغط كبير وضجة عنيفة اجتاحت حياتنا اليوم بسبب مراكز التجميل المنتشرة والتي توافد عليها

(١) سورة التحريم: الآية٦.
(٢) ابحار في درب الال الاطهار، منتهى محسن محمد: ص ٨٦.
(٣) قطرات من بحر البتول، منتهى محسن محمد: ص٨٣.
(٤) فرضية الحجاب وخطورة التبرج، د. فارس بن يوسف المصري: ص ٥٦.

الكثير من النساء رغبة في التجميل وإعادة نضارة الشباب، قال تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾[1].

المطلب الثالث: الحلول والمعالجات

١- استنهاض القدوة

من اجل ان تقوم الأمة من سباتها والنهوض بواقع حالها، واجهاض كل المخططات الدنيئة التي ينسجها أهل الباطل عبر مناهج الفساد، كان من الضروري والمهم جدا استنهاض القدوة في نفوس فتياتنا ونساءنا لأن في ذلك عين الصواب، ولأنه مؤشر حيوي فعال يعمل على إحياء سنن الله وتعاليم دينه، كما انه يحقق في الوقت نفسه ضربة عنيفة لكل المحاولات الخبيثة التي تعمل جهدها لإسقاط المثل والقيم «ولكي نخرج المرأة من تلك المكانة البائسة كان لابد أن نهيأها ونجذب انظارها عبر الاقتداء بسيرة الفاضلات من النساء، لان في ذلك خلاصها من حبائل الشيطان ومكره، وما عليها الا ان تتحلى بخلقهن وتنتهل من سجاياهن وتقتطف من خصالهن لتحظى على رضا الله تعالى الذي يوصلها لسعادة الدارين»[2]، وذلك لن يحدث الا بتظافر الكثير من الجهود ابتداء بالبيت ثم المدرسة وصولا إلى وسائل الاعلام بكافة برامجها وتقنياتها، ومنابر الوعي والإرشاد التي تقام في الحسينيات ومجالس الذكر

ان صناعة نساء فاضلات وتأسيس مناخ يتيح لهن الحراك هو مشروع سماوي، جسده الخلص من النساء أمثال السيدة خديجة رضي الله عنها وابنتها الزهراء عليها السلام ومن ثم ابنتها الحوراء عليها السلام وكل من انتهج طريقهن ودربهن الذي هو طريق ومنهاج السماء.

«ان المتطلع لملحمة كربلاء يستسقي عبر كثيرة حملتها انسام المعركة حتى اليوم الموعود، منها التطلع لسيرة الأبرار والإنتهال من نهجهم الوضاء، والاقتداء بالثلة الطيبة من النساء الفواضل واتخاذهن اسوة ومنهجا قويما».[3]

لذا كان من المُلح جدا اليوم بعد هذه النظريات والاجتهادات الفاسدة التي ما انزل الله بها من

(١) سورة النساء: الآية ١١٩.

(٢) إبحار في درب الآل الاطهار، منتهى محسن محمد: ص ٩١.

(٣) المصدر السابق، البحث الثامن: بطولات نسوية تجلت في يوم عاشوراء: ص ٢٢٧.

سلطان، من العمل الجاد لعودة النساء إلى الينبوع الصافي والمنهل الرقراق متمثلا بسيدة النساء عليها السلام، لانها سر النجاح واصل الصلاح «لتكن السيدة الزهراء عليها السلام الأنموذج الحي والنابض في حراك المرأة الإعلامي والرسالي، لماذا خرجت، كيف خرجت، وماذا حققت؟»[1].

٢- صنع المرأة الرسالية

بعد مطلب استنهاض القدوة أول الحلول والمعالجات، نصل لأهمية صنع المرأة الرسالية، فكيف لنا ذلك، وهل يتم ذلك عبر فرط الأمنيات أو محض الصدف؟ ام ان ذلك يتطلب انشاءاً واعداداً للأنثى منذ نعومة الأظفار؟ وهل من الصحيح حجب المرأة من أبسط ميادين الحياة، ثم نتهمها بانها غير قادرة على القيادة وتصدر الرسالة؟

للأسف هذا مايحدث في اغلب بيوتاتنا، حيث غالى البعض حفاظا على الانثى فاغلق كل منافذ التطور بوجهها، فلم يأخذ بيدها حينما كان بالإمكان اعدادها لمهمة الرسالة، وكل ذلك يعود لقلة نضج ووعي الآباء، فقد اكتفوا بإعدادها كأنثى ولم يهتموا بإعدادها كإنسانة.

والجدير بالذكر معرفة ان واجبات المرأة كواجبات الرجل ومسؤولياتها كمسؤولية الرجل وقضيتها كقضيته فهي قضية الحق والرسالة والمصير، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2].

لذا فإن الإسلام لا يسعى لقتل طاقات المرأة وسلب أي دور لها في المجتمع، بل العكس تماما فهو يريد أن يفعل طاقاتها الاتجاه الصحيح، لتكون عنصرا حيويا له دوره الإيجابي والبناء في المجتمع، فالفعالية في المجتمع ليست خاصة بالرجال بل هي تكليف للمؤمنات كما كانت تكليفا للمؤمنين. فالمرأة إذن ليست عضوا خارج المجتمع أو على هامشه بل هي في قلب المجتمع لها دورها الأساسي، ان حاجة الأمة إلى جهود النساء وتكاتفهن مع الرجال لتكوين أمة قوية، أمر مقرر بين العلماء والعقلاء والحكماء معا، ولكي تؤدي المرأة هذا الدور لابد أولا أن يتم إعدادها لتصبح رسالية وصاحبة دور ريادي، ولكي يتحقق ذلك لابد أن تكون المرأة طالبة للعلم حريصة عليه، لأنه حياة القلوب ورياض العقول، كما ينبغي أن تكون ذات لسان سؤول لا يمنعها حياؤها عن تعلم شيء تجهله، ناهيك عن

(١) المصدر السابق نفسه، البحث السادس، تجربة الاعلام النسوي وتحديات العصر: ص ١٧٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧١.

التزامها الديني والأخلاقي.

إن دور المرأة الرسالية في واقع الأمة الراهن خطير، وإذا تأملنا حياة المرأة اليوم نجد أنها في حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى إعادة صياغة شخصيتها عمليا وفكريا، بما يلائم كينونة وجودها وطبيعة مهمتها الإنسانية على الأرض.

٣- تذويب المعوقات.

اليوم ونحن امام منهاج الضلالة والضياع وقبال أمواج تتلاطم على ضفتيها كافة وسائل الانحراف والسقوط، ماذا يتوجب ويستلزم علينا من كفاح، لنعود بالأمة إلى ضفاف الدين وتعاليمه الغراء.

هل يتطلب الحال اليوم السكوت والتسليم والاذعان، أم يجدر بنا الوعي التام بخطورة ما يحاك ويدور من حولنا، والانتصار لديننا الحنيف ونبينا الكريم صلى الله عليه وآله؟

بالتأكيد ومن واعز ضميرنا الرسالي سنختار الانتصار للدين، ومن هنا وبعد استعراضنا لأهم ما ابتلينا به اليوم وفق مخططات ومنهجية أهل الشيطان، وبين سعينا لخلق نماذج تتبع منهاج السماء، كان لابد اذن من تذويب كل المعوقات التي تقف في خلق نساء فواضل يقتدين بسيدة الطهر مولاتنا فاطمة عليها السلام ويتحملن المسؤولية ويعلمن وفق التكليف الشرعي المناط بهن وذلك عبر:

١- البدء بالأسرة لأنها الحجر الأساس للطفل، ولأن السنوات الخمسة الأولى هي التي تبني شخصيته، لذا على الابوين تقديم المرأة القدوة لبناتهم وعلى رأسهم السيدة الزهراء عليها السلام، عبر التطبيق العملي لسيرتها الغناء، في سلوكياتهم اليومية، فالأب من خلال التحلي بشمائلها من صدق وتقوى وعبادة والتطوع للأعمال الخيرية وغيره، والأم من خلال ادبها والتزامها بالحجاب الشرعي وتجردها عن حب الدنيا وترك بهارجها الخداعة.

٢-المدرسة: يمكن توظيف منهج التربية الإسلامية في المدرسة بالتطرق لسيرة السيدة الزهراء أو السيدة زينب عليها السلام، ولو لمدة الخمس دقائق الأولى من الدرس، بذكر شيء من فضائلها ومناقبها ومحاكاة الفتيات عبر أسئلة تستفز لديهم المتعة والتشويق في معرفة المزيد.

٣-الاعلام: حيث يعد المؤثر الاول اليوم في الحياة عبر تسخير البرامج الهادفة حول فكر وثقافة وملكات السيدة الزهراء عليها السلام، والتعريف بكل ادوراها عبر القصص أو المقالات التي تحاكي أعمارهم أو من خلال إقامة المسابقات المباشرة أو البرامج المسجلة، مثل (ماذا تعلمنا من القصة)، مع مراعاة

استخدام التقنيات الجذابة والمشوقة.

٤-الحسينيات ومجالس الذكر: لها دور مهم في اثراء هذه القضية بالخطب وعقد الندوات والمؤتمرات، أو بتخصيص دورات ونشاطات مستمرة تحيي من خلالها صورة السيدة الزهراء عليها السلام على انها القدوة ولذا يستلزم المضي على نهجها الذي هو نهج السماء.

٥-المؤسسات الدينية والمنظمات التطوعية: تتظافر أيضا بشكل ملحوظ فيما تقدمه من نشاطات فعالة لها صدى واسع خاصة بما تقدمه في ذكرى مولدها روايات استشهادها الشريف، هذا الاحياء يترجم بالتأكيد روح الانتماء لسيدة نساء العالمين ويرسخ حبها في الوجدان.

اما بخصوص ردم بؤر الكفر والانحراف وغلق منافذ الشيطان فلابد من تذويبها عبر:

أ-إيجاد وسائل وطرق منمقة واساليب تساير موجة التطور العارمة التي تجتاح الأخضر واليابس لإحداث تاثير مناسب من اجل العودة إلى حجاب المرأة الشرعي، وعدم الاكتفاء بالمواعظ والنصائح التي قد تلازم أحيانا الغلظة والتجريح، وانما من خلال طرح جديد يتناوب بين التنمية والتربية والدين.

ب-مشاركة الدولة من خلال منعها لاستيراد الملابس غير الإسلامية، فهذا التصرف يلزم الجميع احترام هوية البلد وديانته السماوية، ناهيك ان هذا التدخل يمثل ردعا لكل من سولت نفسها ارتداء الفاحش وغير المحترم من الملابس، وستصبح النتائج باهرة إذا عممت الدولة قانون انضباط عام، وكل من يخالفه يتعرض للمسائلة (الغرامة أو السجن) حسب شدة التمرد.

ج-غلق مراكز التجميل المنتشرة في بغداد وبقية المحافظات، والتشديد على القائمين عليها بالرخص القانونية التي تمكنهم من العمل بما فيه منفعة أو دفع ضرر، مثل إزالة تشوه خلقي أو نتيجة الحروق أو الحوادث لا سامح الله، اما ذلك العبث والتغيير في خلقة الله فلا جدوى منه ولا فائدة ترتجى، وانما هو وبال وفتنة، كما ويمكن ان يكون العمل منظماً وموجهاً من خلال المؤسسات الدينية والصحية والتربوية في توعية المرأة من مخاطر تلك العمليات في الدين والدنيا، والتذكير عما نهى به الله تعالى في تغيير خلق الله تعالى، والعقوبات المترتبة من الغش والتدليس الذي تتضمنه تلك العمليات، إضافة لما تثيره من تحريك الشهوات واثارة الغريزة الحيوانية، والتي هي اهم وسيلة يعزز من خلالها منهاج الشيطان وابالسته.

ت-الرد الحازم والحاسم لكل من ينادي بالجندر أو المثلية أو النوع الاجتماعي، وهذا يقع على

عاتق الدولة أولا لأنها اليد الضاربة والطولى لمن تسول نفسه الدنيئة تشويه خلقة الإنسان أو الانصياع لمنهاج الشيطان الرجيم، ذلك عبر فرض العقوبات وتشميع المكاتب أو المنتديات أو المؤسسات التي ترحب بتلك الأفكار السحيقة، وأيضا من خلال نشر مخاطر تلك العلاقات المشبوهة وتأثيرها على فطرة الله التي فطر بها الإنسان والحفاظ على النسل، ويمكن عمل حملات دعاية تنشر بوسترات أو إعلانات تكشف زيفها وتبين مخاطرها الصحية والنفسية والفكرية والاجتماعية والدينية على المجتمعات المسلمة.

ث-فتح الافاق للباحثين والمهتمين والمختصين بكشف اثار كل منزلق يروج له أصحابه وكل حسب اختصاصه وطريقة بحثه، الباحث من خلال تقديمه المادة العلمية في المحافل والندوات والمؤتمرات التي تعنى بردم الدخيل من النظريات الفاسدة، والطبيب بشرح خطورة عمليات التجميل أو دناءة الشذوذ وما يسفر عنه من انحطاط الذات وتأنيب النفس فيما بعد، والفقيه ببيان اثر ذلك والعقوبات المترتبة من جراءه، وهكذا دواليك يساعد الجميع في زعزعة تلك المزاعم.

ح- أهل المنابر من النساء والرجال والعلماء الأجلاء عليهم تبيان الفرق بين منهج السماء ومنهج الشيطان في خطبهم وكلماتهم وكتبهم، والدعوة في كل المحافل على اتخاذ العبد طريق الاستقامة والنجاة والنهل من سفن النجاة، في تلك السفينة الغراء التي من ركبها نجا ومن تخلف سقط وهوى، والحث اتباع منهجهم قولا وفعلا لأنه مراد الله تعالى في الخلق.

الخاتمة والنتائج

بعد هذه الجولة السريعة في حال المرأة منذ وجودها في القبائل السحيقة وصولا إلى ظلال الإسلام الرحبة، شهدنا مقدار التغيير الذي أخرجها من قوقعة التقاليد والموروثات والأعراف الباطلة، وفي قفزة فريدة من نوعها حيث افياء ديننا الرحب، وبعد ان فاح شذى مولاتنا الزهراء عليها السلام تلك الوردة الندية، وانتشر عبيرها في كل أدوار حياتها، فهذه وليدة الإسلام وابنت الرسالة المحمدية وصنيعة الله تبارك، فماذا قدم أهل الباطل ازاءها من نماذج غير الخزي والخسران المبين.

وبهذا البحث قارنا بين سبل منهاج السماء وخبث مناهج الشيطان، وتعرضنا لثلاثة طرق في كل منهاج، فقبال الخلافة كان تمييع الحجاب، وامام الثلة الرسالية التي تسعى للصلاح كانت ثلة شواذ لا يهمهم الا اشباع غريزتهم البهيمية، وقبال الثلة المؤمنة المتصدية لبؤر الضلال، تنحرف مجموعة لا يهمها من الدنيا سوى اثارة الشهوة المحرمة ولفت الانظار والغرائز من خلال عمليات التجميل القبيحة.

وبهذه اللفتات التي اردنا منها التمايز وتشخيص نقاط القوة والضعف في بناء الامة، ونصل إلى النتائج:

١-متى ما كانت المرأة من ذوات الهمة العالية ولها من الملكات العلمية والاخلاقية التي تؤهلها لحمل الرسالة، فعلى المتولين أمرها، الأخذ بيدها وفتح الآفاق لها كي تساهم بخدمة مجتمعها وتنتصر لمنهج السماء.

٢-ان المرأة الرسالية لا تأتي بمحض الصدفة ولا بضرب الأمنيات، بل بتأسيس وبناء مستمر، حتى تستلم مهام القيادة وتتهيأ للدور الأكبر والأشمل نصرة لدين الله، فأي اضطهاد أو املاء أعراف أو تقاليد جائرة تحد من امكانياتها وتحجم دورها فهو تقصير كبير لنصرة الإسلام، وضياع فرصة عامرة للتغيير والنهوض بواقع الأمة اجمع.

٣- حاجة الرجل اليوم إلى نهضة فكرية، تؤسس مفاهيم الدين الحق وتنبذ الأفكار السوداوية، ومنها الحاق العار للرجل عند مساعدته لزوجته في شؤون البيت، وانه إهانة لكرامته ورجولته، وفي

ذلك الانفتاح اثر كبير على المرأة لأنه يفتح لها المجال للمشاركة في مشروع التغيير، ويقسم جهودها الخلاقة ما بين الأسرة والمجتمع، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1].

٤-يستلزم اليوم ان تكون المرأة الرسالية شعلة نار متوهجة، تعيش الحراك بأقدس مايكون، تتحرك بثقة عالية بالقضية وبنفس إيماني خال من كل المصالح الدنيوية، ولتكن سيدة الرسالة المحمدية مولاتنا فاطمة عليها السلام نصب عينيها في كل خطواتها وحراكها التبليغي المهيب.

٥-إذا لم تتوفر قاعدة متينة من النساء الرساليات فالخلل لا يلقى على عاتق المرأة فحسب، وأنما يمتد ليطال الأبوين ومن تكفل برعايتها ونشأتها، قال الإمام علي عليه السلام: «**وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شئ قبلته**»[2]، لذا فعلى الإباء الانتباه لذلك الأعداد منذ البداية، فلا يتبنوا فكرة اعدادها لخدمة الأسرة والإلمام بأمور البيت، ويركون بث روح القيادة عندها.

ومن خلال هذا ندرك حقا من هم رواد النور الأوائل ومن مضى خلفهم ونتيقن حتما بسوء عاقبة أهل التمرد والعصيان الذين يتبعون اهواء نفوسهم ومنهج الشيطان اللعين، وبهذا نلملم أطراف الحديث، ونختم؛ ها هي الزهراء عليها السلام اطروحتنا في الحياة منهاجا وشرعة، فماذا قدمت دولة الباطل في منهاجها سوى الخراب والفساد.؟!

نسأل الله قبول هذا القليل اليسير، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين أبي الزهراء فاطم وعلى آله الهداة الميامين.

(١) سورة الروم: الآيات ٢١.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣ ص٤٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- إبحار في درب الآل الأطهار، منتهى محسن محمد، بحث (المرأة ودرجات النقاء النفسي ومجاهدة الهوى السيدة (فاطمة بنت اسد) انموذجا، منشورات معالم الفكر، الطبعة الأولى، ٢٠٢١، لبنان
- استراتيجية الحركة الرسالية، السيد محمد تقي المدرسي، ضمن سلسلة رؤى إسلامية في العمل الثوري.
- الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، السيد ناصر مكارم الشيرازي، مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية.
- الزهراء القدوة، السيد محمد حسين فضل الله، اعداد حسين احمد الخشن، الطبعة الثانية: ١٤٢٢ه، دار الملاك.
- الشذوذ الجنسي، محي الدين محمد عطية، حقيقته وأشكاله ودور الإسلام في الوقاية منه وعلاجه.
- الصراع والتحدي في حياة الرسالي، هادي المدرسي، دار التيار الجديد بيروت – لبنان، ١٩٨٣ – ١٤٠٣.
- الجندر: حلول أم إثارة مشاكل،علي الزيدي، رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٢٤٠) لسنة ٢٠٢١، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٤٣هـ – ٢٠٢١م.
- الإصابة في تمييز الصحابة: الحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) دار الكتاب العربي – بيروت – ٣٩٨/ ٢.
- الإستيعاب في أسماء الأصحاب للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ) دار الكتاب العربي –بيروت – ٣١١/ ٢ – ٣٢٤.
- الأعلام: تأليف: خير الدين الزركلي الدمشقي، (ت ١٩٧٦هـ) دار العلم للملايين – بيروت – ط السادسة، ١٩٤٨هـ، ٤٨٠/ ٤.
- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) تحقيق وضبط: محمد سيد گيلاني، دار المعرفة بيروت.
- المرأة في الإسلام، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، ١٤٢٨هـ.
- المرأة في الإسلام، الشيخ أحمد الوائلي، مؤسسة المصطفى، قم المقدسة، ١٤٢٤هـ.

- المرأة في فكر الإمام الخميني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الاولى، بيروت- لبنان، اذار، ٢٠٠٩م-١٤٣٠هـ.
- اللجنة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، اتفاقية القضاء على كافة اشكال التميز ضد المرأة، ومادة جندر، استرجعت بتاريخ ١٥-٤-٢٠١٣م من موقع الموسوعة البريطانية.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: ج٤.
- الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان، باب قول النبيﷺ (من غشنا فليس منا).
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي: ج١٤
- تحرير الفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨.
- (الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان)، الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ. و
- دراسات في الفكر الإسلامي، بسام جرار.
- دور المرأة المجتمع الإسلامي، توفيق علي وهبة، الطبعة الخامسة، دار اللواء، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ص١٦
- حركية التاريخ الرسالي في فكر السيد محمد حسين فضل الله، اعلاء للقيمة ونبذ للخرافة، حسين منصور الشيخ، اصدار المركز الإسلامي الثقافي، مجمع الامامين الحسنينعليهما السلام، لبنان - حارة حريك.
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٩٣م.
- سيرة ابن هشام، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري البصري المتوفى سنة (٢١٨هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر: ج١ الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.
- شذرات من حياة فاطمة الزهراءعليها السلام، شعبة التبليغ، قسم الشؤون الدينية.
- عمليات التجميل، بحث د. جبر محمود الفضيلات، أستاذ مشارك في جامعة الزرقاء الأهلية كلية الشريعة - رئيس قسم الفقه وأصوله.

- فاطمة الزهراء عليها السلام امتداد النبوة، محمد حسينى شيرازى، مؤسسة الكلمة، مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية
- فاطمة الزهراء عليها السلام افضل اسوة للنساء، محمد حسين شيرازي، دار صادق، مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية: ص ٣١
- فاطمة الزهراء قدوة الصديقين، محمد تقي المدرسي، دار محبي الحسين عليه السلام، مركز القائمية باصفهان، ص١٢- ١٣.
- فرضية الحجاب وخطورة التبرج، د. فارس المصري.
- فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، المكتبة السلفية - مصر، الطبعة: «السلفية الأولى»، ١٣٨٠ - ١٣٩٠ هـ ٣٣٢/ ١٠.
- قطرات من بحر البتول، منتهى محسن محمد، الطبعة الأولى، ٢٠٢٣م، دار الورشة للطباعه والنشر، بغداد.
- قضايا المرأة اشكاليات وردود، محمد صنقور، الطبعة الثانية، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة،١٤٤٠ هـ- ٢٠١٨م.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي، الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ج ١٥.
- كشف اللآلئ لصالح بن عبد الوهاب بن العرندس: فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، ٣٥- ملتقى البحرين للعلاّمة أبو الحسن المرندي.
- لسان العرب، ابن منظور، مج٤، حرف الراء، فصل الجيم.
- مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب، طبع: ١٣٧٦هـ-١٩٦٥م
- من محاضرات العلامة السيد محمد تقي المدرسي، برنامج الرسالي في عصر الانحسار، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- مفهوم الجندر وآثاره على المجتمعات الإسلامية / أمل عائض، الطبعة الأولى ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦م، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
- نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام، ج٣.

السيدة الزهراء عليها السلام

عنوان التصدي للانحراف

الباحثة: حكمة عودة خلف محمد الحسيني

الباحثة: هناء حسين احمد شهاب التميمي

ملخص البحث

في هذا البحث سلطنا الضوء على سيرة حياة الزهراء عليها السلام من خلال البحث وعرض سيرتها عليها السلام في المبحث الأول الذي يتكون من اربع مطالب فحريٌ بنا أن ندرسَ سيرة الزهراء البتول ونسلط الضوء على مراحل حياتها، كي نجعل نصب اعيننا المثل الإسلامية العليا التي تجسدت في الزهراء، فكرا ونهجاً وسلوكاً وكذلك تعرضنا إلى زواجها وحقيقتها ومنزلتها فالزهراء... المثل الأعلى الذي قدمته الرسالة الإلهية للمرأة فقد صاغتها يد العناية الربانية أيّة صياغة لتكون قدوة للحياة الكريمة، واسوة للفضائل والقيم الإنسانية فهي نسخة ناطقة لتعليم الوحي الإلهي، صّديقة لا تفعل غير الحق، ولا تتبع سوى الهدى وفي المبحث الثاني الذي يتكون من ثلاث مطالب من خلاله بينا مقامات الزهراء عليها السلام وكذلك عند العلماء والمحدثين وفي يوم القيامة كذلك وأيضا لما تعرضت له من ظلامات وما جرى عليها من حوادث ووقائع مرة في طفولتها عليها السلام، وما توصلنا إلى عرضه في المبحث الثالث الذي يتكون من خمسة مطالب حيث كان الدور الذي اضطلعت به الزهراء عليها السلام بعد وفاة ابيها صلى الله عليه وآله يتمثل في الحفاظ على الصيغة الإسلامية الاصيلة على مستوى العقيدة والسياسة والتشريع ويمثل حجر الزاوية في تأصيل خط الإمامة بكل ما يحمله من مفاهيم وأفكار واهداف وتوجهات وخصائص ومميزات، ويعكس الموقف السليم من التغيرات الطارئة المستجدة في حياة الامة على صعيد العقيدة وفهم الكتاب وإقامة السنة.

فاتخذت الزهراء عليها السلام من الكلمة سيفاً ومن الحجة سناناً، لتلقي الحجة وتنبه على الفتنة وتعري أساس السلطة، وتقوض أركانها بدفاعها عن الولاية وشخص الامام، إن موقف الزهراء عليها السلام بعد وفاة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله يشتمل على دلالات وابعاد سياسية خطيرة حرية بالبحث والدراسة، لانها تستوعب قسماً مهماً من الاحداث والملابسات السياسية والاجتماعية التي تفاعلت في داخل الساحة الإسلامية في أخطر مراحل المسيرة التأريخية للآمة والتي شكلت المخاض العسير الذي أنجب أخطر المعطيات السياسية والاجتماعية بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله إلى رحمة ربه ورضوانه

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السماوات والارضين خالق فاطمة الزهراء سيدة نساء العالين والصلاة والسلام على أبيها محمد الامين، سيد الأنبياء والمرسلين حبيب الله وخاتم النبيين، وعلى بعلها أمير المؤمنين علي سيد الأوصياء وامام المتقين وعلى أولادهما الأئمة الميامين أهل البيت الطاهرين، واللعن الدائم على اعدائهم ومنكري فضائلهم من بدء الخلق إلى قيام يوم الدين.

فالزهراء... المثل الاعلى الذي قدمتهُ الرسالة الالهية للمرأة، فقد صاغتها يد العناية الربانية أية صياغة لتكون قدوة للحياة الكريمة، وأسوة للفضائل والقيم الإنسانية، فهي نسخة ناطقة بتعاليم الوحي الالهي، صديقة لا تفعل غير الحق، ولا تتبع سوى الهدى.

فحريٌ بنا ان ندرُس سيرة الزهراء البتول عليها السلام ونسلط الضوء على مراحل حياتها، كي نجعل نصب أعيينا المثل الإسلامية العليا التي تجسدت في الزهراء، فكراً ونهجاً وسلوكاً.

فاتخذت الزهراء عليها السلام من الكلمة سيفاً ومن الحجة سناناً، لتلقي الحجة وتنبه على الفتنة وتعري اساس السلطة، وتقوض اركانها بخطابها الذي كان أية في البلاغة وغاية في الفصاحة، لتقول: «**أيها الناس، اعلموا اني فاطمة وأبي محمد صلى الله عليه وآله فلما اختار الله لنبيه دار انبيائه ومأوى اصفيائه، ظهر فيكم حسيكه النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الاقلين... فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لمّا يقبر ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾..ألا وقد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم ولكنها فيضة النفس ونفثة الغيظ، وحور القنا، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة..**» وفي موقف الزهراء عليها السلام من احداث السقيفة ومما جرى عليها من الظلم والعدوان نستلهم دروساً من العظمة والإباء في التصدي للانحراف والطغيان والدفاع عن مبادئ الحق واقامة السُنّة وإماتة البدعة.

وهكذا عندما نقف على الجوانب الاخُر من حياة الزهراء عليها السلام فإنما نقف على أوسع مدى لمثل الإسلام وكل صفات الفضيلة والكمال وقيم الشرف والجلال وسبل الهداية والصلاح والرشاد.

المبحث الأول: السيرة العطرة للزهراء عليها السلام

المطلب الأول: ولادتها عليها السلام

ولدت الزهراء عليها السلام على المشهور بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل البعثة بخمس سنين يوم العشرين من جمادي الثاني.

فترعرعت فاطمة عليها السلام في بيت يعيش الجهاد من اجل العقيدة، منطلقاً لنداء التوحيد بعد هبوب غيوم الظلمات تغتدي الايمان من ابوين طاهرين يواجهان عالم الشرك قد سُددت لها الاف السهام من المشركين والمنافقين وطواغيت العرب والعجم واليهود حتى أخذت الدعوة تهز اركان الطواغيت من ذلك البيت البعيد عن زخرف الدنيا، الرفيع بالصفاء والسلام[1].

فأصبحت تعيش روح العرفان والجهاد المليء ببهجة الثبات وثقل الدعوة غير مكترثة بكثرة جنون الشيطان.

ومهما كان الحال في تاريخ ولادتها فلقد نشأت بين أبوين ماعرف التاريخ أكرم منهما ولاكان لاحد في تاريخ الإنسانية ما لأبيها من الاثار التي غيرت وجه التاريخ ودفعت الإنسان العربي أشواطاً بعيدة إلى الإمام في بضع سنوات معدودات، والاحاديث عن أم كأمها أعطت مالها ووهبت كل ما لديها وحتى حياتها لزوجها العظيم مقابل ما أعطاها من هداية ونور حتى أصبحت السيدة الأولى بين نساء المسلمين اللواتي يبلغن الاف الملايين إلى هذا التاريخ.

ففي ضل هذين الابوين درجت فاطمة الزهراء عليها السلام واستقبلت منذ طفولتها حدثاً جليلاً تخطى مكة والمدينة والجزيرة العربية بكاملها والعالم كله عصراً وراء عصر[2].

ففاطمة عليها السلام من صلب خاتم النبيين وأشرف خلق الله أجمعين محمد المصطفى صلى الله عليه وآله مباشرة من دون واسطة دون غيرها فكانوا من صلب ادم عليه السلام فهي خبر أهل الأرض عنصراً وأشرف بعد أبيها

(١) شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام الشيخ آل شبير الخاقاني، انتشارات انوار الهدى، ط الثانية والمصححة – ١٤٢٣ هـ ق: ص٣٣.

(٢) سيرة الأئمة الأثنى عشر، هاشم معروف الحسني، منشورات الشريف الرضي قسم الأول: ص٦٦.

وبعلها مقاماً، وأكرم منزلاً.

فخلقت من نور محمدي قبل خلق آدم بآلاف السنين، خلقت حورية في صورة أنسية ثم تكونت نطفتها في أعالي الجنة، ونطقت وتحدثت في بطن أمها. وقال جبرائيل عنها أنها النسل الطاهرة الميمونة، وسجدت ونطقت بالشهادتين عند ولادتها، فهي المباركة الطاهرة الصديقة الزكية الرضية المرضية المحدثة الزهراء البتول الحرة، العذراء الحوراء النورية السماوية الحانية، ام الحسنين أم أبيها، أم الأئمة النجباء فهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الاولى[1].

المطلب الثاني: نشأتها عليها السلام

لقد نشأت في دار أبويها وحيدة يغمرها حنان أبيها الذي فقد بنيه ولم يبق لهُ من عزاء الأعباء النبوة الذي تأهب له في سبيله ما تنوءُ به الجبال فأنى اتجه وأنى ذهب يرى قريشاً وغلمانها وعبدانها له بالمرصاد وفاطمة على صغر سنها ترى كل ذلك وتساهم مع أمها في التخفيف من وقعِ ذلك في نفسه، فكانت تتلوى من الألم لما يلقى من فادح الأذى وتتجرع مرارة ما كان يكابُدهُ المسلمون الاولون من اضطهاد مرير، حتى لتكأد تحس لسع الصخور الملتهبة وهي تلقى عليهم في حرِ الصيف وساعات اللهيب المحرقة والم السياط التي كانت قريش تلهب بها ظهور المستضعفين والمعذبين بين اسوار الحصار المنهك عدداً من السنين. وتوالت عليها المشاهد التي كان وقعها اليماً على نفسها وقلبها وهي لاتزالُ في سن الطفولة ترى اباها يتلوى من أجل أولئك المعذبين ولا يستطيع ان يصنع لهم شيئاً[2].

ففي تلك السن الصغيرة شاركت اباها محنتهُ وهو يواجه اذى المشركين في مكة.

كانت تضمد جراحه وتغسل عن ما يلقيه سفهاء قريش وكانت تحدثه بما يسلي خاطرة ويدخل الفرحة في قلبه، ولهذا اسماها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله أم أبيها لفرط حنانها وعطفها على ابيها صلى الله عليه وآله.

وشاء الله تعالى أن تبدأ فاطمة عليها السلام طفولتها الطاهرة في مرحلة من اشد مراحل الدعوة الإسلامية ضراوة ومحنة، وأكثرها قسوة واذى لأمها وابيها، لقد ولدت فاطمة عليها السلام في حدة الصراع بين الإسلام والجاهلية وفتحت عينيها في ضراوة الجهاد بين الطليعة المؤمنة وقريش الوثنية الجائرة[3].

---

(١) الاسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي المطبعة امير-قم الطبعة الثانية ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٠م ص١٠

(٢) سيرة الأئمة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسني، القسم الأول، منشورات الشريف الرضي ص٦٦

(٣) شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام اعداد شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية، الناشر العتبة العلوية المقدسة، ط أولى، سنة الطبع ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م، ص٢٢.

المطلب الثالث: زواجها عليها السلام

من مبادئ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الحث على الزواج ودفع الشباب المسلم إلى بناء البنية الاجتماعية المسلمة على مكارم الاخلاق والعفة والكرامة وتكوين أسرة صالحة تستطيع أن تكون لبنة أساسية لمجتمع صالح ذو قيم أخلاقية فاضلة، لتحمل مسؤوليتها إلى الأجيال الصاعدة، كما امر الله سبحانه وتعالى به افي محكم كتابه المجيد[1]: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾[2].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من تزوج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الاخر**».[3]

ولم يكتف صلى الله عليه وآله بالحث على الزواج نظرياً وإنما عمد إلى تطبيق ذلك عملياً وببساطة بعيدة عن التعقيد والتكليف، لكنه كان يلاحظ ويؤكد على الكفاءة والموازنة بين الزوجين في جميع المستويات، دينياً وخلقياً واجتماعياً بعيداً عن عالم المادة والزخرفة والبهرجة، وكان يرى صلى الله عليه وآله ان تجري الأمور على مجراها الطبيعي، ولهذا كان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله ينتظر الكفء المناسب لأبنتهِ عليها السلام.

رسول صلى الله عليه وآله وسام كان قد حبسها على، ويرغب في أن يخطبها منهُ[4]، لأنه مأمورٌ ان يزوج النور من النور[5].

وبينما علي بن ابي طالب متجهاً إلى دار النبيّ صلى الله عليه وآله وكان في بيت السيدة أم سلمة هبط ملك من السماء بأمر إلهي إليك مضمونه ملخص: عن ابن مسرور مرفوعاً عن علي بن جعفر قال: سمعت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام يقول: «**(بين رسول الله صلى الله عليه وآله) جالس إذ دخل عليه ملك فحسبه جبرئيل، فقال حبيبي جبرئيل، لم ارك في مثل هذه الصورة فقال الملك: لستُ بجبريل، انا محمود، بعثني الله عز وجل أن ازوج النور من النور، قال من ممن؟ فقال: فاطمة من علي، قال: فلما ولى الملك إذا بين كتفيه: محمد رسول الله، عليٌّ وصّيهُ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: منذُ كم كتبَ هذا بين كتفيك؟ فقال: من أن يخلق الله عز وجل آدم بأثنين وعشرين الف عام وفي (المناقب) لابن شهر آشوب، بأربعة وعشرين الف عام**»[6].

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام حسين الشاكري، نشر الهادي – قم سنة الطبع ١٤١٥ هـ ق: ص٨٥.
(٢) سورة النور، الآية ٣٢.
(٣) وسائل الشيعة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي المتوفي سنة ١١٠٤ هـ: ج١٤ ص٥.
(٤) كشف الغمة، أبن ابي الفتح، مصادر سيرة النبي والأئمة: ج١ ص٣٥٤.
(٥) دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري: ص١٩.
(٦) معاني الاخبار، الشيخ الصدوق: ج١ ص١٠٣، الخصال، للصدوق: ص٦٤٠، امالي الصدوق: ص٦٤٠.

اتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله جميع التدابير اللازمة لزفاف ابنته فاطمة ليعوضها عما فقدته من وجود أمها خديجة وحنانها.

وبالرغم من بساطة مراسيم الزواج وسهولته والابتعاد عن التكلف والترف، أقول: بالرغم من كل ذلك إلَّا أنه كان محاطاً بهالة من آيات العظمة والجلالة والجمال، حتى روى الهيثمي في مجمع الزوائد عن جابر انه قال: حضرنا عرس علي وفاطمة عليها السلام، فما رأينا عرسا كان أحسن منهُ وقد شاء الله تعالى أن يكون زواج السيدة فاطمة ممتازاً من جميع الجوانب كما خطط له الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأراد، حتى لا تشعر، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وآله بتقديم بغلته الشهباء، وثني عليها قطيفه، وقال لفاطمة: «**أركبي فداك أبوكِ**» وأمر سلمان أن يقود البغلة وكان هو صلى الله عليه وآله يسوقها.

عاش علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام تحت سقف واحد وتخرجا من مدرسة واحدة، هي مدرسة النبي صلى الله عليه وآله وخديجة رضي الله عنها وقد عرف علي فاطمة عن كثب، وهو يعلم أن الأرض لاتحمل على ظهرها امرأة كفاطمة جمعت الفضائل والكمالات، وحبها في أعماق قلبه خالص صميمي.[1]

المطلب الرابع: منزلتها وحقيقتها عليها السلام

وقد ورد على لسان أصدق البشر واكملهم صلى الله عليه وآله ما يحدد منزلتها من الله تعالى، ومنه أنها هبة إلهية، وحوراء أنسية، ومما روى عنه صلى الله عليه وآله قوله: **يا فاطمة إلَّا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الامة وسيدة نساء المؤمنين**[2] ويسأل الإمام علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: **يا رسول الله أيُ اهلك أحب اليك؟** قال صلى الله عليه وآله: **فاطمة بنت محمد.**[3]

وفاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة، كما تشهد بذلك آية التطهير والمباهلة وحديث الكساء واصحابه الخمسة المصطفى والمرتضى وابناهما وفاطمة عليهم السلام وربما قدم في آية المباهلة النساء والأبناء على الانفس للإشارة إلى أنّ الأنفس فداها (فداها ابوها).

وما يسطر القلم في معرفة فاطمة إلَّا قطرات من بحر معرفتها، وإنما من بحر معرفتها وإنما عرفناها وعرفنا الأئمة الأطهار بما نطق به الثقلان القرآن وأهله، وإلَّا فقد فطم الخلق عن كنه معرفتها، فمن

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ج٢ ص١٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوي، اشراف يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة للطباعة والنشر لبنان – بيروت، ت، لا.ط: ج٣ ص١٥٦.

(٣) ذخائر العقبى، احمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدسي، مصر ـ القاهرة، سنة الطبع ١٣٥٦ هـ، لا.ط: ص٣٦.

يعرفها ويعرف اسرارهـا؟ فـالأسرار الفاطمية ليس إلَّا من سر الكاتب وسريرته لا من أسرارها وحقيقتها، فإن حقيقة فاطمة عليها السلام حقيقة ليلة القدر، حقيقة الكون ومافيه[1].

(١) الاسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، تقديم أية الله السيد عادل العلوي، الناشر (مشترك) مؤسسة الزائرين الروضة المقدسة -لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر: ص١٤.

المبحث الثاني: الزهراء عنوان المرأة

المطلب الأول: مقاماتها عليها السلام

مقامها عند الله عز وجل

ان من المقامات التي خصت بها فاطمة الزهراء عليها السلام هو مقام الرضا أي إن الله عز وجل يرضى لرضاها وغضب لغضبها، حيث جاءت الكثير من الروايات الشريفة المأثورة عن الرسول وأهل بيته عليهم السلام لتؤكد هذه المنقبة العظيمة للصديقة الشهيدة.

وهذا مما يدل على كونها ذو مقام عالي وشريف سامي لها عند الله تعالى، إذ لا معنى أن يرضى الله لشخص من دون أن يكون له عند الله منزلة وكرامة عليه، وهذا مما يساعد عليه العرف العقلائي إضافة إلى الشواهد القرآنية الكثيرة على هذه المسألة وعلى هذا الأساس تكون فاطمة كريمة عند الله تعالى لعلوا شأنها ومنزلتها عنده لذلك يرضى لرضاها ويغضب لغضبها.[1]

عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «**يا فاطمة أن الله ليغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[2].

وكذلك ما ورد عنه صلى الله عليه وآله انه قال: «**يا فاطمة أبشري فلك عند الله مقام محمودً تشفعين فيه لمحبيك وشيعتك فتشفعين**»[3] ويظهر ايضاً مقامها عند الباري عز وجل من خلال الحديث الطويل الذي يروى عن أهل بيت العصمة عن الله تعالى حيث يقول الباري عز وجل: «**يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل ان اخلق السموات والأرض بألفي عام أن لا أعذب محبيك ومحبي عترتك بالنار**»[4].

مقامها عند الملائكة

في حديث طويل.. «.. **فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر، الذي قد أشرقت به**

(١) الأسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م: ص٩٧.
(٢) مناقب آل ابي طالب، ابن شهر آشوب، المتوفي ٥٨٨، سنة الطبع ١٣٧٦ - ١٩٥٦: ج٣ ص١٠٦.
(٣) كنز الفوائد، ابو الفتح الكراجكي، المتوفي ٤٤٩: ص١٥٠.
(٤) سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي: ج٢ ص٣٧٥.

السموات والأرض؟ فأوحى الله إليها:[1] هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة ابنة حبيبي، وزوجة وليّ وأخو نبيّ وأبو حججي على عبادي، أشهدكم ملائكتي أني قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة»[2].

هذا يعني انها عليها السلام لها مقام النور الزاهر عند الملائكة فهم يعرفونها في السماء بالنور الزاهر الذي أزهرت السماوات والأرض بنورها ولأجل ذلك سميت بالزهراء.

مقامها عليها السلام عند الأنبياء والنبي صلى الله عليه وآله

أما عند الأنبياء فهذا ما دل عليه الحديث المأثور عن أهل بيت العصمة عليهم السلام الذي يقول: ما تكاملت نبوة نبي من الأنبياء حتى أقر بفضلها ومحبتها وهي الصديقة الكبرى وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، حيث يظهر من هذا الحديث ان لها مقام سامي عند الأنبياء لأنه ما تكاملت نبوتهم حتى أقروا بمنزلتها ومقامها وفضلها ومحبتها، واللطيف هنا إنما الإقرار يكون عند من له الحق على الآخرين، وعليه يكون الأنبياء أقروا اله تعالى – لأنه هو صاحب الحق عليهم – بفضلها ومحبتها أما عند النبي صلى الله عليه وآله فأن مقامها رفيع ولوا أردنا أن نكتب عن مقامها عند الرسول لاحتجنا إلى مجلدات في هذا الأمر ولكن على ما يسعنا المقام نقول: ان مقامها يظهر من احاديث الرسول صلى الله عليه وآله نفسه حيث تارة يقول فداك أبوك ومرة أخرى يقول لها أم أبيها، وأخرى بضعه مني ولحمها لحمي ودمها دمي ولكن الأهم من هذا كله فأنها عليها السلام يكفي من مقامها ومنزلتها عند الرسول صلى الله عليه وآله أنه قال في حقها: «**من عرف من هذه فقد عرفها. ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهي بضعة مني وهي قلبي الذي بين جنبي فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله**»[3].

مقامها عليها السلام عند الأئمة عليهم السلام

ورد عن الأمام الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «**نحن حجج الله على خلقه وجدتنا فاطمة حجة الله علينا**»[4] وهذا الحديث من الأحاديث العظيمة الذي أعطى لفاطمة عليها السلام وعلى لسان حفيدها

(١) الاسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، المطبعة أمير – قم، ط الثانية ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م: ص٩٨.
(٢) تأويل الآيات، شريف الدين الحسيني: ج١ ص١٣٧، ح١٦ك.
(٣) كشف الغمة، ابن ابي الفتح: ١/ ٤٦٧، الفصول المهمة، ابن الصباغ: ١٢٨، نور الأبصار، مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي: ٥٢، ونزهة المجالس، لعبد الرحمن الشافعي: ج٢ص٢٢٨.
(٤) تفسير اطيب البيان، السيد عبد الحسين الطيب، المتوفي ١٩٩٠: ج٣ ص٢٢٦.

الإمام الحسن العسكري عليه السلام أكبر شهادة عظمى بحقها، ويظهر من خلال حديث آخر عظم منزلة ومقام فاطمة عند الأئمة عليهم السلام حيث خرج من الناحية الشريفة عن الأمام المهدي عجل الله فرجه الشريف أنه قال: «**وفي أبنة رسول الله صلى الله عليه وآله لي أسوة حسنة...**» فأي مقام يظهر لنا من خلال هذا التوقيع الشريف والذي بين فيه الإمام عجل الله فرجه الشريف أن له أسوة حسنة بفاطمة أي اتخذها قدوة له يتأسى بها في المعضلات والمصائب.[1]

مقامها عليها السلام عند العلماء والمحدثين

ونذكر منهم قال ابن صباغ المالكي: ولنذكر طرفاً من مناقبها التي تشرف هذا النسب من نسبها، وأكتسى فخراً ظاهراً من حسبها، وهي فاطمة الزهراء بنت من أنزل عليه: سبحان الذي أسرى، ثالثة الشمس والقمر، بنت خير البشر، الطاهرة الميلاد، السيدة بإجماع أهل السداد[2].

وأشار العقاد: ان في كل دين صورة الأنثوية الكاملة المقدسة يتخشع بتقديسها المؤمنون، كأنما هي آية الله فيما خلق من ذكر وأنثى: فإذا تقدست في المسيحية صورة مريم العذراء، ففي الإسلام لا جرم تتقدس صوره فاطمة البتول.[3]

مقامها عليها السلام يوم القيامة

إن أفضل مقام تعطى فاطمة عليها السلام يوم القيامة هو مقام الشفاعة الكبرى والذي من خلال هذه المنزلة تظهر قدر ومقام فاطمة عند الله تعالى يوم القيامة وأمام الخلائق جميعاً، فلقد ورد في تفسير فرات... فإذا صارت عند باب الجنة تلتفت فيقول الله عز وجل: يابنت حبيبي، ما التفاتك وقد أمرت بك إلى جنتي؟

فنقول يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم، فيقول الله: يأبنة حبيبي ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك خذي بيده فأدخليه الجنة.

قال أبو جعفر عليه السلام: **والله – يا جابر إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبيها كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحب الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا فإذا**

(١) البحار للعلامة المجلسي: ج٥٣ص١٧٩ و١٨٠ غيبة الطوسي: ص١٧٢، الاحتجاج للشيخ الطوسي: ج٢ ص٢٧٧، والزام الناصب للشيخ علي اليزدي الحائري: ج١ ص٤٣٩.
(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ: ج١ ص٦٤٩.
(٣) أهل البيت لتوفيق أبو علم: ص١٢٨.

التفتوا فيقول الله عز وجل: يا أحبائي ما التفاتكم وقد شفعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحببنا ان يعرف قدرنا في مثل هذا اليوم فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة انظروا من كساكم لحب فاطمة، انظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، انظروا من رد عنكم غيبة في حب فاطمة، خذوا بيده وادخلوه الجنة.

قال ابو جعفر عليه السلام: **والله- لا يبقى في الناس إلَّا شاك أو كافر أو منافق، فاذا صاروا بين الطبقات، نادوا كما قال الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فيقولون ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[1].

قال أبو جعفر عليه السلام: **هيهات هيهات منعوا ما طلبوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**.[2]

المطلب الثاني: ظلامات الزهراء عليها السلام

الظلم لغة: أما لغة فقد جاء في لسان العرب[3]: الظلم وضع الشيء في غير موضعه. وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد، ويقال ظلمه بظلمه ظلماً ومظلمة، والظلم مصدر حقيقي وهو ظالم وظلوم والظلمة هم المانعون أهل الحقوق حقوقهم والظلامة ما تظلمه وهي المظلمة. وتظالم القوم: ظلم بعضهم بعضاً وفي المفردات للراغب الأصفهاني[4]: والظلم عند أهل اللغة وكثيرون أهل العلم: وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقصان أو بزيادة وإما بعدول عن وقته أو مكانه.

وقال الفيروز آبادي[5] والظلم يقال في مجاوزة الحق ويقال في الكثير والقليل أما عرفاً: فالظلم معناه بخس الناس أشياءهم وحقوقهم والاعتداء على الغير بأي صورة كانت سواء قولاً أو عملاً

أما شرعا: الظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي[6] والظلم أصله الجور ومجاوزة الحد ومعناه

(١) سورة الشعراء، الآية ١٠٠ و١٠٢.

(٢) الأسرار الفاطمية، محمد فاضل المسعودي، الناشر (مشترك) مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر – قم المقدسة، ص١٠٦ و١٠٧.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، المتوفي ٧١١هـ: ج١٥ص٢٢٦.

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني، المتوفي ٥٠٢هـ، ص٣١٥.

(٥) بصائر ذوي التميز للفيروز آبادي: ج٤ ص٢٣٠.

(٦) صحيح البخاري بشرح العسقلاني: ج٥ ص٩٥.

الشرعي وضع الشيء في غير موضعه الشرعي[1] وهكذا يتبين لمن يقصد السؤال في معرفة الظلم ويرفق في مقولات علماء اللغة وغير من أهل الشرع واللغة واهل المعرفة في هذا المقام

لقد جاء في قوله تعالى: ﴿**اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ**﴾[2] ليؤكد على حقيقة اختصت بها الشيعة مع بعض الفرقة الدينية الأخرى ألا وهي مسألة العدل حيث أقرت الشيعة بأن من أصول الدين هو العدل وهو ان الله ليس بظلام ولا يظلم احد فهو العدل لهذا نجد في هذه الآية القرآنية ان الله قد حرم على نفسه الظلم فلا يظلم عباده بل هو المنزل عليهم رحمته الربانية ونعمته الإلهية وجاء في قوله تعالى ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴾[3] ليؤكد على مسألة أخرى بحيث أنها من الأهمية قد ذكرها الله تعالى ليذكر بها البشرية بأن الظالمين ليس لهم نصير ولا تنصرهم السماء.

أذن بعد هذه المقدمة التي أرتأينا أن نقدمها لكي يتضح الحال والمقام في الظلم وقبحه وحرمته ندخل في هذا الفصل لكي نعيش القصة والحدث التاريخي الذي لا يزال يأكل بنفوس المسلمين والى وقتنا الحاضر الا وهو حدث ظلامات فاطمة الزهراء بضعة النبي الهادي المختار تلك التي لم يترك في المسلمين أنداك من أهله ومن ذريته الا هذه الميمونة الطاهرة ذو النسل المبارك أم الحسنين عليهما السلام[4].

وقبل كل شيء ينقدح سؤال مهم ألا وهو هل أخبر الرسول صلى الله عليه وآله بما سيجري على أهل بيته من بعده أم لم يخبر؟

والجواب نجدهُ واضح من خلال مطالعة كتب التاريخ والحديث حيث ورد عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل أنه قال في قضيه الاسراء والمعراج لرسول الله صلى الله عليه وآله من قبل الله تعالى ألا أن أللهَ مختبرك.. أي محمد صلى الله عليه وآله في ثلاث لينظر كيف جدك: قال: **أسلم لأمرك يارب ولا قوة لي على الصبر الا بك، فما هن؟**

إلى أن يقول الإمام الثالثة...

وأما الثالثة: **فما يلقى أهل بيتك من بعدك من القتل: أما أخوك علي فيلقى من أمتك الشتم والتضعيف والتوبيخ والحرمات والجهد والظلم وأخر ذلك القتل فقال: يارب، سلمت وقبلت،**

(١) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للعيني: ج١٢ ص٣٣٨.

(٢) سورة النساء، آية ٤٠.

(٣) سورة الحج: آية ٧١ .

(٤) الاسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، الناشر (مشترك) مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة – لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام، للطباعة والنشر – قم، ط – الثانية ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م، ص١١١وص١١٢و١١٣.

ومنك التوفيق والصبر، وأما أبنتك فتظلم، وتحرم ويؤخذ حقها غصباً الذي تجعله لها، وتضرب وهي حاملة، ويدخل على حريمها ومنزلها بغير أذن، ثم يمسها هوان وذل ثم لا تجد مانعاً وتطرح ما بطنها من الضرب وتموت من ذلك الضرب، قلت إنا لله وإنا إليه راجعون قبلت يارب وسلمت ومنك التوفيق والصبر[1] أذن الرسول صلى الله عليه وآله يعلم ما سيجري على بضعته الطاهرة وما يكون مآل الأمور من بعده، ويعلم من الذي سوف يكون الظالم لها ولبعلها ولذلك نجده في أكثر من مرة يوصي الزهراء وأمير المؤمنين ليهما السلام بالصبر بما سيجري عليهم من بعده.

المطلب الثالث: الوقائع والحوادث المرة في طفولتها عليها السلام

سنين الطفولة معين يزود العمر بما يختزن من صدى الاحداث التي عاشها الطفل، وتترك بصمات واضحة على حياته، وتؤثر على سلوكه ونشاطه وشخصيته وعواطفه، وقد عاشت الزهراء عليها السلام الوقائع والحوادث المرة في طفولتها، وتركت أثاراً على روحها الشفيقة، ويمكن أن نذكر أهم الآثار[2]:

١- أن من يعيش مثل هذه الظروف القاسية والأيام الصعبة، وتتخدش عواطفه منذ الطفولة بصدمات كبيره، ينشأ حزيناً كئيباً دائم الهم. وقد ذكروا في أحوال فاطمة عليهاالسلام أنه كانت حزينة مغمومة دائماً.

٢- أن الزهراء عليها السلام التي كبرت في مثل هذا الجو المتشنج، وقضت أيام الرضاعة والطفولة المبكرة في الشعب والحصار، وفتحت عينها على الحياة من خلال جدران الشعب٠٠ , ٠، ورأت بعيني الطفولة البريئة كيف يعذب أبوها وأصحابه روحياً وجسدياً وهم يضحون ويؤثرون بكل شيء، ويقامون الضغوط والصعوبات، من أجل الأهداف المقدسة.

أن مثل هذه تنشأ قوية صلبة لا تهزها الصعاب، ولا تفر من الميدان لأول مشكلة وأنما تقاوم بصلابة، وتتحمل القهر والتعذيب من أجل الوصول إلى الأهداف النبيلة.

٣- أن فاطمة عليها السلام التي عاشت الفداء والتضحية والعزوف عن الدنيا وتحمل الحرمان والمشاق، من أجل نشر دين الله، ونشر كلمة التوحيد، ورفع راية العدالة، والرضى بكل شيء من اجل نجاة البشرية وهداية الإنسانية، بأبويها وصحبهم كانت من الخلف الذين خلفوا أباها السير على هداه،

(١) الدمعة الساكبة، محمد باقر عبد الكريم البهبهاني، ص٦٩، كامل الزيارات، جعفر بن قولويه القمي: ٣٣٢، البحار، للمجلسي: ج٢٨ص٦١.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة ٤، حسين الشاكري، نشر الهادي – قم، ط ١ والى ١٤١٥ هـ ق: ص٧٤.

والجهاد في سبيل تحقيق أهدافه المقدسة، والاستقامة على صراطه المستقيم[1].

(١) أنظر، فاطمة الزهراء المرأة لنموذجية في الإسلام، أبراهيم أميني، ترجمة علي جمال الحسيني.

المبحث الثالث: السيدة الزهراء عليها السلام في مواجهة الانحراف

المطلب الأول: أول بوادر الانحراف

لما انتهى الإمام علي عليه السلام ومن معه من تجهيز النبي صلى الله عليه وآله وجدوا أنفسهم أمام أمر قد تم نسجه وأحبكَ فَتله، وانتهىُ كل شيء من خلال أمر دبر بليل حيث بويع أبو بكر ونُصبَ للخلافة[1].

يقول الشيخ أبراهيم الاميني:

وكان الامام عليه السلام أمام خيارات ثلاث:

الأول: أن يقوم على حركة حدية ثورية، ويعلن الحرب على من سلب الخلافة رسمياً ويدعو الناس إليها، ويدفعهم نحوها.

وهذا غير ممكن لأنه يعني أقحما المجتمع الإسلامي في معركة غير محمود العواقب تؤدي إلى انتفاع الانتهازين والوصولين من الفرصة، واستحواذ أعداء الإسلام وقوة شوكتهم، وهم يتربصون بالإسلام والمسلمين الدوائر، وبالنتيجة اقتلاع جذور الإسلام الفتي.

الثاني: أن يحافظ على وجوده ومنافعه الشخصية ومصالحه المستقبلية بعد أن أنتهى كل شيء فيبايع كما بايع الناس – دون ممانعة – وعندئذ تبقى مصالحه الشخصية في أمان، وينال المكانة والتكريم والاحترام لدى الجهاز الحاكم.

وهذا غير ممكن أيضاً، لأنه يعني أمضاءه عليه السلام لبيعة أبي بكر وولايته ولعمل المسلمين أيضاً مما يؤدي إلى أنحرف الخلافة والولاية والإمامة عن مسارها الأصلي ومعناها الحقيقي إلى الابد، وتبدد الجهود والتضحيات التي بذلها النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام من أجل أرساء قواعد الإسلام وتحكيم أصول الخلافة الشرعية.

هذا بالإضافة إلى أن ما سيفعله الاؤل والثاني سيوضع في حساب الإسلام القويم، باعتبارهما ليسا معصومين وصدور الخطأ والذنب ومخالفة الشيعة منهما محتمل جداً.

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء، حسين الشاكري، نشر الهادي – قم: ص٢٥٠ – ٢٥١

الثالث: أن يسلك عليه السلام سبيلاً معتدلاً يحفظ بيضة الإسلام ويصون المسلمين وأن كانت ثماره تأتي متأخرة على المدى البعيد.

فعزم هو وفاطمة عليها السلام على خوض معركة واسعة – تشتد حيناً، وتنخفض حيناً أخر وبهدوء وحكمة لتضمن سلامة الإسلام وبقاءه وعدم أعطاء الفرصة لأعداء الإسلام المتربصين لهُ، فكانت المواجهة على مراحل.(١)

المرحلة الأولى

أخذ الإمام علي وفاطمة عليها السلام بيدي الحسن والحسين عليهما السلام وطافوا على بيوت المدنية ورجالها وأشرافها، ودعوهم إلى نصرتهم وذكروهم بوصايا النبي الاكرم صلى الله عليه وآله(٢) أتماماً للحجة وكأن فاطمة تقول أيها الناس، ألم ينصب أبي رسول الله صلى الله عليه وآله علياً خليفه عليكم من بعده؟! أنسيتم جهاده وتضحياته؟ لو أطعتم ما أوصى به النبي وسلمتم زمام أموركم لعلي لهداكم إلى الصراط المستقيم ولسار بكم سيراً صحيحا، ولحملكم على المحجة البيضاء، ولبلغ بكم غايات رسول الله صلى الله عليه وآله.

أيها الناس... ألم يقل أبي رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أني تاركُ فيكم الثقلين ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي؟!**».

أيها الناس... أتخذلوننا وتتركوننا لوحدنا وتتثاقلون عن نصرتنا؟! وبالفعل استطاعوا أن يكسبوا من خلال هذه الحملة الإعلامية الواسعة جماعة وقعت تحت تأثير الحقيقة.(٣)

المرحلة الثانية

رفض الإمام علي عليه السلام البيعة الاؤل وأعلن سخطه على النظام الحاكم، ليتضح للعالم أن هذه الحكومة التي أعرض عنها الرجل الأول في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله – علي بن أبي طالب – عليه السلام لا توافق الخلافة الإسلامية جذرياً(٤).

وكذلك فعلت فاطمة عليها السلام، ليعلم الناس أن بنت نبيهم لا ترضى عن هذه الخلافة وبدأ الامام عليه السلام

(١) فاطمة الزهراء، إبراهيم الاميني: ص١١٩.
(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق الزيني: ج١ ص١٢.
(٣) موسوعة المصطفى والعترة ٤ فاطمة الزهراء، حسين الشاكري: ص٢٥٢.
(٤) نفس المصدر: ص٢٥٤.

جهاداً سلبياً ضد الغاصبين، فأشتغل بجمع القرآن وترك المجتمع، وأصبح جليس داره.

المرحلة الثالثة (فدك)

احسن كلام نفتتح هذا الحديث، وأصدق حديث نبدأ به في هذا الموضوع هو كلام الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلا**﴾[1]، ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾[2].

قال تعالى: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3].

هذه الآية كما تراها خطاب من الله عز وجل إلى حبيبه محمدﷺ يأمرهُ أن يؤتي ذا القربى. فمن ذو القربى؟ وما هو حقهم؟ لقد جاء في آية القربى أو آية المودة – أن المقصود من القربى هم أقرباء الرسول وهم علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام فيكون المعنى: وأعط ذوي قرباك حقوقهم.[4]

أما فدك فقرية تبعد عن المدينة عدة فراسخ، كان فيها بساتين ومزارع لليهود، فلما فرغ رسول اللهﷺ من خيبر قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك، فبعثوا إلى رسول اللهﷺ فصالحوه على النصف منها فقبل منهم ذلك وكانت فدك لرسول اللهﷺ خالصة له[5] لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب.

وكانت فدك ملكاً عظيماً وارضاً واسعة، وبساتين مثمرة يانعة، تدر أرباحاً طائلة حتى قالوا: كان دخلها أربعة وعشرين ألف دينار، وفي رواية: سبيعين الف دينار سنوياً[6].

عن عطية قال: لما نزلت ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾، دعا رسول اللهﷺ فاطمةعليها السلام فأعطاها فدكاً[7].

وعن علي بن أبي طالبعليه السلام قال: «**أقطع رسول اللهﷺ فاطمة فدكاً**»[8].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٧.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٨.

(٤) موسوعة المصطفى والعترةعليهم السلام فاطمة الزهراءعليها السلام، حسين الشاكري: ص٢٧٣.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، بتحقيق محمد أبو الفضل أبراهيم: ج١٦ ص٢١٠.

(٦) سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي: ج٢ ص٣٥١.

(٧) كشف الغمة، ابن ابي الفتح: ج٢ ص١٥٢.

(٨) الدر المنثور، للسيوطي: ج٤ ص١٧٧.

المطلب الثاني: هجوم الصحابة على دار فاطمة عليها السلام

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال: وكان علي بن أبي طالب عليه السلام لما رأى خذلان الناس له، وتركهم نصرته، واجتماع كلمة الناس مع أبي بكر، وطاعتهم له وتعظيمهم له، جلس في بيته: فقال عمر لابي بكر: ما يمنعك في فيبايع، فأنه لم يبق أحد ألا وقد بايع، غيره وغير هولاء الأربعة معه. وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما، وادهاهما وأبعدهما غوراً، والأخر أفظهما وأغلظهما، وأخشنهما، وأجفاهما، فقال: من نرسل إليه؟ فقال عمر: أرسل إليه قنفذاً – وكان رجلاً فظاً غليظاً جافياً من الطلقاء، أحد بني تيم – فأرسله وأرسل معه أعواناً، فانطلقوا فاستأذن فأبى علي عليه السلام أن يأذن له فرجع اصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر، وهما في المسجد والناس حولهما فقالو لم يأذن لنا فقال عمر: هو إن أذن لكم وإلَّا فادخلوا عليه بغير أذنه، فقالت فاطمة عليها السلام: **أحرج عليكم أن تدخلوا بيتي بغير أذن،** فرجعوا، فثبت قنفذ، فقالوا: أن فاطمة قالت: كذا وكذا، محرجتنا أن ندخل عليها البيت بغير أذن منها، فغضب عمر، وقال: ما لنا وللنساء: ثم أمر أناساً حوله، فحملوا حطباً وحمل معه فجعلوه حول منزله، وفيه علي وفاطمة وأبناهما عليهم السلام، ثم نادى عمر حتى أسمع علياً: والله لتخرجن –ولتبايعن خليفة رسول الله، أولأضرمن عليك بيتك ناراً، ثم رجع فقعد إلى أبي بكر، وهو يخاف أن يخرج علي بسيفه، لما قد عرف من بأسه وشدته.[1]

ثم قال لقنفذ أن أخرج وألا فاقتحم عليه، فأن أمتنع فأضرم عليهم بيتهم ناراً فأنطلق قنفذ. فأقتحم هو وأصحابه بغير أذن، وبادر علي إلى سيفه ليأخذه فسبقوه إليه فتناول بعض سيوفهم فكثروا عليه فضبطوه، والقوا في عنقه حبلاً أسود، وحالت فاطمة عليها السلام بين زوجها وبينهم عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها، فبقى أثره في عضدها من ذلك مثل الدملج من ضرب قنفذ أياها، فأرسل أبو الاؤل إلى قنفذ: أضربها: فألجأها إلى عضادة باب بيتها، فدفعها فكسر ضلعاً من جنبها. وألقت جنيناً من بطنها، فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة صوات الله عليها[2].

المطلب الثالث: دفاعها عليها السلام عن أصل الإمامة وشخص الامام

بالرغم من ان المعركة التي خاضتها فاطمة عليها السلام كانت لفترة قصيرة ووقعت في محيط محدود. غير

(١) الاسرار الفاطمية / الشيخ محمد فاضل المسعودي، الناشر (مشترك) مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة – لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر – قم المقدسة: ص١٤.

(٢) الاحتجاج، للشيخ الطبرسي: ج١ ص١٠٧.

ان صداها بقي لأجيال وأجيال والى يومنا هذا وبجدر الالتفات إلى عدة امور فيها[1]:

الأول: إن الزهراء عليها السلام هبت للدفاع عن الوصي ووقفت وراء الباب بصلابة متناهية حينما حاصروا البيت ليأخذوا علياً ولم تنهزم وتلوذ بزاوية البيت فراراً.

الثاني: ان الزهراء عليها السلام رفضت الفرار بعد ان اقتحموا الدار واصرت على الصمود والمقاومة والوقوف في وجههم، حتى وجعوا صدرها المقدس بغمد السيف، وضربوها حتى اسود عضدها المبارك.

الثالث: دخلت فاطمة عليها السلام الميدان من جديد عندما استخرجوا علياً وتعلقت به. وحالت بينهم وبينه، وما تراجعت حتى اسود بدنها من سياط قنفذ.

الرابع: حينما اخرجوا عليا عليه السلام راحت الزهراء عليها السلام تدافع في اخر المواقع. فلحقت به لعلها تمنعهم عنه وصمدت وقاومت في موقعها هذا حتى عصروها بين الحائط والباب. وكسروا ضلعها وأسقطوا جنينها[2].

وبعد كل هذا انطلقت إلى المسجد – تريد اعلان سخطها وتخليص زوجها من ايدي الاعداء – صارخة مستغيثة بالله ورسوله على رؤوس الاشهاد وحينما يئست منهم انصرفت للدعاء عليهم لو لا ان الامام عليه السلام ادركها فرجعت إلى البيت بعد ان خلصت زوجها.

نعم هكذا وقفت فاطمة الزهراء عليها السلام وبكل ما اوتيت من قوة للدفاع عن علي عليه السلام ومنعهم عن اخذ البيعة منه قصرا واظهار السخط على الخلافة والخلفاء واهل الشورى بل وعليهم اجمعين وان ضربوها وكسروا ضلعها واسقاط جنينها كشف مؤامراتهم واسقط اقنعتهم.

وفهم العالم عمليا نتائج الانحراف عن الخلافة الحقة فمن اجل الاحتفاظ بالملك والسلطان ما تورعوا عن كسر ضلع عزيزة نبيهم وأسقاط جنينها وبذلك تنذر المسلمين وتقدم لهم انموذجا واضحا من نتائج خلافة الشورى.

والزهراء عليها السلام خريجة مدرسة النبوة والإمامة درست التضحية والفداء والشجاعة في هذين البيتين فلا تخاف كسر الضلع ولا الضرب ولاتخشى سوى الله في مواقع الدفاع عن الحق والاهداف

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام حسين الشاكري، نشر الهادي رقم الطبعة الاولى١٤١٥ هـ ق: ص٢٧١.
(٢) فاطمة الزهراء إبراهيم اميني، تعريب علي جمال الحسيني: ص١٢٤ ط بيروت.

المقدسة.[1]

ان ما تعرضت له وحيدة المصطفى صلى الله عليه وآله وحبيبته واعز الناس عليه بعد رحيله إلى رضوان ربه ورحمته يعتبر الحلقة الاولى من مسلسل التآمر على عترة النبي صلى الله عليه وآله المتمثل في اغتصاب حقهم الذي سطرته السماء لهم باعتبارهم ورثة النبي صلى الله عليه وآله وأوصياءه وولاة الامر من بعده والاستغناء عنهم في المشورة مع شدة الوطأة عليهم في امر البيعة واهتضام حقوقهم سواء كانت نخلة أو ارثا أو فيئا أو خمسا وسوقهم مع سائر الرعايا بعصا واحدة هذا والجرح لما يندمل والنبي صلى الله عليه وآله لم يجف تراب رمسه الشريف المطهر ولم تنته تلك المؤامرة بقتل الحسن والحسين عليهما السلام سيدي شباب أهل الجنة وقتل أولادهم ومحبيهم واتباعهم تحت كل حجر ومدر بل لازالت متواصلة الفصول تفعل فعلتها في استهداف الخط الرسالي الاصيل وعزله عن اداء دوره في بناء الإنسان والمجتمع.[2]

ولقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بحصول كل هذا من بعده فقال: «**ان أهل بيتي سيلقون من بعدي من امتي قتلًا وتشريدا**».[3]

المطلب الرابع: خطبة الزهراء عليها السلام ومحاكمة الخليفة في الملأ العام

قررت الزهراء عليها السلام الاعلان عن مظلوميتها والذهاب إلى المسجد والقاء خطاب مهم في الناس..

وسري الخبر في المدينة وشاع في الناس ان بقية النبي صلى الله عليه وآله التي تذكر المسلمين به صلى الله عليه وآله وبضعته وريحانته فاطمة وتريد ان تخطب في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهز الخبر ارجاء المدينة كأعنف انفجار وتدافعت علامات الاستفهام في الرؤوس ماذا ستقول وماذا ستكون ردود فعل الخليفة حينئذ فاحتشدوا في المسجد يسمعوا الخطاب التاريخي.

فاختارت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لخطبتها هذا الاسلوب للبداية والنهاية. انها لم تكتف بالتركيز على مطالبة حقها فقط بل انتهزت الفرصة لتفجر للمسلمين عيون المعارف الالهية وتكشف لهم محاسن الدين الإسلامي وتبين لهم علل الشرائع والاحكام وضمنا تهيئ الجو لكلامها المقصود وهدفها المطلوب.[4] وخطبتها الاخرى بنساء المدينة وفي مواقف اخرى متعددة ادت فيها واجبها

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام حسين الشاكري: ص٢٧٢.

(٢) سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام علي موسى الكعبي، مركز الرسالة: ص١٣٧ .

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ج١١ص١٦٩ / ٣١٠٧٤ عن ابي سعيد الخدري.

(٤) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام حسين الشاكري، نشر الهادي: ص٢٨٢.

الرسالي في الدفاع عن امامة امير المؤمنين عليه السلام.[1]

وهذه رؤوس اقلام الخطبة ومواضيعها امام الناس:

الحمد والثناء على الله.

التوحيد والاستدلالي.

النبوة.

التحدث عن العهد الجاهلي.

انجازات الرسول.

توحيد الخطاب إلى الحاضرين.

التحدث عن القران.

بيان علل الشرائع وفلسفة الإسلام.

الدخول في صميم الموضوع.

حوادث فترة الرسالة.

موقف زوجها العظيم من تلك الاحداث.

بيان انقلاب الحكم ضد آل الرسول.

بيان تخاذل المسلمين تجاه أهل البيت.

توجيه الخطاب إلى رئيس الدولة حول الارث.

اقامة الادلة والبراهين.

توجيه العتاب إلى الانصار وتوبيخهم.

جواب رئيس الدولة.

تزييف كلامه وتفنيد مغالطاته.

(١) سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام علي موسى الكعبي، مركز الرسالة: ص٢٠٥.

اعتذار رئيس الدولة.

توجيه الخطاب إلى الحاضرين، شكوى إلى رسول الله[1].

يقول ابن ابي الحديد: سالت ابن الغارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد.

وقلت له: اكانت فاطمة عليها السلام صادقة؟

قال: نعم

قلت: فلم لم يدفع إليها الاؤل فدكاً وهي عنده صادقة؟

فتبسم ثم قال كلاماً لطيفا مستحسناً قال: لو اعطاها اليوم فدكاً لمجرد دعواها، لجاءت إليه غذا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يمكن الاعتذار والموافقة لانه يكون قد سجل على نفسه انها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة وشهود[2].

ثم ان تصديقه لفاطمة عليها السلام يعني اعترافه بخطئه واشتباهه وبذلك يفتح باب الاعتراض عليه من قبل المسلمين مما يشكل خطرا على جهاز الخلافة الحاكم ابان حكمه.

المطلب الخامس: لحظات عمرها الاخيرة ووصيتها

انتشر خبر مرض السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في المدينة وسمع الناس بانحراف صحتها ولم تكن تشكو السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من داء عضال غير ما حدث لها بين الحائط والباب من عصرها وكسر ضلعها وسقوط جنينها ولطمها على خدها وغيرها[3].

كل هذه الامور ساهمت في انحراف صحتها وقعودها عن ممارسة اعمالها وكان زوجها العطوف هو الذي يتولى تمريضها وتعينه على ذلك اسماء بنت عميس،[4] جاءت نسوة من أهل المدينة لعيادتها، وخطبت فيهن تلك الخطبة المعروفة، واعادت النسوة كلامها على رجالهن فجاء الرجال يعتذرون فما قبلت اعتذارهم فقالت «**اليكم عني لا عذر بعد تعذير ولا امر بعد تقصير**» ان الامر لاينتهي هنا بل انتشر خبر استياء السيدة فاطمة عليها السلام من السلطة. ونقمتها على الذين ازروا تلك السلطة ونبذوا

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام حسين الشاكري، نشر الهادي: ص٢٩٧.
(٢) شرح ابن ابي الحديد: ج١٦ ص٢٨٤.
(٣) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام حسين الشاكري، نشر الهادي رقم ط – اولى ١٤١٥ هـ ق: ص٣٢١ .
(٤) البحار، المجلسي ٤٣ / ٢١١

وراءهم جميع المفاهيم والقيم وتناسوا كل اية من القران نزلت في آل الرسول صلى الله عليهم. واعرضوا عن كل حديث سمعوه من شفتي الرسول في حق السيدة فاطمة الزهراء وزوجها وولديهاصلواة الله عليهم اجمعين.

كانت السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام في ذلك اليوم الذي توفيت فيه طريحة الفراش وقد اخذ منها الهزال كل مأخذ وما بقي منها سوى الهيكل العظمي فقط وهكذا انتهت حياتها الزاخرة بالفضائل والمناقب والمواقف المبدئية المشرفة فالسلام عليها يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيةً ورحمة الله وبركاته.

قال ابو الفرج الاصفهاني: كانت وفاة فاطمة الزهراءعليها السلام بعد وفاة النبيصلى الله عليه وآله بمدة يختلف في مبلغها فالمكثر يقول ستة اشهر والمقل يقول اربعين يوماً الا ان الثابت في ذلك ما روي عن الإمام الباقرعليه السلام انها توفيت بعد النبي بثلاثة اشهر.[1]

وأما وصيتهاعليها السلام

روى عن ابن عباس وصية مكتوبة لهاعليها السلام جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذه ما أوصت به فاطمة بنت رسول اللهصلى الله عليه وآله اوصت تشهد أن لاإله الإ الله وان محمد عبده ورسوله، وانَّ الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة اتية لاريب فيها،[2] وان الله يبعث من في القبور.

ياعلي: انا فاطمة بنت محمد، زوجّني الله منك لأكون لك في الدنيا والاخرة،، أنت أولى بي من غيري، حنطني وغسلني وكفني باليل وصلّ عليَّ وأدفني باليل ولاتعلم أحد، واستودك الله واقرأ على ولدي السلام إلى يوم القيامة»[3].

وهذه واحدة من وصايا السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام التي يتجلى فيها مدى تألمها من ذلك المجتمع، ومدى تذمّرها من الجفاة القساة.

وانما قام عليعليه السلام بتغسيلها ولم يكلف احدا من النساء بذلك لأسباب:

(١) راجع كشف الغمة، ابن ابي الفتح: ص١٢٨.

(٢) موسوعة المصطفى والعترةعليهم السلام فاطمة الزهراءعليها السلام حسين الشاكري، نشر الهادي – قم سنة ط أولى ١٤١٥ هق: ص٣٣٩.

(٣) بحار الانوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، المتوفى ١٠٣٧ -١١١هـ، المجموعة مصادر الحديث الشيعية – القسم العام، تحقيق محمد الباقر البهبوي، ط الثانية المصححة، سنة ١٠٤٣ – ١٩٨٣م، ص٢١٤.

١. تلبية لطلبها وتنفيذاً لوصيتها.

٢. اثباتاً لعصمتها وطهارتها، فان تغسيل الميت يعتبر تطهيراً له، واما بالنسبة للمعصومين فلا يسمح للايدي الخاطئة تمتد لتغسيلهم، وأنما هو من واجبات المعصوم الخاصة ان يقوم بعملية التطهير، وقد ذكر الإمام الصادق عليه السلام حول كونها صديقة، وأن الصديقة لايغسلها إلَّا صديق وكان الغرض من تلك الوصية وتنفيذها اثبات عصمتها والتنويه بذلك في شتى المجالات وكافة المناسبات.(١)

وصرح الإمام علي عليه السلام بذلك حيث يقول: «**فغسلتها في قميصها ولم اكشفه عنها فوالله لقد كانت ميمونة طاهرة مطهرة**..... الخ».(٢)

لقد ماتت فاطمة الزهراء شهيدة الاضطهاد، قتيلة الظلم والاعتداء وفقد الإمام بفقدها شريكة حياته، وأحب الناس إليه والى رسول الله فقد سيدة في ريعان شبابها ومقتبل عمرها، ونضارة حياتها.

فقد سيدة انسجمت معه ديناً ودنيا واخرة.

فقد زوجة شاركته في مصائب حياته ومرارتها بكل صبر.

فقد حوراء ليست من مستويات نساء الدنيا.(٣)

ونستدل من هذه الوصية إلى ان الزهراء عاشت بعد أبيها ناقمة غاضبة على أولئك الافراد، واستمرت النقمة والغضب حتى الموت وبعد الموت والى يوم يبعثون.

وان وصية فاطمة عليها السلام في تجهيزها ودفنها وقبرها، كانت عملا من سلسلة أعمالها المقصودة في خدمة قضيتها مع قريش الطلقاء، أرادت ان تثير به السؤال في الأجيال لعلها تفهم ما أسسه الاولون وتردد مع الشاعر: ولأي الأمور تدفن سراً المصطفى ويعفى ثراها بنت من ام من حليلة من ويل لمن سن ظلمها وأذاها.(٤)

---

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام ص٣٤٥.

(٢) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام، حسين الشاكري، ص٣٤٦.

(٣) نفس المصدر: ص٣٥١.

(٤) جواهر التاريخ، للشيخ علي الكوراني:ج١ ص١٠١.

الخاتمة

من خلال البحث توصلنا إلى الاستنتاجات التالية:

١. ان من الأصول معرفة الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام ممن حق معرفتها فقد أدرك ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر، إلَّا أنها سميت فاطمة لان الخلق فطموا عن معرفتها.

٢. لاريب ولا شك ان فاطمة عليها السلام أحرزت مقام العصمة الإلهية الكبرى كما عليه الاجماع القطعي وذهب إليه الاعاظم من عباقرة العلم والمعرفة، كالشيخ المفيد والسيد المرتضى.

٣. فالنبوة والإمامة في وجودها النوري وهذا من معاني (السر المستودع فيها) فهي تحمل اسرار النبوة والإمامة، كم تحمل اسرار الخلقة وفلسفة الحياة ولولا مثل هذا المعلول المقدس لما خلق الله النبيّ والوصيّ كم ورد في الحديث الشريف المعراجي «ياحمد، لولاك لما خلقت الافلاك، ولو عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما».

٤. ان المنهج الفاطمي في مواجهة الانحراف والتصدي له يقدم لنا دستوراً قيما ونهجا واضحاً للسير وفق اجراءاته وخطواته للمطالبة بالحقوق العامة سياسية كانت أم اجتماعية أم اقتصادية فهي رمز من رموز الثائرين للانتصار للحق وانموذج يقتدي به في النهضة من اجل التغيير لما فيه صلاح الإنسانية والبشرية.

المصادر والمراجع

- القران الكريم .
- الاسرار الفاطمية، الشيخ محمد فاضل المسعودي، الناشر (مشترك) مؤسسة الزائرين في الروضة المقدسة – لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر – قم المقدسة ورابطة الصداقة الإسلامية، الطبعة الثانية لسنة ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- المستدرك على الصحيحين، النيسابوري أبو عبد الله الحاكم، اشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر لبنان بيروت.
- أهل البيت عليهم السلام توفيق أبو علم، مطبعة السعادة – مصر.
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ، مصادر سيرة النبي والأئمة، تحقيق سامي الغريري، سنة الطبع ١٤٢٢هـ.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني، دار المعرفة بيروت – لبنان الطبعة الثالثة لسنة ١٤٢٢ – ٢٠٠١م.
- الاحتجاج، الشيخ ابي منصور احمد بن علي الطبرسي، الناشر استشارات المكتبة الحيدرية – قم، الطبعة الأولى لسنة ١٤٢٥هـ ق – ١٣٨٣ ش.
- بحار الانوار الشيخ محمد باقر المجلسي، دار احياء التراث العربي بيروت – لبنان.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- تأويل الآيات، شرف الدين الحسيني، المجمعة مصادر سيرة النبي والأئمة تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الطبعة الأولى لسنة ١٤٠٧ – ١٣٦٦ ش.
- دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، مصادر الحديث الشيعية – القسم العام، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم، الطبعة الأولى لسنة ١٤١٣هـ.
- سيرة الأئمة الاثنى عشر، هاشم معروف الحسني، منشورات الشريف الرضي دار التعارف للمطبوعات بيروت – لبنان.

- سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام علي موسى الكعبي، مركز الرسالة.
- شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام الشيخ آل شبير الخاقاني انتشارات انوار الهدى، الطبعة الثانية والمصححة – ١٤٢٣هـ ق.
- شذرات من حياة فاطمة الزهراء عليها السلام اعداد شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية، الناشر العتبة العلوية المقدسة، الطبعة الأولى لسنة ١٤٣٧هـ ٢٠١٦ م.
- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، المجموعة مصادر الحديث السنية – القسم العام، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، سنة الطبع ١٩٦٢م.
- ذخائر العقبى، احمد بن عبد الله الطبري، مكتبة القدس، القاهرة – مصر، سنة الطبع ١٣٥٦هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين ابي محمد محمود بن احمد العيني، ضبطه وصححه عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.
- فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام، إبراهيم الاميني، ترجمة علي جمال الحسيني.
- كشف الغمة، ابن ابي الفتح، مصادر سيرة النبي والأئمة، الطبعة الثانية لسنة: ١٤٠٥١ هـ- ١٩٨٥م.
- كنز الفوائد، أبو الفنوح الكراجكي، مصادر الحديث الشيعية – القسم العام، الطبعة الثانية لسنة: ١٣٦٩ ش.
- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، المجموعة مصادر الحديث الشيعية – قسم الفقه، تحقيقي الشيخ جواد القيومي الطبعة الأولى لسنة ١٤١٧هـ.
- كنز العمال، المتقي الهندي، المجموعة مصادر الحديث السنية – القسم العام، تحقيق: ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة الشيخ صفوة السقا، سنة الطبع: ١٤٠٩- ١٩٨٩ م.
- لسان العرب ابن منظور، المجموعة علوم اللغة العربية، سنة الطبع ١٤٠٥هـ.
- موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام فاطمة الزهراء عليها السلام، حسين الشاكري، نشر الهادي قم لسنة ١٤١٥هـ.
- معاني الاخبار، الشيخ الصدوق، المجموعة مصادر الحديث الشيعية – قسم الفقه، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري سنة الطبع: ١٣٧٩هـ ١٣٣٨ ش.
- مناقب ابي طالب، ابن شهر آشوب، مصادر الحديث الشيعية – القسم العام، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الاشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦ -١٩٥٦م.

كمالات النفس البشرية

عند السيدة الزهراء عليها السلام

الباحثة: م. رغد عزيز كاظم التميمي

ملخص البحث

تفردت شخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بمكانتها الإلهية لما أمتازت به من الكمالات الروحية والنفسية وعمق الإيمان وثبات التوحيد وصلابته، فغدت بأمر ألهي رمز من رموز الدين الذي باهل بهم أعدائه حيث قال﴿ **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَ نِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾[1] فمثلت بذلك الجنبة النسوية في مشروع الدين القيم الذي أعده الخالق خاتمة الرسالات السماوية، وفي الواقع الاجتماعي جعلها الله تعالى الأسوة الحسنة التي يقتدي بها كل مؤمن ومؤمنة إذ نبذت ملذات الدنيا فكانت ممن قال فيهم عز وجل: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا۞ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا۞ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا۞ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا**﴾[2]، ومن هنا كان لزاما على كل ذي لب سليم إن يبحث في تفاصيل سلوكها وأفعالها لوقاية النفس من الانحراف والفتنة، وهو ما يرمي إليه البحث حيث يسلط الضوء على بعض سجاياها سلام الله عليها.

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٥.

المقدمة

ألهمت النفس البشرية بجملة من الأضداد، حيث حملت في كنفها الإيمان والكفر، العقل والجهل، الخير والشر، المعروف والمنكر، الصدق والكذب، الرأفة والغلظة..... الخ، والكثير من الخلجات التي انجذبت إلى بعضها بالتماثل والتقارب فصيرت إلى قوتين مثلتا السلب والإيجاب، وتمثلتا بـ (هوى النفس والعقل) وتمتعتا بخاصية التنافر من بعضهما مما جعلهما يعملان بالضدية من بعضهما بغية استتباب كل منهما سيطرته الكلية على هذه النفس أو استحلال أكبر مساحة منها، فخلف ذلك عبئا ثقيل تمثل باستمرارية حالات النزاع والصراع داخل الإنسان، حيث جبلت النفس على حب الخير، وتطبعت على الرغبة بما يتناسب وهواها أو مصلحتها الدنيوية.

انتهى الأمر بهذه النفس في أن تقف بين نجدين مختلفين شكلا ومضموناً، وكان لها الاختيار لأي منهما تسلك، هوى النفس الذي يقتصر على الانقياد الغريزي، أو العقل أداة التفكر والتمييز بين الأمور لإدراك أبعادها، والتخلص من القيود المادية والارتقاء نحو التكامل، وإلى ذلك قد أشار سبحانه وتعالى في محكم كتابه حيث قال ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[1]

حين وضعت البشرية في مفترق طريقين، كان منهم من تهاوى إلى الحضيض ومنهم من ارتقى بنفسه حتى أصبح منار يستدل به وقدوة يقتدى بها، وحين رفع القلم شراعه ليبحر في سيرهم ويبدأ رحلته في تسطير مآثرهم رسا مركبه عند ذلك البيت الذي أسس على الإيمان والتقوى؛ الزاخر بمن أراد الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، إذ أنهم امتازوا بما لم يمتاز به غيرهم من الناس وعرفوا بما لم يعرف به أحد، كونهم صَدَقوا بما عاهدوا الله عليه فلم تلههم تجارة عن ذكره، ولم يتخذوا من دونه وليا، أنهم أهل بيت النبوة صلوات الله وسلامه عليهم، وانتهى عند فرع رسول الله صلى الله عليه وآله وروحه التي بين جنبيه وسيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

أرتقت بنت محمد عليها السلام بنفسها إلى أسمى درجات التكامل حتى أصبحت مصداقا لمن خصهم

(١) سورة الشمس: الآية ٧- ١٠.

الله تعالى ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾[1]، فمن يستطلع سيرتها يجدها دوحة قدسية وهالة نورانية تضيء عبر الأزمان، قلبها مليء بالإيمان، وعقلها مقر بالتوحيد، وخصالها حميدة وطبائعها محمودة؛ تأدبت بآداب أبيها هادي الأمة صلى الله عليه وآله وتخلقت بأخلاقه لم تنسَ ذكر الله عز وجل لطرفة عين أو أقل منها، كان الإحسان سجيتها والتسبيح لهج لسانها، فعلها المعروف وقولها الحق، عاشت نابذة لهوى النفس، ومن ملذاتها معتصمة، ففاطمة شجرة حملت سجايا الإيمان كله وغدت تفيء على البشرية بنفحاتها الملكوتية وتمنحهم من نفائسها الطيبة سحب تهطل عليهم دروسا ومناهج تربوية تحي نفوسهم القاحلة بما اقترفته من ذنوبٍ وبعدٍ عن المولى عز وجل، وتروي ظمأها بمنهج الخير والإيمان، فأعطت أكمل صورة لكمالات النفس البشرية والتي نحن اليوم نترع فيها لنقضي على ما أصابنا من تصحر ونزرع الصبر والحلم والإيثار والرحمة والقناعة في باحة النفس لتخضر وتزهو بهذه الفضائل حتى تسرنا وتسر الناظرين متخذين من معرفة الذات مدخلاً لها، وقد أشرنا لذلك من خلال بحثنا الموسوم بـ (كمالات النفس البشرية عند السيدة الزهراء عليها السلام) وهو من البحوث الوصفية التي تناولت وصف سلوك السيدة الزهراء عليها السلام ونزعاتها النفسية التي أطلعنا عليها من خلال الأرث الروائي الذي بين أيدينا وقد ضم البحث مبحثين وخاتمة وجاء المبحث الأول بعنوان معرفة الذات، أما البحث الآخر فوسم بعنوان الكمالات النفسية عند السيدة الزهراء عليها السلام.

(١) سورة الزمر: الآية١٨.

المبحث الأول: معرفة الذات

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه**»(١)، وقال: «**من عرف نفسه فهو لغيره أعرف**»(٢).

من أسس بناء الشخصية البشرية متلازمة «الثقة بالنفس» و«معرفة الذات»، كون أن الأولى تمثل ضرورة من ضروريات تكاملها، أما الثانية فهي المنشأ والأرض الخصبة لهذا الطلع النضير، إذ لا يمكن للإنسان أن يكتسب هذه الضرورة دون معرفته لذاته، ومن هنا أصبحت معرفة الذات أمراً بالغ الأهمية ولا مناص منه عند ذوي الألباب، والاجتهاد فيه مطلوب فعلى قدر هذه المعرفة يستطيع الإنسان أن يُقدر لنفسه المساحة التي يمكن أن يشغلها ويتألق بها في مجالات الحياة كافة وبالتالي يحقق النجاح الذي يأمل، وخلاف ذلك قطعاً أنه سيبتلى بعزيمة هزلة وإرادة ضعيفة وسوف تكون نهاية الحتمية الفشل دون شك.

يترتب على نجاح الفرد نجاح الأمة والمجتمع، فأي مجتمع ناجح إنما يُشيد صرح نجاحه على أساس نجاح أفراده الناشئ من معرفتهم بذاتهم وثقتهم بأنفسهم ومواجهتهم للصعاب والتحديات بإرادة ثابتة، وقد أعطتنا سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام دروساً عملية في هذا الجانب فقد مخرت عليها السلام في معرفة ذاتها الشريفة فانطلقت بثقة عالية بالنفس دفاعاً عن دينها وصيانته من التحريف حين رأت أيدي العابثين قد تطاولت عليه وأخذت تغير به كيفما شاءت بعد أن وافت المنية رُبان هذه الأمة نبي الرحمة أبو القاسم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، حينها خرجت عليها السلام ناصرة لدين أبيها داعية لإتباع الحق، جادعة لأنف الباطل بكلماتها التي مازال صداها يدوي إلى يومنا هذا فيخرس كل تابعن ومؤيد وناصر له.

وبعد إن انطلقت صلوات الله وسلامه عليها في خطبتها متظاهرة على موقف القوم، فأخذت كلماتها تقرع على رؤوس القوم حتى قالت لهم: «**أيها الناس أعلموا أنّي فاطمة، و أبي محمّد** صلى الله عليه وآله **أقول عوداً**

(١) الريشهري، محمد: ميزان الحكمة: ج٣، ت: دار الحديث، ط: الأولى، م: دار الحديث، ن: دار الحديث، التنقيح الثاني: ١٤١٦، ص ١٨٧٦.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٨٧٧.

و بدأً و لا أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً»[1]، إن الإتيان بالأنا وبهذا الإصرار أمام مجتمع عام جُمع فيه المؤيد والرافض، أنما كان نتيجة لمعرفتها الكاملة لذاتها بأنها معدن لما نعتت به نفسها ولم تكن مجرد لقلقلة لسان أو صفة تتظاهر بها أمام الناس، لذلك نرى أن ما من أحد أستطاع أن يناظرها ليرجع عليها قولها في كل ما ذكرته في خطبتها، وخرجت منتصرة على القوم ببيان الحق ونصرته على الباطل، وأصبحت تلك الكلمات سيف صدق شاهر بوجه المكذبين ودرع يدرأ به كيد الملفقين والمنافقين، تلك الوقفة القصيرة في حسابات الزمن الكبيرة في حسابات المواقف مسيرة جهادية وحرب ضارية فلقت بين الباطل والحق فما عادت مظان الحق فيه خافية إلَّا على من ران على قلوبهم.

قد يتراود لدينا سؤال ترى متى تتحقق معرفة الإنسان لذاته؟

يقول الشيرازي في كتاب الأخلاق في القرآن «الوقوف على العيوب والنقص، في واقع الذّات أمرٌ مرعبٌ و مريعٌ، وغالبيّة النّاس يهربون من واقعهم في حركة الحياة، ولا يريدون أنّ يعترفوا بأخطائهم من موقع تحمّل المسؤوليّة، لكنّ الهروب من الحقيقة، سيعود بالضّرر الكبير على صاحبه، وسيدفع الإنسان الثّمن غالياً على المستوى البعيد، جرّاء ذلك!. و على كلّ حال، فإنّ المانع الحقيقي، و الحِجاب الأصلي لمعرفة الذّات، هو حجاب حبّ الذّات، و الأنانيّة و التّكبر، وما لم تنقشع هذه الحُجب، وتلك الغَشاوات عن النّفس، فلن يستطيع الإنسان أن يعرف ذاته، و نوازعها وستغلق دونه أبواب المعرفة الأخرى»[2]، يشير الكاتب إلى أن السلبيات في الإنسان سواء كانت ذاتية أو مكتسبة تمثل حجب تحَول بين المرء ومعرفته لذاته، حيث أنه يتوهم فيضع نفسه في صورة بعيدة كل البعد عن حقيقته كالمتكبر الذي يرى نفسه أرفع منزلة عن الباقين وهو في الحقيقة لا يمتلك عُشر ما يمتلكونه مما يميز المرء عن غيره كالعلم أو النسب أو المال، وتلك الذات الفاطمية قد خلت من كل سلبية، إذ ارتقت بنفسها حتى أصبحت مفهوم للعصمة، فتراثها ثري بالفضائل والمكارم؛ ومن سيرتها نعرف خصال الإيمان، ومن كلامها نتذوق حسن الخلق، «فالكلمة تعرف حقيقة الإنسان وطبيعة شخصيته، حيث أثبت العلم النفسي الحديث أن معرفة أي حقيقة لأي شخصية يكون عبر توجيه بعض الأسئلة إليه ومن خلال الجواب عليها يظهر طبع شخصيتها وحقيقتها ومدى سعتها واستيعابها، وهل هي شخصية عالية ذا همة كبيرة أم لا؟ وغير ذلك من الأمور العامة ذلك أن الكلمة التي تخرج من الفم تحمل معها صورة

(١) الطبرسي، أبي منصور، الاحتجاج: ج١، ت: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، ن: دار النعمان للطباعة والنشر – النجف الأشرف، ص: ١٤٣.

(٢) الشيرازي، الشّيخ ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن: ج١ ص ٢٨٣-٢٨٤.

قائلها ونبضات قلبه، وخلجات نفسه ودخائل شخصيته، وهذه حقيقة معروفة لدى علماء النفس والتربية والاجتماع، كل ذلك نقوله لكي نهتدي إلى سواء السبيل.

وعلى هذا الأساس إننا نهتدي إلى معرفة الشخصية العلمية والفكرية بها سلام الله عليها من خلال عدة أمور مهمة ومن خلالها نعبر إلى شخصيتها وندخل في فهم حقيقتها وهذه الأمور هي:

* الأمر الأول: يمكن معرفة شخصيتها من خلال سيرتها الذاتية التي يرويها لنا أهل البيت عليهم السلام والأقربون من ذويها، ذلك لأن أهل البيت أدرى بما فيه وأهل مكة أدرى بشعابها كما يقول المثل.

* الأمر الثاني: يمكن أن نعرف شخصيتها من خلال مواقفها لأن الموقف عمل والعمل ما هو إلَّا انعكاس لطبيعة شخصية الفرد وهذا ما أثبته التاريخ الإسلامي لفاطمة عليها السلام حيث أخبرنا بمواقفها الفذة في جميع الحالات التي مرت بها»[1].

(١) المسعودي، الشيخ محمد فاضل: الأسرار الفاطمية، تقديم: السيد عادل العلوي، ط: الثانية، م: أمير – قم، ن: مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر، رابطة الصداقة الإسلامية: ص ٣٥٩.

المبحث الثاني: الكمالات النفسية عند السيدة الزهراء عليها السلام

ونحن لنا وقفات في هذه الصفحات القليلة مع بعض مما تمتلكه تلك الذات الطاهرة التي صورها الباريء عز وجل فعرفناها بسيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد صلوات الله وسلامه عليهما وعلى آلهم الطيبين الطاهرين لنقتفي أثرها وننهل من نميرها العذب لنتزود بما يقربنا من الله تعالى ورسوله والمؤمنين:

الصبر

قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾(١).

قيل في معنى الصبر أنه «الكف عن الجزع عند الشدائد»(٢)، «قال المحقق الطوسي قدس سره: الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن عن الاضطراب، واللسان عن الشكاية، والأعضاء عن الحركات غير المعتادة»(٣)، لذلك أن سعي الإنسان في ترويض نفسه على امتطاء الصبر في اليسر والعسر، والسراء والضراء، بحاجة إلى أن يبلغ بها درجة عالية من الإيمان ويقين متجذر بعدله وحكمته عز وجل ليكتسب القوة على تحقيق الصبر وعدم الجزع والتململ فقد جاء عن أبي عبد الله عليه السلام **الصبر رأس الإيمان**»(٤)، وعند السيدة فاطمة عليها السلام تتجلى أزكى معان الإيمان واليقين بأروع صور عن الصبر قد صورت للإنسانية، فقد جاء أن النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: «**إن جبرئيل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المسلمين أعظم رزية منك، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبرا**»(٥)، من خلال

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٥.

(٢) الشريف المرتضى، رسائل الشريف المرتضى: ج٢، تحقيق: تقديم: السيد أحمد الحسيني، إعداد: السيد مهدي الرجائي، م: مطبعة الخيام – قم، ن: دار القرآن الكريم – قم، ص٢٧٤.

(٣) العلامة المجلسي: بحار الأنوار: ج٦٨ت: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط: الثالثة المصححة، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ص٦٨.

(٤) الفيض الكاشاني، الوافي: ج٤، ت: عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني «العلامة» الأصفهاني، ط: الأولى، م: طباعة أفست نشاط أصفهان، ن: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة – أصفهان، ص: ٣٣٣.

(٥) السيد المرعشي، شرح إحقاق الحق: ج١٠، ت: تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، ن: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – إيران، ص: ٣٠٨.

سيرتها سلام الله عليها المفعمة بالأحداث الكثيرة التي يثبت من خلالها أنها كانت صابرة على ما جرى عليها من الدواهي وما ابتليت به من الرزايا، حيث شهدت عليها السلام كل الأحداث الأليمة والصعبة التي مرت على أبيها صلى الله عليه وآله في نشر الدعوة، بدءا من شعب أبي طالب «فلقد أخذت حتى الآن نصيبها من الحصار الرهيب في شعب أبي طالب، حيث حصر أهلها من بني هاشم، ولمدة سنوات ثلاث، إلَّا أن يسلموا أباها فتقتله قريش»[1]، وصبرها ومؤازرتها لأمير المؤمنين عليه السلام من بعد النبي صلى الله عليه وآله جهاداً واحتساباً في سبيل الله تعالى وسبيل أعلاء كلمة الحق ونصرة الدين، حيث وقفت مدافعة عن حق الله تعالى في رقاب المسلمين المتمثل بولاية أمير المؤمنين عليه السلام التي قلدهم أياه رسول الله صلى الله عليه وآله بقول صريح حين قال «**من كنت مولاه، فعلي مولاه**»[2]، ووقفت بوجه من تنكر لهذه الحقيقة قائلة: «**فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله، وبعد أن مني ببهم الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا، كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم**»[3]، وصبرها على ما أخبرها به أبيها حول ما يجري على فلذات أكبادها، وقد أختزلت جميع تلك الصور بجملة واحدة وردت في زيارتها عليها السلام «**السلام عليك يا ممتحنة، امتحنك الذي خلقك، فوجدك لما امتحنك صابرة**»[4]، وانتقلت عليها السلام بهذا الصبر إلى مقامات رفيعة لا ينالها إلَّا ذو إيمان عميق وصبرا جميل.

الرضا

عرفت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بين الأنام بأنها الراضية[5]، قال أحمد بن الحسين البيهقي في معنى الرضا «أخبرنا أبو عبد الرحمن أنه سمع منصور بن عبد الله يقول سمعت العباس بن يوسف

(١) بيومي، محمد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام / ط: الثانية/ م: سفير: أصفهان/ ص:١١١

(٢) الشيخ الكليني الكافي: ج١، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط: الخامسة، م: حيدري، ن: دار الكتب الإسلامية- طهران: ص ٢٨٧.

(٣) الشيخ الطبرسي الاحتجاج: ج١، ت: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، ن: دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف.

(٤) العلامة المجلسي بحار الأنوار: ج: ٩٩، ت: محمد مهدي السيد حسن الموسوي الخرسان، السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي، ط: الثالثة المصححة، ن: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ص:٢١٢.

(٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ت: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ن: مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ص١٣٣.

الشكلي يقول سمعت بن الفرجي يقول معنى الرضا فيه ثلاثة أقوال ترك الاختيار وسرور القلب بمر القضاء وإسقاط التدبير من النفس»[1]، وحين نقتفي أثرها سلام الله عليها نجد أن هذه التقسيمات الثلاث التي وضعها البيهقي أنها من مَلكات نفسها الطاهرة والتي ترجمت لنا من خلال دعائهاعليها السلام ومواقفها ومنها:

ـ في ترك الاختيار: جاء في دعائها في طلب مكارم الأخلاق ومرضي الأفعال «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي. (.....) وأسألك الرضا بالقضاء»[2].

ـ سرور القلب بمر القضاء: بالرغم من مر ما جرى عليها من الكرب والألم إلَّا أن موالاتنا كانت تحتسب بالله تعالى وكأنها تسر بخوضها هذا الامتحان الذي يخفق فيه الكثيرون ولا ينجح في خوضه إلَّا من روض نفسه على التسليم لله والرضا في حكمه وقضائه حيث يوضع الإنسان المؤمن في محل الاختبار الدائم حتى تتبين حقيقته أمن الراضين كان أو ممن يصيبهم الجزع، فعادةً هو قانع وراضٍ إذا ما كانت جميع أموره محمودة ومتسقة إما إذا وقع في ضيق وحرج تراه يصاب في تشتت وانهيار وينسى ذكر الله ويلتجأ إلى غيره حتى تسول له نفسه معاتبة الخالق وملامته ﴿**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ**﴾[3]، لذلك أعطى النبي المصطفىصلى الله عليه وآله والأئمة الأطهارعليهم السلام دروس تربوية إلى النفس المؤمنة للوصول إلى هذا المقام الرفيع و كان أولها تهذيب النفس وتذكيرها من خلال الدعاء فقد ورد في دعاء كميل «**وتجعلني بقسمك راضياً قانعاً**» أي أن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى أن يوصله إلى مقام الرضا منه جل وعلا في كل ما يقسمه له سواء كان خير أو شر وتحت وطأة أي ظرف، وعلى هذا النحو وبعد الأحداث التي مرت بهاعليها السلام يذكر صاحب الاحتجاج عن حديث طويل دار بينها وبين أمير المؤمنينعليه السلام عما جرى ختمته بالاحتساب «يا بن أبي طالب، اشتملت شملة الجنين، وقعدت حجرة الظنين، نقضت قادمة الأجدل فخانك ريش الأعزل هذا ابن أبي قحافة يبتزني نحلة أبي وبلغة ابني! لقد أجهد في خصامي، وألفيته ألد في كلامي حتى حبستني قيلة نصرها والمهاجرة وصلها، وغضت الجماعة دوني طرفها، فلا

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ج: ١ـ ت: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، تقديم: دكتور عبد الغفار سليمان البنداري، ط: الأولى، ن: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ص٢٢٨.

(٢) القيومي، الشيخ جواد، صحيفة الزهراءعليها السلام: ط: الأولى، ن: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص:٤٢.

(٣) سورة الفجر: الآيتان ١٥-١٦.

دافع ولا مانع، خرجت كاظمة، وعدت راغمة، أضرعت خدك يوم أضعت حدك، افترست الذئاب، وافترشت التراب، ما كففت قائلا، ولا أغنيت طائلا ولا خيار لي، ليتني مت قبل هنيئتي، ودون ذلتي عذيري الله منه عاديا ومنك حاميا، ويلاي في كل شارق! ويلاي في كل غارب! مات العمد، ووهن العضد شكواي إلى أبي! وعدواي إلى ربي! اللهم إنك أشد منهم قوة وحولا، وأشد بأسا وتنكيلا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا ويل لك بل الويل لشانئك ثم نهنهي عن وجدك، يا ابنة الصفوة، وبقية النبوة، فما ونيت عن ديني، ولا أخطأت مقدوري فإن كنت تريدين البلغة، فرزقك مضمون، وكفيلك مأمون، وما أعد لك أفضل مما قطع عنك، فاحتسبي الله. فقالت: حسبي الله وأمسكت**»[1].

إسقاط التدبير من النفس دعاؤها عليها السلام في الصباح والمساء «**يا حي يا قيوم، برحمتك استغيث، أصلح لي شأني كله ولا تكلني إلى نفسي**» وفي رواية «**يا حي يا قيوم، برحمتك استغيث، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله**»[2].

من خلال ما تقدم يتبين لنا كيف أن السيدة الزهراء عليها السلام كانت راضية بكل ما قدر لها عز وجل من خير وبلاء، وهذا أن دل على شيء إنما يدل على إيمانها الراسخ الذي مكنها من حيازة هذه المرتبة الشريفة والسامية عنده تعالى لذلك سميت بالراضية وجزاءاً على ذلك الرضا كانت مرضية فأعطاها الله تبارك وتعالى من المقامات النورانية التي فضلها بها على غيرها وأعطاها الذرية المباركة حيث جعل منها الأئمة الهاديين وخصها بذرية رسوله صلى الله عليه وآله، كما أنها مرضية لما لها من مقام الشفاعة الكبرى يوم القيامة وكيفية شفاعتها لشيعتها ومحبيها، وبذلك تنحصر جميع أعمالها وأفعالها وأقوالها وما صدر منها خلال مسيرة حياتها في أنها راضية ومرضية فتكون خير مصداق للآية الشريفة: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[3].

الصدق

قال الإمام الباقر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله جل ثناؤه يقول: وعزتي وجلالي ما خلقت**

(١) الشيخ الطبرسي، الاحتجاج: ج١، ت: تعليق وملاحظات: السيد محمد باقر الخرسان، ن: دار النعمان للطباعة والنشر – النجف الأشرف، ص ١٤٩.

(٢) القيومي، الشيخ جواد، صحيفة الزهراء عليها السلام: ط: الأولى/ ن: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص ١٣٠.

(٣) سورة المائدة: الآية: ١١٩

من خلقي خلقا أحب إلي من عبدي المؤمن ولذلك سميته باسمي مؤمنا لا حرمه ما بين المشرق والمغرب وهي خيرة له مني، وإني لأملكه ما بين المشرق والمغرب وهي خيرة له مني، فليرض بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي أكتبه يا محمد من الصديقين عندي»[1].

الصّدق: «لغة: مطابقة الحكم للواقع. وقد شاع في الأقوال خاصة ويقابله الكذب. وقد يفرق بينهما: بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع، وفي الصدق من جانب الحكم. والصدق: الوصف للمخبر عنه على ما هو به. وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك»[2].

«والصديق: الملازم للصدق الدائم في صدقه، والصديق: من صدق عمله قوله»[3].

والصديقة من الأسماء المشهورة التي عرفت بها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، و «هو ثاني الأسماء المباركة لفاطمة الزهراء الذي هو معروف على لسان أهل البيت: وقد سماها به الله تبارك وتعالى إجلالا وإكراما لمقامها السامي ولما وصلت إليه من التصديق بكل ما آتاه الله ورسوله صلى الله عليه وآله. والصديقة صيغة مبالغة في الصدق والتصديق أي أنها سلام الله عليها كثيرة الصدق، ولقد ورد في كتاب تاج العروس معنى التصديق والصدق حيث قيل إن الصديق أبلغ من الصدوق، وقيل: إنه الكامل في الصدق الذي يصدق قوله بالعمل، البار، الدائم التصديق، وقيل: إنه من لم يكذب قط، وقيل: من صدق بقوله واعتقاده، وحقق صدقه بفعله، وأيا كان منها معنى الصديق فإن فاطمة الزهراء سلام الله عليها تنطبق عليها جميع الأقوال فهي سلام الله عليها كانت المداومة على التصديق بما يوجبه الحق جل وعلا حيث كانت المصدقة بكل ما أمر الله به وبأنبيائه ولا يدخلها في أي شئ من ذلك أي شك كان وكانت المصداق الأفضل – مع أوليائه المعصومين لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾»[4].[5].

---

(١) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج ٦٨/ ت: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي/ ط: الثالثة المصححة/ ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ص ١٥٩.

(٢) عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: ج٢، ن: دار الفضيلة، ص٣٦١.

(٣) ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، ن: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة: ص:٢٢٢.

(٤) سورة الحديد: الآية ١٩.

(٥) المسعودي، الشيخ محمد فاضل: الأسرار الفاطمية، ت: تقديم: السيد عادل العلوي، ط: الثانية، ن: مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة لفاطمة المعصومة عليها السلام للطباعة والنشر – رابطة الصداقة الإسلامية، ص ٣٩٦.

القناعة

تنطلق مولاتنا البتول عليها السلام في لجم النفس بلجام القناعة لحجبها من الانزلاق في هوة الطمع وكسبها للغنى الحقيقي من خلال كلماتها النورانية حين ترفع كفيها الطاهرة النقية نحو السماء وتتمتم شفاهها التي لم تعرف إلَّا القول الجميل، لتتضرع إلى المعطي الوهاب قائلة: «**اللهم قنعني بما رزقتني، واسترني وعافني أبداً ما أبقيتني، واغفر لي وارحمني إذا توفيتني، اللهم لا تعيني في طلب ما لم تقدر لي، وما قدرته فاجعله ميسرا سهلا**»[1]، نستشف من هذه الكلمات التي قد تبدو صغيرة برسم حروفها ألا أنها كبيرة في المضمون والمعنى تفتح أمامنا آفاق واسعة ندرك من خلالها أن غنى النفس وراحتها يكمن فيما تتمتع به النفس البشرية من القناعة أمام حاجاته، وأن طول الأمل وحب الاستزادة من متطلبات الدنيا الدنية إنما هو الطمع الذي يمثل مدخل الشقاء والتعب.

لا شك أن للقناعة دوراً كبيراً في لجم غرائز النفس ومشتهياتها، ولولاها لتحول الإنسان إلى آلةٌ لاهثة وراء ملذات الدنيا وبهرجها وتصبح حياته شاقة مريرة تفتقر لراحة البال وحلاوة الزهد، وللولوج في تفاصيل هذا الموضوع ومعرفة تداعياته والوقاية منه لا بد لنا أن ننقب عن أوجه القناعة في المدرسة الفاطمية لنقتبس منها جذوة نستنير بها وكما وقفنا معها عند الجانب الروحاني الذي يربطنا بالله تعالى ويعمق في نفوسنا الإيمان به عز وجل؛ ننتقل معها إلى الجانب الاجتماعي المرتكز على الجانب الروحي والمنطلق منه، لنتعلم منها كيف يمكن اكتساب القناعة من خلال الخارطة العملية التي رسمتها لنا سيرتها وأفعالها، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**من أصبح وأمسى والآخرة أكبر همه جعل الله له القناعة في قلبه**»[2]، وقد ورد في الخبر أنها لما سمعت بأن أباها زوجها وجعل الدراهم مهرا لها، قالت يا رسول الله، إن بنات الناس يتزوجن بالدراهم فما الفرق بيني وبينهن، أسألك أن تردها وتدعوا الله أن يجعل مهري الشفاعة في عصاة أمتك، فنزل جبريل عليه السلام ومعه بطاقة من حرير مكتوب فيها: **جعل الله مهر فاطمة الزهراء عليها السلام شفاعة المذنبين من أمة أبيها**، فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقة على صدرها تحت الكفن فوضعت، وقالت: **إذا حشرت يوم القيامة رفعت تلك البطاقة بيدي، وشفعت في عصاة أمة أبي**[3].

(١) القيومي، الشيخ جواد، صحيفة الزهراء عليها السلام : ص٤٢.

(٢) الشيخ الصدوق، ثواب الأعمال، ت: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط: الثانية/ م: أمير – قم/ ن: منشورات الشريف الرضي – قم، ص١٦٨.

(٣) المسعودي، الشيخ محمد فاضل، الأسرار الفاطمية: ص ١٧٨، نقلاً عن أخبار الدول: ٨٨، الإحقاق: ج١٠ ص٣٦٧، وسيلة النجاة: ٢١٧.

وهنا نستطيع ان نختم سطورنا بخلاصة من القول بأن القناعة كانت مفردة من مفردات شخصيتها عليها السلام لذلك كانت عليها السلام على قدرة عالية في كبح جماح النفس وترويضها على الاكتفاء بالمسائل الضرورية في الحياة التي لا يمكن الاستغناء عنها.

الإيثار

حين يتطابق عند المرء القول والعمل من جهة، وتتطابق العمل في السر والعلن والقول في الجهر والخفاء من جهة أخرى يصبح مصداق لذلك القول والفعل، وتعد البتول عليها السلام مصداق لإثار النفس فقد روي إن رجلًا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلَّا الماء، فقال صلى الله عليه وآله: **من لهذا الرجل الليلة؟** فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: **أنا يا رسول الله،** فأتى فاطمة عليها السلام فأعلمها، فقالت: **ما عندنا إلَّا قوت الصبية ولكنا نؤثر به ضيفنا،** فقال عليه السلام: **نومي الصبية واطفئي السراج، فلما أصبح غدا على رسول الله** صلى الله عليه وآله فنزل قوله تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾[1] [2].

وفي معنى الإيثار «قال أبن عطاء: يؤثرون به جودا وكرما ولو كان بهم خصاصة يعني جوعا. وقال أبو حفص: الإيثار هو أن تقدم حظوظ الإخوان على حظك في أمر دنياك وآخرتك. وقال بعضهم: الإيثار لا يكون عن اختيار إنما الإيثار أن تقدم حقوق الخلق اجمع على حقك ولا تميز في ذلك بين أخ وصاحب وذي معرفة»[3]، وجاء عن الإمام الحسين في إثارها للجار على نفسها، عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال: **رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بني! الجار ثم الدار.**[4]

وخير ما يتوج به هذا الإيثار أن يكون صادرا حبا لله تعالى لا عن خوف من إتباع شح النفس أو طمع في الشهرة الحسنة والثواب الجزيل، «وفيه أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى:

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج ٣٦، ت: محمد الباقر البهبودي، يحيى العابدي الزنجاني، السيد كاظم الموسوي الياموي، ط: الثالثة المصححة، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان، ص٥٩.

(٣) السلمي، أبو عبد الرحمن: تفسير السلمي، ج٢، ت: سيد عمران، ط: الأولى، م: لبنان، بيروت – دار الكتب العلمية، ن: دار الكتب العلمية، ص٣١.

(٤) العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٣، ت: محمد الباقر البهبودي، ط: الثانية المصححة، ن: مؤسسة الوفاء – بيروت – لبنان، ص٨٢.

﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾[1]، الآية قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفي الكشاف: وعن ابن عباس أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما إن برءا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شيء، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل وقال: السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه وباتوا لم يذوقوا إلَّا الماء وأصبحوا صياما. فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فأثروه، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك. فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال: **ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك**، فنزل جبريل وقال: **خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك فأقرءه السورة**».[2]

المودة والرحمة

أجمل ما تتميز به النفس البشرية لما لها من عوائد إيجابية (المودة والرحمة)، حتى أنها أصبحت أحد القيود المفروضة لكسب السعادة الزوجية، إذ تميزت هذه العلاقة بخصائص تتعلق بها دون غيرها من الشراكات، مما جعل لها حظوة من الأهمية لا يمكن الاستنكار لها، فالزواج شراكة المقدسة جمع الله تعالى فيها آدم وحواء ضمن علاقة أسست على مباني الحب والتفاني والوفاء والإخلاص، وأسقط عنها قيود الماديات إذ أنه عز وجل جعل شرط العرض والقبول بينهما بوابة ونقطة بداية تحملهم إلَّا الأبعاد العميقة لهذه العلاقة والمقدرة بعمق النفس وبقدر احتياجها المعنوي والمادي لوجود من تسكن إليه ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[3]، ولنجاح هذه العلاقة أكد تعالى على هاتين العنصرين الأخلاقيين لأهميتهما في تجاوز الجانب السطحي المتمثل بالماديات إلى الجانب المعنوي المثمر بالاندماج والتمازج الروحي بين الزوجين، كون أن ملكة الرحمة والمودة بينهما تجعل هناك تداخل في الأحاسيس والمشاعر حتى يصبح بينهما حسباناً شعورياً وروحياً دائم، مما يجعل الزواج نوعا من أنواع الالتصاق الروحي

(١) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٢) السيد الطباطبائي، تفسير الميزان: ج٢٠، ن: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص١٣٢.

(٣) سورة الروم: الآية ٢١.

والناتج عنه وحدة التفكير والهدف للعيش في حياة تنعم بالراحة والهدوء والطمأنينة لتصاغر متطلبات الدنيا وملذاتها أمامه، قد مثلت السيدة الزهراء وعلي ابن أبي طالب عليهما السلام أروع صورة عن ذلك ابتداء من أول خطوة في حياتهما المتمثلة بالخطبة والمهر فبالرغم من المكانة السامية للسيدة الزهراء عليها السلام عند الله تعالى ورسوله، نراها قد أخذت مهر بسيط متكون من «ثوب من القطن أو الكتان صنع في اليمن، وجلد شاة لم يدبغ بعد، ونبت طيب الرائحة، وقربة ماء، ووسادة حشوها ليف، ورمل لين فرشت به أرض الدار»[1]، لتجسد من خلاله حقيقة القناعة والبساطة والزهد والصبر بكل ما تحمل هذه الألفاظ من معاني، كما أعطت رسالة لجميع النساء مضمونها أن المال لم يكن عدلٍ لمكانة الإنسان وشرفه وعلمه ونسبه بالنسبة للمرأة، كما لا يكون اختيار الزوج على أساس ما يمتلك وإنما على قدر إيمانه وقربه لله تعالى وما يتحلى به من أخلاق، ويترجم هذا المعنى في كلامها عليها السلام إلى أمير المؤمنين لما نعيت إليها نفسها وأخذت توصيه بوصيتها قائله له «**يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني** فقال عليه السلام: **معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفا من الله [من] أن أوبخك بمخالفتي قد عز علي مفارقتك وتفقدك، إلّا أنه أمر لابد منه، والله جددت علي مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها هذه والله مصيبة لا عزاء لها، ورزية لا خلف لها، ثم بكيا جميعا ساعة وأخذ علي رأسها وضمها إلى صدره ثم قال: أوصيني بما شئت فإنك تجدني فيها أمضي كما أمرتني به وأختار أمرك على أمري. ثم قالت: جزاك الله عني خير الجزاء يا ابن عم رسول الله أوصيك أولا أن تتزوج بعدي بابنة[أختي] إمامة فإنها تكون لولدي مثلي فإن الرجال لابد لهم من النساء**»[2]، ان مصاحبة الدموع لهذا الحوار إنما ناتج عن صعوبة الفراق وآلامه فكيف يمكن لشخص أن يتخلى عن توأم روحه أن صح التعبير عنه، فقد انعدمت الفوارق وتلاشى البعد بينهما حياة أسست على مباني صحيحة كالحب والإخلاص والوفاء والطاعة اشتبكت مع بعضها لنسج رابط عرف بالمودة والرحمة، هذا السد المنيع الذي من شأنه حماية بيت الزوجية من أي خطر قد يلحق به.

نعم يمثل صِداق السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ومضة للعقلاء، فذلك ثوب القطن، وجلد الشاة الذي لم يدبغ بعد، ونبت طيب الرائحة، وقربة ماء، ووسادة حشوها ليف، ورمل لين فرشت به أرض

(١) الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة: ج١ ص٣٧٩.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ج٤٣ ص١٩٢.

الدار[1] رسالة بليغة عظيمة تبعثها السيدة الزهراءعليها السلام إلى المجتمع الإنساني بأسره، فهذه الأشياء البسيطة التي تكاد أن لا ترى بعين الاعتبار اكتسبت عظمة ما بعدها عظمة، إذ أصبحت مهراً يقدمه أعظم رجل من بعد خاتم الرسل وسيد البشرية النبي محمدصلى الله عليه وآله إلى سيدة نساء العالمين وأعظمهن قدرا وأفضلهن منزلة، إنه مهر أمير المؤمنينعليه السلام لسيدة نساء العالمينعليها السلام فقد جاء عن الإمام الباقرعليه السلام: «**كان صداق فاطمة برد حبرة، وإهاب شاة، على عرار**»[2].

إن هذا المهر جسّد رسالة هدفها ألباب المؤمنين وتعي عمقها نفوسهم الطاهرة، فما هذا المهر إلَّا إشارة واضحة مفادها أن المؤمنات من النساء نفائس لا يقابل قدرها أموال الدنيا وبهرجها الخداع الزائل، بل تقابل بقدر الإيمان وحسن السيرة والإحسان في العِشرة والحرص على تحقيق المعروف فيها، هذا ما يجب أن يعيه كل من الزوجين وذويهم، فما الزواج إلَّا رابط مقدس طاهر مَنَّ به المولى عز وجل على كل من الرجل والمرأة في آن واحد، فبحلّيته تعز النفس وتصان من الحرام، وبتحقيق مواثيقه التي نص عليها الإسلام يحصل الزوجان على السعادة، إذ عنى هذا المهر وجوب تجرد كلا الزوجين لاسيما المرأة على وجه الخصوص من بناء بيت الزوجية على أسس مادية، فهناك مَن تجعل ما يقدمه الزوج لها من مهر وهدايا مقياساً لحسن شخصه ومحاسن نفسه وبالتالي ضمان السعادة معه طيلة حياتها، وهذا مفهوم خاطئ فالزائل وغير الثابت وما سيبلى لا ينفع أن يكون أساساً لبيت الزوجية لعدم احتماله ثقل قوام ما شيد فوقه، فهذا البيت سيشهد وفقاً لطبيعة الحياة بعض الاختبارات التي يمر بها الإنسان ربما أصعبها وأشدها، ونخص منها تلك التي تحتاج إلى قوة تحمل لا تقوى عليها إلَّا النفوس الأكثر قرباً من بارئها جلّ وعلا لما تتمتع به من قوة الإيمان الكفيلة بمواجهة الصعاب والتغلب عليها تحت أي ظرف، ومن هنا تأتي أهمية النظر إلى المحاسن المعنوية قبل المادية عند الإقبال على الزواج، وهذا المفهوم هو الذي وضحهصلى الله عليه وآله في جوابه لما عوتب من قبل خاطبيهاعليها السلام والذي تم رفضهم حيث قالصلى الله عليه وآله: «**هبط عليّ جبرئيل فقال: يا محمد أن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليا عليه السلام لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض آدم فمن دونه**»[3].

---

(١) الأمين، السيد محسن: أعيان الشيعة: ج١ ص٣٧٩

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ج٤٣ ص١١٣ (الحبرة: ثوب يصنع باليمن من قطن أو كتان، والإهاب: الجلد ما لم يُدبغ، والعرار: نبتٌ طيبُ الرائحة).

(٣) الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج١ ص٢٠٣.

الحلم

قال الراغب: الحلم ضبط النفس، عن هيجان الغضب. وقيل: الحلم الأناءة والتثبت في الأمور، وهو يحصل من الاعتدال في القوة الغضبية ويمنع النفس من الانفعال، عن الواردات المكروهة المؤذية، ومن آثاره عدم جزع النفس عند الأمور الهائلة، وعدم طيشها في المؤاخذة، وعدم صدور حركات غير منتظمة منها وعدم إظهار المزية على الغير، وعدم التهاون في حفظ ما يجب حفظه شرعا وعقلا[1]، يشترط ابن الراغب في تحقيق الحلم ضبط النفس[2] وذلك لأن هناك ثمة علاقة وطيدة بين باطن الإنسان وأفعاله الظاهرة، كونها تمثل ترجمان ذاته وخلجات نفسه المكنونة والتي لا يعلمها إلَّا الله تعالى، لذلك على الإنسان الكيس أن ينتبه لفعاله وأن يفطن لعواقبها جيداً، فكم من سني كانت له هفوة وكم من لبيب صدرت منه المثالب وقد أخذت عليه وعرفت عنه، بالرغم من أنها لم تكن نابعة من صميم ذاته وبعيدة كل البعد عن ثقافته حيث أنها كانت دخيلة على باحة نفسه جراء لحظات مر بها فقد فيها نعمة (ضبط النفس)، هذه النعمة التي أنعم الله تعالى بها على ابن آدم ومكنه عليها ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾[3]، وحتى يحقق الإنسان قدرته على ضبط النفس عليه أولًا أن يضع لنفسه استراتيجيات خاصة لمواجهة هذه النفس الجموحة وتروضيها على الضبط، وقد وضع الدين الحنيف أيدلوجية معينة متمثلة في حفظ النفس البشرية من النزق والطيش وتوظيف قواها وما يحيط بها بما يقربها من الله تعالى للوصول إلى الهدف المنشود، ويأتي التعرف على مواطن الضعف في مقدمة الأمر وتتمثل بتحديد أسباب استفزاز مشاعر القلق والغضب على اعتبارها تفقد الإنسان سيطرته على ردة فعله أمام المواقف الصعبة، إضافة إلى ذلك معرفة الشخص على مدى قدرته على التعامل مع المتغيرات خاصة المفاجئة منها دون أن يفقد توازنه فيميل إلى السلبية بقصد أو دون قصد، وللمرأة الحصة الكبرى في هذا الجانب دون الرجل لأنها غالباً ما تنجرف نحو عاطفتها وفقاً لطبيعتها الفسيولوجية، فعلى سبيل المثال لا الحصر أن معاملة الأم مع أولادها تختلف تماماً عن الأب فتراها على الدوام هي الركن اللين الذي يلجأ إليه الأولاد، فترى عقلها في بعض الأحيان لا يقوى على مجابهة قلبها الودود الممتلئ بالحب وعاطفتها المترعة بالحنان حين يتطلب الأمر المحاسبة وأخذ الموقف الحاسم أمام خطأ ما قد أقترفه، وقد يكون هذا الأمر هين أمام أنها ترى فلذة كبدها يدنو إلى الموت خطوة بعدة خطوة

(١) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٤٠٣.

(٢) العبد الله حسين الراضي: التقوى ودورها في حل مشاكل الفرد والمجتمع، ط١، ن: دار المحجة البيضاء، ص٤٢٥.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.

وهي تتمتع بضبط النفس وعدم الركون إلى العاطفة ناهيك عن أنها آثرت ثواب الآخرة على متاع الدنيا وبقيت تسير على نهج الحق غير مبالية بالنتائج، وها هي عليها السلام يدخل رسول الله عليها حينما وضعت الإمام الحسين عليه السلام ويخبرها باستشهاده على يد شرذمة من الأمة وما يكون منها إلَّا ما يعبر عن الحلم والأناة وضبط النفس حيث تقول الرواية «دخل النّبيّ صلى الله عليه وآله على فاطمة فأقرأها من الله السّلام وقال لها: **يا بنيّة سمّيه الحسين فقد سمّاه الله الحسين ؛** فقالت: **من مولاي السّلام وإليه يعود السّلام والسّلام على جبرائيل، وهنّأها النّبيّ وبكى،** فقالت: **يا أبتاه تهنّئني وتبكي.** قال: **نعم يا بنيّة آجرك الله في مولودك هذا فشهقت شهقة وأخذت في البكاء (...)** وقالت: **يا أبتاه من يقتل ولدي وقرّة عيني وثمرة فؤادي؟** قال: **شراذمة من أمّتي يرجون شفاعتي لا أنالهم الله ذلك،** قالت فاطمة: **خابت أمّة قتلت ابن بنت نبيّها**»[1]، كما أننا حين نعي كلامها في خطبتها المشهورة نجدها قد استندت في جوابها للقوم على الدليل والبرهان مستدلة عليها بالقرآن الكريم والحقائق الواقعة فها هي حين تتفاجأ بذلك الرجل الذي تصدر القوم وأخذ يزعم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «**أنا معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركناه صدقة**»[2] ولا من أحد يرده أو يصحح له وما كان سكوتهم جهلا أو سهواً إنما تأميناً على قوله ورضوان على فعله، وجاءهم جوابها عليها السلام حجة دامغة لا يستطيع أحد المناص منها ولا يقوى على ردها أو التلاعب فيها فبدوا أمامها كأنهم أعجاز نخل منقعر إذ كان جوابها له بقول الله تعالى لا بقولها وبحكمه عز وجل لا بحكمها حيث قالت: «**أعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ إذ يقول ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾**[3]**، وقال فيما اقتص من خبر زكريا ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾**[4]**، وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾**[5]**، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾**[6]**، وقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**[7]**، أفخصكم الله بآية أخرج منها أبي؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي. أم**

(١) لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام: ج٢، ط: الأولى، م: اعتماد – قم، ن: انتشارات نور السجاد، ص٤١.

(٢) بحار الانوار، المجلسي: ج٢٩ ص١٣٤.

(٣) سورة النمل: الآية ١٦.

(٤) سورة مريم: الآية٦.

(٥) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

(٦) سورة النساء: الآية ١١.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٨٠ .

تقولون أهل ملتين لا يتوارثان»[1]، أن الحبكة والتناسق والتسلسل في هذا الجواب الذي بهت القوم أمامه وكأن الطير حط على رؤسهم دالة كافية وبرهان وافي على ابتعادها عليها السلام كل البعد عن الغضب واستفزاز الحفيظة.

(١) التيجاني، محمد: فاسألوا أهل الذكر، ن: مؤسسة الفجر – لندن، ص١٩٤.

الخاتمة

الباحث في إحصاء فضائل السيدة الزهراءعليها السلام ومعرفة خلجات ذاتها الكريمة، ومكامن شخصيتها العظيمة، كالباحث في الفضاء الرحب لاكتشاف أسراره وإحصاء عدد أفلاكه، فأسرارها وفضائلها ومكارمهاعليها السلام أبلغ من أن يدركها هذا القلم الفقير أمام دُر معاليها، والمفتقر إلى إدراك فيض معانيها، فما كتبه عنها جهابذة التأليف وكبار العلم والأدب ما هو إلَّا مليء الكف من ماء البحر، وأين نحن منهم وهل يستوي الثرى والثريا، ولكنا نبقى نعرض ما استطعنا عليه من سيرتها الوضاءة صلوات الله وسلامه عليها، ونسطر كلماتنا عنها لنقتبس من نورها ما نستنير به من ظلمة الجهل وعتمته، ونكتسب منها دروساً نهذب بها هذه النفس الأمارة بالسوء، فما أحوجنا في يومنا هذا للحذو على خطاها والتأسي بها لحث النفس على كسب الفضيلة وإيقاظ إيجابياتها ودثر سلبياتها، لنمكنها من تحمل أعباء مسؤوليات هذه المرحلة الحرجة التي نمر بها نتيجة غيبة ولينا وإمام عصرنا الحجة المنتظرعجل الله فرجه الشريف، وما نواجهه من الغزو الثقافي الذي نشهده والتسقيطات المتكالبة علينا من كل حدب وصوب مما أوجد تحسين القبيح وتجميله وفقاً لمتطلبات الحداثة المزعومة وعرف العولمة الواهية التي عمدت إلى قلب الحقائق وتظليلها حيث ابيض وجه الكذب وأصبح له مقاسات فمنه الكبير ومنه المتوسط والصغير!!، أما الحلم والتأني فقد غدا خوفاً، بينما الغضب والانفعال يسمى قوة شخصية وشجاعة، والقناعة فقر، وحل محل المودة والرحمة ثقافة (الفلنتاين)...، مما جعل البعض يسقط في شراك هذه المغالطات لما يحملونه من وهن وضعف في نفوسهم نتيجة اندماجهم مع الثقافات المنحدرة وإغراقهم في لجية هذه الحياة التي زينت بحب الشهوات، وابتعادهم عن طريق الحق والصواب المتمثل فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها سلام الله وسلامه عليهم أجمعين، وجعلنا ممن يقتفي أثرهم ويحذو حذوهم ويقتدي بهم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الصدوق: ثواب الأعمال.
- أحمد بن الحسين البيهقي: شعب الإيمان .
- ابن البطريق: عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار.
- ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب.
- جواد القيومي: صحيفة الزهراء عليها السلام.
- السلمي: تفسير السلمي.
- الشريف المرتضى: رسائل الشريف المرتضى.
- الطبرسي: الاحتجاج.
- الطباطبائي: تفسير الميزان.
- حسين الراضي العبد الله: التقوى ودورها في حل مشاكل الفرد والمجتمع.
- الفيض الكاشاني: الوافي.
- الكليني: الكافي.
- لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام: موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام محمد.
- فاضل المسعودي: الأسرار الفاطمية.
- المرعشي: شرح إحقاق الحق.
- المجلسي: بحار الأنوار.
- محمد التيجاني: فاسألوا أهل الذكر.

- محمود عبد الرحمن عبد المنعم: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية .
- محمد بيومي: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.
- محمد الريشهري: ميزان الحكمة.
- محسن الأمين: أعيان الشيعة.
- ناصر مكارم الشيرازي: الأخلاق في القرآن.

الابعاد الرسالية للسيدتين

خديجة والزهراء عليهما السلام دراسة مقارنة

الباحثة : سندس سعدون مهدي الشمري

ملخص البحث

الحمد لله الذي خلق الإنسان وجعله أفضل مخلوق في الأكوان، وطالبه بالتقوى والإيمان والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد وعلى آلة الطاهرين.

لا ريب أنَّ من الأمور المُسلَّمة الوراثة والبيئة لها تأثير كبير على سلوك الإنسان وشخصيته، وأنَّ النسب العائلي هو الآخر له أثره في الآخرين.

ولَـمَّا كانت السيدة خديجة عليها السلام هي زوجة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الأولى صاحبة الحسب والنسب الشريف، الذي التقى نسبها بنسب الرسول صلى الله عليه وآله لينتج البذرة الصالحة فاطمة الزهراء عليها السلام، وعلى هذا الأساس وقع اختيار محور البحث على العنوان (بيت الوفاء السيدة خديجة الكبرى والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام مسيرة عطاء لا ينضب)، ولقد وضعنا صيغة أخرى للعنوان مستوحاة من نفس عنوان المحور وهو (ذخائرُ العُقبَى مِنْ بيتِ النبوةِ وفاءٌ وعطاءٌ لا يَنْضُبُ) لما نراه مناسب لذلك؛ لأن السيدة خديجة عليها السلام باعتقادنا مرآة للعقب الصالح باعتبارها الأم التي أنجبت العقب الصالح لرسول الله صلى الله عليه وآله سيدة النساء فاطمة عليها السلام.

شرعت برسم خطة البحث فجاءت من مقدمة وتمهيد ومبحثين، انعقد التمهيد للتعريف بمفاهيم العنوان، وتناولت في المبحث الأول (سيرة كل من السيدتين العظيمتين عليهما السلام من حيث الولادة والنشأة والزواج)، وانبرى المبحث الثاني في مطلبين، الأول (الأبعاد الرسالية في سيرة السيدتين خديجة وفاطمة الزهراء عليهما السلام)، والثاني: دور المرأة في المجتمع الإسلامي، ثم ختمنا البحث بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها معتمدين في ذلك على عدد من المصادر والمراجع التي تتعلق بالبحث.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي خلق الإنسان وكرمه، وعلمه ما لم يعلم، فسبحان من لا يحصى منه باللسان والقلم، نشهد أن لا إله إلَّا الله، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي أوتي جوامعَ الكلمِ صلى الله عليه وعلى أخيه ووصيه وبعل ابنته أمير المؤمنين وعلى آل بيته الطاهرين وبعد:

لا ريب أن من الأمور الجلية تأثير الوراثة والبيئة على سلوك الإنسان وشخصيته، وأن الحسب والنسب العائلي له أثره في الآخرين أيضاً، ومما يدل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس**»[1]، وأكدت البحوث قديمًا وحديثاً إن صفات الأبوين تنتقل إلى الطفل وترتكز فيه منذ تكونه في صلب أبيه إلى انتقاله إلى بطن أمه وبعد الولادة والنمو تظهر الصفات تدريجياً، ووردت دراسات مؤيدة أن الجينات والكروموسومات الموجودة في الخلية الحية لما يؤثر العامل الوراثي في خلق الاستعدادات في الإنسان، وهذا يعني إن والدي السيدة الزهراء البتول عليها السلام اكتسبت بعض نواحي العظمة التي أحاطت بها من ناحية الوراثة، فلخلق الكمال نحتاج إلى الوراثة والبيئة؛ «بل أن بعض المآكل والمشارب التي تتكون منها نطفه الرجل أو التي تتغذى بها الحامل فيتغذى بها الجنين قد لوحظ في الشريعة المقدسة ومالها من تأثير في تكوين بناء الطفل وأوصافه الجسمية والأخلاقية»[2].

عندما بعث الله (عزّ وجل) خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله، وبلغ رسالته رفع شأن المرأة، وجعل لها مكانة في المجتمع، وبين أن كل من الرجل والمرأة يمكن يقدمان دوراً عظيماً في المجتمع، وكل له دوره الذي يتناسب وخصائصه الخلقية والنفسية، فالمرأة من شأنها الإصلاح أيضاً.

لذا وقع الاختيار على المحور (بيت الوفاء: السيدة خديجة الكبرى والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام مسيرة عطاء لا ينضب)، وقد ارتأينا له عنوان (ذخائر العقبى من بيت النبوة وفاءٌ وعطاءٌ لا ينضب)

(١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ج٢ ص١١٨٣ المكتبة الشيعية.

(٢) من هدى النبي والعترة في آداب العِشرة: الشيخ أحمد كاظم البهادلي، تحقيق الشيخ علي الأسدي: ج١ ص٣٨١، دار الحوراء، لبنان بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م.

باعتقادي أن السيدة خديجة الكبرى عليها السلام مرآة للعقب الصالح التي انبتت البذرة الصالحة للرسول الله صلى الله عليه وآله السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

أهمية البحث: تنطلق أهمية البحث واختياره من عظم دور السيدتين خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليها السلام في تاريخ سيرة آل بيت النبوة عليهم السلام أولاً، وفي التاريخ الإسلامي ثانياً، وعليه لا بد من التعريف بدورهن عليها السلام للعالم أجمع، وبيان أهمية الدفاع عن الإمام المعصوم في كل زمان ومكان، فالسيدة خديجة خير قدوة للمرأة في زمن الانتظار وفي وقتنا الحاضر ينبغي أن نكون من المنتظرين الحقيقيين للإمام الحجة عجل الله فرجه، بالإضافة إلى إبراز دور المرأة المسلمة داخل الأسرة والمجتمع، ولا يقل دورها عن دور الرجل، وكل له ميزاته ودوره الذي يناسبه.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

١ـ ابراز وتبيان المنزلة العظيمة والدور الرسالي للسيدتين خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليها السلام في الوفاء والعطاء لنصرة الدين الإسلامي.

٢ـ والدفاع عن نبي الأمة وإمامها (صلوات الله وسلامه عليهم) تشخيص دور المرأة في المجتمع الإسلامي والإسهام في بناء المجتمع وتطويره والابتعاد عن فكر المجتمعات التي تريد الحط من شأن المرأة بزعم رفعها.

مشكلة البحث: أبرز مشكلة تواجهنا في البحث تكمن في ابتعاد الجيل الجديد كثيراً عن القيم والمبادئ التي سار عليها أهل البيت عليهم السلام، وعدم وجود المصادر التي تتحدث عن أدق تفاصيل حياة السيدة خديجة عليها السلام وإن وجدت فتكون متشابهة في رواياتها مع قلتها، وإن الروايات لم تذكر لنا الكثير من الأحداث في التي مرت بحياة السيدتين العظيمتين عليها السلام في الحقبة الزمنية المهمة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله.

منهج البحث: اعتمدنا على المنهج المقارن والتحليلي في بعض الأحيان.

هيكلية البحث: ولغرض تحقيق أهمية البحث وأهدافه شرعت برسم خطة البحث فجاءت من مقدمة وتمهيد ومبحثين، انعقد التمهيد للتعريف بمفاهيم العنوان، وتناولت في المبحث الأول (سيرة كل من السيدتين العظيمتين خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليها السلام من حيث الولادة والنشأة والزواج) وعقدنا لكل منهما مطلباً خاصاً به، وانبرى المبحث الثاني في مطلبين، تعرضنا في الأول

(الأبعاد الرسالية في سيرة السيدتين خديجة وفاطمة الزهراء عليهما السلام)، وفي الثاني: دور المرأة في المجتمع الإسلامي، ثم ختمنا البحث بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها معتمدين في ذلك على عدد من المصادر والمراجع التي تتعلق بالبحث.

التمهيد

الغاية من وضع التمهيد لبيان المفردات اللغوية التي وردت في العنوان وهي (ذخائر، العقبى، وفاء، عطاء).

• مفهوم (ذخائر) في اللغة والاصطلاح

أولاً: المعنى اللغوي: ذخائر

ذخر: ذَخَرَ شيءَ يَذْخُهُر ذُخْراً واذَّخَرَه ادِّخاراً: اختياره، وقيل: نجاحه، وكذلك اذَّخَرْتُه، وهو أفتعلت. وفي حديث جديد: كُلُوا وادَّخِرُوا؛ وأصله اذْتَخَرَه فثقل التاء التي لافتعال مع الذال فقلبت ذالاً وأُدغمت فيها الذال الأصلية فصارت ذالاً مشدّدة، ومثله الاذكارُ من الذِّكْرِ. قال ابن الأثير: هكذا ينطق بها، بالدال المهملة. وأَصل الادِّخارِ اذْتِخارٌ، وهو افتعال من الذَّخرِ[1].

ثانياً: المعنى في الاصطلاح

والذَّخِيرَةُ: واحدة الذخائِر، وهي ما ادُّخِرَ؛ قال:

لَعَمْرُكَ ما مالُ الفَتَى بِذَخِيرَةٍ، * ولكنَّ إِخْوانَ الصَّفَاء الذَّخائِرُ؛ ذخر: أصل الادخار اذتخار، يقال ذخرته، وادخرته إذا أعددته للعقبى[2]. الاسم من ذخر الشيء: خبأه لوقت الحاجة، و أيضا الذخر بمعنى ما ذخر و جمعه أذخار[3]. الذُّخْرُ: ما إذخر. (ج) أذخار[4].

مفهوم العقبى في اللغة والاصطلاح

أولاً [عقب] في اللغة: عقب: عقب كل شيء، وعقبه، وعاقبته، وعاقبه وعقبته، وعقباه، وعقبانه: آخره، والجمع: العواقب، والعقبى: كالعاقبة، والعقب. وفي التنزيل: ولا يخاف عقباها قال ثعلب:

(١) لسان العرب: ابن منظور (٧١١): ج٤ ص٣٠٢، أدب الحوزة، ١٤٠٥.
(٢) مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ص١٧٧.
(٣) التعريفات الفقهية: ج١ ص٩٩.
(٤) القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: ج١ ص١٣٥.

معناه لا يخاف الله (عز وجل) عاقبة ما عمل أن يرجع عليه في العاقبة، كما نخاف نحن[1].

ثانياً: في الاصطلاح القرآني

«قال الراغب: العقب والعقبى يختصان بالثواب نحو: ﴿**خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**﴾[2]، وبالإضافة قد تستعمل في العقوبة نحو ﴿**ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى**﴾[3] [4]. عن الصادق عليه السلام في قوله: ﴿**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾[5] أي الإمامة إلى يوم القيامة[6]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عَنْ قَوْلِهِ (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾، قَالَ: «**جَعَلَ الْأَئِمَّةَ فِي عَقِبِ الْحُسَيْنِ، يُخْرِجُ مِنْ صُلْبِهِ تِسْعَةً مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَمِنْهُمْ مَهْدِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ**»[7].

وفي ظل التعاريف اللغوية والاصطلاحية للمفردتين (ذخائر، عقبى) نستنتج من خلال: الجمع بين المفردتين، والجمع بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ليكون معنى (ذخائر العقبى): هو ذخر الشيء وكل مصدر نافع أو ثمين خبأه واحتفظ به لوقت الحاجة إليه؛ سواء أجر أو ثواب في حياة الدنيا، فضلاً عن الآخرة؛ مقترناً بالإيمان بالأئمة الاثني عشر عليهم السلام، أو العقب الصالح للانتفاع به من الناحية المادية والمعنوية من خلال السعي في قضاء جميع حوائجهم والحرص على الاحتفاظ بموروثات العائلة مع التمسك بالقيم والمبادئ السامية التي جُبِلَ عليها.

• مفهوم النبوة في اللغة والاصطلاح

• أولاً: النبوة في اللغة: (النبأ) الخَبَر يُقَالُ (نبا) و (نبأ) و (أَنْبَأَ) أي أَخْبَرَ ومنه (النَّبيُّ)؛ لأَنه أَنْبَأَ عن الله وهو فعيل بمعنى فاعل تَرَكُوا همزه كالذرية والبرية والخابية إِلَّا أَهْلَ مَكَّةَ فَإِنَّهُم يَهْمَزُونَ الأَربعة قلت: وتَمامُ الكَلام في النبي مَذْكُور فيـ ن ب اـ من المعتل[8].

• ثانياً: النبوة في الاصطلاح: النبوة: سفارة بين الله وبين ذي العقول من عباده؛ لإزاحة علتهم

(١) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: ج١٠، ص٢٢٨.
(٢) سورة الكهف: الآية ٤٤.
(٣) سورة الروم: الآية ١٠.
(٤) راجع: مفردات غريب القرآن: ص٣٤٠.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٢٨.
(٦) مناقب آل أبي طالب، أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب: ج١ ص٢١٣
(٧) أنظر: البرهان في تفسير القرآن، البحراني السيد هاشم: ج٧ ص١١٨، ط٢.
(٨) مختار الصحاح، محمد ابن أبي بكر عبد القادر الرازي ت (٦٦٦ هـ): ص٦٤٢.

في أمر معادهم ومعاشهم. والنبي هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بإحدى الطرق المعروفة»[١].

مفهوم الوفاء في اللغة والاصطلاح

أولاً: الوفاءِ لُغةً: الوفاءُ ضِدُّ الغَدرِ، يُقالُ: وفى بعَهدِه وأوفى بمَعنًى، ووفى بعَهدِه يفي وفاءً، وأوفى: إذا تَمَّمَ العَهدَ ولم يَنقُضْ حِفظَه[٢].

ثانياً: الوفاءِ اصطِلاحًا: الوفاءُ هو: «مُلازَمةُ طَريقِ المواساةِ، ومُحافظةُ عُهودِ الخُلطاءِ»[٣]. وقيل: «هو الصَّبرُ على ما يبذُلُه الإنسانُ مِن نَفسِه، ويرهَنُ به لسانَه، والخُروجُ مِمَّا يضمَنُه، وإن كان مُجحِفًا به»[٤].

الوفاء: وهو أن يفي الإنسان بما وعد به بصورة كاملة وصادقة، وهو من الأخلاق الحميدة التي تكسب ثقة معاشريه وميلهم إلى معاملته ومعاونته، وينال من الناس حسن الذكر في حياته ومماته[٥]. عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد**»[٦].

• **مفهوم العطاء في اللغة والاصطلاح**

أولاً: المعنى اللغوي: أصل مادة (عطو) تدل على أخذ ومناولة، فالعطو: التناول باليد، ومنه اشتق الإعطاء، والمعاطاة: المناولة[٧]. والعطاء والعطية: اسم لما يعطى، والجمع عطايا وأعطية، وأعطيات جمع الجمع، والاسم العطاء[٨]. قال الراغب: «والإعطاء: الإنالة، قال تعالى: ﴿**حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ**﴾[٩]». واختص العطية والعطاء بالصلة، قال تعالى: ﴿**هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾[١٠]»[١١].

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي: قال ابن العربي: «حقيقة العطاء: هي المناولة، وهي في اللغة والاستعمال

(١) الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعمل، محاضرات الشيخ جعفر السبحاني: ج٣ ص٢٠.
(٢) يُنظَر: مفردات أحكام القرآن، الراغب الأصفهاني: ج٤ ص٤٠٥.
(٣) يُنظَر: التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ص٢٤٣.
(٤) تهذيب الأخلاق: الجاحظ، ص٢٤.
(٥) الأخلاق والآداب الإسلامية، عبد الله الهاشمي: ج١ ص٢٧٤، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ ٢٠١٢م.
(٦) الكافي، الكليني: ج٢ ص٢٦٤، ح٢.
(٧) أنظر مقاييس اللغة ابن فارس: ج٤ ص٣٥٤.
(٨) لسان العرب: ج ١٥ ص٦٩.
(٩) سورة التوبة: الآية ٢٩.
(١٠) سورة ص: الآية ٣٩.
(١١) أنظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الاصفهاني: ص٥٧٢.

عبارة عن كل نفع أو ضر يصل من الغير إلى الغير»[١]. وقال المناوي: «العطاء: التناول، والمعاطاة: المناولة، لكن استعملها الفقهاء في مناولة خاصة»[٢]. يتبين مما سبق أن المعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي.

يُمكن تعريف العطاء على أنّه إحدى الفضائل الإنسانية التي تعني البَذل والتضحية، ويكون ذلك بعدم التقيّد بحب الذات فقط، وإنّما حُب الآخرين أيضاً، كما يعني التجرّد من الأنانيّة والتملّك، وتفضيل البذل على الاحتكار، فالمال بالنسبة للشخص المِعطاء وسيلة لا هدف، وبالتالي لا تُسيطر عليه الأهواء وحب المال، إنّما حُب مساعدة الآخرين من خلال هذا المال[٣].

(١) أحكام القرآن، ابن عربي، أبو بكر: ج٤ ص٤٠٥ ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي: ص٣٣٩
(٣) تعريف ومعنى عطاء في معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي بتصرف، www.almaany.com.

المبحث الأول: سيرة السيدتين العظيمتين السيدة خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليهما السلام

إن الحديث عن أعظم امرأتين من بيت النبي صلى الله عليه وآله زوجته السيدة خديجة الكبرى وريحانته فاطمة الزهراء عليها السلام من الأحاديث التي تجلي الهم وتشرح الصدر، فلنبحر في نهر وفائهن نرجو من فيض عطائهن؛ لعلنا نقتبس من سيرتهن الغراء جذوة لا تنضب.

• المطلب الأول: سيرة السيدة خديجة الكبرى عليها السلام

أولاً: نسبها ونشأتها عليها السلام

ولدت السيدة خديجة لأبوين، قرشيين في أفضل بقعة من بقاع الأرض وهي مكة المكرمة واختلف في سنة ولادتها بروايات عدة منها: قبل عام الفيل بثلاث سنوات وقيل أكثر وقيل أقل، ونشأت في بيت من أفضل بيوت مكة بيت مجد وسؤدد ورئاسة، وقد كانت عليها السلام من خيرة نساء قريش شرفاً، وأكثرهن مالاً، وأحسنهن جمالاً، وكانت في الجاهلية يقال لها: (سيدة قريش)، ترجع في نسبها إلى بني زهرة الذي هو ابن كلاب بن كعب بن لؤي، إنها تلتقي في نسبها مع نسب رسول الله صلى الله عليه وآله في قصي الجد الرابع للنبي وهو الجد الثالث لها فهي ترجع إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام وتلتقي به في الجد الثامن لها من ناحية لؤي بن غالب.

أبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، فهو من وجهاء قومها ومن أعلامه، أما أم السيدة خديجة عليها السلام هي فاطمة بنت زائدة بنت الأصم (واسمه جندب) بن رواحة الهرم بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر»[1].

ثانياً: زواج السيدة خديجة عليها السلام

العشرة الزوجية لدى النوع الإنساني تشكل اللبنة الأولى في بناء مجتمعه، فهي ضرورة لكل من صنفي هذا النوع الذكر والانثى اقتضتها خلقتها وفرضها تكوينهما، وللتناسب بين نظام هذا التكوين ونظام ما وضع له من تشريعات لأن واضع النظامين واحد حكيم فقد حث التشريع الإسلامي على

(١) أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام، الحاج حسين الشاكري: ص١٤٢.

العشرة الزوجية حتى يستلزم النهي عن تركها، بل صرح بالنهي عن تركها أيضاً[1] وعلى ضوء هذا التعريف نجد أروع مصداق للعشرة الزوجية السيدة خديجة عليها السلام.

تنقسم الحياة الزوجية للسيدة خديجة عليها السلام إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: حياتها الزوجية قبل البعثة النبوية

حصل اختلاف في زواج السيدة خديجة عليها السلام فمنهم من قال كانت متزوجة قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله؟ والإجابة على ذلك تكمن من خلال تحليل ومناقشة الآتي:

تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة أولاً خديجة بنت خويلد، قالوا: وكانت عند عتيق بن عائد المخزومي، ثم عند أبي هالة زرارة بن نباش الأسدي. وروى أحمد البلاذري، وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرتضى في الشافي وأبو جعفر في التلخيص أن النبي صلى الله عليه وآله تزوج بها وكانت عذراء، يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي الأنوار والبدع أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة أخت خديجة[2]. أما أولاد الرسول صلى الله عليه وآله كلّهم من السيّدة خديجة عليها السلام إلَّا إبراهيم من مارية ولد بالمدينة سنة ثمان للهجرة ومات بها وله سنة وعشرة أشهر وثمانية أيام...»[3]، ولم تبقى سوى فاطمة عليها السلام، وهناك دليل آخر جاء في البحار فقالوا: أنها كانت عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله عذراء. وصفها أبو طالب عليه السلام ذات يوم قائلاً: «إن خديجة عليها السلام امرأة كاملة ميمونة خطبها ملوك العرب، ورؤساؤهم، وصناديد قريش، وسادات بني هاشم، وملوك اليمن، وأكابر الطائف، وبذلوا لها الأموال، فلم ترغب في أحد منهم، ورأت أنها أكبر منهم[4]. «سيدة خطبها الأمراء والأشراف فرفضتهم، سيدة هكذا تقدم نفسها هبة لشاب فقير يعيش تحت كفالة عمه الفقير أبي طالب»[5] فامتنعت على جميعهم من ذلك.

ففي أحد الأيام وبينما كان أحد الأحبار في بيتها وهي جالسة مع جماعة من نسائها وجواريها إذا بالنبي صلى الله عليه وآله يمرّ، فنظر إليه ذلك الحبر وقال: يا خديجة قد مرّ الآن بدارك شاب حدث السن، فأمري من يأتي به. فأرسلت إليه جارية من جواريها وقالت: يا سيدي مولاتي تطلبك. فأقبل صلى الله عليه وآله ودخل منزل خديجة. فقالت: أيّها الحبر هذا الذي أشرت إليه؟ قال: نعم هذا محمّد بن عبد الله. وقال: طوبى لمن

(١) من هدى النبي والعترة في آداب العِشرة، الشيخ أحمد كاظم البهادل: ج١ ص٤٨.
(٢) مناقب آل أبي طالب، أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب: ج١ ص١٣٥.
(٣) المصدر السابق: ص١٣٧.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ج١٦ ص٥٦.
(٥) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني: ص ٢٨.

يكون لها بعلاً وتكون له زوجة وأهلاً، فقد حازت شرف الدنيا والآخرة. فلمّا أراد الخروج من عندها قال: اجتهدي أن لا يفوتك محمدﷺ فهو الشرف في الدنيا والآخرة[1].

فلما تزوج بها رسول اللهﷺ غضبن عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها: خطبك أشراف قريش وأمرائهم فما تزوّجت أحداً منهم وتزوجت محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له؟ فكيف يجوز في نظرهم أن تكون خديجة يتزوّجها يتيم لا مال له وتمتنع من سادات قريش وأشرافها على أموالهم الكثيرة، وهذا يبطل دعوة زواجها من أشخاص مجهولين؟؟

وجاءت عدت روايات تدل على عدم زواجها قبل الرسول الأكرمﷺ وإنها (سلام الله عليها) من الأرحام المطهرة منها رواية بحق الحسينعليه السلام «**أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة، والأرحام المطهرة، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها، ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها**»[2]. هذه الفقرة فيها جملتان:

الجملة الأولى: الأصلاب الشامخة والأرحام المطهّرة: نناقش أولاً من جهة الأمهات: فأمهاته من أمه فاطمة الزهراءعليها السلام وحتى حواء، كلهن طاهرات من الشرك، وأمهات موحّدات، وهذا معنى «**لم تنجّسك الجاهلية بأنجاسها**» لأن نجس الجاهلية هو الشرك، وأما من جهة الآباء فالمسألة أعظم، لم يكن آباء النبي طاهرين عن الشرك فحسب، بل إن الشجرة المتصلة من النبي إلى إبراهيم الخليل (صلوات الله عليهم) شجرةٌ بعضهم أولياء؛ ليس إبراهيم فقط، بل من آله أيضًا اصطفاهم، ﴿**وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[3] فالمراد بآل إبراهيم وآل عمران خاصتهما والملحقون بهما، فيختص ببعض الذرية الطيبة الطاهرة لا جميعها[4] كما في قوله تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**﴾[5]، وللاصطفاء مراتب كثيرة تبعاً لاختلاف سبب التفاضل، فإن اصطفاء آل إبراهيم وآل عمران لا يعني اصطفاء جميع أبناء إبراهيم وعمران، وتأكد على ذلك الآية: ﴿**قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[6]، فقد يكون من بينهم كفاراً أيضاً إذن آية الاصطفاء دون شك دليل على عصمة الأنبياء والأئمةعليهم السلام.

(١) راجع: بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٠، ح١٩، مفتاح السرور والافكار في مولد النبي المختار، احمد بن عبد الله البكري.
(٢) بحار الأنوار: المجلسي: ج٩٨ ص٣٣٢، المكتبة الشيعية.
(٣) سورة آل عمران: الآية٣٣.
(٤) تفسير الكاشف: ج٥ ص٢٧٥.
(٥) سورة الأسراء: الآية ٥٥.
(٦) سورة البقرة: الآية١٢٤.

المرحلة الثانية: زواجها عليها السلام المبارك من الرسول صلى الله عليه وآله

إن لمثل شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله التي فاقت كل شخص من الاقتران بامرأة تناسبه وتتجاوب مع عظيم أهدافه وقيمه لتواصل رحلة الجهاد والعمل وتصبر على متاعبها ومصاعبها، وشاء الله تبارك وتعالى أن يتجه قلب خديجة عليها السلام بكل عواطفه نحو رسول الله صلى الله عليه وآله وتعلق بشخصه الكريم؛ لأنها عرفت فيه من النبل والأخلاق الكريمة والسجايا الفاضلة والقيم العالية[1].

بعد أن قام أعمام النبي صلى الله عليه وآله لخطبة السيدة خديجة عليها السلام ضمنت المهر في مالها، كانت هذه البادرة نادرة عجيبة جداً، فلم يعهد أحد في العرب أن المرأة تقدم الصداق لزوجها فلا عجب إذا هاج الحسد بأبي جهل وقال: «يا قوم رأينا الرجال يمهرون النساء وما رأينا النساء يمهرون الرجال!» فيجيبه أبو طالب مغضبا: إذا كانوا مثل ابن أخي محمد هذا طُلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، وإن كانوا أمثالكم لم يُزوّجوا إلّا بالمهر الغالي»[2]، وتم الزواج المبارك فكانت عليها السلام تشعر أنها من أسعد النساء بزواجها من أعظم الخلق رسول الله صلى الله عليه وآله، لقد تزوجت بملء إرادتها متحديةً كل الأعراف الجاهلية في عصرها وأخلصت لزوجها، وقد وجد في كنفها من المودة والرعاية التي فقدها بفقد أمه وأبيه من الحنان والرعاية.

ثالثاً: إسلام السيدة خديجة عليها السلام

لقد كانت السيّدة خديجة عليها السلام على دين أبيها إبراهيم عليه السلام وذلك قبل أن يُبعث رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا يُعرفون بالحنفاء، وقد آمنت في اليوم الأول من بعثة المصطفى صلى الله عليه وآله، كما جاء في الحديث الشريف: «**أوّل من آمن بالنبي صلى الله عليه وآله من الرجال علي عليه السلام ومن النساء خديجة عليها السلام**»[3].

عندما رجع الرسول الكريم صلى الله عليه وآله من غار حراء وهو ينوء بثقل الرسالة العظيمة، كانت السيّدة خديجة عليها السلام في استقباله حيث قالت له: أيّ نور أرى في جبينك؟ فأجابها: **إنّه نور النبوّة**، ومن ثمّ شرح لها أركان الإسلام، فقالت له: «**آمنت وصدّقت ورضيت وسلّمت**»[4]. كما كانت السيّدة خديجة أول سيّدة في الإسلام تصلّي، انحصر الإيمان بالدين الإسلامي بخديجة عليها السلام والإمام علي عليه السلام، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**كنتُ أولَ من أسلَم، فمكَثْنا بِذلِكَ ثلاث حجَج وما عَلى الأَرض**

(١) الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، السيد علاء حسين آل طعمة: ص٤٠، ط٣.
(٢) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني: ص٣٠.
(٣) الأمالي، الشيخ الطوسي: ص٢٥٩.
(٤) بحار الأنوار، المجلسي: ج١٨، ٢٣٢.

خَلْقٌ يُصلّي ويشهَد لرسول اللّه ﷺ بما أتاهُ غيْري، وغير ابنة خويلد رحمها اللّه وقد فعل»[1]، وكان الرسول الأكرم ﷺ يذهب إلى المسجد الحرام ويستقبل الكعبة وعلي عليه السلام إلى يمينه وخديجة خلفه، وكان هؤلاء الثلاثة هم النواة الأولى لأمّة الإسلام، وكانوا يعبدون معبودهم الواحد إلى جانب كعبة التوحيد[2].

أوّل مؤمنة بالولاية: كان الإمام علي عليه السلام في بيت النبي ﷺ ورعاية السيدة خديجة عليها السلام وعندما شرح الرسول الكريم ﷺ لزوجه مفهوم الولاية وموقعها السامي، وطلب إليها أن تؤمن بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام، استجابت فوراً حيث قالت بصراحة ووضوح: **آمنت بولاية علي وبايعته**[3].

فقد كان للسيدة خديجة دور ريادي قيادي مساند لقيادة الرسول ﷺ، فقد كل المؤهلات والمعطيات التي تمتلكها من أجل تحقيق إدارة ناجحة لمشاركة الرسول لحظات العناء والتعب في السنين القاسية في بداية الدعوة الإسلامية، وكانت ذات فكر اقتصادي تجاري، تؤسس لنفسها ثروةً ماليةً كبيرة، بعيداً عن الربا واستغلال احتياج الناس للأموال، فقد ذكرت المصادرُ التأريخيةُ بأنها كانت تملك ثروة طائلة وقد شيد الله دينه بمال خديجة كما قال ﷺ: **ما قام ولا استقام ديني إلّا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**[4].

نستنتج مما سبق إنَّ السيدة خديجة كانت خير قدوة للمرأة في زمن الانتظار؛ إذ إنها بجرأتها وشجاعتها تحدت أعراف الجاهلية، وأثبتت أن المرأة يُمكنها تأدية أدوار ريادية مهمةٍ في قيادة الأمة وإقامة الأحكام؛ إذا ما تسلّحت بالتقوى والإيمان بالله تعالى، وتحصنت بالعلم النافع تمهيدًا لظهورِ حُجّةِ الله في أرضه عجل الله فرجه. حيث كانتْ نِعمَ المنتظرة العالمةُ العاملة المجاهدة، ونعم الناصرة المؤيّدةُ، فعندما ندعوا بدعاء الفرج: «... **واجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والمستشهدين بين يديه**» نتمنى أن يتحقق لنا هذا المطلب ويستجاب دعاؤنا في الانتظار الحقيقي لإمام زماننا الحجة المنتظر عجل الله فرجه كما تحقق هذا للسيّدة الجليلة خديجة الكبرى عليها السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ج١٦ ص٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٤ ص١١٩-١٢٠.

(٢) خصائص أمير المؤمنين: النسائي، ص٤٥.

(٣) بحار الأنوار: المجلسي: ج١٨ ص٢٣٢.

(٤) شجرة طوبى: الشيخ محمد مهدي الحائري: ج٢ ص٢٣٣.

• **المطلب الثاني: سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:**

أولاً: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قبل الولادة

ليس من الغريب أن يكون مثل بنت المصطفى صلى الله عليه وآله الزهراء عليها السلام سيرة قبل الولادة، بل وقبل أن تخلق فهي الحوراء الإنسية كما جاء في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام، وخير دليل ما رواه الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خُلق نور فاطمة (صلوات الله وسلامه عليها) قبل أن تخلق الأرض والسماء، فقال بعض الناس: يا نبي الله فليست هي إنسية؟ فقال صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء إنسية، قال: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية؟ قال: خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم إذ كانت الأرواح، فلما خلق الله عز وجل آدم عرضت على آدم..**»[1].

وعندما أراد الله سبحانه إظهار هذا النور لعالم الوجود، فالمروي في روايات أهل البيت عليهم السلام، وكان ذلك بعد بعثة النبي صلى الله عليه وآله بنحو أربع سنوات وأشهر، أنه أمر أن يعتزل خديجة وأن يكون صائماً النهار قائماً الليل حتى يأتيه الأمر الإلهي بمقاربة زوجته لتلد تلك المرأة التي سيقدر لها أن تكون سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين[2]. فولادتها تعتبر رسالة اختصت بها الرسالة الخاتمة بأن يكون مهدي الأمة الذي بشر فيه جميع الأنبياء من ولدها عليها السلام.

ثانياً: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بعد الولادة

١ـ الولادة الميمونة

في ظلال أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وبين أحضان أمها الطاهرة خديجة بنت خويلد عليها السلام ولدت السيدة الزهراء عليها السلام في مكة المكرمة في العشرين من جمادى الآخرة بعد البعثة بخمس سنين، ومن العجب الاختلاف الواضح في تاريخ ولادتها حيث ذهب علماء أهل السنة إلى أن ولادتها كانت قبل المبعث بخمس سنين وذهب علماء الشيعة إلى ما ذكرناه أولاً وهو الذي ذهب إليه الكليني حيث قال: «ولدت بعد النبوة بخمس سنين وبعد الإسراء بثلاث سنين، وقبض النبي صلى الله عليه وآله ولفاطمة يومئذٍ ثماني عشرة سنة»[3].

(١) أنظر: إني فاطمة وأبي محمد، فوزي آل سيف: ص٧ .
(٢) المصدر السابق: ص٨.
(٣) دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار، الشيخ خليل رزق: ص٩٧.

ومن الدلائل التي تشير إلى صحة هذا الرأي حديث معاتبة عائشة كثيراً للنبي صلى الله عليه وآله لكثرة تقبيله ابنته فاطمة، حيث يردّ عليها النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «**إن فاطمة قد انعقدت نطفتها من طعام الجنة عندما أُسري إلى السماء**» والمعلوم أن الإسراء كان بعد البعثة وليس قبل البعثة.

وعليه لابد أن نناقش وجه الاختلاف من خلال نقطتين هامتين: أحداهما عقدية والأخرى أخلاقية تربوية.

العقدية منهما: وهو أن ولادة فاطمة عليها السلام هي ليس كولادة أي امرأة أخرى لا تزيد عليها في شيء فإنها تختلف تماماً، فهي حوراء إنسية، ومعنى الحوراء أنها تخلقت بنحو من الأنحاء مما هو مرتبط بالجنة، وهو هنا الطعام الذي تناوله النبي صلى الله عليه وآله لكي تتكون منه تلك النسلة الطاهرة الميمونة[1].

وأما الجهة الأخلاقية: فينبغي أن نشير هنا إلى ما أكدته الأحاديث الروايات من تأثير الطعام الحلال إيجابيا في النشأة الحسنة وقبول الهدى وحرص المشرع الإسلامي في التأكيد على آثاره تلك كأحد الآثار الوضعية المطلوبة بالإضافة إلى كون تناوله يعبر عن طاعة الله سبحانه.

وفي المقابل فإن تأثير أكل الحرام في سلوكيات آكليه واضح، وإن كان وذاك بمعنى اقتضاء الشيء لهذه النتيجة لا بمعنى العلة التامة والسبب الكامل حتى لا يقول أحد أن فلانا يأكل الحلال ومع ذلك يسرق، وأن فلانا يأكل حرام وهو أمين! فإذا كان أكل الحلال والطيبات من الرزق يقتضي تلك الآثار الإيجابية في الأخلاق والدين، فكيف إذا كان ذلك الطعام من الجنة كما أسلفنا في خبر أكل طعام الجنة ليتكون منه بدن فاطمة عليها السلام؟ وإذا كان بدن فاطمة عليها السلام قد تكون من طعام الجنة فكيف ستكون روحها ونفسها؟

وعلى هذا الأساس فقط يمكن فهم ما ورد في روايات الفريقين من أن النبي صلى الله عليه وآله كان يقبل فاطمة ويشم منها ريح الجنة! فإذا كان قد ولدت قبل البعثة بخمس سنوات فما مزيتها في هذه الجهة على سائر بنات الرسول صلوات الله عليه وعلى آله أو أبنائه؟ وإذا لم تتكون من طعام الجنة فمن أين جاءت هذه الرائحة التي يستروحها رسول صلى الله عليه وآله الله فيها؟ لا غرابة بعد هذه المقدمات أن نرى في روايات المعصومين عليهم السلام عن أمهم الزهراء أنها كانت تحدث أمها خديجة وهي في بطنها.

وإن رسول الله قال: «**إنّ فاطمة حوراء إنسية، فكلما اشتقت إلى الجنة جعلت أقبلها**». وبذلك

(١) ينظر: إني فاطمة وأبي محمد، فوزي آل سيف: ص٩.

فإنّ هذه المولودة المباركة التي تمثل عصارة ثمار الجنة ولحم ودم رسول الله، وتلك الأم الحنون السيدة خديجة الكبرى عليها السلام، تكون قد وضعت حداً لطعنهم وغمزهم في النبي كونه أبتر لا عقب له، وعلى ضوء سورة (الكوثر المباركة) فإنّ فاطمة عليها السلام عقبه[1].

٢. الزواج المبارك للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

عندما بلغت السيدة الزهراء مبلغ النساء بدأ المهاجرين والانصار بخطبتها وكان النبي يعتذر عن تزويجها، وممن طلب منه ذلك أبو بكر، فرده النبي صلى الله عليه وآله وقال له: «**انتظر بها القضاء**» وأعقبه عمر فرده النبي بمثل مارد به صاحبه[2]. ولعل المصطفى صلى الله عليه وآله ما كان يحب أن يصارحهم بأنه يدَّخرها لكفؤها وهم ليسوا بأكفاء لابنته، وكان النبي ينتظر أن يتقدم علي عليه السلام وهو يعلم أن لا كفوء لها ألا علي، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**لولا أن أمير المؤمنين عليه السلام تزوجها لما كان لها كفوء إلى يوم القيامة على وجه الأرض آدم فمن دونه**»[3]، وكذلك بأن الرسول ينتظر أمر الله فيها، والحياء يمنع علي عليه السلام من التقدم لخطبتها... ففي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: **أنه دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علي وقال له**: «**أبشر فإن الله قد كفاني ما همّني من أمر تزويجك**»[4]، والتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى أصحابه فأخبرهم بأن الله تعالى قد أمره أن يزوج ابنته من الإمام عليه السلام قائلاً: «**لقد أتاني ملك فقال لي: يا نبي الله إن الله يقرؤك السلام ويقول إني زوجت فاطمة من علي في الملأ الأعلى فزوجها منه في الأرض**»[5]، وتم الزواج المبارك من السماء قبل الأرض في بيت يملئه الود والحب والعطاء بعيداً عن زخارف الدنيا وزبرجها مزيناً بالوفاء تغمره السعادة والإخلاص والدا الحسن والحسين عليهما السلام اللذان انحصر بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن فارقت الحياة عليها السلام وهي بزهرة شبابها وانتقلت إلى بارئها بأعلى درجات العلى.

(١) الزهراء عليها السلام أصبحت أم أبيها: د. فاضل عبد العباس محمد.

(٢) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القريشي: ص١٣١ .

(٣) الأسرار الفاطمية، السيد فاضل المسعودي: ص٨٣ .

(٤) فاطمة الزهراء عليها السلام المدرسة المثالية في الإسلام، جاسم محمد لايش العلياوي: ص١٠٠ .

(٥) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة وتحليل، باقر شريف القريشي: ص١٣١ .

المبحث الثاني: الأبعاد الرسالية في سيرة السيدتين خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليهما السلام

عندما يكون الأمر متعلقاً بخير الأديان وخاتمها، فإن الأدوار الرسالية لا بد أن تكون متوازية مع حجم الرسالة الي أُنيطت بها؛ ولأن السيدتين العظيمتين خديجة الكبرى والزهراء عليهما السلام ممن اختارهما الله تعالى لأن تكونا من أهل هذه الرسالة فقد جهدتا على أداء دورهما الرسالي فقد أساهمتا في إقامة صروحه وتوطيد أركانه، وشاركن رسول الله صلى الله عليه وآله في الدفاع عن النبي والنبوة في المجالات التي حددت لها الرسالة في جميع مراحلها التأسيسية وإلى ما بعد استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله والتي نهضت بها كوثر الزهراء عليها السلام بعد وفاة والدتها عليها السلام وإليكم طاقة من هذه الأدوار بأبعادها الرسالية:

• المطلب الأول: الأدوار الرسالية في سيرة السيدتين خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليهما السلام

أولاً: البعد الأسري في سيرة السيدة خديجة الكبرى (عليها السلام)

لم يشهد البيت النبوي حياة نموذجية يظللها الهدوء والمودة والطمأنينة مثلما شهده بيت خديجة عليها السلام خلال ربع قرن أعطت فيه عليها السلام منهاجاً خاصاً في التربية الأسرية ينبغي لكل أسرة الأخذ به والأستنان بسننه، حتى ترك هذا التعامل الرسالي أثره في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي تكشف لنا من خلال حزنه الشديد على فقدها حتى كاد يُخشى عليه من الحزن[1].

كان الرسول صلى الله عليه وآله يجابه رفض قريش وإصرارهم على باطلهم، فيعتصر قلبه الشريف ألماً وحزناً، فكان يلجأ إلى بيت العطف والرسالة فيشكو بثّه ومعاناته إلى زوجه وشريكة همّه السيّدة خديجة عليها السلام، فكانت تواسيه وتشدّ من أزره بكلماتها الحكيمة ونظرات العطف والحنان، فتسكن من آلامه وأحزانه[2]. عن عَائِشَةَ قالت: «كان النبي صلى الله عليه وآله إذا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَى عليها فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ قالت: فَغِرْتُ يوْماً فقلت ما أَكْثَرَ ما تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قد أَبْدَلَكَ الله عز وجل بها خَيراً منها، قال: **ما أبدلني الله عز وجل خَيراً منها قد آمَنَتْ بي إِذْ كَفَرَ بي الناس وصدقتني إِذْ كذبني الناس وواستني بما لها إذا حرمني الناس**

(١) خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة: السيد نبيل الحسيني: ج١ ص٢٢، كربلاء، العتبة الحسينية.

(٢) شرح الأخبار: القاضي نعمان: ج٣ ص١٧.

ورزقني الله عز وجل وَلَدَهَا إِذْ حرمني أَوْلاَدَ النِّسَاءِ»[1].

أما البعد الأسري في سيرة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام

السيدة الزهراء عليها السلام حققت الأهداف الرسالية من خلال بيت زوجها أمير المؤمنين عليه السلام بل كانت (أم لأبيها)، فقد كانت الزهراء عليها السلام وهي في دور الصبا موضع الحنان لأبيها الذي يستقبل أذى قريش واعتدائهم عليه، فكانت عليها السلام تؤنس وحدته تقوم بالدور الذي قامت به أمها الطاهرة في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وتخفيف ما يعانيه من العسف والاضطهاد من قريش، حتى لقبت من كثرة برها به بـ«أم أبيها»، وهذه صور رائعة تتجلي لنا في شخصيتها، فقد كانت عليها السلام تركز على العطاء والوفاء ولا تركز على القضايا المادية، كان أثاث بيتها من أبسط الأثاث مع أنه بوسعها شراء أرقى الأثاث وهي بنت خليفة الأمة وقائدها رسول الله صلى الله عليه وآله الذي بيده ثروات الأمة الإسلامية آن ذك.

لذا أدت عليها السلام رسالة لتعلم المرأة أن الحياة الزوجية ليست من خلال الحدود المادية، بل هي شراكه في بناء الحياة وفي بناء الأجيال، فعندما تركز المرأة على أن سعادتها بالبيت الفخم، والأزياء الجذابة، وبمكياجها الجذاب وغيرها، وتنسى دورها الذي أنيط بها في بناء الحياة الأسرية، فإنها تقع في خلاف حاد، وفي وشجارات وصراعات مع زوجها؛ لأنها تغفل عن القضايا الأساسية التي بنيت عليها الأسرة؛ فلتتعلم المرأة من شخصية السيدة الزهراء «سلام الله عليها».

حيث تضمنت هذه الأسرة الكثير من المبادئ المهمة منها:

١ – التكافؤ: فهو يمثل الخطوة الأولى في بناء الفرد وبناء منهج صحيح للحياة الأسرية بكل جوانها الفكرية والتربوية والأخلاقية.

٢– المودة: إن من الأهداف التي تحقق الاستقرار في النظام التربوي هي المودة وهي شرط من شروط تكوين الأسرة قال تعالى ﴿**وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾[2].

٣ – التعاون بين الزوجين: كان الإمام علي عليه السلام يساعد فاطمة عليها السلام، وفاطمة تساعده، عن أبي جعفر عليه السلام قال: **إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز وقم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب؛ نقل الحطب، وأن يجئ بالطعام»**[3]، هذا التعاون يعطي درساً أن

(١) مسند أحمد بن حنبل، الشيباني أحمد بن حنبل أبو عبد الله (٢٤١ هـ): ج٦ ص١١٧، ح ٢٤٩٠٨.

(٢) سورة الروم: الآية٢١.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، البحراني السيد هاشم: ج١ ص٦٢٢.

الحياة تعاون، وأن الحياة علاقة أخد وعطاء وارتباط؛ هذا درس تعليم للأبناء على خلق التعاون، وهكذا كانت فاطمة وعلي عليهما السلام.

العلاقة الزوجية ليست علاقة عاطفية فقط فلو اقتصرت على العلاقة العاطفية لتأثرت بأي حدث بمجرد أن يخطئ أحد الزوجين في حق الأخر تتأثر هذه العلاقة العاطفية، والنفسية، فالحياة الزوجية أن يعتبر كل منهم الأخر إنسان ذا كرامه يستحق الاحترام والتبجيل، وهذا ما كان بين علي وفاطمة عليهما السلام يروي لنا أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**لما دخلت بفاطمة، صاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ! فقلت: لبيك يا رسول الله قال: أدخل بيتك وألطف بزوجتك وأرفق بها، فإنّ فاطمة بضعة منّي، يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها، أستودعكما الله واستخلفه عليكما. قال عليّ عليه السلام: فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها من بعد ذلك على أمر، حتّى قبضها الله عزّ وجلّ إليه، ولا أغضبتني ولا عصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتكشف عنّي الغموم والأحزان بنظري إليها**»[1]، وكنت إذا رأيت وجهها تنجلي عني الهموم والأحزان بابتسامتها الحنون، في عطفها الدافئ.

المجلسي يقول: بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله الزهراء تعرضت إلى الأذى الجسدي والنفسي بمقدار كبير، يروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن الزهراء «**أنها ما بكت أمام علي أبداً مع ألامها مع شدة ما بها ما بكت أمامه ولا تألمت أمامه، كان كلما لقي بها لقيها تبتسم في وجهه، تنسى ألامها، وكل ما عندها في سبيل أن تسعد قلب أمير المؤمنين عليه السلام**»[2]. إن الحوار يكشف عمق المحبة والمودة. فإن الضغط والمشاكل لم يؤد إلى تغير مزاجي. فهناك حالة تنعكس على الوضع النفسي للأبناء وحتى الزوج والزوجة لا بد الالتفات لذلك.

ثانياً: البعد الاجتماعي:

كانت السيدتين عليهما السلام متشابهتان من ناحية الاهتمام بالمجتمع الإسلامي وكل منهما بحسب الظروف التي تمر بها.

١ – العطاء والسخاء: لقد امتازت السيدة خديجة عليها السلام بالعطاء والسخاء وسائر الأخلاق الحميدة، فقد وضعت ثروتها الطائلة تحت متناول الرسول صلى الله عليه وآله ليبذلها في سبيل إنقاذ البشرية والمحرومين من

(١) موسوعة الأسئلة العقائدية، مركز الأبحاث العقائدية: ج٣ ص٤٧١ .

(٢) من محاضرات السيد منير الخباز، السيدة فاطمة الزهراء تحرير المحاضرات ١٤ / ٩ / ٢٠٠٨م،
https://almoneer.org/?act=artc&id=451

الظلم والتعسّف فشمل عطاؤها اليتامى والجياع... ويكفي في قيمة هذا العطاء والبذل أن الباري تعالى امتدحه وعدّه من النعم التي أنعم به عبده الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله[1]. وكان الرسول صلى الله عليه وآله لا يفتأ يذكر ذلك السخاء والبذل بإجلال كبير[2].

٢ـ العطف والحنان: كان لمساندتها الدور البارز في تقوية واستحكام الجماعة المؤمنة، فكانت المثل الأعلى للمؤمن الرسالي الثابت القدم الراسخ العقيدة، وقد أجزلت العطاء عليها السلام وأغدقت بالحنان على الآخرين إلَّا أن الأمومة في بيت خديجة عليها السلام اختلفت عن غيرها، وذلك في إغداق من لم تلده خديجة بالأمومة والحنان والعاطفة؛ وهذا جانب رسالي تتفاضل فيه النساء، حينما تحنو على أبناء غيرها، فضلاً عن حرمانها وابتلائها بموت الولد وصبرها على ذلك[3]؛ يروي المسعودي كيفية تعاملها مع علي عليه السلام فيقول: «لما تزوج صلى الله عليه وآله خديجة بنت خويلد علمت بوجده بعلي عليه السلام فكانت تستزيره وتزينه بفاخر الثياب والجوهر وترسل معه ولايدها فيقلن هذا أخو محمد صلى الله عليه وآله، وأحب الخلق إليه وقرة عين خديجة»[4]؛ «إذ شاءت إرادة الله تعالى أن يحيا علي عليه السلام في بيت تكون الأم فيه خديجة والأب رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن يترعرع في جو أسري خاص لم يتهيأ لأحد من بني البشر إلَّا لولديه الحسن والحسين عليهما السلام ...»[5] بدليل الآية المباركة ﴿**وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى**﴾[6].

وأما البعد الاجتماعي في سيرة الزهراء عليها السلام: فقد كانت على الرغم من قصر عمرها إلَّا أنها وضعت بصمات خالدة في المجتمع الإنساني ولمسات لا يمكن تجاهلها أو نسيانها على مر العصور ويشيد بها المآلف والمخالف.

١ – توثيق العلاقات بين أفراد المجتمع: كانت عليها السلام لم تغفل أي شريحة من شرائح المجتمع وتعمل على أن يكون مرتبطاً روحياً بحيث لا ينسى أحدهم الآخرين في أفضل الأوقات وهي ساعة الارتباط بالله عزّ وجل والتوجه إليه.

٢ – الدور الاجتماعي في الدعاء: كانت الزهراء عليها السلام علة الوجود، وجزءً وعضواً أساسياً في

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج٣، ٣٢٠.
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله: ج٤، ١٨١٧.
(٣) خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة، السيد نبيل الحسيني: ج١ ص٢٢.
(٤) الأنوار الساطعة، الشيخ غالب السيلاوي: ص٣٤٧.
(٥) أنظر: المصدر السابق: ص٣٤٨ .
(٦) سورة الضحى: الآية ٨.

الأسرة التي خلق الكون والإنسان من أجلها ولم تنسى عليها السلام دورها الاجتماعي حتى في عبادتها، فقد كانت تدعو للمؤمنين والمؤمنات ولا تدعو لنفسها، متخلقة بأخلاق الرسول العظم صلى الله عليه وآله والأدب الإسلامي الرفيع، وخير دليل على ذلك؛ ما نقله الإمام الحسن عليه السلام قال: «**رأيت أمّي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح وسمعتُها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم وتُكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء، فقلت لها: «يا أمّاه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك؟ فقالت: يا بنيّ الجار ثم الدار**»[1] إشارة إلى استحباب الدعاء لم يكن من باب الدعاء فقط، بل كان ناشئاً عن الشفق عليهم عندما تشعر بفقر جيرانها ولا تستطيع أن تقدم لهم شيئاً من باب عدم ذات اليد فتلجأ (سلام الله عليها) إلى الدعاء باعتبار المواساة فرض عين.

٣ – مساعدة المحتاجين: كان بيتها عليها السلام مأوى وملاذاً لكلّ ذي حاجة في المجتمع، فما كان أحد يقصد دارها ثم يعود خائباً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا قصده صاحب حاجة بعثه إلى دار الزهراء عليها السلام لعلمه أنها لا تردّ أحداً، والتصدق بعقدها المبارك للمحتاج، وبثوب زفافها، وغيره الكثير. وقد كانت الزهراء عليها السلام معيناً للمحتاجين من أبناء المجتمع الإسلامي آنذاك، تنفق في سبيل الله وتعتق الرقاب وتعين الضعفاء، وإطعام الطعام على حبّه تعالى بدليل قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[2] في أهل البيت عليهم السلام علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام حينما تصدقوا رغم خصاصتهم على المسكين واليتيم والأسير[3].

ثالثاً: البعد العلمي في سيرة السيدتين خديجة وفاطمة عليهما السلام

الخصال العلمية للسيدة خديجة عليها السلام: كان بيت السيدة خديجة سلام الله عليها مهبط العلم والمعرفة حيث كان يعقد فيه مجلس العلم والمباحثة كما يذكر أنّ الأحبار كانوا يتردّدون على السيدة خديجة عليها السلام.

ومن علومها عليها السلام إنها كانت عالمة بتعبير الأحلام وهذا العلم من العلوم الصعبة جداً والخفية بحيث لا يتمكن الإنسان العادي أن يصل إلى مطالبه العالية إلّا بفضل من الله ورحمته ولذا نرى

(١) بحار الأنوار: المجلسي: ج٤٣ ص٨٢.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٣) الدور الاجتماعي لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام د. عهود سامي هاشم جامعة بغداد / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات: بتصرف

https://alfatimi-basra.com/archives/1676

بالوجدان أن أهل هذا العلم بالدرجة الأولى هم الأنبياء والأوصياء (صلوات الله وسلامه عليهم) ومن بعدهم التالين من بعدهم في العلم والعمل.

١- معرفتها بالأديان والرسالات.

٢- فهي قرينة الرسول الأكرمﷺ وأول الناس قرباً منه هي، وبعبارة واضحة هي قريبة من معدن العلم ومخزنه فأول ما يصدر الحكم تكونعليها السلام على اطلاع به وتأخذه من المصطفىﷺ. وبالجملة في بيتها يهبط الوحي والملائكة[١].

يكفي في رجاحة رأيها وصلابة فكرها ما رواه المؤرّخون من أنّ النبي الأكرمﷺ كان يشاورها في جميع أموره[٢].

٣- إن السيدة خديجةعليها السلام كان لها دور كبير في حمل التكاليف الشرعية إذ كانت تتلقىعليها السلام ثقل التكليف الشرعي بكل طمأنينة وثبات وعزم حتى أصبحت المعين الوحيد لرسول اللهﷺ في تلقي الأمر الإلهي منذ نزول جبرائيلعليه السلام بالوحي وإلى يوم فارقت الدنيا[٣].

عندما يتعلم الإنسان العلم لوجه الله سوف يأخذ بيده إلى أشرف المقامات، وكلما كان الإنسان أعلم عرف الدنيا دار الغرور الفانية، فهكذا يبحث أكثر فأكثر عن جوهر السعادة وهذه السعادة لا تكتمل إلَّا بالتمسك بالعترة الطاهرة محمد وآل محمد (صلوات الله عليم أجمعين).

البعد العلمي لفاطمة الزهراءعليها السلام: عُرفت السيدة بالعلم الغزير إذ كانت تتلقى العلوم والمعارف الإسلامية من أبيها وبعلها بين النبوة والإمامة، فضلاً عن معلمها الأول الله (جل وعلا) فكانت عالمة بالعلم اللدني وأن الله تعالى أبعد عنها الجهل ورواها بالعلم والمعرفة فعن الباقرعليه السلام قال: «والله لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم...»[٤]، فهي عالمة بالإسلام وأحكامه ومفاهيمه وأخلاقه وآدابه، فقد كانت النساء يتجمعن حولها ويتلقين منها أحكام الإسلام وعلومه ويسألنها عن أمور دينهن ودنياهن.

١ - كانتعليها السلام تجيب النساء على شتى الأسئلة في العقيدة وفي الشريعة والأخلاق والتربية الروحية...إلخ، فذات مرة جاءتها امرأة تسأل وكل ما تجيب الزهراءعليها السلام مسألتها أعادت السؤال

(١) أنظر المصدر السابق: ص٣٢٤- ٣٢٨.

(٢) تنقيح المقال في أحوال الرجال، المامقاني عبد الله: ج٣ ص٧٧.

(٣) خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة، السيد نبيل الحسيني: ج١ ص٢٢.

(٤) أنظر: فاطمة الزهراءعليها السلام المدرسة المثالية في الإسلام، جاسم محمد لايش العلياوي: ص١٧٢.

كأنها لم تفهم حتى بلغت مراراً فقالت المرأة: كلفتك في هذا.

فقالت الزهراء عليها السلام: «**لا كلما أعدت علي زاد لي الثواب والأجر**»(١).

٢ – لها عليها السلام مصحف يسمى (مصحف فاطمة) وهو كتاب عظيم المنزلة أملاه جبرئيل عليه السلام على فاطمة عليها السلام بعد رحيل النبي صلى الله عليه وآله، وذلك تسكيناً لحزنها لفقد أبيها صلى الله عليه وآله عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إنَّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها وكان جبرئيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيّب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها، وكان عليٌّ عليه السلام يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة عليها السلام**»(٢).

٣ – ولها مسند يسمى (مسند فاطمة) يقصد به الأحاديث التي روتها فاطمة عليها السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو هي قالتها بنفسها كما هو رأي الإمامية حيث يرون حجية قولها(٣).

رابعاً: البعد السياسي (الرسالية في الصبر والجهاد والدفاع عن القيم).

١ – اساند رسول صلى الله عليه وآله في الدعوة الإسلامية: وبدأ رسول الله بالدعوة، بمساندة عمه أبي طالب وزوجته، وبدأت مواجهة قريش، فكانوا يلقون عليه التراب ويرمونه بالحجارة، وكانت خديجة عليها السلام تستقبله فتضمد جراحاته، وتغسل ثيابه وتصبره وتزيح همه فيستمد منها القوة والعزم.

٢ – اسناد المسلمين في شعب أبي طالب: ففي هذه المدة أنفق كل من رسول الله صلى الله عليه وآله ماله وأبو طالب ماله وأنفقت السيدة خديجة مالها(٤) حتى نفذت أموالهم واضطروا إلى أن يأكلوا من الأعشاب وورق الأشجار؛ فلقد قامت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في التصدي لهذا الظلم بالصبر والتحمل إلى الحد الذي أكلت فيه ورق الأشجار، ولولا مواقفها في حماية الرسول ومساندته ما انتصر الإسلام في الأيام القادمة. فقد كان للسيدة خديجة عليها السلام مبدأ تناضل من أجله وتحرص على الدفاع عنه؛ كثيرون هم الذين يدافعون عن قيمهم ومبادئهم على اختلاف المفهوم والثقافات عند أصحاب المبادئ فقد يكون الربح مبدأ من مبادئ السوق، وقد يكون السفور مبدأ من مبادئ العصرنة إلَّا أننا هنا نتحدث عن الرسالية التي كانت دليلاً على الرسالة الإلهية الخاتمة لجميع الأديان. هنا: كان دفاع خديجة عليها السلام عن النبي صلى الله عليه وآله رسالياً

(١) أنظر: إني فاطمة وأبي محمد، فوزي آل سيف: ص١٦٨.
(٢) الكافي: الشيخ الكليني: ج١ ص٢٤١، دار الكتب الإسلامية، ط١.
(٣) أنظر: إني فاطمة وأبي محمد: فوزي آل سيف، ص١٧٨.
(٤) أنظر: تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي: ج١ ص٣٥٠.

بحيث لم تحظ امرأة غيرها بهذا الامتياز لدرجة أنها كانت تقف أمام الحجارة تتلقاها ببدنها ووجهها كي لا يصاب رسول الله صلى الله عليه وآله بأذى[1].

أما البعد السياسي للزهراء عليها السلام: فكان لها أدوار سياسية متعددة برزت عظمتها، فكشفت عن مدى تحملها وقوة صبرها بحلمها ورجاحة عقلها خلّفت عليها السلام أمها في رعاية رسول الله صلى الله عليه وآله، فكانت (أم أبيها)، تشد أزره، وتشاركه آلامه، فبعض أدوار الزهراء كان في مكة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله ومشاركته الحصار الذي فرضته قريش، وبث روح الصبر بعد فقد السيدة خديجة عليها السلام. فعندما اعترض الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أحد سفهاء قريش، فنثر على رأسه التراب، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة عليها السلام فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: «**لا تبكي يا بنية، فإنّ اللّه مانع أباك**»[2].

ليلة المبيت: وقد يكون من أدوارها عليها السلام الصعبة هو حضورها عليها السلام في بيت النبي في ليلة هجرته المسمى بليلة المبيت، فلقد شهدت ليلة عصيبة، فعند اقتحام البيت صدمتهم عليها السلام أن في فراش الرسول هو علي عليه السلام، مع تدخل القدرة الإلهية في حفظهم.

الهجرة: في هجرتها في ركب الفواطم وبعض الضعفاء من المسلمين إلى المدينة.

المساندة في بعض المعارك: في يوم أحد كان لها وقفة... خرجت عليها السلام مع عمة الرسول صفية إلى أرض المعركة، ورسول الله صلى الله عليه وآله قد جرح، فكانت عليها السلام تغسل الدم الذي خضب رأسه، وخرجت مع أبيها وبعلها في فتح مكة، وشهدت الفتح.

الدفاع عن بيضة الإسلام: دورها الرسالي الخالد في حركتها الثورية بعد استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد قامت عليها السلام بدور عظيم هو وقوفها إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام، ولولا دورها لكان من الممكن أن تخفى الحقيقة وتتشوّه وتتغير على المسلمين ويبقى الجميع في ضلال وبعد عن الواقع، وهذا الدور حفظ الإسلام والحقائق الإسلامية والمذهب الصحيح الذي توارثناه عن أهل البيت عليهم السلام، بالإضافة إلى أنها تصدت لأصعب دور عرفته البشرية، دفعت ثمنه حياتها المباركة؛ دافعت عن إمام زمانها وأعلنت أن البيعة غير شرعية، وكانت تسعى إلى قضية مهمة جداً فيها جانب يمثل الوظيفة الشرعية وبيان الموقف الشرعي، ولم يكن لأي شخص غيرها عليها السلام أن يقوم بهذا الأمر حتى الإمام علي عليه السلام ولولاها عليها السلام لقتل

(١) أنظر: تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي: ج١ ص٣٥٠.
(٢) سيرة ابن هشام: ج١ ص٤١٦.

الإمامعليه السلام، ولعُفي هذا الأمر في التاريخ، وهذا تثبيت للموقف عملياً وواقعياً وسياسياً في التاريخ[1]. ومع وقفة على قول النبيصلى الله عليه وآله في حق الزهراءعليها السلام: «**إن الله يغضب لغضب فاطمة**» يتبين لنا إن الله سبحانه في قضائه وقدره أنهاعليها السلام سوف تمر بأوضاع سياسية واجتماعية تثار فيهاعليها السلام وتغضب لله وليس لنفسها ولذلك يغضب الله تعالى لغضبها ويرضى سبحانه لرضاهاعليها السلام .

• **البعد الإعلامي**

قد يكون الدور الاعلامي مقتصراً على السيدة الزهراءعليها السلام، فلقد تعددت الوسائل والآليات الإعلامية التي اتبعتهاعليها السلام في الدفاع عن حقها في فدك وحق زوجها في الولاية والظلم الي تعرضوا له وأهمها: البيان الإعلامي، المقاطعة، البكاء، بيت الاحزان، التعتيم الإعلامي.

البيان الإعلامي: الذي استخدمته عن طريق الخطاب؛ وتعد الخطبة آنذاك من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والتأثير على الناس، فلقد أرسلت رسالة إلى الحاضرين والبعيدين، ولكل المسلمين على مدى الدهر، فأثرت في القوم بحججها الدامغة مستدلة بكتاب الله تعالى، فقد جسدت المنظومة الإسلامية بكل تفاصيلها من (عقيدة وشريعة وأخلاق)، واختارت التوقيت المناسب والمكان المناسب عند ازدحام الناس في المسجد النبوي في لمة من حفدتها ومن النساء وهذا يزيد في هيبتها مع الثقة وضبط النفس؛ لذلك كان حدثاً إعلامياً أتى ثماره حيث أشارت في خطبتها الفدكية في قولها: «**فَجَعَلَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً لَكُم عَنِ الْكِبْرِ، وَالزَّكَاةَ تَزْكِيَةٌ لِلنَّفْسِ، وَنَمَاء فِي الرِّزْقِ، وَالصَّبَاح تَثْبِيتاً لِلْإِخْلَاصِ، وَالْحَجَّ تَشْبِيداً لِلدِّينِ، وَالْعَدْلَ تَنْسِيقاً للقُلُوبِ، وَإِطَاعَتَنَا نِظَاماً لِلْمِلَّةِ، وَإِمَامَتَنَا أَمَانَا مِنَ الْفُرْقَةِ...**

ثم بينت لهمعليها السلام كيف أنقذهم رسول اللهصلى الله عليه وآله من الشرك ومعتقدات الجاهلية مقتبسة قولها من كلام الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**﴾، **مُذْقَةَ الشَّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطَّامِعِ، وَقَبْسَةَ الْعَجْلَانِ، وَمَوْطِئَ الْأَقْدَام، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْقِدَّ، أَذِلَّةٌ خَاسِئِينَ، تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأَنْقَذَكُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمُحَمَّدٍصلى الله عليه وآله**»[2].

ثم انتهجتعليها السلام أسلوب إعلان: (مقاطعة ظالميها، وأسلوب البكاء)، لقد كان حزنها رسالياً وإعلاماً واضحاً أمام الناس كلهم لاستمرار التذكير بالرسولصلى الله عليه وآله ولا بد أن يستمر التعريف

(١) فاطمة الزهراءعليها السلام: السيد محمد باقر الحكيم، ص٣٧٧

(٢) فاطمة الزهراءعليها السلام من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني، ص٢٥٥ـ ٣٢٠.

بمظلوميتها ومظلومية أمير المؤمنين عليهما السلام، ومن عتابها مع المسلمين في قولها: «**ألا وقد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض، وخلوتم بالدعة ونجوتم بالضيق من السعة، فمججتم ما وعيتم، ودسعتم الذي تسوغتم، ﴿فَإِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾**[1]». ومن خطبتها مع نساء المهاجرين والأنصار «**فجدعاً وعَقراً وسُحقاً للقوم الظالمين، ويحهم! أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين والطبين بأمور الدنيا والدين ألا: ذلك هو الخسران المبين**»[2].

ثم إنها لم تكن تبكي في بيتها وإنما بكاؤها على الملأ[3]. ثم أن أهل المدينة ضجروا من بكاءها فشكوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، واقترحوا إما أن تبكي ليلاً أو نهاراً، فكان ردها: «**... فو الله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله** صلى الله عليه وآله فقال لها علي عليه السلام: **أفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك**»[4]، ثم أنه بنى لها بيت الأحزان في البقيع... فلا تزال بين القبور باكية على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا دلالة على استمرار حزنها وغضبها على ظالميها.

وأخيراً (التعتيم الإعلامي) الذي مارسته دفنها سراً واخفاء قبرها. عن ابن نباتة قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن علة دفنه لفاطمة بنت رسول الله ليلاً؟ فقال: «**إنها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من تولاهم أن يصلي على أحد من ولدها**»[5]. عن البخاري«**... فهجرته فاطمة، فلم تكلمه حتى ماتت**»[6].

وهناك علل كثيرة في إخفاء القبر لابد من الإشارة إليها في مواردها.

(فاطمة صوت الضمير الذي ينطق بالحق).

المطلب الثاني: دور المرأة في المجتمع الإسلامي

إن الإسلام اليوم يتعرض لخطر عظيم وهو الذوبان في المجتمعات الغربية والانشغال بالدنيا والابتعاد عن نهج الإسلام القويم، والمرأة يمكن أن يكون لها دور عظيم جداً، كما كان للسيدة خديجة

(١) سورة إبراهيم: الآية ٨.
(٢) المصدر السابق: ٢٦٣
(٣) قراءة في السيرة الفاطمية: ص٥٧٨.
(٤) الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام: ص٤٤١.
(٥) أمالي الصدوق: ص٥٢٣.
(٦) صحيح البخاري: البخاري: ج٦ ص٢٤٧٤.

وللزهراء عليها السلام في الدفاع عن الإسلام وتجنب هذا الخطر الذي يهددنا جميعاً، وهناك مسؤولية كبيرة ملقاة على عاتق النساء جميعاً، كما هي على عاتق الرجال أيضاً.

نعم قد يكون من الأفضل للمرأة كما ذكرت الزهراء عليها السلام «**أن لا يراها الرجل ولا تراه**»، وتنصرف بشكل أساسي إلى البيت ورعاية الأسرة، وذلك فيما لو استقر المجتمع، وابتعد عن الخطر والتهديد، لهذا التأكيد على دور المرأة في الحياة الاجتماعية والسياسية للمسلمين؛ لأن الأمة الإسلامية لا زالت تواجه تهديداً حقيقياً من قبل أعدائها أهل الكفر، والمرأة يجب أن تأخذ موقعها في مواجهة هذا الخطر الذي يهدد الأمة والإسلام والدولة الإسلامية.

وهنا نجد أن هناك حاجة لأن تتصدى المرأة على نحو الكفاية، لسد الفراغ، فلا يمكن مثلاً أن يترك مجال للرجال وحدهم باعتبار أن هناك حاجة إلى تطبيب النساء، كما لا يمكن يترك مجال التعليم والإرشاد والتثقيف والتوجيه والتربية للرجال فقط، فالرجل لا يمكن أن يقوم بهذه المهمة بشكل كامل، نظراً لوجود تطور وتعقيد نحتاج فيه إلى مثل هذا الأمر، والقيام بهذا العمل.

وعليه أود أن أنبه إلى نقطتين مهمتين: النقطة الأولى: (القضية الأخلاقية): هناك الكثير من المفاسد والمؤثرات الأخلاقية في مجتمعنا كما هي في مجتمعات أخرى حيث توجد أساليب متعددة يستخدمها المفسدون ويتبعها الشيطان لإغواء الناس، ومن جملتها الفيديو وشبكات التواصل الاجتماعي وما شابه من المشكلات التي تواجهها مجتمعاتنا والفتيات وخصوصاً الصغيرات منهن، بل حتى من المتزوجات يقعن تحت تأثير المؤثرات الشيطانية ونحن بحاجة إلى حركة دينية أخلاقية توجيهية في أوساط الأخوات المؤمنات لهدايتهن وارشادهن وتوجيههن وحفظهن من الانحراف وهي مسؤولية كبيره جداً لا بد التصدي لها. وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله «**فإن هداية الإنسان أفضل عمل يقوم به المرء**»[1] قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**لما وجهني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن قال: «يا علي لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام وأيم الله لأن يهدي الله عز وجل على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه**»[2].

وهو أفضل من العبادات المستحبة؛ لأن الهداية أساس كل عمل آخر، فإذا استطعت هداية أحد جعلته يصلي ويصوم ويبر والديه...الخ، فهذا أفضل الأعمال عند الله وتعالى ولذلك ورد عن الإمام

(١) فاطمة الزهراء عليها السلام، السيد محمد باقر الحكيم: ص٥٢.

(٢) الكافي: الشيخ الكليني، (باب): الدعاء إلى الإسلام قبل القتال: ج٥ ص٣٦.

الصادق عليه السلام قوله «**إن العلماء ورثه الأنبياء**»[1]؛ لأن العلماء يقومون بالدور الأساسي للعالم وهو الهداية فكلما كان الإنسان قادراً على أن يسير في هذا الطريق، كان مؤدياً لدور الأنبياء، والعبرة من السيرة العطرة للسيدتين الجليلتين لأنهما أنموذجاً وقدوة في حياتهما.

ولمرأة دور في تربية الأجيال: فهي الأم والزوجة والأخت والمربية وما تتحمله من أمر إدارة الأسرة، ومع تقدم المجتمعات وتطورها فلا ينحصر دورها تجاه أسرتها وتربية الأبناء بل أصبح لها دورًا اجتماعيًا كبيرًا في تربية جيل سليم بعيد عن الانحراف والأفكار الشاذة.

الرعاية والدعم: للمرأة دور كبير في أسس الرعاية والدعم المجتمعي كمثل دور الرعاية والأيتام وغيرها من الشؤون الاجتماعية.

التعليم: تسهم المرأة بشكل كبير في تطوير الأسس التعليمية المختلفة للارتقاء بالفرد والمجتمع.

دور المرأة في العمل: للمرأة دور كبير وعالمي في تطوير سبل العمل في المجالات والقطاعات العملية المختلفة التأثيرات الإيجابية التي تطرأ على المجتمع، فهي تعتبر نصف المجتمع إذا عملت حسب الموازين الشرعية من الحشمة والعفاف وغيرها.

النقطة الثانية: (التعرب بعد الهجرة)، وهي هجرة الإنسان من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر. إن للمرأة دوراً كبيراً في معالجتها، لأنَّ الرجل بمفرده قد يتحمل، ولكن عندما يرى زوجته أو أطفاله في حالات صعبة فقد يضعف، وبالتالي يفكر في الخروج من بلاد الإسلام إلى بلاد الكفر. وقد يلحقهم الضرر في بلاد الكفر في الابتعاد عن الدين والقيم؛ فلذلك يجب على المرأة أن يكون عندها قدرة على الصبر والتحمل، ومساندة الرجل ودعمه من الناحية الروحية المعنوية، ويمكن أن تذكره بالأخطار التي تهددهم، فأي خطر أعظم من أن يكون الإنسان في معرض ضعف الدين، إن لم يكن ذهابه؟ فينحرف ويخرج عن دينه، إذن المرأة يمكن أن تمثل في وجودها حركة الإنسان، سواء حركة تكاملية إذا كانت المرأة متكاملة أو كانت حركة تسافلية إذا كانت المرأة متسافلة فحالة المرأة هي حالة الإنسان وحركتها حركة الإنسان إذا تكاملت تكامل الإنسان وبالعكس، فعندما نكون حقاً سائرين على نهج السيدتين الجليلتين عليهما السلام ونتأسى بهن، وبالتالي لا بد أن نحقق مجموعة الأبعاد التي تحققت في شخصيتهن.

(١) المصدر السابق: ج١ ص٣٢، حديث: ٢.

الخاتمة

بعد الإبحار في بحر الوفاء والعطاء خديجة الكبرى وينبوع الكوثر فاطمة الزهراءعليهما السلام والرشف من معينهما الفياض الذي لا ينضب أرست السفينة على ساحل بحر بيت النبوة محملة بذخائر العقبى يسمو من أخذ منها، وفاز وسعُد من عمل بها، ومن خلال كل ما سبق توصل البحث إلى نتائج عدة منها:

١. جسد بيت السيدتين العظيمتينعليهما السلام أروع صورة للبيوتات الإسلامية تسودها المودة والرحمة والتعاون في تحمل مسؤوليات الحياة، فكانتا نعم الزوجة الصابرة الصالحة التي تشاطر زوجها أعباء الحياة ملؤها الوفاء والعطاء الذي لا ينضب.

٢. تحملت السيدتين العظيمتين خديجة الكبرى وفاطمة الزهراءعليهما السلام أعباء الرسالة المحمدية وجاهدتا في سبيل الإسلام ومؤازرة الرسول الأعظم ومساندته في الدعوة الإسلامية وتحمل قساوة الحياة والظلم من قريش ومنكري الدعوة.

٣. كان للسيدة خديجة دور في قيام الدين واستقامته بهالها وللزهراء دور مهم في بقاء الدين ونقائه ولولاها لطمست معالمه واندرست آثاره فكانتعليهما السلام طريق الهداية الحقيقي مرآة الإسلام التي تعكس تعاليمه وأحكامه ومفاهيمه.

٤. حققتا (سلام الله عليهما) كل الأبعاد الرسالية الإسلامية في المجتمع ونشر تعاليم الإسلام فهماعليهما السلام ما بين بيت النبوة ومهبط الوحي، وبين الإمامة مع أن الزهراءعليها السلام معصومة عالمة غير معلمة وزاد في علمها هذا أنها تربت في كنف النبوة؛ يتحصل من ذلك لا مانع التعلم من دون خدش للعفة والحجاب.

٥. كانت السيدة خديجةعليها السلام نعم المنتظرين في زمن الجاهلية والزهراءعليها السلام نعم المدافعين عن إمام زمانها في الإسلام.

التوصيات والمقترحات

١. ضرورة الافادة من سيرة السيدتين العظيمتين خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليهما السلام لتعزيز دور المرأة في المجتمع الإسلامي، فمع تعدد أدوارهن في المجتمع إلَّا أنهما عليهما السلام بقيتا متمسكات بأحكام الدين بالطهارة والعفاف وأدتا كل دور من أدوارهما على أحسن صورة.

٢. ينبغي على المرأة المسلمة التسلّح بالعلم والمعرفة؛ فكلما كانت أكثر وعياً ورشداً ونضجاً كلما امتلكت القدرة على تجاوز التحديات والصعوبات والمشاكل المتنوعة؛ مما يجعلها تتحمل المسؤولية، وتشارك في صناعة التقدم والنهوض الفكري لمجتمعها وأمتها وحضارتها.

٣. السعي في قضاء حوائج الناس، وتجسيد الممارسة الفعلية للعطاء والتضحية في سبيل اللهَّ تعالى حسب القدرة، بالتبرع بالمال للفقراء والمحرومين والمساهمة بالأعمال الخيرية.

٤. عدم النظر إلى حطام الدنيا الزائلة والتفكير بالمال أكثر من الدين فعندما يطلب المؤمن الفقير الزواج، فلا تثقل عليه البنت بطلباتها ولتجعل نصب أعينها سيدات أهل الجنة عليهما السلام كيف ركلتا العز وعاشتا زاهدتين من الدنيا ونعيمها ونالتا دار المقام بأعلى درجاتها.

٥. اغناء المكتبات وبخاصة المدارس الدينية بكتب سيرة أهل البيت عليهم السلام وبالأخص أمهات المعصومين عليهم السلام لإفادة بنات هذا الجيل للاقتداء بهن عليهما السلام.

٦. التوجيهات الإرشادية عبر قنوات الإذاعة والتلفزيون بنشر أبعادهن الرسالية ومواقفهن الاجتماعية والتربوية لتقليل حالات الطلاق التي باتت تهدد مجتمعنا اليوم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأخلاق والآداب الإسلامية: عبد الله الهاشمي، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٣هـ٢٠١٢م.
- الأسرار الفاطمية: المسعودي محمد فاضل، ط٢، دار الإرشاد، بيروت،١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، تحقيق محمد بن علي البجاوي، بيروت دار الجبل، ط١، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م.
- أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي المالكي (ت٥٤٣ ه)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٣، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣م.
- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعمل: محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، بلا هوية.
- الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، دار الثقافة، قم، ١٤١٧ ه.
- الأمالي: الشيخ الطوسي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، دار الثقافة، قم ط١٤١١،١ه.
- أم المؤمنين خديجة الطاهرة عليها السلام: الحاج حسين الشاكري، المكتبة الشيعية
- الأنوار الساطعة من الغراء الطاهرة: الشيخ غالب السيلاوي، ط١، علمية، ١٤٢١ه.
- بحار الأنوار: المجلسي، محمد باقر، المكتبة الشيعية.
- البرهان في تفسير القرآن: البحراني السيد هاشم، ط٢، ١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م، الأعلمي، بيروت لبنان.
- تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، ابن واضح الاخباري، أحمد بن أبي يعقوب، (ت ٢٩٢)، قدمه السيد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف، ٩٦٤م.
- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، دار الفكر، بيروت لبنان،١٤١٥ ه.
- تنقيح المقال في أحوال الرجال: عبد الله المامقاني (١٣٥١ ه)، مكتبة النور.
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق: الجاحظ، عمرو بن بحر، المكتبة الشاملة.
- حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام دراسة وتحليل: باقر شريف القريشي، دار جواد الأئمة عليهم السلام، بيروت لبنان، ط١ ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

- خديجة بنت خويلد أمة جمعت في امرأة: السيد نبيل الحسيني كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٢قـ ٢٠١١م.
- دروس في سيرة النبي والأئمة الأطهار عليهم السلام: الشيخ خليل رزق، بلا هوية.
- الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من الولادة النبوية الكبرى إلى يثرب إلى المدينة المنورة القسم الأول: السيد علاء حسين آل طعمة، ط٣، دار الكفيل، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء المقدسة، ١٤٤٣ هـ ٢٠٢٢م.
- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: أبو حنيفة النعمان بن محمد، مكتبة النور.
- صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الوقفية.
- عوالم العلوم والمعارف والأحوال، البحراني عبدالله، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢ه.
- فاطمة الزهراء عليها السلام المدرسة المثالية في الإسلام، جاسم محمد لايش العلياوي، ط١، إيران قم المقدسة، ١٤٤٠هـ ٢٠١٨م.
- فاطمة الزهراء عليها السلام: السيد محمد باقر الحكيم، الشريعة، قم، ط٢، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.
- فاطمة الزهراء عليها السلام من المهد إلى اللحد: السيد محمد كاظم القزويني، الغدير.
- قراءة في السيرة الفاطمية: الحداد كفاح، كربلاء المقدسة- العراق، دار الكفيل، ط١، ٢٠١٥م.
- الكافي: الكليني، محمد يعقوب، دار الكتب الإسلامية، ط١.
- لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم الأنصاري (٧١١)، أدب الحوزة، ١٤٠٥.
- مختار الصحاح: محمد ابن أبي بكر عبد القادر الرازي ت (٦٦٦ ه)، ص٦٤٢، دار الرسالة الكويت، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- مسند أحمد بن حنبل: الشيباني أحمد بن حنبل أبو عبد الله، مؤسسة قرطبة- مصر.
- مفردات غريب القرآن: الراغب الاصفهاني، المكتبة الشيعية.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، دار الفكر المكتبة الشاملة.
- معاني الأخبار: الشيخ الصدوق، المكتبة الشيعية.
- موسوعة الأسئلة العقائدية: مركز الأبحاث العقائدية.
- مناقب آل أبي طالب: أبي جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب، الأعلمي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩م.
- من هدى النبي والعترة في آداب العِشرة: الشيخ أحمد كاظم البهادلي، تحقيق الشيخ علي الأسدي،

دار الحوراء، لبنان بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧م.

- التعريفات الفقهية: محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، المكتبة الشاملة.

https://shamela.ws/book/13939

- التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، موسوعة التفسير الموضوعي
- https://modoee.com/show-book-scroll/567#footnote-060-backlink

- تأملات في زيارة الأربعين: السيد منير الخباز،

https://www.almoneer.org/?act=av&action=view&id=224

- دين السيدة خديجة قبل الإسلام، المجيب،

https://almojib.com/ar/question/429292

- محاضرات السيد منير الخباز، السيدة فاطمة الزهراء تحرير المحاضرات ١٤ / ٩ / ٢٠٠٨م،

https://almoneer.org/?act=artc&id=451

- القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً: د. سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق سوريا، ط٢، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م.

https://shamela.ws/book/2918

- معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي ١/ ١١/ ٢٠١٨ م،

www.almaany.com

- الدور الاجتماعي لسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام د. عهود سامي هاشم جامعة بغداد / كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة للبنات

https://alfatimi-basra.com/archives/1676

- الزهراء عليها السلام أصبحت أم أبيها: د. فاضل عبد العباس محمد، البحث الفائز الثاني بالمسابقة البحثية السنوية الثانية .

https://alfatimi-basra.com/archives/1796

خصائص أهل الفتن في الخطبة الفدكية

الباحثة: أ. ج

ملخص البحث

يلقي هذا البحث الضوء على أحد أهم الموضوعات في عالمنا الإسلامي ألا وهو معرفة أصحاب الفتن ويهدف إلى الاستفادة من منهجية السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في معرفة أصحاب الفتن وتطبيقها على واقع المجتمع الإسلامي وجعل كلماتها سلام الله عليها دستورا عمليا في الحياة، تكمن أهمية البحث في كونه يركز الضوء على معرفة خصائص اصحاب الفتن درء لكيدهم في الأمة الإسلامية. تشمل حدود البحث بعض الآيات القرآنية التي ذكرت فيها خصائص أهل الفتن وكذلك الواردة في الخطبة الفدكية؛ ثم كان الرجوع إلى كتب التفسير العامة والخاصة في تفسير تلك الآيات وذلك لفهم المعاني بصورة أفضل. تم اعتماد المنهج الاستقرائي لتتبع التفاسير المرتبطة بخصائص أهل الفتن ومن ثم تتبع التفاسير المرتبطة بالآيات الواردة في الخطبة الفدكية. أهم نتائج البحث تمثلت في استخراج نموذج قرآني فاطمي لخصائص أهل الفتن في القرآن الكريم ومنهاج السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها. يشمل النموذج على ثلاثة خصائص لأصحاب الفتن والنفاق وهي التذبذب في العقائد، وحب المال وعدم طاعة ولي الأمر. بناء على نتائج البحث تم الاقتراح ببعض التوصيات من أهمها الاقتداء بالسيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في معرفة خصائص أهل الفتن وتطبيق النموذج القرآني الفاطمي المقترح في البحث. وكذلك العمل على استخراج سائر خصائص أهل الفتن للخروج بنموذج شامل وجامع لمعرفتهم درء لكيدهم ومكرهم في المجتمع الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: الفتن، النفاق، خصائص المنافقين، الخطبة الفدكية، فدك، النموذج الفاطمي.

المبحث الأول: كليات البحث ومفاهيمه

المطلب الأول كليات البحث

أولا: مشكلة البحث

الباحث الموضوعي لخطوات الصراع وتطوراته في المواقف الاعتراضية التي قامت بها السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بعد النبيﷺ وخاصة الخطبة الفدكية يرى أن المسألة ليست مطالبة بأرض، بل الأمر أوسع من ذلك. وعند دراسة النصوص التأريخية المرتبطة بفدك، لا نجد كلاما حول النزاع المادي أو الاختلاف بشأن فدك بالمعنى المحدود والضيق لقطعة أرض، بل تصل الشكوى لتشمل ثورة شاملة لتصحيح مسيرة أمة انقلبت على أعقابها. ومضامين الخطبة الفدكية خير شاهد على ذلك. لذا كانت المسألة الأهم في كلمات وخاصة الخطبة الفدكية معالجة قضية الفتن والنفاق.

وما حصل من الفتن في المجتمع بعد رسول اللهﷺ كان فصل للقرآن عن الحياة الواقعية العملية فصار القرآن غريبا كما صار ولي الله غريبا بعد رسول اللهﷺ. ومن هنا انبرت بنت الرسالة للاقتباس من كلمات الوحي والاستشهاد بالآيات القرآنية لأزاحة الستار عن وجه أصحاب الفتن.

ثانيا: أهداف البحث

• الاستفادة من منهجية السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في معرفة خصائص أصحاب الفتن درء لكيدهم في المجتمع الإسلامي.

• تعزيز طريقة الالتفات إلى محتوى الخطبة الفدكية بالتوجه إلى جانب الاقتباسات والاستشهادات القرآنية في الخطبة، ومن ثم دراستها دراسة تفسيرية قرآنية.

• جعل كلمات المعصومين (ومنهم الزهراءعليها السلام) واقتباساتهم القرآنية دستورا عمليا في الحياة. فالقرآن لا يبلى بل يبقى حيا جاريا كما تجرى الشمس، والعبرة في الآيات القرآنية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

• القرآن الكريم ومحبة أهل البيت يشكلان القاعدة الأساس في مشروع الوحدة بين المسلمين، لذا فإن طرح المسائل الهامة كمعرفة اصحاب الفتن بطريقة قرآنية يتسبب في زيادة التقارب والتآلف بين أبناء الأمة الإسلامية.

ثالثا: حدود البحث

لقد وردت آيات عديدة من الذكر الحكيم حول خصائص أصحاب الفتن. وقد تم القاء الضوء على ثلاث من هذه الخصائص وكذلك تم دراسة الآيات التي ذكرت في الخطبة الفدكية المرتبطة؛ ثم كان الرجوع إلى كتب التفسير الخاصة والاعتماد على وجه الخصوص على تفسير الميزان ومجمع البيان وكذلك التفاسير العامة كالمختصر في التفسير، تفسير ابن كثير وتفسير القرطبي في تفسير كتاب الله المنزل وذلك لفهم المعاني بصورة أفضل.

رابعا: أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كونه يركز الضوء على معرفة اصحاب الفتن ومعرفة خصوصياتهم ومن ثم الانتباه إلى طريقة تفكيرهم وخططهم وما يشكلونه من خطر على المجتمع الايماني والأمة الإسلامية.

خامسا: منهج البحث واجراءاته

تم اعتماد المنهج الاستقرائي لتتبع التفاسير المرتبطة بخصائص أهل الفتن ومن ثم تتبع التفاسير المرتبطة بالآيات الواردة في الخطبة الفدكية وتبيين المراد منها.

ولتحقيق ذلك تمت دراسة ما أتى به بعض المفسرين من مختلف المذاهب الإسلامية لتبيين الآيات القرآنية المرتبطة بمواجهة أهل الفتن الدينية وذلك من خلال الاشارة إلى بعض خصائص اصحاب الفتن كالتذبذب في العقائد، وجمع المال وعدم طاعة ولي الأمر. ومن ثم تم بيان الأدلة من منهاج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في توعيتها للمجتمع الإسلامي بخصائص هذه الفئة.

إلى جانب ذلك، تم التركيز على الآيات القرآنية التي تشير إلى الانحرافات والفتن في عصر نبينا الأكرم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، حيث تم تبيين واستخراج خصائص أهل الفتن من هذه الآيات بناء على آراء المفسرين من العامة والخاصة. فقد تم اختيار ثلاثة آيات في هذا السياق انموذجا، حيث تشير هذه الآيات إلى ثلاثة خصائص رئيسة لأصحاب الفتن وهي التذبذب في العقائد، جمع المال وعدم طاعة

ولي الأمر. وبعد دراسة كل خصيصة في القرآن الكريم تم مناقشتها في الخطبة الفدكية.

سادسا: تقسيمات البحث

تنقسم الدراسة إلى ثلاثة محاور: حيث تم في المحور الأول توضيح المفاهيم اللازمة فيما يخص أصحاب الفتن وفي المحور الثاني تم دراسة خصائص أهل الفتن بناء على بعض آيات الذكر الحكيم وفي الفصل الثالث تم تسليط الضوء على شرح السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ا لخصائص أهل الفتن والنفاق مستعينة بالآيات التي تقدم الشرح التفصيلي لهذه الخصائص (والذي يسمى بتفسير القرآن بالقرآن) ووردتها السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في الخطبة الفدكية.

المطلب الثاني: المفاهيم والتعريفات

أولا: الفتنة لغة واصطلاحا: يقول الراغب: «أصل الفَتْنِ إدخال الذهب النارَ لتظهر جودته من رداءته..».

والفتنة: من الأفعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد، كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك[1].

الفتنة في الاصطلاح القرآني: ورد لفظ الفتنة ومشتقاته في ٦٠ موضعا في القرآن الكريم وبمعاني مختلفة منها:

• الفتنة بمعنى (الابتلاء والاختبار)، من ذلك قوله تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾[2].

• الفتنة بمعنى (الشرك)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾.[3]

• الفتنة بمعنى (الكفر)، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ**﴾.[4]

---

(١) مفردات الراغب: ج٢، ص٥٥٨.
(٢) سورة العنكبوت: الآية ٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٩١.
(٤) سورة النور: الآية ٦٣.

• الفتنة بمعنى (أذى الناس)، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾.[1]

• الفتنة بمعنى (التعذيب بالنار)، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.[2]

• الفتنة بمعنى (القتل)، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾.[3]

• الفتنة بمعنى (العدول عن الحق)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾.[4]

• الفتنة بمعنى (الضلالة)، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾.[5]

وذكر السيد السبزواري في تفسيره مواهب الرحمن أنّ أصل مادة (فتن) تعنى إدخال الذهب في النار، لإظهار جودته من رداءته، ثم تم توظيفه في عدة معانٍ ف بالقرآن تعكس هذا المعنى بالعناية، كالاختبار، والهلاك، والابتلاء والعذاب، والخلوص، وغيرها من المعاني؛ ووافقه الرأي الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل[6].

وجاء جلُّ معاني الفتنة في القرآن في المواضيع والخلافات الاجتماعية، التي تختلف بناء على منشأها فمنها ما تدور حول موضوعات دنيوية كما ينشأ من خلاف طائفي وغيرها أو ما تدور حول موضوعات دينية وينشأ من خلاف عقائدي أو فقهي وغيرها، من ذلك قوله تعالى ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.[7]

والجامع بين هذه الآيات هو استنكار الفتنة واجتنابها ونبذها وعدم تبيعيتها. وأظهرت آيات القرآن اهتماما عميقا لموضوع الفتنة فتارة تتكلم عن أسباب وقوع الفتنة وظروف تحققها وتارة تبين خصائص أصحاب الفتن وعقابهم في الدنيا والآخرة.

---

(١) سورة النحل: الآية ١١٠.

(٢) سورة البروج: الآية ١٠.

(٣) سورة يونس: الآية ٨٣.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٣.

(٥) سورة المائدة: الآية ٤١.

(٦) مواهب الرحمن: ج٣، ص١٣٨. وقد التزم بهذا المعنى أيضاً الشيخ مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل، فلاحظ: ج٢٠، ص٨٤.

(٧) سورة البقرة: الآية ١٩١.

المبحث الثاني: أصحاب الفتنة في الخطبة الفدكية والقران الكريم

المطلب الأول: أصحاب الفتن في الخطبة الفدكية

نوه القرآن الكريم بنوعين من الفتن منها الفتن في الأمور الدينية ومنها الفتن في الأمور الدنيوية. وكما هو موضح في آيات الذكر الحكيم فإن الفتن الدينية أخطر بكثير من النوع الآخر فالفتنة أشد من القتل[1] وأكبر من القتل[2]؛ فرجح المفسرون السبب بأن الفتن الدينية تزهق وتقتل الجانب المعنوي للإنسان بتجريده عن اخلاقه وقيمه، فموت الإنسانية اعظم من موت الإنسان. لذا تم تسليط الضوء على الفتن الدينية الأخطر والأشد وبالا من الفتن الدنيوية.

أولًا: الفتنة في الخطبة الفدكية: وردت لفظ الفتنة في الخطبة الفدكية وعلى لسان السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بمعنى الفتنة السياسيّة والعقائدية بعد وفاة النبيﷺ، عندما لبس الباطل لباس الحقّ، وأشارت إلى ذلك مستندا إلى قوله تعالى: «**وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، ابْتِداراً زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**[3]»[4]. وجاء هذا المعنى مطابقا لمعني الفتنة في القرآن في المواضيع والخلافات الاجتماعية، التي تدور حول موضوعات دينية وينشأ من خلاف عقائدي.

ثانيًا: صفات أصحاب الفتن: أشارت السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها الفدكية إلى سقوط الناس في الفتنة ومن ثم قامت بذكر خصوصيات اصحاب الفتن. وعندما نقوم بدراسة آيات الذكر الحكيم التي تبين الانحرافات والفتن خاصة في زمن رسولنا الكريم محمدﷺ نشاهد بأن هناك فئات محددة يتم الحديث عنها عند كل ابتلاء. فبعض المفسرين كابن كثير والقرطبي يقسمون الأفراد في المجتمع إلى ثلاثة فئات هم المؤمنون، المنافقون والكافرون. بينما أشار الآخرون إلى أربعة فئات هم المؤمنون، المنافقون والكافرون إضافة إلى ضعاف الايمان.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٩١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٩.

(٤) الخطبة الفدكية.

وفي تفسير سورة النساء الآية ٨١ وبعد أن أشار محمد عبده إلى خصيصة من خصائص أصحاب الفتن وهي عدم الطاعة في الخفاء، استدل بأن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالصفح عنهم. وهذا يشير إلى أن هذه الطائفة من المؤمنين كانوا من ضعاف الايمان وليس من المنافقين الذين هم المقصودون في الآية ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[١]. [٢]

ويطلق عليهم محمد رشيد رضا في تفسير المنار مسمى ضعفاء الايمان أو ضعفاء العزم والعقل مشيرا إلى تقلب حالهم واستعدادهم لقبول الوساوس. كما أشار في تفسير ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالا﴾[٣] بأن الخبال المقصود في الآية يختص بالتحديد بطائفة ضعيفي الايمان والذين يسهل تشكيكهم في الدين وتثبيطهم عن الحرب وتخويفهم من الأعداء.[٤]

في حين يشير العلامة الطباطبائي في تفسير سورة النساء الآية ٨١ إلى وجود ﴿وَمِنْكُمْ﴾ بدلا ﴿ وَفِيكُمْ﴾ ويعتبره شاهدا على أن المراد من هذه الطائفة هم ضعاف الإيمان وهم من ضمن المؤمنين[٥]. والمخطط التالي يبين خط سير انحطاط عقيدة بعض أصحاب الفتن. ففي بداية النموذج الخطي يوجد المؤمنون وهم أصحاب الإيمان الحقيقي والخالص، وعند تزلزل العقيدة يصاب المؤمنون بضعف الإيمان (بدء مرض القلب)، ومع استمرار تقلب أحوالهم من الايمان إلى الكفر ثم الايمان ثم الكفر وهكذا يصيرون منافقين في قلوبهم مرض، وعندما يتضح أمرهم وتفتضح سريرتهم ويوافق الظاهر، الباطن اللا إيماني ويكون الموت لقلوبهم و يصبحون كفارا.[٦]

الشكل ١ سير الانحطاط العقائدي

فأصحاب الفتن يشكلون فرق من ضعاف الإيمان والمنافقين والكافرين. وبينما تكون مواجهة الكافرين سهلة نظرا لوحدة ظاهرهم وباطنهم، فإن مواجهة المنافقين وضعاف الايمان تشكل دوما

(١) سورة التوبة: الآية ٧٣.
(٢) تفسير المنار: ج١ ص ٥٧٨.
(٣) سورة التوبة: الآية ٤٧.
(٤) تفسير المنار: ج ١٠ ص ٤١٤.
(٥) تفسير الميزان: ج ٥ ص ١٨.
(٦) تفسير الميزان: ج ٥ ص ١٨.

التحدي الأكبر للمسلمين في مواجهة الفتن في مختلف الأزمنة والأعصار. لقد كان عصر السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها من أهم المراحل التأريخية وأعظمها حساسية وذلك نظرا لحداثة الدين الإسلامي وفقد النبي صلى الله عليه وآله؛ ولولا ما قامت بجهودها لكان محتما أن يكون عصرا للفتن العظيمة بل عصرا لاضمحلال الدين الإسلامي.

ثالثا: خصائص أهل الفتن

لأصحاب الفتن خصائص عدة تميزهم عن أفراد المجتمع الإسلامي. تم ذكر العديد من هذه الخصائص في القرآن الكريم منها: التذبذب في العقائد، وحب المال والنظرة المادية، وعدم طاعة ولي الأمر، وبث الإشاعات، والقاء الشبهات، والتحالف مع الأعداء و... وذلك بهدف زلزلة المجتمع الإسلامي. في هذا المقال نلقى الضوء على ثلاث من خصائص أهل الفتن وهي التذبذب في العقائد، وحب المال والنظرة المادية، وعدم طاعة ولي الأمر من خلال مناقشتها في آيات الذكر الحكيم وفي الخطبة الفدكية الغراء.

المطلب الثاني: خصائص أهل الفتن في القرآن الكريم

١-التذبذب في العقائد

﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا﴾[١]

عرف القرطبي المذبذب بأنه المتردد بين أمرين ؛ والذبذبة تعنى الاضطراب.كما أشار ابن جني بأن المذبذب هو المهتز القلق الذي لا يتمهل ولايثبت[٢].

فيكون معنى الآية باختصار بأن هؤلاء المنافقون متردِّدون متحيرون بين الكفر والايمان، فلا هم مع الكافرين ولا هم مع المؤمنين.[٣] إن المنافقين عندما يجتمعون مع المؤمنين يكونون معهم في الظاهر، ولكنهم مع الكفارفي الباطن. ومن المنافقين من يعتريه الترديد والشك، فتارة يميل إلى المؤمنين، وتارة يميل إلى الكافرين**﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾**[٤]. فالمراد بهؤلاء في **﴿مُذَبْذَبِينَ**

(١) سورة النساء: الآية ١٤٣.
(٢) تفسير القرطبي: ج٥ ص ٣٦٢.
(٣) المختصر في التفسير: ج١ ص ١٠١.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٠.

بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾ يقصد بهم أصحاب الرسول ﷺ **﴿وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾** يقصد بهم اليهود.(١)

أن هذه الفئة من الناس متحيرون بين الايمان والشرك، فباطنهم لايوحي بالايمان وظواهرهم لاتصرح بالكفر. ويذكر ما ورد عن الرسول ﷺ: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير(تكر) إلى هذه مرة وإلى هذه أخرى**».(٢)

ولتذبذبهم في العقائد آثار شنيعة على افعالهم، حيث يعيشون ليس فقط الاضطراب العقائدي بل يكونون في قلق وخوف مستمر فهم أسرع من يهرعون ويتزلزلون عند الفتن؛ مما يجرهم إلى إثارة البلبلة وبثّ الفتنة في صفوف أصحاب الايمان: **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۞ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾**(٣) (٤).

وهنا يهتم العلامة الطباطبائي كعادته في تفسير الميزان بسياق الآيات التي وردت قبل وبعد هذه الآية. فمثلا في تبيين معنى كلمة المذبذبين يشير إلى الآية **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا...﴾**(٥) بناء على التفسير المختار لقوله تعالى **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾**(٦). فيشير إلى أن الله تعالى يدعو المؤمنين للإيمان بالله ورسوله باطنا كما آمنوا به ظاهرا. فيكون ما ذكر في الآيات من تقلب بعض الناس في عقائدهم بدء من الايمان ثم الكفر ثم الايمان ثم الكفر هو ما يصيب المنافقون من التقلب في الحال والعقائد والأفكار عند وجودهم مع المؤمنين وكذا مع الكافرين.(٧)

«وان فسر بأن أثبتوا على الايمان الذي تلبستم به كان المراد من الايمان ثم الكفر وهكذا هو الردة بعد الردة المعروفة»(٨).

يشير الطبرسي في مجمع البيان إلى معنى التذبذب إلى أنه كتحريك شئ معلق. فيكون الشئ مذبذبا عندما يتحرك بين طرفين من غير تعلق بأي جانب منهما، وهذه صفة المنافقين، يتحيرون ويترددون بين

(١) تفسير ابن كثير: ج٢ ص ٤٣٩.
(٢) صحيح مسلم: ص ١٢٨٣.
(٣) سورة التوبة: الآية ٤٧-٤٨.
(٤) تفسير القرطبي ج٨ ص ٨٦.
(٥) سورة النساء: الآية ١٣٧.
(٦) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٧) تفسير الميزان: ج٥ ص١١٢.
(٨) تفسير الميزان: ج٥، ص ١١٤.

جانبين – أي الكفر والايمان – لا يميلون إلى هؤلاء أي المؤمنين بل يتظاهرون بالايمان، ولا يصرحون في ظاهرهم وباطنهم بالكفر كالكفار الحقيقيين.[1] وإذ كان الفرد في حيرة من عقائده وحاله ويعاني من عدم الاستقرار فلا تصح له توبة لأنه متردد وغير مستقر حتى على حال التوبة والندامة. إلَّا أن يتوب توبة نصوحا لارجعة فيها، توبة مستقرة لاتزلزله تقلب الأحوال وكذا لا يقوم بمجارة الكفار والمشركين. ولهذا السبب وعندما يتكلم القرآن عن توبة المنافقين يقيدها بأصول وقواعد ثابتة غير قابل للتحول والتغير. لذا يستثني القرآن من المنافقين الذين يتوبون ويصلحون ويعتصمون بالله ويخلصون دينهم لله ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ**﴾[2]. وقوله ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلا**﴾ لبيان السبب وفي مقام التعليل لما ذكر من نعتهم بالمذبذبين، فما أنتج عن حيرتهم وترددهم بين جانبي الكفر والايمان وعدم التمسك بأحدهما هو ان الله تعالى أضلهم عن طريق الهداية فلا سبيل لهم ليسيروا عليه. ولهذا السبب تم توظيف عبارة «مذبذبين» بدلا عن متذبذبين. ويقصد بها أن الغضب الالهي وقهره هو ما يسبب لهم هذا التذبذب والحيرة دون أن ينتهي إلى غاية مستقرة وثابتة[3].

ينصح الله تعالى المؤمنين بأن لايتصفوا بصفات المنافقين ولايتعرضوا لغضب الله وسخطه، ولا يجعلوا لله تعالى على أنفسهم حجة بارزة فيضلهم عن سبيل الهداية ويذبذبهم ويحيرهم في هذه الدنيا، ثم يسكنهم مع الكافرين بل في أسفل درك من النار في جهنم خالدين.

ومع هذا، لا يغلق الله باب التوبة عن هذه الفئة ولكن قيدها بقيود ثقيلة وعديدة لاجتثاث اصول النفاق من أعراقه وهي بأن يصلحوا ويعتصموا وأدركوا بأن لا قبول الا للدين الخالص والأصيل.

٢–حب المال والنظرة المادية:

﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾.[4]

أشار الطنطاوي إلى بعض المفردات في هذه الآية المباركة منها: ينفضوا من حوله أى يتركوه

(١) مجمع البيان: ج٣ ص ٢٢٢.
(٢) سورة النساء: الآية ١٤٦.
(٣) تفسير الميزان: ج٥ ص ١١٨.
(٤) سورة المنافقون: الآية ٧.

ويتفرقوا من حوله؛ والخزائن هي جمع خزينة، ويقصد بها أرزاق العباد التي يعطيها الله تعالى لعباده.[١] كما يشير العلامة إلى مفردة الانفضاض بمعنى التفرق.[٢]

حيث يقول المنافقون: لا تنفقوا أموالكم على أصحاب رسول الله من الفقراء حتى يتفرقوا عنه، ولله وحده خزائن السماوات، وخزائن الأرض، يعطيها من يشاء من عباده ويمنعها عن من يشاء، ولكنّ المنافقين لا يعلمون وليس لديهم الفقه والبصيرة أن يدركوا أن خزائن الرزق في السموات والأرض بيده سبحانه.[٣]

ومن أسباب نزول هذه الآية، عدة روايات منها: سمعت زيد بن أرقم قال: كنت برفقة عمي في سفر فشاهدت عبدالله بن أبي بن سلول وهو رئيس المنافقين يخاطب أصحابه بأن لا تنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأخبرت عمي بما سمعت فأخبر رسول الله بذلك، فأرسل إليه واجتهد يمينه بأنه ما فعل، فأنزل الله ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ**﴾[٤] ليشهد على كذبهم ونفاقهم.

وقال عبدالله ابن أبي: لا تنفقوا على أصحاب محمدﷺ حتى ينفضوا ويتفرقوا عنه. فأكد الله سبحانه بأن خزائن الرزق في السموات والأرض مختصة به وملكا له، فيعطي من يشاء وكيف يشاء. ويشير القرطبي إلى ما قاله الجنيد بأن المراد من خزائن السموات هي الغيوب، والمقصود من خزائن الأرض القلوب، فالله مقلب القلوب وعلام الغيوب. ولكن المنافقون ليس لديهم العلم بذلك فلايفقهون إلَّا قليلا وذلك لاستيلاء الضلال والجحود على عقولهم ونفوسهم.[٥]

ورغم أن قول «لا تنفقوا» صدر من ابن أبي ولكن نسبه الله تعالى إلى جميع المنافقين لأنهم رضوا بهذا القول. والمراد بمن عند الرسولﷺ هم فقراء المهاجرون، حيث أمر ابن أبي أصحابه بأن لا يقدموا لهم عونا وذلك بهدف الضغط على المهاجرين لترك المدينة وعدم نصرة رسول اللهﷺ.وليس المقصود بالآية إنفاق المال بغرض تفريق شمل اصحاب الرسول فحسب وإنما كانوا يصرون على الاستمرار في عدم المساعدة وعدم تقديم أي نوع من أنواع العون ليجبروهم بذلك على الخروج من المدينة، لتكون

(١) التفسير الوسيط: ج ١٤ ص ٤١٠.
(٢) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٨٢.
(٣) المختصر في التفسير: ج١ ص ٥٥٥.
(٤) سورة المنافقون: الآية ١.
(٥) تفسير القرطبي: ج ١٨ ص ١١٨.

مسكنا للمنافقين وحدهم.[١]

تشير هذه الآيات إلى النظرة المادية للمنافقين، وحبهم للمال وجمعه وعدم بذله في سبيل الله. كما تشير إلى اتخاذهم الحصار الاقتصادي كحربة للضغط على المسلمين، وكان عين هذا الذي جرى في زمن السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها عندما حرموها من حقها وغصبوا فدكا ﴿.. **قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلا**﴾.[٢]

ينوه العلامة إلى حقيقة وهي إذا أراد الله لأغنى المؤمنين الفقراء بإعطائهم الأرزاق المادية ولكنه بحكمته يبتليهم بالشدائد والفقر ليمحصهم وليؤجرهم بصبرهم واستقامتهم ويرشدهم إلى سبيل الهداية والصراط المستقيم. والمنافقون لاستيلاء الضلال والجحود عليهم في جهل من وجه الحكمة في ذلك، فهم لا يدركون أن جميع الخزائن بيد الله وهو الرازق. وفي المقابل يحسبون أن الفقر والغنى بيد العباد اي بيد الأسباب فلو لم يزودوا الفقراء بالمال فإنهم لن يجدوا رازقا يرزقهم.[٣]

وقد اجتمع الطنطاوي مع العلامة في اشارته إلى صيغة الجمع في الآية تشريكا لأصحاب ابن أبي الراضين بقوله وتفكيره المنحط معه.[٤]

٣-عدم طاعة ولي الأمر

﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا**﴾.[٥]

وقوله طاعَةٌ معناه أمرنا طاعة. والرفع يدل على استقرار الطاعة وثباتها. وقوله بَيَّتَ من البيتوتة كما أشار الفخر الرازي، لأن أفضل الساعات للتفكر هي الليل، والمراد هو التدبير والتمويه والتزوير.[٦]

وشرح المعنى على النحو التالي: «ويقول المنافقون بألسنتهم: نطيع أمرك يا رسول الله، فإذا انصرفوا من عندك قامت جماعة منهم بالتدبير ليلا أي خفاء غير ما أعلنوه لك من الطاعة، والله هو أعلم بخفاياهم وما يدبرون، وسيجازيهم عليه، فلا تبال بهم؛ فأنهم غير قادرين على ان يضروك وتوكل

(١) التفسير الوسيط: ج ١٤ ص ٤١٠.
(٢) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٣) تفسير الميزان: ج١٩ ص٢٨٢.
(٤) تفسير الميزان: ج١٩ ص ٢٨٣، التفسير الوسيط: ج ١٤ ص ٤١٠.
(٥) سورة النساء: الآية ٨١.
(٦) التفسير الوسيط: ج٣ ص ٢٣٣.

واعتمد على الله، وكفى به ناصرا ووكيلًا».[1]

يكشف الله سبحانه تعالى عن خصيصة من خصائص المنافقين وهي عدم الطاعة رغم اعلانها ظاهرا. بل عندما ينصرفون من عند الرسول يستسرون في الخفاء بغير ما أعلنوه من الطاعة. والله يعلمه ويحفظه وهو يعاقبهم على ذلك. وهناك العديد من آيات الذكر الحكيم تؤكد على هذا الأمر. قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾[2].[3]

وتوظيف كلمة البروز للتعبير عن الخروج قد يشير إلى التناقض بين ظاهرهم مع باطنهم الخبيث. وإسناد التبييت إلى جماعة وطائفة منهم، أشارة إلى رؤسائهم والمتصدون الحقيقيين، أما الباقون فتابعون لهم في ذلك. وقوله: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**﴾ أشارة إلى الصفح عنهم وعدم مؤاخذتهم وعدم كشف أمورهم وكذلك عدم الخوف منهم لأن الله هو ناصر الرسول ومعينه.[4]

أشار القرطبي إلى لزوم الاعتقاد بالطاعة لدى المطيعين الحقيقيين وبرهن على ذلك بآية البحث وأن الله سبحانه لم يقبل طاعة المنافقين بمجرد قولهم بألسنتهم. والشاهد على ذلك بأنهم سرعان ما ابتعدوا عن النبي صلى الله عليه وآله وبدلوا قوله فيما أمرهم من الطاعة. يشير العلامة في تفسير الآية بأن هؤلاء الناس يدعون بأنهم مجيبين اليك حينما تدعوهم إلى الجهاد، بينما إذا ابتعدوا عنك وخرجوا من مجلسك دبروا ليلا أمرا غير الذي قالوه بألسنتهم، وهو كناية عن عصيانهم وتخلفهم وعدم طاعتهم لأوامر الرسول صلى الله عليه وآله. ثم أمر الله رسوله بالصفح عنهم والتوكل عليه فقال: ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا**﴾[5].

إلى جانب ذلك، بين القرطبي بأن قوله تعالى ﴿**بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ**﴾ يشير إلى رؤساء المنافقين والفئة التي تصر على النفاق والكفر، وفي مقابل هذه الفئة هناك الفئة الجاهلة التي قد تتوب وتسأل الرسول بالصفح عنهم.[6] في المقابل، أصر العلامة على عدم وجود أدلة تشهد بأن الآية تحكي عن المنافقين كما

(١) المختصر في التفسير: ج١ ص ٩١.
(٢) سورة النور: الآية ٤٧.
(٣) تفسير ابن كثير: ج٦ ص ٧٤.
(٤) التفسير الوسيط: ج ٣ ص ٢٣٣-٢٣٤.
(٥) سورة النساء: الآية ٨١.
(٦) تفسير القرطبي: ج٥ ص٢٤٩.

أشار إلى ذلك القرطبي وابن كثير والطنطاوي وآخرون. بل يشير العلامة إلى سياق الآيات السابقة ويضيف بأنه لا إرتياب بأن الله سبحانه يذكر المؤمنين بما جاء في بدر الصغرى ويذكرهم في جملة ما ذكر من المواقف التي يلوم فيها ضعفاء الإيمان كقوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ**﴾[1] أو قوله: ﴿ **وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ** ﴾[2] أوقوله: ﴿**وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ**﴾[3] وبذلك يجري على هذا المجرى الآية ﴿**وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ**﴾[4] ويعدها في هذا السياق لبيان خصائص أهل الفتن من ضعفاء الإيمان.

(١) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٢) سورة النساء: الآية ٧٧.
(٣) سورة النساء: الآية ٧٨.
(٤) سورة النساء: الآية ٨١.

المطلب الثالث: خصائص أهل النفاق في الخطبة الفدكية

١-التذبذب في العقائد

تبين السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في كثير من مواقفها الحكيمة التذبذب والتردد في عقائد اصحاب النفاق. فتارة تنبه إلى وجوب تقوى الله والديمومة عليها ظاهرا وباطنا بدل الحيرة والتذبذب بين المؤمنين والكفار؛ وتارة تبين بأن الدين المقبول لدى الله هو الدين الخالص بدلا من الشك والترديد والنفاق.

٢-عدم تقوى الله والديمومة عليها:

﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.(١)

حيث التقوى هو الالتزام بالدين الإسلامي، وإذا أخذ التقوى حق التقوى فهو محض العبودية وهو الإسلام الحق وفيكون معنى **﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾**(٢) أي وداوموا على هذه الحال حق التقوى حتى تموتوا ولاتترددوا أو تتذبذبوا أو تزلزلوا باختلاف الأحوال. ولا تعارض بين الآية وقوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾**(٣) حيث يصير محصل الآيتين: أن يندب جميع الناس ويدعوا إلى حق التقوى ثم يؤمروا بالسير إلى هذا الهدف النبيل ما قدروا واستطاعوا، وينتج من ذلك أن يسير الجميع في صراط التقوى إلَّا أنهم في محطات مختلفة، وعلى درجات مختلفة ماتناسب مستوى فهمهم وسعيهم، فالآية الأولى تدعو إلى المقصد والثانية تبين كيفية السلوك.(٤)

٢-عدم تقبل الدين الإسلامي

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.(٥)

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ أي يطلب **﴿دِينًا﴾** يدين به **﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾**. وإذ كان الفرد في حيرة

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٢.
(٣) سورة التغابن: الآية ١٦.
(٤) تفسير الميزان: ج١٩ ص ٣٠٨.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

من عقائده ودينه فلا تصح له توبة لأنه غير مستقر على دين الإسلام ومن ثم غير مستقر على حال التوبة. ولهذا السبب وعندما يتكلم القرآن عن توبة المنافق يقيدها بأصول ثابتة منها الاخلاص في الدين الإسلامي ﴿**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ**﴾[1]. وتشير السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها بإدامة الآية ﴿**وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ أي من الهالكين لأن الخسران ذهاب رأس المال»[2] ذلك أن المنافق تاجر بثروة عقائده ودينه مقابل أهواء مادية ولذات فانية.

٣-التوجه المادي في الحياة

في السنة السابعة للهجرة امتثالا لأمرالله تعالى أعطى النبيﷺ أرض فدك للسيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها وكانت تنفقها في سبيل الله وعلى فقراء المسلمين طيلة أربع سنوات حتى وفاة النبيﷺ.[3]

فكان لفدك أهمية اقتصادية بارزة، حيث اشار إبن طاووس إلى دخلها السنوي في رواية بأنه كان دخلها أربعة وعشرين الف دينار سنويا. وفي رواية أخرى ذكر دخلها بأنه كان سبعين الف دينار سنويا.[4]

وهناك عددا من الروايات التأريخية تبرهن على خبث نوايا غاصبين فدك ونظرتهم المادية في وضع حصارهم الاقتصادي لأهل البيتعليهم السلام ليتفرقوا الناس من حواليهم كما ورد في قوله تعالى ﴿**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ**﴾[5].

روى العاملي عن المفضل بن عمر قال: قال مولاي جعفر الصادقعليه السلام: لما ولي أبو بكر بن أبي قحافه، قال له عمر: «أن الناس عبيد هذه الدنيا لا يرون غيرها فأمنع عن علي وأهل بيته الخمس، والفيء، وفدكاً، فأن شيعته أذا عملوا ذلك تركوا علياً وأقبلوا اليك رغبة في الدنيا وأيثاراً ومحاباة عليها

(١) سورة النساء: الآية ١٤٦.
(٢) تفسيرمجمع البيان: ج٢ ص٣٣٧.
(٣) السيدة فاطمة الزهراء: ص٥٨٠.
(٤) المصدر السابق: ص٥٨٦-٥٨٧.
(٥) سورة المنافقون الآية ٧.

ففعل أبو بكر ذلك وصرف عنهم جميع ذلك».[١]

تم مصادرة السلطة لأموال السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بغرض تضعيف ولاية علي عليه السلام؛ إذ ارادوا أن يحاربوه محاربة اقتصادية؛ حتى ينفضوا الناس ويتفرقوا من حوله.[٢] جاهدت السيدة فاطمة الزهراء في خطبتها الفدكية بمختلف الطرق للكشف عن وجوه أهل الفتن والنفاق، حيث أجابت على جميع الشبهات الواردة في عدم توريث النبي لأرض فدك لتكشف خبث نواياهم في حصارهم الاقتصادي لأهل البيت.

فخاطبتهم سلام الله عليها بقولها: «**وانتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[٣]، أفلا تعلمون ؟ بلى. أيها المسلمون أأغلب على إرثي؟!**».[٤]

فقال أبا بكر: «إني سمعت رسول الله يقول: **نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهبا ولا فضة ولا دارا ولا عقارا وإنما نورث الكتاب والحكمة والعلم والنبوة وما كان لنا من طعمة فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه**»[٥]. لقد نوه عدد من علماء الخاصة والعامة كالشيخ الطوسي و والسيد عبد الحسين شرف الدين بكذب هذا الخبر. حيث أذعن شرف الدين بأنه «بقي أمر لا بد أن نقول فيه كلمة صريحة، ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما فعل معها في ميراث أبيها، لأنا إذا سلمنا بأن خبر الآحاد الظني يخصص الكتاب القطعي، وأنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وآله قد قال: إنه لا يورث. وإنه لا تخصيص في عموم هذا الخبر، فإن أبا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة عليها السلام بعض تركة أبيها صلى الله عليه وآله كأن يخصها بفدك»[٦] والمراد من هذا الخبر المفترى، هو منع السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها من أرثها، لكي لا يكون لأمير المؤمنين عليه السلام مكانة اقتصادية، حتى لا يستعين بها في استرجاع الخلافة.[٧] فالنزاع أذن ما كانت نزاع حول ميراث ونحلة، بل هي في نظر السيدة فاطمة الزهراء سلام

(١) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص١٩٤.
(٢) الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء: ج١٢ص١٩٦-١٩٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ٥٠.
(٤) الاحتجاج، ج ١، ص ١٣٨.
(٥) الاحتجاج: ج١ ص١٤٢.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها، ص١٩٦-١٩٧.

الله عليها نزاع إسلام وكفر ومسألة ايمان ونقاق.[1] ونوهت بعدم جدوى هذا الحصار الاقتصادي لغصب الخلافة من صاحبها وواعدت أهل الفتن بالعذاب المقيم.

«**فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم**».[2]

٤-عدم طاعة ولي الأمر

تسلط السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها الضوء على طاعة ولي الأمر في خطبتها الفدكية من خلال التركيز على أمور عدة يتم ذكر بعض منها في هذا المقال.﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾.[3]

أشارت إلى إحدى الركائز الأساسية لتثبيت الايمان بالرسولﷺ ومن ثم وجوب طاعته. «فبعد ذكر مواصفات النبيﷺ بأنه من أنفسكم، وأنه يشق عليه ضركم أو هلاككم وأنه حريص على الجميع المؤمن وغير المؤمن، كما أنه رؤف رحيم بالمؤمنين منكم خاصة فيحق عليكم أن تطيعوا أمره لأنه رسول لا يصدع إلَّا عن أمر الله، وطاعته طاعة الله، وأن تأنسوا به وتحنوا إليه لأنه من أنفسكم، وأن تجيبوا دعوته وتصغوا إليه كما ينصح لكم. ومن هنا يظهر أن القيود المأخوذة في الكلام من الأوصاف أعني قوله ﴿**رَسُولٌ**﴾ و﴿**مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ و﴿**عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ**﴾ إلخ، جميعها مسوقة لتأكيد وجوب طاعته وقبول دعوته».[4]

وبالتالي لايمكن أن يُتصور صدور كلام منه إلَّا في مصلحتهم، ولا يخطو خطوة إلَّا في سبيلهم. فجميع الضغوط والتكاليف التي فرضها النّبيﷺ والقرآن الكريم، كانت كلها بسبب عشق النّبيﷺ لهداية الناس وتربيتهم وتكاملهم،وعلى هذا، فإنّه إذا دعاكم وسار بكم إلى ساحات الجهاد المريرة، وإذا شدّد النكير على المنافقين، فإنّ كل ذلك من أجل عشقه لهدايتكم وعزتكم[5].

٥-عدم لزوم طاعة الولي في حياته وبعد مماته:

نوهت السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها بوجوب طاعة ولي في حياته وبعد مماته من خلال

(١) فدك في التاريخ، ص ٤٨-٤٩.
(٢) الاحتجاج: ج١ ص ١٣٩.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.
(٤) تفسير الميزان: ج ٩ ص ٤١٢.
(٥) تفسير الميزان: ج ٩ ص ٤١٢.

ذكر الآية المباركة: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾.(١)

فالآية الشريفة تثبت قاعدة وجوب إطاعة الأوامر الإلهية في كل الأوقات. في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وبعد مماته، «لا ينبغي أن يترك أمر الله تعالى كان الرسول بين أظهرهم أو لم يكن».(٢)

كما يوضح صاحب الميزان أنه من لم يطع الولي بعد مماته، يكون ايمانه في الواقع طلبا لثواب الدنيا وهذا سبب عتاب الله لهم: «أن إيمانهم إنما كان قائما بالنبي صلى الله عليه وآله يبقى ببقائه ويزول بموته، وهو إرادة ثواب الدنيا بالإيمان وهذا هو الذي عاتبهم الله عليه، ويؤيد هذا المعنى قوله بعده: ﴿**وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾، فإن الله سبحانه كرر هذه الجملة في الآية التالية بعد قوله: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا**﴾(٣)».(٤)

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٤.
(٢) تفسير مجمع البيان: ج ٢ ص ٤٠٣.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٥.
(٤) تفسير الميزان: ج ٤ ص ٣٨.

المبحث الثالث: المناقشة والاستنتاج

أولا: المناقشة

سلط هذا المقال الضوء على ثلاث خصائص من خصائص أهل النفاق في القرآن الكريم وفي منهاج فاطمة الزهراء سلام الله عليها وهي التذبذب في العقائد، النظرة المادية وعدم طاعة ولي الأمر. وبعد أن قامت السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في خطبتها الفدكية بكشف الستار عن تذبذب أهل الفتن في العقائد، وجهت إلى وجوب تقوى الله والديمومة عليها وأن لا قبول الا لدين الإسلام الخالص. كما أشارت في تبيين صفات أهل الفتن والنفاق إلى نظرتهم المادية، كما أوضحت بأن غصب فدك ليس كما ناشد به المنافقون بل هي في الحقيقة حربة للضغط الاقتصادي ونوهت بعدم جدواها. وعندما أشارت إلى الخصيصة الثالثة لأصحاب النفاق وضعفاء الايمان وهي عدم طاعة ولي الأمر بينت بأن طاعة ولي الأمر تنشأ من رحمته، منوهة بوجوب طاعة الولي في حياته وبعد مماته. الشكل ٢ تبين نموذج معرفة أهل الفتن في القرآن الكريم وفي منهاج السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها.

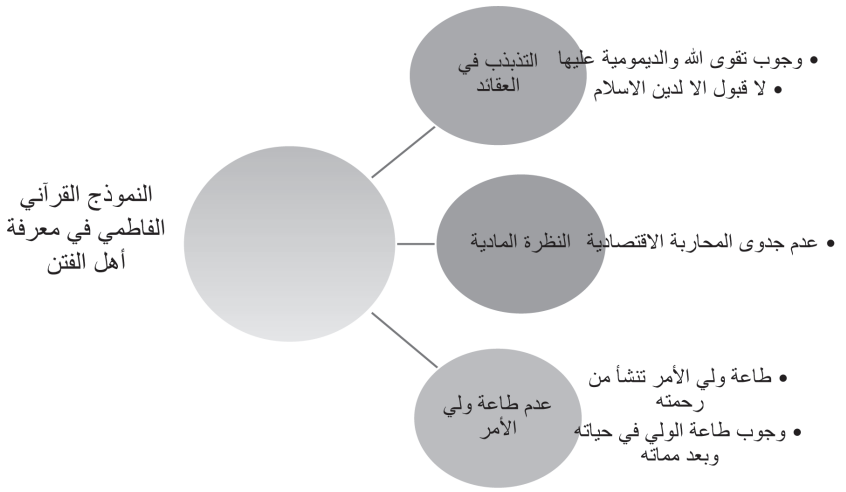

الشكل ٢ النموذج القرآني الفاطمي في معرفة أهل الفتن

لم تقتصر سبل مواجهة أصحاب النفاق في منهاج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام على بيان خصائصهم في خطاباتها فحسب والتي كانت محطة التركيز في هذا المقال؛ بل امتدت إلى ساحات عدة كما اشتملت

عليه آيات القرآن الكريم. فبينما لم يؤذن لها بالمحاربة والجهاد معهم نظرا لمقتضيات عصرها، لم تهمل السيدة فاطمة عليها السلام الأساليب الأخرى كالذهاب إلى بيوتهم ودعوتهم ونصحهم فردا فردا. وعندما لم تنجح هذه الأساليب قامت بطردهم وعزلهم عن المجتمع الإسلامي. فأوصت السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها ان لا يصلي عليها أحد من طائفة المنافقين وأهل الفتن ولا يقوموا على قبرها ابدا ليظل قبرها المخفي أعظم شهادة على نفاقهم وكذبهم في دعوى الإيمان وخلافة رسوله ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ**﴾.

ثانيا: الاستنتاجات

بناء على نتائج هذا البحث ولتحسين سبل معرفة أهل الفتن ينبغي للباحثين:

• استخراج سائر خصائص أهل الفتن من ضعفاء الإيمان والمنافقون من القرآن الكريم وبذلك الخروج بنموذج شامل وجامع لمعرفتهم.

• تقديم دراسة آلية تطبيق الأئمة -خاصة السيدة فاطمة سلام الله عليها- للمفاهيم القرآنية في ما يخص مواجهة أصحاب الفتن وترجمتها على أرض الواقع لتسهيل توظيفها في عالمنا الإسلامي وحياتنا العملية.

ثالثا: التوصيات

بناء على نتائج هذا البحث ولتحسين سبل معرفة أهل الفتن نوصي بالتالي:

• تطبيق النموذج القرآني الفاطمي المقترح في معرفة خصائص أهل الفتن.

• الاقتداء بفاطمة الزهراء سلام الله عليها في تطبيق ما تم بيانه في القرآن على أرض الواقع.

• الالتزام بالوحدة الإسلامية والرجوع إلى الحلول القرآنية والأخذ بالدروس العملية من حياة الأئمة عليهم السلام.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث وفي ضوء ما تم تقديمه من معلومات، نشير إلى ضرورة الأخذ بالتعاليم القرآنية والعترة بهدف توحيد صفوف المسلمين في معرفة أهل الفتن في عالمنا الإسلامي. تم في بحثنا المتواضع هذا، تحليل وتفصيل بعض خصائص أهل الفتن بالاستمداد بما ورد فيهم في آيات الذكر الحكيم وعلى لسان السيدة فاطمة الزهراء سلام الله عليها في الخطبة الفدكية. وهناك خصائص أخرى لم يسعنا أن نتطرق إليها في هذا المقال، ولم نتناول إلَّا القدر اليسير، ونحن ننشُد الكمال في دراستها؛ من أجل الوصول إلى نموذج متكامل لخصائص أهل الفتن، بما يُساهم في درء كيدهم وتطبيق التعاليم القرآنية في مجتمعاتنا الإسلامية. ليس هذا المقال إلَّا محاولة متواضعة في هذا المجال. ونتطلع إلى المزيد من القراءات العلمية لتعاليم القرآن وسيرة أهل البيت عليهم السلام في مستقبل قريب بإذن الله.

المراجع والمصادر

- القران الكريم
- الانصاري الزنجاني الخوئيني، اسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء: ج١٢، قم المقدسة، ٢٠٠٦ م
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م
- الصدر، محمد باقر، فدك في التاريخ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٠ م
- عدنان عبد الواحد العواد، انتصار، السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة البصرة ،م.٢٠٠٧.
- القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
- القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القاهرة، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م
- نزيه القميحا، نزيه، شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها، ط٢، شبكة الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
- طباطبائي، سيد محمد حسين (م. ١٤٠٢هـ.)، الميزان، بيروت، اعلمى، ١٣٩٣هـ
- الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار العلوم، ١٤٢٦ هـ
- الطبرسي، أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، قم، منشورات الشريف الرضي، ١٣٨٠ ش
- الطبرى ، محمد بن جرير (م. ٣١٠ق.)، جامع البيان، به كوشش صدقى جميل، بيروت، دارالفكر، ١٤١٥ هـ

- طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨ م
- فخر رازى، محمد بن عمر، المحصول فى علم اصول الفقه، محقق علوانى، طه جابر، چاپ دوم، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢ هـ
- مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت ١٠٤هـ) تفسير مجاهد، مصر، دار الفكر الإسلامي الحديثة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م
- المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦ هـ
- مكارم شيرازى، ناصر، تفسير الأمثل، قم، مدرسه امام على بن ابي طالب عليه السلام، ١٤١٠ هـ
- النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري (المتوفى: ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٦ هـ.

المنهج التداولي في سورة الكوثر (دراسة تواصلية)

الباحثة: أ.م. د. كلثوم عامر شخير

ملخص البحث

لان المنهج التداولي له الاثر الاكبر في تعدد استعمالات اللغة بوساطة التواصل الفاعل الذي يتلاءم مع بيئة وطبيعة الظروف لدى المتلقي وهذا احد دواعي البحث ودراسة سورة الكوثر لأنها نزلت في بيئة تنماز بظروف اجتماعية خاصة ادت هذه الظروف والبيئة إلى الإساءة إلى رسول الله ﷺ، وكان لنزول سورة الكوثر الزام لوضع الاسس الصحيحة لمجتمع ساد به الرياء والتفاخر بالأموال والبنين، فكانت الكوثر هي السورة التربوية التي انتشلت المجتمع من الاستمرار بالانحدار، ولذلك ركز هذا البحث المتواضع على أهم أركان المنهج التداولي في سورة الكوثر وهما الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري وأثرهما في ايصال وتواصل الاسس الاخلاقية والتربوية، والدينية في هذا النص الذي عد اقصر نص قرآني، وأهمية تلك الأفعال الثلاث، (اعطيناك) وهو فعل ماضٍ و(فصل وانحر) فعلا امر كان لهذه الأفعال الدور الكبير ودورها التداولي في اثبات واظهار اسرار تلك السورة المباركة المضمر منها، والظاهر، ومدى تواصل السورة مع ما سبقها، وما تلاها.

المطلب الاول: المفهوم التواصلي لسورة الكوثر

تعد سورة الكوثر من أقصر سور القران الكريم فتتألف من ثلاث آيات دون البسملة «سورة الكوثر أقصر سورة»[1]، والكوثر على قصرها كان لبلاغة النص فيها الدور الكبير في حملها انساقًا ظاهرة ومضمرة في الوقت ذاته و«فيها من الالفاظ البديعة الرائعة التي اقتضت بها ان تكون مبهجة والمعاني المنيعة الفائقة التي اختصت بها ان تكون معجزة»[2] ورغم قصر سورة الكوثر الا انها انمازت بجمال لغتها وتناسق آياتها لأن المعنى تناغم وتفاعل مع اللفظ مما أعطى أثر تذوق النص للمتلقي وايصال المعنى المراد وهو معنى اجتماعي محكوم ببيئة ذكورية فكان اثر اللغة مهمًّا لان «اللغة في استخداماتها البدائية تقوم بدور حلقة في سلسلة الانشطة الإنسانية المتآلفة باعتبارها جزءًا من السلوك

(١) الميزان في تفسير القران: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ج:٢٠، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان: ص ٤٢٨

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع واعجاز القران، ابن النقيب (٦٩٨)، تح: الدكتور زكريا سعيد علي، د. ط القاهرة، د. ت، مكتبة الخانجي: ص ٥٢١، وينظر: روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني: الالوسي (١٢٧٠ ه)، تحقيق: ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، ط:١، لبنان: بيروت، ٢٠١٠: ٢٩ ص٣٧٢

الإنساني، فهي وسيلة من وسائل الفعل»[1].

ويتضح لكل دارس أو باحث لسورة الكوثر أثرها الفاعل على المتلقي ولا يخفى ان جمال اللغة المتأتي من تماسك السورة وترتيبها زمكانيًّا، وايضا ما يميز اللغة هو الثنائيات المتقابلة الواردة لان «جمال النص حصيلة تكاملهما»[2]، وان تراكيب اللغة الثابتة المتقابلة ترتكز على اساس التقابلات الثنائية.

وهناك ثنائيات اخرى وردت في السورة غير ثنائية التقابل التي ظهرت في قوله تعالى ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾[3] و ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾ [4] فالكوثر والابتر هي ثنائية تضاد، والتي انمازت بالحضور والغياب اذ هناك ثنائية لها حضور صريح مباشر مثل ثنائية التضاد (الكوثر، والابتر)، وايضا ثنائية التناسق والترتيب الايجابي في قوله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾[5] فكل من (الصلاة والنحر) ثنائية ايجاب صريحة، وتنضوي كل التقابلات الثنائية التي ذكرت اعلاه تحت ثنائية الحضور.

اما ثنائية الغياب في النص المبارك فهي ثنائية الداخل والخارج من حيث بنية النص ودلالته التواصلية نلحظ الكثير من النصوص تسخر فيها الدلالة الخارجية بوساطة التلويح والاشارة لوجود دلالة داخلية وهي علامة فلسفية انماز بها الخطاب في سورة الكوثر اذ يكون «الداخل انثناء للخارج المفترض»[6].

نجد الدلالة الخارجية للكوثر هي عطاء الله الواسع الذي كافئ به الخالقُ (المرسل) نبيه محمدﷺ (المرسل إليه)، وردع ومعاقبة من تطاول ووصف النبي (بالأبتر) وهو الذي لا ذرية له، وهوما ساد عرفًا عند العرب آنذاك ووصفهم بالصفة ذاتها اي البتر لأعداء الرسولﷺ وهذا يؤكد ان «الكثرة والكوثر لمحمدﷺ والبتر والذلة للعدو، فحصل بين اول السورة وآخرها نوع من المطابقة لطيف»[7].

هذا هو المعنى الخارجي أو الدلالة الصريحة في ظاهر النص رغم ان (الكوثر) لا يعني فقط نهرًا في

(١) علم اللغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط:٢، ١٩٩٠ م، ص١٧٢.

(٢) الشكل والدلالة (دراسة في القصيدة العربية)، د عادل محلو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:١، منشورات الضفاف، بيروت: ص ٩.

(٣) سورة الكوثر: الآية ١.

(٤) سورة الكوثر: الآية ٣.

(٥) سورة الكوثر: الآية ٢.

(٦) المعرفة والسلطة (مدخل لقراءة فوكو): جبل دلوز، ترجمة سالم ياقوت، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط:١، ١٩٨٧، ص٦.

(٧) التفسير الكبير أومفاتيح الغيب، الفخر الرازي: دار الفكر، ط:١، ١٩٨١، ج٣٢ ص١٣٤.

الجنة أو الخير الكثير كما اشار إليه بعض المفسرين، ولان مضمون النص كان يتلاءم مع مناسبة النص فهذا يدل ان الكوثر هو الصديقة الطاهرة (فاطمة بنت محمدعليها السلام) لان السورة نزلت اثر حادثة اعتداء العاص بن وائل ونعته للنبي بالأبتر اذن الكوثر هو فاطمةعليها السلام لإثبات ان الرسول بعد وفاة ابنه سيعطيه الله الذرية، ولوكان العاص قد نعت الرسولصلى الله عليه وآله بالفقر وليس البتر لكان معنى الكوثر هو الخير الكثير والعطاء الجزيل، وايضا ان كان يعني العاص بالأبتر الفقر وقلة المال لانحسر عطاء مضمون السورة بالدنيا فقط لكن قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ (١) هو عطاء الدنيا بذرية كثيرة في الدنيا، ونهر من الخير والعطاء متصل في الدنيا والآخرة.

وهذا نتاج انسجام مناسبة النص مع مضمون ودلالة السورة، فهذا التقارب هو المسؤول عن ظهور العلاقات الداخلية المتفاعلة مع ظاهر النص فالمناسبة «هي الارتباط بين الآيات القرآنية، اوبين السور بعضها مع بعض بوجود امر يقارب بينها»(٢).

ولا تعني أهمية المناسبة فقط في تفاعل العلاقات داخل النص ذاته بل تعكس المناسبة امتداد تواصل العلاقات التفاعلية في داخل النص الواحد وخارجه، فنجد سورة الكوثر ترتبط وتتواصل بوساطة المناسبة إلى سورة الكافرون، فالصلاة التي امر بها الله سبحانه وتعالى نبيه كانت لها الصلة في سورة الكافرون، لان صلاة النبي تكون خالصة لله وحده فعليه ان يأمر أعدائه والناس بإقامة الصلاة الخالصة لله لذلك تلت سورة الكوثر سورة الكافرون التي تؤكد مدى علاقة مناسبة النص مع غيره من النصوص، فنجد سورة الكافرون تؤكد على حكم عبادي واضح وهوان الرسول لا يعبد ما يعبدون، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ۞ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۞ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ۞ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ (٣) فمناسبة النص تعد ركنًا اساسيًّا في فهم النص ضمن اطار الدلالة الخارجية والداخلية للنص فعدت المناسبة علم فذكر ان «علم المناسبات بين سور القران أوبين الآيات في السورة الواحدة من العلوم الدقيقة التي تحتاج إلى فهم دقيق لمقاصد القرآن الكريم، وتذوق لنظم القرآن الكريم وبيانه المعجز، والى معايشة جو التنزيل، وكثيرًا ما تأتي إلى ذهن المفسر على شاكلة اشراقات فكرية أو روحية»(٤).

(١) سورة الكوثر: الآية١.

(٢) علم المناسبات واهميته في تفسير القران الكريم وكشف اعجازه، نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرانية، دمشق، سوريا، ط:١، ٢٠١١ م، ص٦.

(٣)سورة الكافرون: الآيات١- ٦.

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي، الدكتور مصطفى مسلم، دار القلم، ط:٧، دمشق، ٢٠٠٩، ص ٥٨.

ويرى الباحث انها سورة ذات تراكيب تواصلية بليغة تتفاعل، ولان النظرية المثالية الفلسفية ترى ان اللغة بأجمعها استعارية، وهذا ما أكده دانيال في «اعتبار (الواقع) ناتجًا محضًا من الاستعارات. من الواضح ان هذا الموقف ينفي أي تمييز إرجاعي بين (الحرفي) و(الاستعاري)»[1].

نجد أيضًا اختلاف المفسرين في دلالة (الكوثر) منبثق من فهم مصطلح (الكوثر) الاستعاري ودلالته الحرفية الواضحة، ولكن عند دراسة النص القرآني المبارك ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [2] ومقاربته مع مناسبة السورة تتضح المفاهيم الاستعارية والمفاهيم الحرفية الواضحة في لغة النص... ويرتبط ذلك بالحقبة الزمنية والتقاليد الاجتماعية آنذاك وطبيعة المجتمع، نجد خطاب النص المتفاعل المتأصل في ركني التواصل بين المرسل وهو(الله سبحانه وتعالى) والمرسل إليه (النبي محمدﷺ) لوجود رسالة مشتركة بينهما لإرسال وتلقي الرسالة وفهمها لأن «اللغة في استخداماتها البدائية تقوم بدور حلقة في سلسلة الانشطة الإنسانية المتألقة باعتبارها جزء من السلوك الإنساني، فهي وسيلة من وسائل الفعل، وليس أداة للتأمل»[3].

ومما زاد لغة الخطاب في سورة الكوثر أهمية وتأثيرًا استعمال الضمائر بشكل بلاغي، وظهر هنا الوقع اللغوي في بنية النص المبارك بوساطة الضمائر واستعمالها بشكل بلاغي معجز كان له الدور الكبير في فهم المضمون الخارجي والداخلي للنص اذ توافرت في هذا النص القصير كل انواع الضمائر منها (المتصل، المنفصل، الظاهر، المستتر) ومن الناحية الاعرابية لتلك الضمائر تواجدت بكل انواعها وهي (الضمائر المرفوعة، الضمائر المنصوبة، والضمائر المجرورة) وكما موضح بهذا الجدول البسيط:

سورة الكوثر: قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۞ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۞ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾.

(١) اسس السيميائية، دانيال تناندلر، ترجمة د طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:١: ص ٢١٧

(٢) سورة الكوثر: الآية١.

(٣)قضايا في علم اللغة التطبيقي: ميشيل ماكارثي، ترجمة عبد الجواد توفيق محمود، ط:١، ٢٠٠٥ م، المشروع القومي للترجمة، اشراف جابر عصفور: ص ١٤٩.

الضمير	نوعه	اعرابه
نا	ضمير متصل	في محل رفع فاعل
ك	ضمير متصل	في محل نصب مفعول به
انت في (صل)	ضمير مستتر	في محل رفع فاعل
انت في الفعل (انحر)	ضمير مستتر	في محل رفع فاعل
ك في (لربك)	ضمير متصل	في محل جر مضاف إليه
الكاف في شانئك	ضمير متصل	في محل جر مضاف إليه
هوفي (الابتر)	ضمير منفصل	في محل رفع خبر (ان)

وذلك لان الضمائر «هي وحدات لغوية ذات طابع تأشيري إذ انه لا يمكن فك تشفيرها الا بالرجوع إلى السياق الخاص بمرسلات معينة»[1].

ان التناسق الصوتي واللغوي في اللفظ والمعنى وانسجام آيات السورة في ما بينها وتفاعل العلاقات اللغوية بين المرسل والمرسل إليه كان له الدور الفاعل في ظهور المعنى المتخفي في النص على شكل انساق مضمرة أُشير إليها من خلال الترابط والروابط ومن أبرز هذه الروابط هي تفاعل الضمائر في كل ناحية من نواحي الاتصال الكلامي الذي له مفهومه الخاص وهذا ما اكده (Celly Hall ١٩٩٥) بدراسته الروابط بين المعاني في سياقها الاجتماعي والتاريخي عبر «تفاعل الاشخاص والاستراتيجيات العملية التي يتبعها هؤلاء الاشخاص عند اندماجهم في كل موقف جديد، وتتمثل أهمية هذا المنهج في انه قام بكسر الفوارق والاختلافات وابقائها بين اللغة كنتاج للنفس البشرية وبين اللغة كبناء اجتماعي»[2].

هذا يبين أهمية الروابط اللغوية في فهم وربط ظاهر النص من حيث المضمون مع باطن النص، وهذا لا يعني ان الكوثر في ظاهر السورة وهوالخير الكثير والوفرة لا ينسجم مع دلالة النص ربما المستترة رغم انها واضحة ان الكوثر هي سعة الذرية وامتدادها من خلال كوثر الرسول محمدﷺ وهي

(١) اسس السيميائية، دانيال تشالندر، ترجمة طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية: ص ٤٥٤.

(٢) قضايا في علم اللغة التطبيقي: ميشيل ماكارثي، ترجمة عبد الجواد توفيق محمود، ط:١، ٢٠٠٥ م، المشروع القومي للترجمة، اشراف جابر عصفور: ص ١٤٩.

ابنته الزهراء عليها السلام وهذا الامتداد أزلي فكلا المعنيين الداخلي والخارجي منسجمان، وليس بالضرورة ان تكون الأنساق الظاهرة عكس الأنساق الباطنة.

المطلب الثاني: الكوثر من منظور تداولي

اولًا: أفعال الكلام:

تعد نظرية أفعال الكلام ركيزة أساسية في البحث التداولي لان تواصل الالفاظ لا يكتمل الا بتراكيب واحداث تنجز اوتؤثر، وهذا ما يحققه الفعل الكلامي في الدرس التداولي، لذا اختلف العلماء في تقسيم الأفعال الكلامية عند العرب والغرب، فنجد ان الاصوليين قد صنفوا أفعال الكلام إلى اصناف بناءً على أفعال منبثقة من (الانشاء والاخبار) فنظرية الأفعال الكلامية «لها أثر في الموروث اللغوي العربي وتتبين في اوساط الدارسين العرب لمدخل الانشاء والخبر أوما كان يعبر عنه قديمًا بأقسام الكلام»[1].

اما اراء الغرب المتمثلة بـ (أوستن Austin) و(سيرل Gohn Searle) فقد اعتمدت نظرية (أوستن Austin) على معيار الانجاز، وقد ميز بين العبارات الانجازية والعبارات الوصفية غير الانجازية ويبرهن ذلك بوساطة «قول شيء ما على وجه مخصوص هو انجازه، ومن امثلة العبارات الوصفية التي تصف احساسات اعتذر اني متأسف... اما العبارات الانجازية: ادعم رأي... وشرط العبارات الاخبارية هو ملائمتها للواقع»[2] اي الانجاز الحقيقي.

يعتبر (أوستن Austin) «اول من طبق نظرية الأفعال اللغوية على الخطاب الادبي»[3] فقسم الأفعال الكلامية على ثلاثة أقسام أساسية، وتلاه بأقسام أخرى فرعية منها «الحكمية، والتكليف، والسلوكيات»[4].

اما اقسام أفعال الكلام الأساسية هي:

(١) نظرية الافعال الكلامية في البلاغة العربية، د. ملاوي صلاح الدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، سكرة، الجزائر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٤، ٢٠٠٩ م: ص ٧

(٢) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام)، جون اوستن، ترجمة عبدالقادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩٩١ م ص:١٠٠

(٣) محاضرات في اللسانيات التداولية، خديجة بوخشة، مستوى السنة الثالثة، ل م د، ص٣٢

(٤) التداولية اليوم علم جديد في التواصل، جاك موشلار، آن روبول، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، م٢٠٠٣: ص ٣١-٣٢

١- الأفعال القولية: وهي أفعال تلفظ لتحقيق دلالة معينة حتى سُميت أفعال دلالية لذا عرف القول «بمعنى ما فعل شيء وعمله»[١]، ولان شرط الأفعال القولية هو التلفظ بها وقوة لفظها ومخرجها الصوتي فقد تجسد ذلك في الآية الاولى من السورة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [٢] في الفعل (أعطاك) فهو فعل قولي قوي لأن الإعطاء هنا ادى دلالة قولية غيبية، وهي هبة الله سبحانه وتعالى (الكوثر) للرسول ﷺ و«لان هذا الاعطاء كان حاصلا في الماضي»[٣] يعني مقدر من عند الله منذ زمن بعيد لذلك تتساءل الناس وتكثر القول حول هذا العطاء الذي جسده الفعل القولي (أعطيناك) وهو واضح الدلالة في العطاء المستمر لأنه من عند الله (سبحانه وتعالى)

٢- الفعل الانجازي: هو «قيام بفعل ضمن قول شيء في مقابل القيام بفعل هو قول شيء»[٤] ويظهر الفعل الانجازي في النص: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [٥]، وهو انجاز فعل الصلاة في فعل الامر (فصل)، وانما جاء امر الصلاة لتأكيد نية الصلاة خالصة لله وحده لا شريك له وذلك لوجود جماعات كانوا يقيمون الصلاة لغير الله فجاء فعل الانجاز (فصل)لمنع «أنَّ أُناسًا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله تعالى فأمر الله نبيه ﷺ أن يصلي له وينحر له»[٦] فكان فعل الاعطاء مقرون بفعل الصلاة لان انجاز الصلاة عملية إنجازيه صريحة تتفاعل بشكل تواصلي مع الفعل القولي الدلالي وهو(اعطيناك).

نستنتج من ذلك ان فعل القول ادى وظيفته وهي ترك اثر في المتلقي، وهذا الاثر يؤدي إلى انجاز فعلٍ وهو (قيام وانجاز الصلاة)، ولان الفعل الانجازي يختص بالمرسل اذن من الضروري ان يسبق بفعل قولي لترك اثر في انجاز فعلٍ ما، وهذا من اهم وظائفه اذ ان «القول ينتج أثرًا لدى المخاطب»[٧]، وهذا الاثر الناتج وليس المنتج هوما يسمى بـ الفعل التأثيري.

---

(١) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام)، جون اوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩١٩ م ص:١١١

(٢) سورة الكوثر: الآية١.

(٣) التفسير الكبير أومفاتيح الغيب: ج٣٢: ص ١٢٢.

(٤) نظرية الافعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طال سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت (د. ط)، ١٩٩٤م: ص ٨ .

(٥) سورة الكوثر: الآية ٢.

(٦) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن: ط ١: ج٢٣، ص ١٢١.

(٧) القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر،آن جول: ترجمة مجموعة من الاساتذة والباحثين، عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ط٢، ٢٠١٠ م: ص ٦٥.

٣- الفعل التأثيري: وهو الاثر الذي يتركه المتكلم في نفس المتلقي، وينعكس على سلوكاته، والفعل التأثيري متعلق بالمرسل إليه لأن التأثير يقع على المتلقي أو المرسل إليه، وهذه العملية التفاعلية التأثيرية بين الفعل الإنجازي والتأثيري مرتبة بسلسلة تداولية على شكل أفعال كلامية متواصلة في الانجاز لبلوغ التأثير لذا نجد الفعل (انحر) وهو فعل تعدت دلالته فهناك من ظن ان النحر هو نحر الأضاحي في العيد وغيره، ويكون وقته بعد الصلاة، ويرى الباحث دلالة النحر هنا هوالرأي الآخر الذي يقول ان «المراد بالنحر على ما رواه الفريقان عن النبي صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام وروته الشيعة عن الإمام الصادق عليه السلام وغيره من الأئمة هو رفع اليدين في تكبير الصلاة إلى النحر... وقيل معنى الآية صل لربك صلاة العيد وانحر البدن، وقيل: يعني صل لربك واستو قائمًا عند رفع رأسك من الركوع وقيل غير ذلك»[١].

هذا يبرهن ويؤكد متوالية التداولية، وهي: الفعل الانجازي (فعل قيام الصلاة) يليه مباشرة الفعل التأثيري (فعل رفع اليدين) اثناء قوة انجاز الصلاة يحدث النحر وهو رفع اليدين للدعاء حتى تصل لمستوى النحر، فتوالي فعل النحر بعد القوة الانجازية للصلاة يدل ان كل أفعال الكلام الثلاثة لها قوة انجازية تختلف باختلاف نوع العمل داخل النص الواحد وحسب الخطاب الموجه من قبل المرسل. و«من الضروري ان نميز بين بنية أفعال الكلام الفرد والتركيب الخطي المستقيم لمتواليات فعل الكلام من ناحية اولى، والبنية الكلية الشاملة للفعل المشترك الانجازي من ناحية ثانية... ونحن نفهم من التداولية الكبرى دراسة التنظيم الشامل للفعل المشترك الانجازي أعنى متوالية أفعال الكلام والسياق وعلاقتهما ببنية الخطاب»[٢].

نجد ايضًا اداة الربط بين الفعل الانجازي (فصل) والفعل (انحر) هذا الرابط هو(الواو) الذي يكثر استعماله في الحجاج التداولي حتى عد أحد الروابط الحجاجية، وهذا ما أشارت إليه الدكتورة كلثوم «الواو في اللغة بوصفها اداة حجاجية لترتيب الجمل، ووصل بعضها ببعضها الآخر...والعمل على تتابعها والتاثير في المتلقي عن طريق هذا التتابع ويرى النحويون انها تعطف الشيء سابقه على لاحقه، ويجوز ان يكون بين متعاطفيها تقاربًا أو تعاطفًا»[٣]. اي بين المتعاطفين بالواو (فصل وانحر).

(١) الميزان: ج ٢٠ ص٤٢٩.

(٢) النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب التداولي، تون فان ديك، ترجمة عبد القادر قنيني: افريقيا الشرق، المغرب، د، ط ٢٠٠٠م، ص ٣٠٩.

(٣) النظريات التواصلية في النصوص القرانية، د كلثوم عامر، جامعة ذي قار، ٢٠١٨ م: ص ١٢٣.

ظهرت القوة الانجازية في سورة الكوثر بشكل واضح وكبير لتوالي أفعال الكلام الثلاثة بشكل منسجم من اللفظ والدلالة والتأثير لوجود «علاقة عرفية إلى حد ما على الاقل بالأفعال الكلامية الاخرى...وبذلك يفضي كل فعل كلامي مفرد إلى تأسيس علاقات التزام خاصة»[١].

اعتمد (أوستن Austin) القوة الانجازية بين الأفعال الكلامية على تقسم فروع اخرى من الأفعال كامتداد للتقسيم الاول وهي:

١. الأفعال الحكمية،

٢. الأفعال التمرسية (الانفاذية).

٣. أفعال التكليف (الوعدية).

٤. الأفعال العرضية (التعبيرية).

٥. أفعال السلوكيات (الاختباريات)[٢].

تجسدت بنص سورة الكوثر هذه الأفعال الخمسة بشكل تفاعل متواصل ونجد ان كل الأفعال في سورة الكوثر وهي (اعطيناك، فصل، انحر) قد قامت بأكثر من وظيفة بشكل تبادلي، فنجد فعل الحكم في السورة قد يكون نفسه يؤدي وظيفة فعل التكليف وهكذا وكما سنبين:

الفعل الحكمي (الاقراري) أوما يسمى فعل (الحكم) Verdicts يقوم هذا الفعل على الاعلان عن حكم، يتعلق بقيمة أو حدث مثل: وعد، وصف، قول...

وفعل الحكم في سورة الكوثر هو(اعطيناك) وهو اعلان حكم اعطاء الخير الوفير في الذرية للنبي واستمرار هذا الخير الوفير دون انقطاع، واصدار حكم البتر لأعداء الرسول ومنع الخير والذرية عنهم، وهو تعبير ربما يحمل دلالة مجازية لان هذا الحكم لا يقتصر على العاص بل على كل اعداء الله ورسوله واهل بيته، ولان النص ذكر الحكم على العدو بشكل غير صريح بل (شانئك) وهذا يعني ان

(١) مدخل إلى علم النص (مشكلات بناء النص): ز تسيلاف واورزنياك، ترجمة: أ. د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع: ص ٢٩.

(٢) ينظر: نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام)، جون اوستن، ترجمة عبدالقادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩١٩ م ص:١١١، والتداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحياشي، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٠٧ م: ص ٦٢

ذكر العدو «بصفته لا باسمه، ليتناول كل من كان في مثل حاله»[1] بعد ان أصدر الحكم اعطاء الكوثر للرسول ﷺ فالفعل (اعطيناك) فعل ماضي اي قبل ولادة الزهراء عليها السلام هذا ما جعل التصور يحوم حول اختصار دلالة الكوثر على الخير فقط، لكن فعل العطاء حصل وقدر من الله في الغيب قبل نزول سورة الكوثر فجاء بصيغة الماضي لذا فهو عطاء للدنيا والآخرة، والعطاء للرسول «فجميع المؤمنين أولاده، وذكره مرفوع، على المنابر، ومسرود على لسان كل عالم وذاكر إلى آخر الدهر، يبدأ بذكر الله تعالى، ويثني بذكره ﷺ وله في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف ﷺ وشرف وكرم»[2]، ويبدو الفعل (أعطيناك) كفعل تكليف بمعنى الوعد بهذا العطاء بفعل انجاز الصلاة الخالصة لله واتمامها بالنحر، وتجسدت أفعال التكليف (الوعديات Commissifs) التي يلزم بها المتكلم سلسلة أفعال منها (وعد، تمني، التزام بعقد) نجد ان المتكلم سبحانه وتعالى وعد بإعطاء الكوثر للرسول، والتزم بالحكم على شانئه بالبتر وقلة العطاء حتى ان العاص بعد هذه الحادثة قد تخلى عنه ولداه والتحقا بالرسول ﷺ، وذهب ماله فأصبح لا ولد ولا مال فقد ذكر «ان العدو وصف محمدًا عليه الصلاة والسلام بالقلة والذلة، ونفسه بالكثرة والدولة، فقلب الله الأمر عليه»[3]وهذا مثال لكل من يسلك هذا السلوك لذا عدت سورة الكوثر سورة تربوية وارشادية للجميع على اختلاف العصور.

اما الأفعال التمرسية (التنفيذية Exersitifs) ظهرت بشكل فاعل في (الكوثر) لأنها أفعال تقوم على اصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال وتتجسد ب (امر، قاد، دافع) فكل من (فصل، وانحر) فعلا أمر تكون نتيجة انجازهما والقيام بهما هو اعطاء الكوثر، وهذا السبب والنتيجة جعل عملية التمرس ان تنفذ لإنتاج تواصل الاوامر والسلوكيات كعملية تفاعلية داخل النص أكسبت النص الايجاز في المفردات مع نفوذها إلى عقول كل من اطلع أو تلقى النص بكامل الدلالة بشكل يسير وموجز، وكان للأفعال العرضية (التعبيرية) وأفعال السلوكيات (الاخباريات Comportenentauxc) نصيب في سورة الكوثر في عرض مفهوم تربوي يعكس السلوك الصحيح الصادق بما يتلاءم مع الحالة النفسية للمتلقي و«هدفها التعبير عن حالة نفسية محددة بشرط عقد النية والصدق في محتوى الخطاب عن تلك

(١) اعجاز سورة الكوثر، الزمخشري، تحقيق الخفاف، دار البلاغة، بيروت، ط ١، ١٩٩١: ص ٥٩

(٢) البحر المحيط، ابوحيان الاندلسي، تحقيق الشيخ عادل احمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٣: ج٨: ص ٥٢١ .

(٣) التفسير الكبير أومفاتيح الغيب: للامام فخر الدين محمد بن عتر بن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (٥٤٤ – ٦٠٤ هـ)، المجلد السادس عشر: ج٣١ – ٣٢، منشورات: محمد علي بيضون،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢. ٢٠٠٤.

الامور المحددة»[1] وتجسد هذا المفهوم في (فصل لربك وانحر، ان شانئك هو الابتر) ليؤكد المرسل أو المتكلم (الله سبحانه وتعالى) لنبيه هذا الدرس التربوي ليستفيد منه انصاره واعوانه في سلوكات الحياة ويعد فيه الرسول ﷺ «بأنه هو الفائز، وان متبعه هو الظافر، وان عدوه هو الخائب الابتر الذي يمحى ذكره وولا سبيل لحفظ المال الا بالعلم، والجهل والضلال مضيعة كل شيء من جاه ومال، وعلى ان الكوثر هو الخير الدنيوي والأخروي يكون المراد: ان هؤلاء المستعجلين بالسيئة يظنون انك في قلٍّ وضعف، وان أغنياءهم واقوياءهم في عز ونعمة، ولا يعلمون اننا قد اعطيناك من الخير الذي يعظم في نفوسهم مما لا يعرفون، ومن الخير المدخر لك في الغيب مما لا يدركون»[2] وهنا لابد من سؤال مهم في خضم هذا الحديث هو: لماذا حينما يتكلم الكثير من الباحثين والمفسرين لهذه السورة ويتطرقون لسبب نزولها وهو نعت العاص لرسول الله بالأبتر يشيرون إلى ان الابتر هومن لاذرية له وعندما يصلون لمعنى الكوثر يصفونه فقط بالخير الكثير في الدنيا والاخرة ولا يعرجون كثيرا إلى عطاء الله لرسوله والذي يتمثل بكثرة نسله وبقاء ذكره بوساطة الكوثر وهو الزهراء عليها السلام والتي كانت حلقة الوصل والتواصل بين النبوة والإمامة؟

اعتمد سيرل على مقياس (قوة الانجاز) اشار إلى النص المتضمن فعل مباشر يشير إلى الدلالة الظاهرة الحرفية دون تأويلها. اما الفعل غير المباشر فيحمل دلالة داخلية متخفية في النص يمكن الوصول إليها بوساطة عمليات ذهنية معرفية لان «اساس الفعل الكلامي غير المباشر هو القوة الانجازية المضمرة التي تتعدى الدلالة الظاهرة للقول لترتبط بمقصد اخر غير معلن مباشرة انطلاقا من ترميز معين، وانما يرتبط بالمعنى المصرح به عن طريق مبادئ ما لا بد من الاستعانة بها لمعرفة ذلك»[3]، وبرز الفعل المباشر في سورة الكوثر (اعطيناك) من خلال قوة الانجاز في الاعطاء التي «تهدف إلى التعبير المباشر عن موقف المتكلم من موضوع كلامه»[4] وهو عطاء الله المباشر إلى نبيه وهو المرسل إليه. وفي نهاية هذا المطلب سنوضح اصناف وانواع الأفعال الكلامية الواردة في سورة الكوثر خاصة التي اعتمدت على اساس القوة الانجازية التي كانت موجودة في كل انواع الأفعال:

(١) الاعمال الكلامية في خطب الشيخ البشير الابراهيمي باجي بن عودة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في اللسانيات، جامعة السانيا (وهران)، ٢٠١١: ص ٨٤.

(٢) الاعمال الكاملة: الإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم الدكتور محمد عماره، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٨، الجزء ٢: ص ٥٤٢ – ٥٤٤.

(٣) الفعل الكلامي عند (جون سيرل Searle): أ.د. عبد الحليم بن عيسى، بحث منشور على النت: ص٨ .

(٤) التحرير والتنوير الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م: ج٣٠: ص ٥٧٤.

الفعل القولي	الفعل الإنجازي	الفعل التأثيري	الفعل المباشر	الفعل غير المباشر
اعطيناك	فصلِ	وانحر	اعطيناك	فصل وانحر

ثانيا: الاستلزام الحواري في سورة الكوثر

الاستلزام الحواري (Conversational implucature) في ابسط صوره: هو محور يتوسط نص معين بين المعنى المباشر (الحرفي) والمعنى أو الدلالة الضمنية غير المباشرة (المضمرة)، ويعد حلقة الوصل في النص المباشر التي تشير إلى وجود دلالة متخفية في النص ذاته لا يدركها الا المتلقي للنص، وذلك ضمن ضوابط تتوافر في المرسل إليه منها (فكرية، واجتماعية، وبيئية... الخ) هذا يعني ان عملية التواصل في الاستلزام الحواري تستوجب وجود علاقة تفاعلية ذهنية ومعرفية بين المرسل والمرسل إليه لذا عدَّ الاستلزام الحواري «ظاهرة تؤسس لنوع من التواصل يمكن وسمه بالتواصل غير المعلن (الضمني) بحجة ان المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، كما ان المستمع يسمع كلاما ويفهم غير ما سمع»[1] هذا لا يعني ان كل نص يستوجب الاستلزام الحواري أو استلزام الخطاب لان بعض النصوص الادبية لا تحتمل الا الدلالة الظاهرية المباشرة، اذًا لابد من وجود ضرورة في النص حتى تحيل الدلالة الظاهرة إلى تلك الدلالة المتخفية في خطاب النص، وتحتاج هذه العملية التفاعلية إلى استلزام خطابي يتلاءم مع الموضوع، لان الاستلزام الخطابي يهتم بـ «عمل المعنى أو لزوم شيء يعنيه المتكلم ويوصي به، ولا يكون جزءا تعنيه الجملة بصورة حرفية»[2]

نجد ايضا حينما اعتمد (اوستن وسيرل) في نظرية الأفعال الكلامية على مقياس مهم وهو(القوة الانجازية) نجد ان (غرايس) اعتمد مقياس خاص في الاستلزام الحواري هو (مبدأ التعاون Cooperative Principle) وأكد على احترام هذا المبدأ، نجد هذا المبدأ في خطاب سورة الكوثر يتلاءم مع ضرورة الاستلزام الحواري داخل النص، اذ كانت الآية الثانية هي لزوم تحقيق الغاية أو الهدف من الكلام المرسل من الله سبحانه وتعالى (فصل وانحر)، حتى يتحقق العطاء لا بد

(١) الاستلزام الحواري في التداول اللساني (من الوعي بالخصوصيات النوعية الظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها): العياش ادراوي، دار الامال، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائرالعاصمة، الجزائر، ط ١، ٢٠١١ م: ص ٧ .

(٢) نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، صلاح اسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة (د.ط)، ٢٠٠٥ م: ص ٦٨.

من لزوم اقامة الصلاة ثم النحر على التوالي فهذا النص هو نص استلزام الخطاب لتحقيق (أعطيناك) فكلاهما نصّا لزوم واستلزام، وهذا الاستلزام في الكوثر اوحى إلى دلالات أخرى في ايقونة الكوثر فكان ظاهر النص لأي متلقي يعني الخير الكثير الذي لا ينقطع. لكن بسبب اعتماد (مبدأ التعاون) الذي أكد على احترامه (غرايس) يظهر بشكل فاعل في اعتماد التعاون الحاصل بين المرسل والمرسل إليه، لان الرسول ﷺ وحده يعلم ما اشار ولوح به نص اللزوم من قبل المرسل (الله) وهوما يعنيه في لفظة (الكوثر) هو الزهراء عليها السلام وهذا التعاون الحاصل بين المرسل والمرسل إليه هو تعاون في بث معلومة من غير الممكن ادراكها وتشخيصها الا من قبل رسول الله وهو تعاون ذهني معرفي الهي لذا عدَّ (مبدأ التعاون) ركيزة وأساس للاستلزام الحواري داخل النص الواحد يجب احترامها لأنها أساس مهم في فهم السبب الرئيسي والغاية من ادارة الحوار وتحقيق الهدف منه ولزوم الوصول إلى الدلالة الحقيقية في النص، وهذا ما قصده (غرايس) حينما اكد على ضرورة احترام (مبدأ التعاون) قائلاً: «لتكن مشاركتك في التخاطب عند حصولها على النحو الذي يتطلبه الغرض أو الاتجاه المرسوم للتخاطب»[1]، ورغم قصر سورة الكوثر نجدها مليئة بالأساليب البلاغية والتواصلية التفاعلية اذ توافر فيها المنهج التداولي بشكل كبير، نجد عدد كلمات سورة الكوثر عشر كلمات (عدا البسملة) تحمل اساليب وركائز أهم اركان التداولية بوساطة ايجاز الكلمات بدلالات كثيرة، وهذا احد اجزاء مبدأ التعاون وهو ايصال فكرة ما بأقصر الطرق، وقد اكدت على ذلك لاكوف اذ ترى «ان هناك علاقة بين مبدأ التعاون والتأدب، فتتفقان في مناح، وتختلفان في اخرى، فتعكس قاعدة التعفف خصيصة الاتفاق... نتيجة اعتماد المتكلم على اقصر الطرق في تبليغ المعلومات إلى المرسل إليه»[2] وهذا ما جسدته سورة الكوثر اذ كان مبدأ التعاون حاضرًا بين الله سبحانه وتعالى والرسول محمد ﷺ فلم تحتاج المرسلة إلى الاطالة لإيصال المفهوم المقصود. كما نجد ان سورة الكوثر قد عكست المبادئ الاربعة التي اعتمدها (غرايس)، واعتبرها اسس مكمله لمبدأ التعاون في الاستلزام الحواري وهذه المبادئ هي[3]:

١. مبدأ الكم: وهو التكلم قدر الحاجة، وان يحقق هذا القدر الغاية من التخاطب، وتجسد ذلك سورة الكوثر لأنها نزلت لغاية محددة وهي مكافئة النبي بالكوثر وضرب نظرية اعدائه الاجتماعية

(١) الاطار التداولي في اللسانيات المعاصرة، عبد الاله بوغابة، بشرى العروضي، المطبعة السريعة، القنيطرة – المغرب، ط ١، ٢٠٠٦ م: ص ٦٠.

(٢) الاستلزام الحواري في الدرس اللساني الحديث (طه عبد الرحمن انموذجًا)، الدكتورة ليلى كاده، جامعة بسكرة: ص ١٧٦.

(٣) نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام)، جون اوستن، ترجمة عبدالقادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩١٩ م، ص: ١١١ – ١١٢.

الذكورية، واثبات ان النسل يمتد بوساطة الرجل والمرأة، وهو درس اخلاقي تربوي يشير إلى ان الكوثر هي مولاتنا الزهراء عليها السلام فهذا الكم القليل المتالف من الكلمات العشر ادى وظيفته الأساسية التي من اجلها نزلت السورة فتحقق عنصر أو مبدأ الكم بوساطة المقياس الاساسي في الاستلزام الحواري وهو التعاون.

٢. مبدأ الكيف وينقسم إلى:

- لا تقل ما لا تعتقده صدق.
- لا تقل شيء لا تستطيع البرهنة عليه.

في ما يتعلق بصدق القول فالنص القرآني يستثنى من مدى صدق الكلام أو كذبه لأنه كلام الله المنزه الذي لا ينطق عن الهوى. اما البرهنة فهي حاضرة مباشرة في سورة الكوثر وهي العطاء ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ المستمر من نزول النص إلى ما لا نهاية فنسل الرسول مستمر في كل العالم، كذلك نجد اللعنة وهي البرهان الآخر التي حلت على العاص بن وائل وتجرده من الابناء ومن شاكله في العداء انما اختصر تلك البراهين في قوله تعالى ﴿**إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ**﴾.

٣. مبدأ الاسلوب: وهو تجنب ابهام التعبير، لا يختلف اثنان على الاسلوب البلاغي الذي انماز بالقصر والايجاز المتضمن المعاني الظاهرة والباطنة بشكل بعيد كل البعد عن الوقوع باللبس فكان لبلاغة سورة الكوثر الاثر الواضح في اظهار الدلالة لان البلاغة تضع المتلقي على جادة استيعاب النص لما لها من الاثر حتى قيل ان «ابلغ الكلام ما حسن ايجازه وقل مجازه، وكثر إعجازه وتناسب صدوره وأعجازه»[1].

٤. مبدأ المناسبة: ويقصد به ان يكون الكلام مناسبا لسياق الحال ويرى الباحث ان اهم مبدأ تجسد في سورة الكوثر وكان له الاثر الواضح الدال على عطاء الله للرسول هو مبدأ المناسبة، ومبدأ الكم، فنجد مناسبة سورة الكوثر ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمضمون النص الظاهر والباطن، وهذا النوع من العلاقات داخل النص القرآني ينقسم إلى نوعين هما: «النوع الاول: علاقات داخلية ماثلة في المنطوق، وقد تكون مفهومة مستنتجة كالعموم والخصوص، والحسية والخيالية، أو مادية ملموسة كالعلاقات اللغوية والاسلوبية، وبهذا يتمكن المتلقي من ادراك العلاقة بين الآية الحالية وما يليها أو سبقها، كما

(١) العمدة في صناعة الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني (٤٦٣هـ)، تحقيق:د. عبد الواحد شعلان النبوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ٢٠٠٠ م: ج١: ص ٣٩٢.

يمكنه معرفة علاقة اول السورة بآخرها، بناءً على منهج محدد، النوع الثاني: علاقات خارجية ماثلة في التلازم بين النص اللغوي والمناسبة التاريخية التي تشكل مرجع النص، فادراك المناسبة يقتضي معرفة السياق الخارجي وربط الآيات به، وهذا يعني ان على المتلقي ان يقوم بحركة مزدوجة يتوازن فيها داخل النص وخارجه كي يتمكن من ادراك المناسبة التي هي رهن بهذين النوعين»[1] وهذه العلاقات تفاعلت داخل النص وبين آيات السورة المباركة، وخارجه مع ما سبقها وما تلاها من السور، مما زاد ترابط المفهوم داخل النص وخارجه.

(١) علم المناسبة واهميته في تفسير القران الكريم وكشف إعجازه، د. نور الدين عتر، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط ١، ٢٠١١ م: ص ٤٨

الاستنتاجات

من خلال دراسة النص القرآني دراسة تواصلية وتطبيق المنهج التداولي اتضح انه ليس من الضروري ان تطبق النظريات اللسانية على النص القرآني بشكل كامل ومتطابق فما ينطبق على النص الشعري والنثري ليس بالضرورة ان يكون متطابقا على النص القرآني وذلك لخصوصيته كونه رسالة الله تعالى وكلامه الذي هو فوق كل كلام.

كما تبين الاثر الكبير الذي تركته سورة الكوثر في نفس المتلقي مع اختلاف مستوى المتلقي سوآءا كان مثاليًّا أو مختصًّا أو بسيطًا لذا فيمكن ان تعد هذه السورة مناغمة ومتناغمة مع النفس البشرية بشكل كبير لما تحتويه من معالجة حالة اجتماعية مهمة سادت في المجتمع الذي تتداخل فيه المفاهيم الجاهلية التي كانت رائجة قبل الإسلام والمفاهيم الإسلامية الحديثة لذلك فهي سورة اجتماعية نفسية بامتياز، ومصداق ذلك انها عالجت وأسست أسسًا وقواعدًا تربويَّةً منها:

١. جاء الخطاب التواصلي في السورة متسق مع مفاهيم المجتمع لإثبات حقيقة تغاضى عنها المجتمع الإسلامي آنذاك ليثبت مفاهيم المجتمع القبلي الجاهلي فجاء البرهان والدليل ليتواصل مع حقيقة قد وردت في نصوص قرآنية سبقت سورة الكوثر، وبالتالي تعد هي حلقة مكملة للمنهج القرآني في اظهار الحقيقة بين الحق والباطل، والخير والشر بطريقة علمية تفاعلية متواصلة بأسلوب متداول ومعروف لدى الناس.

٢. اعطاء المرأة حقًّا في حفظ النسل من خلال (الكوثر) وهو أحد أسماء (فاطمة بنت محمد)عليها السلام، وهذا النسل الذي هو امتداد للرسولصلى الله عليه وآله لمختلف العصور.

٣. ان عطاء الله عظيمٌ فهو دنيوي ويمتد إلى العالم الآخر، وهو عطاءٌ مستمرٌّ وكثير اساسه طاعة الله ورسوله والخلق العظيم.

٤. لا يصح للبشر ان يطغى، وان يجرح ويتهم غيره (ولا تنابزوا بالألقاب، لان من يمتلك النعم والعطاء، ومن يضمن بقائها أو فنائها هو الله وحده لا شريك له.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- اسس السيميائية، دانيال تشالندر، ترجمة طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية.
- اسس السيميائية، دانيال تناندلر، ترجمة د طلال وهبه، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:١.
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، جاك موشلار، آن روبول، ترجمة سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، م٢٠٠٣.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحياشي، دار الحوار اللاذقية، سوريا، ط١، ٢٠٠٧ م
- تفسير الفخر الرازي: ج٣٢.
- تفسير الفخر الرازي، دار الفكر، ط:١، ١٩٨١، ج: ٣٢.
- الشكل والدلالة (دراسة في القصيدة العربية)، د عادل محلو، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط:١، منشورات الضفاف، بيروت.
- علم المناسبات واهميته في تفسير القران لكريم وكشف اعجازه، نور الدين عز، دار الغوثاني للدراسات القرانية، دمشق، سوريا، ط:١، ٢٠١١م.
- علم اللغة الاجتماعي، هدسون، ترجمة محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، ط:٢، ١٩٩٠م.
- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر،آن جول ترجمة مجموعة من الاساتذة والباحثين، عز الدين المجدوب، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، ط٢، ٢٠١٠م.
- قضايا في علم اللغة التطبيقي: ميشيل ماكارثي، ترجمة عبد الجواد توفيق محمود، ط:١، ٢٠٠٥ م، المشروع القومي للترجمة، اشراف جابر عصفور.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ط ١: ج٢٣.

- مباحث في التفسير الموضوعي، الدكتور مصطفى مسلم، دار القلم، ط:٧، دمشق، ٢٠٠٩.
- محاضرات في اللسانيات التداولية، خديجة بوخشة، مستوى السنة الثالثة، ل م د.
- المعرفة والسلطة (مدخل لقراءة فوكو): حبل دلوز، ترجمة سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، ط:١، ١٩٨٧.
- مقدمة تفسير ابن النقيب في علم البيان والمعاني والبديع واعجاز القران، ابن النقيب (٦٩٨)، تح: الدكتور زكريا سعيد علي، د. ط القاهرة، د. ت، مكتبة الخانجي: ص ٥٢١، وينظر: روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني: الالوسي (١٢٧٠ ه)، تحقيق: ماهر حبوش، مؤسسة الرسالة، ط:١، لبنان: بيروت، ٢٠١٠: ٢٩.
- الميزان في تفسير القران: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ج:٢٠، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت لبنان.
- نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام)، جون اوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩٩١م.
- نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام)، جون اوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩١٩م.
- نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الاشياء بالكلام)، جون اوستن، ترجمة عبد القادر قينيني، افريقيا الشرق، المغرب، (د.ط)، ١٩١٩م.
- نظرية الافعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، طال سيد هاشم الطباطبائي، مطبوعات جامعة الكويت (د. ط)، ١٩٩٤م.
- نظرية الافعال الكلامية في البلاغة العربية، د. ملاوي صلاح الدين، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خينبر، سكرة، الجزائر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٤، ٢٠٠٩م.

مستلزمات التخاطب اللساني في التراث الفاطمي

قراءة تداولية في متضمنات القول

الباحثة : أ.د أزهار علي ياسين

ملخص البحث

لقد شكلت الدراسات والبحوث التي صبت اهتماماتها بتراث أهل البيت عليهم السلام مدخلا فكريا ورافدا ثقافيا جديرا بالاعتناء والتوقير لرفد مستوعبات المكتبة الإسلامية الأكاديمية بشكل عام والمكتبة الحوزوية بشكل خاص بالدراسات القّيمة والآثار العلمية المتميزة، ومع هذه المخرجات الثرة عبر هذه الدراسات فإنَّها لاتزال بعيدة نوعا ما عن الدراسات البلاغية، خاصة البلاغة الجديدة التي عُدت فرعا من علوم اللسانيات الحديثة، والتي تؤطر الكلام بأُطر الصنعة القائمة على فهم وتوصيف وتفسير الظاهرة الكلامية عبر ما تطرحه النصوص من شفرات نسقية تعضد من حجاجية الكلام ومعاييره الانتاجية التداولية، لتضحى البلاغة منهجا لإدراك قصدية المتكلم وقصدية الأثر معا.

يهدف هذا البحث الذي وسم بـ (مستلزمات التخاطب اللساني في التراث الفاطمي، قراءة تداولية في متضمنات القول) دراسة مستلزمات التخاطب اللساني التي طُرحت في التراث الفاطمي والتي كمُنت في متضمنات القول في هذا التراث، غاية ذلك تسليط الضوء على دور متضمنات القول بشقيها (التضمين والافتراض المسبق) في استظهار المعاني المخبوءة والمسكوت عنها في تلابيب عملية التخاطب، بغية كشف دلالات تفصح عن قصدية المتكلم فضلا عن تحقيق التواصل والتفاعل بين المتكلم والمتلقي.

وتبرز أهمية هذا الموضوع بتشكيل متضمنات القول في التراث الفاطمي علامة مائزة وإمارة فارقة كشفت عن دلالات غير مصرح بها ومسكوت عنها تصب وتؤثر في انتاجية عملية التخاطب، واستظهر البحث ذلك عبر اعتماده على المنهجية الوصفية- التحليلية، محققا نتائج عدة، أهمها:

-الكشف عن دور المتضمن القولي (التضمين والافتراض المسبق) في طرح المعاني والدلالات التي تعزز قصدية المتكلم.

-شكل المتضمن القولي في التراث الفاطمي موجهات حجاجية تدعم عملية الاقناع والتأثير في المتلقي.

– التأكيد على أنَّه من المفترض ألا يؤخذ كلام المعصوم فقط على مقتضى ظاهرة، بل أحيانا نستجلي دلالات غير مفصح عنها كامنة وراء هذا الظاهر، تصب كلها في اثراء العملية التخاطبية، مما يعكس ذلك فصاحة وبلاغة وبيان هذا التراث الذي يعلو على كل كلام من غير المعصومين.

أما الدراسات السابقة فبعد البحث والتقصي لم أجد دراسة علمية وافية متقاربة مع الموضوع سوى بضعة دراسات، أهمها: متضمنات القول في سورة لقمان، دراسة تداولية، بحث للباحث حسين جعفر عبيد، واليات التخاطب اللساني متضمنات القول في ثلاثية نجيب محفوظ بحث للباحثة سرور عبد الكريم عبد اليمة، والاستلزام الحواري ومتضمنات القول في قصص الحديث النبوي بحث للدكتورة أمل خبراني.

الكلمات المفتاحية: الخطاب اللساني، التداولية، متضمنات القول، التراث الفاطمي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين على وافر نعمه، أولها نعمة الإسلام، وثانيها نعمة التشيع، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين... وبعد

إنَّ تأسيس أية دراسة بحثية على وفق القراءة التداولية بوصفها من المناهج اللسانية الحديثة سوف يصب في تعضيد العملية التواصلية والابلاغية، فالتداولية منهج يتبنى تحليل الخطاب وبيان العلاقة بين اللغة ومستعمليها، ويستجلي في ضوء الاستعمال خفايا الكلام ويحدد دلالته، لا سيما ما يولده الاستعمال في مقامه السياقي فما يكنه المتكلم من مضامين وأقوال خفية وافتراضات مسبقة يشكل عامل جذب للمتلقي في فهمه واحتواء ما يدل عليه من معاني اضافية وحمولات دلالية كامنة خلف المعنى الظاهر.

ينطلق هذا البحث من حمولات استكشافية بتسليط الضوء على الأبعاد الاستراتيجية- الدلالية والاستعمالية لاستظهار المعاني المضمرة أو المخبوءات النصية المسكوت عنها في التراث الفاطمي الشريف، للوقوف على متضمنات القول ومضمراته ومكنونات العملية التواصلية والإبلاغية.

تكمن أهمية دراسة البعد اللساني التخاطبي عبر تحليل مضامين الأفكار الكامنة في الرسالة لإيصال قصد المتكلم بالاعتماد على تحليل متضمنات القول بوصفها وظيفة من وظائف التداولية لغايات منها:

فهم المنجز الرسالي وقصدية المتكلم وتحليل مضامين الأقوال فيه في ضوء عمليات ذهنية غير مصرح بها، بيد أنَّها تخضع للسياق التعبيري.

تُعدّ دراسة البعد اللساني التخاطبي تمثيلا دقيقا للاستدلالات والاستنتاجات التي تكمن في خبايا الكلام ومضامين الأقوال التي قد تخالف ظاهر الكلام، عبر تشخيص الدلالة الانجازية غير المباشرة.

فضلا عن ذلك بيان تأثير البعد الاجتماعي ــ التداولي في كشف العلاقة بين طرفي التخاطب، فعند تحليل متضمنات الأقوال بوصفها فعلا لسانيا - تداوليا نفهم فعل المتكلم وتأثيره في سلوكيات

المتلقي.

نسق البحث اختياره لموضوعة تخص التراث الفاطمي الجليل لأسباب أهمها:

*بوصف هذا التراث مصدرا من مصدر التشريع الأولى، فضلا عن احتوائه لكثير من الدروس والعبر في مستويات الثقافة والاخلاق والتربية.

*بوصفه معلما من معالم الفصاحة ورافدا من روافد البلاغة وجوهر البيان، فكلام الزهراء عليها السلام مثّل خطا عظيما ونهجا قويما في انساقه المنتظمة وفقره المتآلفة وتشاكل الفاظه لمعانيه، من هنا ارتبطت فلسفة اختيار الموضوع ببعدين: -

أ:بعد معرفي يتعانق في تتبع الأثر الابلاغي في كلام الزهراء عليها السلام ضمن البعد اللساني الابلاغي مع تشخيص البؤر الفنية الجمالية.

ب: بعد معرفي يكمن في بلاغة الصور والخطاب في كلامها الشريف عبر انتظام الكلام باعتماد الأثر التداولي في بيان مدلولات الجمل والتراكيب.

سايرت الباحثة في منهجية البحث أدوات الاستقراء والتوصيف والتحليل في ضوء انحيازه إلى اجرائيين .

الأول: الاجراء النظري، الذي تعلقت رحاله بالإفصاح عن المقاربات الابلاغية المؤسسة على اعتبارات الفصاحة والبيان عبر تقديم مقاربات تعريفية لعناصر البحث.

الثاني: الاجراء التطبيقي، الذي تأسس على ملاحظة علاقات التتابع التي وجدت بانتظام في كلام الزهراء عليها السلام، حيث علاقات الحضور تربط الالفاظ بالمعاني والدلالات الظاهرة، وعلاقات التبادل حيث علاقات الغياب كامنة بين مدلولات الخطاب وما يدل عليه ضمنا وايحاء عبر مقومات الاستدلال والتخمين، بمعنى أنَّ مقتضى ظاهر الكلام يمثل علاقات الحضور، أما مضمونه الخفي فيعكس علاقات الغياب فيه.

وتجدر الاشارة إلى أنَّ البحث اجتزئ نماذج من تراث الزهراء عليها السلام مع وفرة هذا التراث وتشعبه ما بين الخطب والوصايا والمرويات الفقهية والشعر، بما يتناسب ومقومات الايجاز والاختصار.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين

المبحث الأول: مقاربات تعريفية: التخاطب – الخطاب – متضمنات القول

يمثل التخاطب وسيلة لغوية وآلية لسانية، يتم في ضوئها التواصل بين المتكلم والمتلقي، ولغرض تحقيق مقومات هذا التواصل ومرتكزات التفاهم والمقاصد، لابد من توفر بوصلة السياق بنوعيه السياق المقالي، والسياق المقالي، «وهذه الامكانات تفضي بنا إلى نتيجة مهمة، وهي مركزية السياق في منح الخطاب دلالته للتعبير عن القصد»[١]، ومع أنَّ السياق هو البيدق الأول الذي يقود المعاني وتشكلاتها حيث قصدية المتكلم، غير أنَّ الأمر لا يكاد يقتصر عليه، إذ «لا يمكن فهم الكلام دون استخدام القدرات العقلية للمخاطَب، وقد يُعزى هذا إلى الاعتقاد بأنَّ اللغة مؤسسة على أمور مشتركة بين المتخاطبين مثل المعارف اللغوية والادراكية والأعراف اللغوية».[٢]

تُعد آليات التخاطب اللساني بوصفها مستلزمات خطابية من أهم الأسس في النظرية التداولية اللسانية الحديثة، وهي تستند إلى قواعد التخاطب الاستعمالي في أحقية كل من المتكلم والمتلقي بممارسة الحدث اللساني – التخاطبي القائم على أسس مبدأ التعاون على وفق مرتكزات الرضا والتسامح[٣]، وهذا ما أسس له غرايس بمبدأ التعاون لطرفي التخاطب المتكلم والمتلقي، فقال: «لتكون مسامحتك في المحادثة موافقة لما يتطلبه منك في المرحلة التي تجري فيها ما تم ارضاؤه من هدف أو جهة للمحاورة التي اشتركت فيها»[٤]، ولهذا الحدث اللساني– التخاطبي قوانين تتحكم به وقواعد تنظم توجهه إلى ما يتطلبه من إجراء دلالي ضامن للتواصل والتفاهم بين المتعاقدين في صيغة تخاطبية مشتركة[٥]، إذ «لا تكتمل عملية التخاطب الا بحضور عناصرها الأربعة، وهي المخاطَب والمخاطِب والخطاب والمساق، وتتفاعل هذه العناصر لإضفاء عنصر الاستخدام المجدي على جمل اللغة»[٦].

(١) استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: ص٣٦٧.

(٢) علم التخاطب الإسلامي: ص٢٨.

(٣) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام التخطابي أنموذجا، ليلي كادة (اطروحة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر، الجزائر: ص١١٥.

(٤) اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين – المنطق والمحادثة: ص٦١٨.

(٥) يُنظر: المنطق والمحادثة، بول غرايس، ترجمة محمد الشيباني، وسيف الدين دغفوس، (بحث) منشور ضمن كتاب اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: ج٢ ص٦١٢.

(٦) المعنى وظلال المعنى، انظمة الدلالة في العربية: ص١٤٤.

في مقاربة تعريفية نجد أنَّ التخاطب في الأصل اللغوي صيغة مشتقة من لفظ الخطاب، الذي هو «الكلام بين اثنين، يُقال: خاطبه يُخاطبه خِطابا»[١]، وهو أيضا «المراجعة في الكلام».[٢]

ويتجلى مفهوم الخطاب في «توجيه الكلام نحو الغير للإفهام....[فـ]الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به افهام من هو متهيئ فهمه»[٣]، وتجدر الإشارة إلى أنَّ بدايات مفهوم الخطاب كان يُستعمل في وصف بنية الجملة، من هنا تجانس هذا المفهوم مع مفهوم التخاطب، إذ تقتضي منظومتا الخطاب والتخاطب مشاركين فعالين في أقل تقدير، ولابد لكل مشارك في موضوعة الخطاب والتخاطب أن يتفرد بموضوعه الخاص به[٤]، وانطلاقا من ذلك يقوم التخاطب على «دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات التخاطبية»[٥]، وبهذا تكون ماهية التخاطب عملية مشتركة بين متكلم ومتلقي أو بين اشارة ذهنية وصورة لغوية، وفي أبسط تعريف له، أنَّ «علم التخاطب يعني حرفيا علم الاستعمال»[٦]، وتصييره علما قائما بذاته، يعني أنه يحظى باستراتيجيات خاصة به وقواعد استنتاج ضابطة له[٧].

لاشك أنَّ التخاطب الناجع هو من يسهم في ادراك المخاطَب ما يريد المخاطِب، من هنا نتصور أنَّ آلية جوهر التخاطب وفلسفته تقوم على سمة القصدية أو المرادية[٨]، مما يفضي هذا إلى التصريح بأنَّ الغاية الأساس والأولى من التخاطب هي «معرفة كيفية حصول التفاهم بين المتخاطبين، وتشمل مسائله كل العناصر التي تسهم في احداث التخاطب من وضع، واستعمال، وقرائن، وأنواع الدلالات المختلفة، والنظريات الدلالية ذات الصلة بالاستعمال والسياق»[٩].

في غالب النصوص الإبداعية نجد المتحدثين، خاصة المبدعين يتفوهون بكلام يطوي تحته معاني مبهمة لم تلفظ، بل هي مدسوسة خفية أثناء كلامهم، وهذا ما يسمى متضمنات القول، فقد يكمن قول المخاطِب بجمل من الكلام ولكن تندرج تحتها تعابير كثيرة يكشفها المتلقي أثناء قراءته أو سماعه للحديث.

(١) مقاييس اللغة:٣٠٤ (م: خطب).
(٢) المفردات في غريب القرآن: ١٥٧ (م:خطب).
(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون: ١/ ٧٤٩
(٤) يُنظر: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي:٢٧٥-٢٧٨.
(٥) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي: ١٣
(٦) علم التخاطب الإسلامي:٣٣.
(٧) يُنظر: علم التخاطب الإسلامي: ٢٨.
(٨) يُنظر: علم التخاطب الإسلامي: ٩.
(٩) المصدر نفسه:٨.

إنَّ الوصول للفهم السليم والقويم للكلام لا يُبنى على فهم معاني الجمل، ولا يُقاس على العناصر اللفظية فحسب، بل يتخطى الأمر إلى الادراك الشامل لمراد المتكلم، وأحيانا تكون المرادية مسكوتا عنها، انطلاقا من أنَّ النصوص الأدبية غالبا ما تكون تواقة إلى تبطين الكلام بكلام آخر، واضمار المعاني والدلالات، حتى يضحى النصّ كتلة متجانسة من التراكمات الايحائية القابلة للتأويل بمعونة التصورات الذهنية التي يطرحها المتلقي قبال هذه الايحاءات والتأويلات، مما يحيل ذلك النصوص إلى طبقات تحتية من المقولات والأحداث المضمرة، المعبرة عن القصدية الحقيقية لمراد المتكلم.

وعلى الرغم من أنَّ آليات التخاطب تشتغل في حمولات كثيرة، إذ «يحدث في شكل أفعال الكلام... التي تشمل الإخبار والاستفهام والأمر والنهي، وهذا يفترض وجود مخاطَب وزمنية المقام التخاطبي»[1]، إلَّا أنَّه يشتغل على وفق عناصر تُساق في علاقة بنيوية – السنية ؛ لكي يسترشد المتلقي إلى المعاني والمقاصد.

نستوقف أولا لنستطلع المقصود بالمتضمنات.

المتضمنات بنية لغوية مشتقة من لفظة التضمين، والمتبادر من التضمين أنَّه ضد التصريح، وهو أيضا الشيء الخفي، والأصل فيه بنية اشتقاقية فعلية من الفعل (ضمن)، ولهذا الفعل حمولتين:

أ/ حمولة السنية – دلالية، أودعتها في جعبتها المعاجم العربية، فهو في معناه اللغوي يُراد به «كل شيء أحرز فيه شيء فقد ضمنه وتضمنته الأرض والقبر والرحم»[2]، وقد يكون المراد به «جعل الشيء في شيء يحويه، من ذلك قولهم: ضمنت (الشيء)، إذا جعلته في وعائه...إذا ضمنه فقد استوعب ذمته»[3]، وقريب من هذا المعنى، يُقال: «وضمن الشيء الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر»[4]، ويُقال: «الضِمْن: باطن الشيء وداخله، ويُفهم من ضمن كلامه كذا: دلالته ومراميه»[5].

ب/ حمولة اصطلاحية–استعمالية، نستشفها مما يترشح من سياق التخاطب، فالتضمين اصطلاحا هو «المعنى الاضافي الذي توحي به كلمة ما زيادة على معناها الأصلي»[6].

(١) علم التخاطب الإسلامي: ص٥٩.
(٢) العين: ج٢ ص٢٤ (م: ضمن).
(٣) مقايس اللغة: ٥٧٩ (م: ضمن).
(٤) لسان العرب: ج١٣ص٢٥٧ (م: ضمن).
(٥) المعجم الوسيط: ج١٧ ص٥١ (م: ضمن).
(٦) معجم المصطلحات الألسنية، د. مبارك المبارك: ص ٥٨.

ولا نستبعد حضور هذا المصطلح في التراث اللغوي العربي، فها هو العالم اللغوي ابن جني يصرح بتعريف التضمين من جنبة نحوية متعلقة بالأفعال بقوله: «اعلم أنَّ الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر، فإنَّ العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأنَّ هذا الفعل في معنى ذلك الآخر»[1]،

يتبين من هذا التصريح لابن جني في تعريف التضمين ثلاث ميزات، الميزة الأولى: أنَّه حصر التضمين بالفعل فقط، والميزة الثانية: أنَّه نوه إلى حصر اشتغاله فقط بأسلوب التعدي (تعدي الفعل إلى ما بعده)، أما الميزة الثالثة: فقد عدّه من باب الاتساع في الاستعمال اللغوي والدلالي للأفعال، وقد توسع الزركشي باستعمال التضمين ليشمل البناء اللغوي كله (الاسمي والفعلي والحرفي) عندما صرح أنَّه عبارة عن «إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء وفي الأفعال وفي الحروف»[2].

وللشعر نصيب في استعمال التضمين، ولكن بدلالة تتباين مع مدلوله في النثر، هذا ما أشار إليه الشريف الجرجاني بقوله: «التضمين في الشعر هو أن يتعلق معنى البيت بالذي قبله لا يصح إلَّا به»[3].

إذن التضمين هو تقنية أسلوبية ودلالية يلجأ إليها صاحب النص، فيحور كلامه إلى دلالة أخرى لدرجة مناسبتها مع دلالة بعيدة عنها، عاقدا موافقتها مع قصده ومراده، وللتضمين بعد تداولي ينهض به الاستعمال، إذ «يكون التضمين تداوليا إذا كانت هناك حاجة في وضع معين إلى تدقيق اضافي... يتجاوز ما تعنيه الجملة».[4]

ويتعزز مفهوم متضمنات القول بمقاربته ومداخلته مع مفهوم التضمين، بوصفه مفهوما السنيا – إجرائيا عند تعذر حمل الألفاظ على ظواهرها، واللجوء إلى استنطاق النصوص للكشف عن هذه المتضمنات القولية فيه بتطبيق الآليات السياقية والمعطيات الاستعمالية، فمتضمنات القول «مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيرها».[5]

أما متضمنات القول فهي مفهوم إجرائي تداولي، يُراد به «المعنى الاضافي الذي توحي به كلمة ما

(١) الخصائص: ج٢ ص٣١٠.
(٢) البرهان في علوم القرآن: ج٣ ص٣٣٨.
(٣) التعريفات: ص ٤٨.
(٤) في سبيل المنطق: ص٢١٦.
(٥) التداولية عند العلماء العرب: ص٣٠.

زيادة على معناها الأصلي، وغالبا ما يختلف المعنى الاضافي من شخص إلى آخر»[1].

وحدد د. طه عبد الرحمن المجالات التي تظهر فعالية مضمرات القول بالمواضع الآتية:

ـــ أثناء اجراء عملية التخاطب المباشر بحضور كل من المتكلم والمتلقي.

ـــ أثناء وجود علاقة تعارف بين المتكلم والمتلقي.

ـ أثناء وجود طرق تخاطبية يشترك بها المتكلم والمتلقي[2].

إنَّ هذه الآليات التخاطبية تبرز وتتعزز في نمطين تخاطبين في غاية الأهمية في الافصاح عن الصامت والمسكوت عنه أو ما يُسمى (متضمنات القول)، وهما:

أولا: الأقوال المضمرة.

ثانيا: الافتراضات المسبقة.

(١) معجم المصطلحات الالسنية: ٨٥.

(٢) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ١١٢ وما بعدها.

المبحث الثاني: متضمنات القول في الأقوال المضمرة

الأقوال المضمرة أو مضمرات القول هي الأقوال التي لم يصرح بذكرها المتكلم أو ما سكتت عنها النصوص، فهي عبارة عن علامات دلالية وإمارات كشفية للمخبوءات النصية الكامنة خلف الأقوال أو البنى النصية الظاهرة، والكشف عنها يقودنا إلى الافصاح عن مكنونات قصدية المتكلم حال انجاز الخطاب وانتاجه، والغاية من اضمار البينات القولية والدلالية التأثير في قصدية الانجاز وجذب المتلقي إلى التفاعل مع آلية التخاطب اللساني، مما يعزز ذلك عمليات التواصل والتفاعل بين طرفي التخاطب (المتكلم والمتلقي) والتراسل بين النصوص.

وتُعدّ الأقوال المضمرة «من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه...القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أنْ يحتويها، ولكن تحقيقيها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث».[1]

ويمكن تقسيم مستويات الأقوال المضمرات إلى مستويين، هما:

مضمرات تتسق مع مقولة التضمين: إنَّ الأثر الديني – القرآني يكاد يهيمن على خطب ونصوص السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، لما في ذلك من مؤثرات تفعل فعلها في نفس المتلقي، وهذا الحضور القرآني مزية الخطباء والأدباء والفصحاء، فهم «ينهلون منه ويقتبسون ويسعون إلى محاكاة أسلوبه، وكان أثره في النثر سواء من حيث الأسلوب والصياغة أم من حيث الأفكار والمعاني، أو من حيث الصور والأخيلة، هذا فضلا عن اقتباس آيات منه وتوشيح الخطب بها»[2].

وهكذا نجد أنَّ الركيزة الأساس التي يمكن ملاحظتها في كلام الزهراء عليها السلام أنَّها ضمنت فيه كلام القرآن الكريم، كما في خطبتها المعروفة بخطبة فدك، ومدعاة ذلك أنَّ تضمين نصوص قرآنية في أي كلام يرفعه إلى مصاف القوة والحق، كما يعزز حجيته على غيره من الأقوال والأفعال، كذلك يفصح هذا التضمين بناء على توظيفه في كلام الزهراء عليها السلام عمقها وسعة مداركها في فهم القرآن

(١) التداولية عند العلماء العرب: ص٣٢.

(٢) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ص٤١.

الكريم وأحكامه وتشريعاته وسننه، وسوف نجتزئ من هذه الخطبة شيئا خاصا باستهلالها شاهدا على متضمنات الأقوال فيها.

ابتدأت السيدة الزهراء خطبتها العصماء بقولها: «**الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما الهم**»[1]، وهذا الاستهلال يحمل بين طياته أسلوب التضمين، فمقولات الاستهلال تخبئ في طياتها أقوالا أخرى وأفعالا ثرة، وتبني علاقات استدلالية اتساقية داخل النص، فأولا تبطن هذه المقولات دلالة عقائدية، مفادها أنَّ شكر النعم من الواجبات التي تستوجب على الإنسان العاقل المكلف عقلا ودينا[2]، وثانيا في مستهل خطبتها تضمينا لقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾[3]، ثم تنوه إلى معارف دينية أخرى، وهي أنَّ هناك نعما ظاهرة ونعما باطنة، وهذه النعم مما الهمها وخصها لأهل البيت عليهم السلام، منها العلم والمعرفة، وهذه النعم مشفوعة بالفهم وتمييز الخير والشر فيها خاصة عندهم[4].

ثم تسترسل عليها السلام في مستهل خطبتها بالثناء على الله تعالى، فتقول: «**والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها**»[5]، إشارة إلى أنَّ هناك نعما قدمها تعالى للخلق في الحياة الدنيا، وليس المعنى هذا وحسب، بل هناك مسكوت عنه في الكلام، صمتت الزهراء عليها السلام عنه، لأنه مفهوم معلوم للمتلقي، وهو أنَّ هناك نعما أُخرى أخرها تعالى للآخرة، تتجسد بنعيم الجنة الدائم، فضلا عن ذلك استبطنت أقوالها ما خُفي من الدلالات الثرة، فهي أشارت إلى أنَّ الله تعالى ابتداءً يعطي نعمه لجميع مخلوقاته، بدون طلب، وأحيانا بطلب، وأنَّ هذه النعم تحمل مديات واسعة لا تحدها الحدود، فهي لمستحقيها ولغير مستحقيها، من الناس المؤمنين وغير المؤمنين من الكافرين والملحدين والوحوش والحشرات، وهذا من فيض رحمته ولطفه[6]، فضلا عن ذلك هناك أقوال مضمرة في مجمل كلامها الذي استهلت به خطبتها الفدكية، وهي أنَّ هذا الاستهلال أضمر أسلوب الإغراء والحث على شكر النعم والاستزادة من هذا الشكر، لأنَّ الزيادة فيه سبب لجزل عطاء الله تعالى والافاضة فيه.

وتقول عليها السلام في متون خطبتها «**والصبر معونة على استيجاب الأجر...وبرّ الوالدين وقاية من**

(١) الاحتجاج: ج١ ص٢٦٧.
(٢) يُنظر: شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها: ص٨٠.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.
(٤) يُنظر: شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها: ص٨٠.
(٥) الاحتجاج: ج١ ص٢٦٧.
(٦) يُنظر: شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها: ص٨١.

السخط...والقصاص حقنا للدماء... والوفاء بالنذر تعريضا للمغفرة...والنهي عن شرب الخمر تنزيها عن الرجس، واجتناب القذف حجابا عن اللعنة... وحرم الشرك إخلاصا له بالربوبية»[1]، كل هذه المقولات متضمنة جمع من النصوص القرآنية، تحاكيها فتمزج كلامها بكلام القرآن الكريم لتستنطق عبره المعاني والدلالات، وهذا التنسيق بين كلام الله تعالى وكلامها اتخذ مسارا بينيا «لتُحقق وحدة موضوعية ضمن سياق فني بين فقرات الخطبة»[2]، والنصوص القرآنية المضمنة في هذه النصوص- على التوالي - هي:

- ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].
- ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[4].
- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[5].
- ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[6].
- ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾[7].
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[8].
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[9].

ب- مضمرات تتسق مع مقولة الاضمار: ثمة مسكوت عنه آخر يختص بورود مقولات تحيل ضمنا إلى مقولات أُخرى كانت قد سكت النص عن إيرادها، فأُنيطت بالمتلقي مهمة الكشف عنها بالتواصل مع سياق التخطاب نفسه، المتناغم مع المقولات الظاهرة، وقد سبق أنْ صرح فان دايك

(١) الاحتجاج: ج١ ص١٢٣.
(٢) خطب سيدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري: ص٦٢.
(٣) سورة الزمر: الآية ١٠.
(٤) سورة النساء: الآية ٣٦.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٩.
(٦) سورة الفتح: الآية ١٠.
(٧) سورة المائدة: الآية ٩٠.
(٨) سورة النور: الآية ٢٣.
(٩) سورة النساء: الآية ٤٨.

بقوله: «أنَّ لغة التخاطب الطبيعي ليست صريحة؛ ذلك أنه توجد قضايا لا يقع التعبير عنها تعبيرا مباشرا، ولكن يمكن استنتاجها من قضايا أُخرى قد عُبر عنها تعبيرا سليما»[1]، فإذا كان النص مترتبا على وحدات جملية ومتتاليات متعاقبة المعنى، فإنَّه يشكل وحدة متماسكة بعناصر رابطة بين عناصر النص ظاهرة ومستترة، لذلك يكون الاضمار سمة بيانية – إبلاغية، يوظفها المتكلم لأغراض اتساق المعنى لفظيا ودلاليا.

من ذلك قول الزهراء عليها السلام مخاطبة جمهور المدينة آنذاك، وهو ضمنا يشمل العرب عموما: «**وكنتم تشربون الطرق وتقتاتون القد والورق فأنقذكم الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله بعد التيّا والتي**»[2]، وارادت بـ (الطرق) ماء المستنقعات العكر القذر، فلم تذكر لفظة الماء لدلالة لفظة (تشربون)، كذلك الحال مع الأكل، فأرادت بـ (تقتاتون) ما تأكلونه، وبـ (القد) اللحم المجفف والجلد اليابس، فأضمرت بلفظة القد الاكل اليابس واللحم المجفف[3]، وكل هذا تعبير عن سوء حالهم وصعوبة معيشتهم قبل سطوع شمس الإسلام عليهم، المتجسدة بشخص الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ونجد المضمرات تتوالى في قولها (اللتيّا والتي) وهما كلمتان تحملان في طياتهما مقولات لا تكاد تُحصر، منها: «بعد أن تحمل الرسول صلى الله عليه وآله في سبيل الدعوة إلى الإسلام، ورفع راية الله تعالى في الأرض ما تحمل، وجرى عليه ما جرى من الأذية والاعتداء...أُبتليَّ [برجال] حاربوه وأرادوا القضاء عليه، ولكن الله سبحانه نصره عليهم وأخزاهم»[4].

وفي السياق نفسه ترد مقولات منضوية تحت مقولات أُخرى ظاهرة على سطح النصّ، تسهم في اتساع المعاني والدلالات، لتتوافق مع قصدية المتكلم، من هذا القبيل قولها عليها السلام مخاطبة جمهور النفاق «**والكلم رحيب**»[5]، هما مقولتان لا أكثر، بيد أنهَّما مشبعتان بمقولات مضمرة، إذ تنضوي تحتهما مقولات كُثر بدلالات أكثر، فـ (الكلم) المقول اللفظي المعرف بال التعريف يشير إلى الجرح الذى أدمى قلب الزهراء عليها السلام، وقلب المؤمنين الخلص، وهو جرح وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، فأنابت (ال التعريف) عن مَنْ خصَّ الجرح به، وعن صاحبه الذي أدمى قلبه، أما المقول الآخر الذي ورد بصيغة المبالغة على بناء (فعيل) فهو يومئ ويخبأ مقولات تخص ماهية هذا الجرح، فهو الجرح الأوسع

(١) النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي: ص١٥٦.
(٢) الاحتجاج: ج١ ص٢٨٩.
(٣) ينظر: شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها: ص ١٢٨.
(٤) شرح خطبة الزهراء عليها السلام وأسبابها: ص ١٢٩ – ١٣٠.
(٥) دلائل الإمامة: ص٣٢.

والأكثر إيلاما على القلوب المؤمنة، بل هو أعظم جرح ابتليت به الأمة الإسلامية، وبالأخص قلب سيدتنا الزهراء عليها السلام.

إنَّ المقولات المضمرة التي تستتر خلف مقولات ظاهرة إنما تتماهى مع النصوص الأدبية ذات البلاغة العالية والفصاحة غير المتناهية، ولا أبلغ ولا أفصح من كلام أهل البيت عليهم السلام وفي طليعتهم الزهراء عليها السلام، فكلامهم فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق، فضلا عن ذلك هذه المقولات المضمرة حملت مضامين ودلالات انسجمت مع قصدية المتكلم أكثر مما تم الإفصاح عنه، لذلك تُعرف هذه المقولات «عن طريق استنتاج يقيمه المستمع، انطلاقا من مجموعة معطيات السياق»[1]، وأصداء ثقافة المتلقي.

وتطالعنا الأقوال المضمرة في التراث الفاطمي في مواضع جمة، نجتزئ منها ما يعضد وجودها في النصوص الإبداعية، كما في سننها القولية في حق الأم، إذ قالت مخاطبة خطابا عاما يشمل أولاد الأم جميعا من الإناث والذكور «الزم رجلها فإنَّ الجنة تحت أقدامها»[2]، يتراءى لنا في هذا النص مضمرين اثنين في كل من: (رجلها) و (أقدامها)، المقول الأول المضمر لفظ (الأم) أو ما في معناه، أي الزم رجل الأم أو أمك أو والدتك، وصح الاضمار ههنا لوجود الضمير (الهاء) الذي حمل إحالة مرجعية تعود إلى الأم، أما المضمر الآخر فهو كائن في المقول الثاني، إذ المقصود تحت أقدام الأم، وهكذا يتبين أنَّ الكشف عن الأقوال المضمرة متأتٌ من «كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث»[3] ويتبين ذلك عند قول أحدهم (الساعة الثامنة)، فهذا الملفوظ الكلامي يحتمل الدلالة على الإسراع، أي أسرع فقد فات الأوان الساعة الثامنة، وقد يحتمل نقيض ذلك، أي لا تستعجل فلدينا كثير من الوقت الساعة الثامنة[4]

ومن صور الأقوال المضمرة ما يرد تحت مسمى الكناية، فالكناية أصدق تمثيل للإضمار في المقولات والأحداث، أذ الأصل فيها أنْ تتكلم بشيء وتضمر شيئا آخر، ومعناها لغة: مشتق من «الكاف والنون. أصل واحد، يدل على ستر أو صون...أكننتُ الشيء أخفيته»[5]، وقيل الكناية: «أن

(١) المضمر، كاترين كيربرات- اوريكيوني، ترجمة ريتا خاطر: ص٤٢.
(٢) مسند فاطمة، جلال الدين السيوطي: ج١١ ص٩١٠.
(٣) المضمر: ص٣٩
(٤) ينظر: المضمر: ص٧٤-٧٥
(٥) مقاييس اللغة: ص٨٧١ (م: كنى).

تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنى عن الأمر بغيره، يكني كناية يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه»[١]، وقيل عنها أيضا «كلام استتر المراد منه بالاستعمال، وإن كان معناه ظاهرا في اللغة، سواء كان المراد به الحقيقة أو المجاز»[٢].

ويتلاقى المعنى الاصطلاحي مع المعنى اللغوي في مفهوم الستر والاخفاء والاضمار، فالكناية اصطلاحا هي: «**أنْ يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه**»[٣]، أو هي: «أنْ يُعبر عن شيء، لفظا كان أو معنى، بلفظ غير صريح من الدلالة عليه، لغرض من الأغراض كالإبهام على السامع نحو: جاء فلان، أو لنوع فصاحة، نحو: فلان كثير الرماد، أي كثير القرَى»[٤].

وردت الكناية في قول الزهراء عليها السلام «**حتى يَطَأَ صِمَاخَهَا بأَخْمَصِهِ**»، فقد عبرت بهذا التصوير عن القوة والاقتدار وإحكام السيطرة في شخص الإمام علي عليه السلام بلفظة (صماخ) وهي تريد معنى (الرأس)، وكَنّتْ بلفظة (الأخمص) ومعناها المتقعر من أسفل القدم، وما يطأ الرأس، هذه الصورة الحسية الكنائية أظهرت المعالم الحقيقية في شخصية الإمام علي عليه السلام وقيادته للأمة وتفانيه في حفظ الإسلام، وأضمرت مقولات كُثر تُفهم من سياق الكلام، من ذلك اضمار الفاعل في الفعل (يطأ) العائد إلى الإمام علي عليه السلام، يعقبه اضمار مقولة (الحرب) في لفظة (صماخها) فالمراد بها (الحرب) التي كان يقودها الإمام عليه السلام، ثم بالضمير الهاء في (أخمصه) إضمار يعود أيضاً إلى شخص الامام عليه السلام[٥]، وقد عملت الكناية مع ما طرحته من أقوال مضمرة على «نقل المعنى المجرد للسيطرة من حالة التعاطي الذهني إلى مرحلة المشاهدة الحسية الحركية التي تؤكد المعنى في النفس وتقربه إلى التصديق بالمعاينة والحركة»[٦] فضلا عن المشاهدة القلبية.

وهكذا «يمكن أنْ يوصف القول المضمر بالتأويل، وعلى سياق الخطاب إبراز خصوصيته... [فـ] خروج الملفوظ عن معناه الحقيقي إلى عدة معاني استنتاجية ذهنية يجتهد المتلقي في التعرف عليها...

(١) لسان العرب: ج١٥ ص٢٣٣ (م: كنى).
(٢) التعريفات: ص١٥٣.
(٣) دلائل الاعجاز: ص٥٢.
(٤) التعريفات: ص١٥٣.
(٥) يُنظر: خطب سيدات البيت النبوي: ص١٧٣.
(٦) المصدر نفسه.

تؤدي بالمخاطِب إلى التخفي وراء المعنى الجانبي»[١] وقد يكون ذلك لغرض غير الابلاغ بل بنية اقناع السامع وصرف التأثرات له[٢]، بيد «أنَّ بعض المتكلمين لم يصرحوا بذلك خوفا على مشاعر المستمعين».[٣]

وتشدنا كناية أخرى في خطبة للزهراء عليها السلام بجماليتها وهي تعبر بأصدق صورة عن إثارة الندم والحسرة في نفوس القوم ممن عدل عن الحق في خلافة أمير المؤمنين، فقالت: «**لأوردهم منهلاً نَميرا صافيا رويا تطفح ضفتاه**»[٤]، فأشارت (سلام الله عليها) عبر الكناية بإشارة خفية عن رغد العيش وطيب المقام بالمنهل الروي الفضفاض، كما كَنّتْ عن السعادة والهناء بمقولة (تطفح ضفتاه)، وهي صور حسية أوحت بمعاني الارتواء والوفرة ورغد العيش[٥]، ومع هذا استترت مقولات وأضمرت في هذا الخطاب، فالنص لم يُفصح عن مَنْ يوردهم هذه الورود ومَنْ هو صاحب هذه الأطايب في العيش الكريم، وهو لاشك شخص الإمام علي (سلام الله عليه)، هذا الإضمار في المقولات عزز من أدبية النص، فضلا عن رفع درجة القصدية في أعلى مقاماتها، إذ شدّ الإضمار انتباه المتلقي وأشركه في تأويل النص بما يتناسب ومقام التخاطب[٦]، ومن هذا المنطلق «تولي التداولية اهتماما كبيرا للأبعاد الضمنية والمضمرة في الخطاب، إذ تقرر أنَّ الملفوظات تحتوي على جوانب ضمنية وخفية، يمكن استنباطها، فالكلام لا يعني دائما التصريح، بل يعني أحيانا حمل المستمع على التفكير في شيء غير مصرح به، والمتحدث عادة ما يتلفظ بالصريح من أجل تمرير الضمني، ومن ثم فالحمولة الدلالية التي تواكب العبارات اللغوية يمكن أن تصنف إلى صنفين: المعاني الصريحة وتدل عليها الصيغ الحرفية للعبارة والمعاني الضمنية وتكشف عنها ملابسات الخطاب وسياقاته»[٧].

(١) لسانيات الخطاب الاسلوبية والتلفظ والتداولية: ص١٣٥.
(٢) نظر: المعنى وظلال المعنى انظمة الدلالة في العربية: ص١٤٧.
(٣) تحليل الخطاب المسرحي في ظل النظرية التداولية: ص١١١.
(٤) الاحتجاج: ج١ص٢٨٩.
(٥) يُنظر: خطب سيدات البيت النبوي:ص ١٧٣.
(٦) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ص١١٣.
(٧) اللسانيات التداولية في الخطاب القانوي: ص٧٥.

المبحث الثالث: متضمنات القول في الافتراضات المسبقة

الافتراض المسبق هو معطى لغوي يحيل إلى معطيات دلالية – بلاغية كامنة، يومئ به المتكلم إلى ما يقصده في بوتقة السياق، ودونه التصريح، فهو قصد يوجهه المتكلم سلفا ويفترضه المتلقي على خلفية المعطى القصدي، بمعنى: «هو شيء يفترضه المتكلم يسبق التفوه بالكلام، أي أنَّ الافتراض المسبق موجود عند المتكلمين وليس في الجمل»[١]، والافتراضات المسبقة يشترك فيها طرفان، إذ تعبر عن تفاعل المتلقي مع المتكلم ونصه، إذن تشكل هذه الافتراضات «الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة»[٢].

وتمثل الافتراضات المسبقة في المسار اللغوي اللساني – البلاغي بنية تواصلية، تُستنبط ضمن المقامات التخطابية، وتتحكم بها قوانين الخطاب نفسه، لذا هي ساندة لقصدية ومرادية المتكلم، وضامنة لـ«خلفية التبليغ الضرورية»[٣]، بمعونة البناءات السياقية، إذ «يوجه المتكلم حديثه إلى السامع على أساس ما يفترض سلفًا أنه معلوم له، فإذا قال رجل لآخر: أغلق النافذة، فالمفترض سلفًا أنَّ النافذة مفتوحة، وأنَّ هناك مبررًا يدعو إلى إغلاقها، وأنَّ المخاطَب قادر على الحركة، وأنَّ المتكلم في منزلة الآمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب».[٤]

إنَّ ادراك المتلقي بحيثيات الافتراضات المسبقة مرهون بقدرته على الاستنباط والتأويل واستنتاج المعلومات المصاحبة للأقوال، وهذا ينعكس على ما هو شائع ومتعارف بين المتخاطبين من تلك المعلومات، أو أنْ يتم «ادراكه عن طريق العلامات التي يتضمنها القول»[٥]، من هنا «يرى التداوليون أنَّ الافتراضات المسبقة ذات أهمية قصوى في عملية التواصل والابلاغ»[٦] ويُلحظ أنَّ الافتراض المسبق يُعدّ أداة مهمة في توصيل المعلومات للمتلقي، أي أنَّها تحتمل بث ما يُعهد إليها من معلومات ضمن

(١) التداولية: ص٥١.
(٢) الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر: ص١٩٢.
(٣) مدخل إلى اللسانيات التداولية: ص٣٤.
(٤) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ص٢٦
(٥) ينظر: لسانيات الخطاب: الاسلوبية والتلفظ والتداولية: ص١٣٥
(٦) المصدر نفسه: ص٣٢.

صياغات الأمر أو السؤال أو الإعلان، وهذه الصياغات تعطي المخاطَب في كل مقام خطابي أسلوبا سلوكيا مناسبا[١]، بمعنى أنَّ «الوصول إلى معرفة الافتراض المسبق هو بتحويل الصيغة الكلامية إلى استفهام ثم إلى نفي...»[٢].

إذن الافتراض المسبق هو تقنية السنية تقوم بتعزيز النصوص الأدبية بالمعلومات المصاحبة للأقوال، بمعنى «هو كل المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهين خصوصيات سياق الحديث»[٣]، وهذا معناه أنَّ الافتراض المسبق يشكل حدثا إبلاغيا مرتبطا بمقامات الأقوال وسياقات الأفعال، لذا كمن وجوده في الأقوال ذاتها.

تقول الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية «وطاعتنا نظاما للملّة وإمامتنا أمانا من الفرقة»[٤] هذا القول يضمر مقولات جمة كلها تصب في قضية سياسية، وهي قيادة الأمة الإسلامية، فهي تشير إلى القيادة السماوية المنصّبة من الذات العليا، وليس الأمر يقتصر على طاعة أهل البيت أسوة بالطاعات المتعددة الصادرة من الداني للعالي، بل هي طاعة تحقق وحدة المسلمين، وهذا القول بدوره فيه افتراض مسبق آخر، وهو أنَّ انتفاء طاعة أهل البيت عليهم السلام يجر الأمة إلى ويلات التفرقة والتشتت والتمزق[٥].

إنَّ الافتراضات المسبقة هي «افتراضات يمكن استنباطها من الرسالة نفسها؛ لأنَّها تتضمنها بطريقة لا يجد المتلقي صعوبة في إدراكها، وتصدر هذه الافتراضات عن المعلومات التي اكتسبها المتكلم من خلال محيطه الاجتماعي، واجتهاداته الشخصية»[٦]، وهذا يعني مشاركة المتلقي في استنباط هذه الافتراضات المسبقة، لذلك هي غير متناهية لأنَّا تخضع لاعتبارات التلقي ومراهنات السياق.

من هذا المنطلق يمكن القول أنَّ الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء عليها السلام بما حوته من مضامين دينية وعقائدية وسياسية، فيها من الافتراضات المسبقة ما لا يخفى على الناظر الثاقب، إذ لم تكن هذه الخطبة حول الخلاف على قضية مادية أو اقتصادية متعلقة بقطعة الأرض (فدك) وما فيها من ريع مالي، فالزهراء عليها السلام أعظم وأرفع شأنا من كل ذلك.

---

(١) ينظر: لسانيات الخطاب: الاسلوبية والتلفظ والتداولية: ص١٣٥.

(٢) المضمر: ص٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ص٣٨.

(٤) دلائل الإمامة: ص٣٣.

(٥) يُنظر: خطب سيدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري، زينب عبدالله كاظم العلوي: ص٧١.

(٦) مقاربة تداولية في كتاب معاني القرآن للنحاس: ص٨٦.

إنَّ مطالبة الزهراء (سلام الله عليها) بفدك تمثل معادلا موضوعيا للمطالبة بالخلافة التي سنتها السماء، بمعنى: فدك = الخلافة، واغتصاب فدك = اغتصاب الخلافة، وقد صرح الشيخ النائيني أنَّ القضية الفدكية مثلت صغريات هذا المورد[1]، «لقد تصور البعض أنَّ قلق الزهراء عليها السلام كان مقتصرا على حرمانها من موارد فدك المادية! وإنَّه لمنتهى الجفاء بحق الزهراء عليها السلام أنْ نفكر بهذه الطريقة، فجميع أموال العالم لا تساوي قبضة من الرماد في نظر الزهراء عليها السلام...فالقضية كانت تتلخص في مواجهة هذا التيار السياسي الحاكم، وإتمام الحجة على الناس كي يفهموا بأنَّ هؤلاء غير مؤهلين للحكم، وإنَّ المنصب الإلهي للخلافة لابد أن يكون من نصيب المعصوم عليه السلام، ومن هنا يظهر الاهتمام بقضية فدك»[2]، ويعضد ذلك أمور شتى، منها[3]:

أ-أدلت السيدة الزهراء عليها السلام بخطبة فدك بُعيد اغتصاب الخلافة المحمدية التي تجسدت بممارسات أبو قحافة ومن أدلى بدلوه.

ب-جمهور الخطبة هم من الذين مالوا عن الحق وغدروا ببيعة الغدير، البيعة السماوية الصادرة من جهة عليا (الله تعالى) التي أسست لأحقية خلافة أهل البيت عليهم السلام.

ج-مضامين الخطبة كثيرا ما عالجت شرعية الخلافة لأهل البيت وقصرها عليهم، كما في قولها (ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة)، فهنا إشارة إلى ملازمة الرسالة للخلافة، فكل منهما مكمل للآخر ورهين به.

د- الخطبة بمسلماتها الدينية ومضامينها العقائدية والسياسية والاجتماعية مثلت أصداء قوية لحركة تصحيح لمسارات خاطئة وانحرافات جانبت الحقيقة والصواب التي تمثلت بالانقلابات التي حيكت في السقيفة، هنا صدعت واضطلعت سليلة النبوة ووريثة الجهاد وبضعة الرسالة وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين بالدور الرسالي للمطالبة بالحق وإعادة الخلافة الإسلامية إلى حضنها الحقيقي ووعائها السماوي، حضن أهل البيت عليهم السلام، فضلا عن كشف زيف مدعي الايمان من المنافقين عبر الحوارات والتوجيهات، للذود عن أصول الدين وأحكامه، وفضح مؤامرات السقيفة[4].

هـ- إنَّ من أسمى أهداف هذه الخطبة اثبات بالدليل القاطع والبرهان الساطع أحقية الإمام علي عليه السلام بالخلافة، «فجاءت هذه الخطبة لكي تواصل النهج المحمدي في الدفاع عن الخط العلوي، والتأكيد

(١) يُنظر: فدك ميراث النبوة وعنوان الخلافة: ص٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ص ٦٧-٦٨.

(٣) يُنظر: خطب سيدات البيت النبوي: ص٧٣ وما بعدها.

(٤) ينظر: فدك ميراث النبوة وعنوان الخلافة: ص٣٧.

على أنَّ الخليفة هو الإمام علي عليه السلام»[1]، وفي منحى بلاغي آخر نجد أنَّ الاختصار سمة النصوص ذات الرصانة الأدبية والبيانية، ولكن هذا الاختصار ليس مخلا بالمعنى بل هو قائم على ركيزة الانفتاح الدلالي الذي يستدعي في جعبته الافتراضات المسبقة، نحو ذلك مرويات الزهراء عليها السلام الفقهية، فرويَّ في حديث لها في استحباب اكرام النساء ما نصّه «عن الحسين عليه السلام عن أمه فاطمة عليها السلام قالت: **خياركم ألينكم مناكبه وأكرمكم لنسائهم**»[2]، ظاهر الحديث الحث على الاتصاف بصفة الأخيار، في وجوب الاتصاف بلين العريكة من الهدوء واللطف وحسن المعاشرة، وإكرام المرأة ومساعدتها واحترامها والاحسان إليها، وهذا المعنى يهيئ المتلقي لطرح افتراضات مسبقة، من قبيل: أنَّ الأشرار بالضد من ذلك، فهم خشنو العريكة ولا يتسموا بالهدوء واللطف، لذا يعاملون النساء بقلة الاحترام والتهذيب[3].

وفي حديث آخر لها حول أدب الصيام «أنَّها قالت: **ما يصنع الصائم بصيام إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه**»[4]، تبين السيدة الزهراء عليها السلام الفلسفة الصحيحة والقويمة للصيام الواجب، فآليته ليست مقتصرة على ترك الأكل والشرب، وانما هو في الأساس صوم للجوارح وصونها عن القيل والقال والكذب والافتراء، وهذا المعنى يطرح افتراضا مسبقا، هو أنَّ حقيقة هذا الواجب الشرعي (الصيام) يتعدى ويتخطى المدى الخاص بالصورة المادية إلى المدى الخاص بالروح، فالصائم الذي لا يتمسك بحيثيات هذا الحديث يُعد صيامه باطلا، يتناقض مع حقيقة ما فرضه الله تعالى[5].

ومن وصاياها عليها السلام في حسن البشر للمؤمن، أنَّها قالت: «**البشر في وجه المؤمن يوجب لصاحبه الجنة، والبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه النار**»، يقتضي هذا الحديث معنى ظاهرا، وهو أنَّ بشارة الوجه عند ملاقاة المؤمن يُلزم ثوابها الجنة، ولغير المؤمن من المعاندين المتكبرين يُلزم صاحبها - أي بشارة الوجه- العتق من النار، فضلا عن ذلك يقتضي هذا المعنى افتراض مسبق يتناسب مع فحوى الحديث، وهو أنَّ العبوس في وجه المؤمن يوجب لصاحبه النار، وكذلك الحال مع العبوس في وجه المعاند المعادي.

---

(١) شرح خطبة الزهراء عليها السلام: ص ٦.

(٢) مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٢٢١.

(٣) يُنظر: المرويات الفقهية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فاطمة خلف عبد الظاهري: ص ٢٠٧.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج٩٥ ص٢٩٥.

(٥) يُنظر: المرويات الفقهية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٢٠٨.

(٢) كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الأربلي: ج٧٢ ص٤٠١.

الخاتمة

في ختام هذا البحث عنت لنا جملة من النتائج والملاحظات، أهمها:

-قدم البحث مقاربة مفهومية لموضوعة تتشاطر في نتاجها المعرفي بين علمين: اللسانيات الحديثة والبلاغة الجديدة، فالبحث مرر موضوعة (البعد التخاطبي اللساني ومستلزماته البلاغية في متضمنات القول في التراث الفاطمي) المستوحى من معطيات البحث اللساني الحديث والروافد التأصيلية للبلاغة الجديدة.

-خلصت الدراسة إلى أنَّ كلام السيدة الزهراء عليها السلام متساوق مع الأُطر العامة لمنطلقات الفصاحة والبيان، فاتساق كلامها ورد ضمن مقومات التماسك التعبيري في النسيج النصي، ومخرجات هذا الاتساق استوعبت قطبي: الاقناع والامتاع، اتسمت بنية الاقناع بتجلي منابع الاحتجاج بما يقدم الحجة القوية المستلهمة من آيات الذكر الحكيم، فضلا عن استيعاب الحجج العقلية والتشريعية، حتى اضحى كلامها جاذبا للنفوس، وانبرى الامتاع في كلامها الشريف بما يتوافق فيه سياق القول مع الإثراء الدلالي ضمن منظومة لسانية – ابلاغية.

-تجسد العد البلاغي الابرز في كلام الزهراء (سلام الله عليها) في إيراد المعنى تارة بالتصريح وأُخرى بالتضمين والتلميح، وإذا كانت البلاغة تقتضي بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، فإنَّ كلام الزهراء عليها السلام قام على ابراز القيم الابداعية في النسيج النصي بمقتضيات لكل مقال مقام ومطابقة مقتضى الحال لنواة كلامها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية- مصر، ط١، ٢٠١٤م.
- الاحتجاج، الشيخ أحمد بن علي الطبرسي، تحقيق وتعليق السيد محمد باقر الخرسان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٩٦٦م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤.
- اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، بحث المنطق والمحادثة، مختارات معربة بإشراف وتنسيق عز الدين مجدوب، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، ٢٠٠٢م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء بيروت- لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م.
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧م.
- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، عمر بلخير، ط١، منشورات الاختلاف، (د.ت).
- التداولية، جورج بول، ترجمة الدكتور قصي العتابي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية الظاهرة (الافعال الكلامية)، دراسة تداولية في اللسان العربي، د. مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة بيروت لبنان، ٢٠٠٥م.
- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت- لبنان،

٢٠٠٣م.
• الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، الناشر عالم الكتب، بيروت- لبنان.
• الخطابة في عصرها الذهبي، احسان النص، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
• خطب سيدات البيت العلوي حتى نهاية القرن الأول الهجري، زينب عبد الله كاظم الموسوي، طبع برعاية العتبة الحسينية المقدسة، ط١، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.
• دلائل الاعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
• دلائل الإمامة، الطبري، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم المقدسة- جمهورية ايران الإسلامية، المطبعة الحيدرية، ١٤١٣ هـ، (د.ط).
• شرح خطب الزهراء عليها السلام، أبو القاسم جعفر بن الحسين الخوانساري الجرفادقاني، اعداد وتحقيق السيد محمود الغريفي، دار حفظ التراث البحراني، ط١، ١٤٣١م.
• شرح خطب الزهراء عليها السلام وأسبابها، الشيخ نزيه القميحا، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٥، ١٩٩٥م.
• علم التخاطب الإسلامي، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
• العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.
• فدك ميراث النبوة وعنوان الخلافة، اعداد قسم الشؤون الدينية، شعبة التبليغ، الناشر العتبة العلوية المقدسة، ط١، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.
• في سبيل المنطق، روبير مارتان، ترجمة وتقديم:الطيب البكوش، وصالح الماجري، ط، ١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ٢٠٠٦م.
• كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الأربلي، دار الأضواء، بيروت- لبنان- ١٩٨٥م.
• لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ط١، دار صادر- بيروت.
• اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، د. طه عبد الرحمن، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت،

١٩٩٨م .

- اللسانيات التداولية في الخطاب القانوي (قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند لقانونيين)، د. مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، ط١، ٢٠١٥م.
- لسانيات الخطاب: الاسلوبية والتلفظ والتداولية، صابر الحباشة، ط، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا – اللاذقية – ٢٠١٠م.
- لسانيات النص، مدخل إلى إنسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، (د. ط)، (د. ت) .
- مدخل إلى اللسانيات التداولية، دلاش الجيلاني ويحياتن محمد، الناشر ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٢م.
- مسند فاطمة الزهراء عليها السلام، جلال الدين السيوطي، تصحيح ونشر وتعليق عزيز بيك، مطبعة العزيزية، حيدر آباد، ط١، ١٩٨٦م
- المضمر، كاترين كيربرات – اوريكيوني- ترجمة ريتا خاطر، مراجعة جوزيف شريم، ط١، المنظمة العربية للنهضة، بيروت، ٢٠٠٨م.
- معجم المصطلحات الألسنية، د. مبارك مبارك، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٥ .
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت)
- المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، د. محمد محمد يونس علي، ط٢، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق وضبط محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط٣، ٢٠٠١م.
- مقايس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا، تحقيق:عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٢م.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، د. محمد محمد يونس علي، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بنغازي – ليبيا، ٢٠٠٤م.
- المنطق والمحادثة، بول غرايس، ترجمة محمد الشيباني، وسيف الدين دغفوس، (بحث) منشور

ضمن كتاب اطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين: ٢/ ٦١٢.

- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج ط١، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت – لبنان، ١٩٩٦م.
- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، فان دايك، ترجمة عبد القادر قتيني، (د. ط) افريقيا الشرق المغرب، (د.ت)، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ثانيا: الرسائل والأطاريح.
- لغة التخاطب العلمي الجامعي – دراسة سوسيو لغوية – جامعة اسطيف نموذجا، نجوى فيران (اطروحة دكتوراه)، جامعة محمد لمين دباغين –اسطيف– كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٦م.
- المرويات الفقهية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فاطمة خلف عبد لظاهري، (رسالة ماجستير)، كلية الإمام الكاظم عليه السلام، جامعة العراق، ٢٠٢٣م.
- مقاربة تداولية في كتاب معاني القران للنحاس) ت:٣٣٨)، علاء سامي عبد الحسن ياسين، (رسالة ماجستير)، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، العراق ٢٠١٦م.
- المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام الخطابي نموذجا، ليلي كادة، (اطروحة دكتوراه)، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، (د.ت).

آليات مواجهة الانحراف العقدي وفاعلية المنهج الفاطمي دراسة تاريخية

الباحثة: أ.د انتصار عدنان عبد الواحد

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على اهم الاليات التي انتهجتها السيدة فاطمة عليها السلام في مواجهة الانحراف الحاصل بعد وفاة ابيها صلى الله عليه وآله، اذ ان واقع الاحداث التي اعقبت رحيله صلى الله عليه وآله فرض على السيدة فاطمة عليها السلام حِراكاً محورياً لمواجهة الانحراف الذي عصف بالأمة، والذي بدء يؤسس لأطروحة مضادة لأطروحة النهج المحمدي، فتصدت عليها السلام لهذا الانقلاب، صادعة بالتبليغ والإنذار استكمالاً لمنهج ابيها صلى الله عليه وآله كما كان هو يراها تمثل النبوة روحا وفكرا وسلوكا، لذلك كان يصفها بما يتخطى العاطفة إلى واقعية الفعل الرسالي وبُعد تأثيره، فكان مما قال فيها «هي روحي التي بين جنبي»

وقد اعتمدنا منهجا تحليلياً للنصوص التاريخية، واستقرائها بدقة للوقوف على منهج السيدة فاطمة عليها السلام في مواجهة الانحرافات العقدية.

وخلص البحث إلى جملة نتائج اهمها ان السيدة فاطمة عليها السلام شخصت مكامن الخلل في المجتمع والسلطة على حد سواء، وان الاليات التي اتبعتها وفق منهجين نظري وتطبيقي يكمل كل منهما الاخر؛ كانت قد اسهمت في تنبيه المجتمعات وعلى توالي العصور إلى خطورة ما انتجته حادثة السقيفة وان نتائجها ليست آنية ومقتصرة على زمانها بل ستجر الويلات على الامة وتفتح باب الفتن. ومن ثم فأنها عليها السلام قد نهضت بوظيفتها الرسالية وادت ما عليها وهي تمثل النبوة روحا وفكرا، كما انها حولت ظلامتها إلى قضية فكر ومنهج ممتد عبر الازمان تستفز الضمائر الحية لحفظ المشروع الالهي.

خطة البحث:

وتتضمن خطة البحث ثلاث مطالب يتناول المطلب الاول بيان مفهوم الانحراف العقدي واهم مظاهره واسباب حدوثه وآثاره الآنية والمستقبلية، ومن ثم يأتي المطلب الثاني للوقوف عند الكيفية التي انتهجتها عليها السلام لمواجهة خط الانحراف وفق المنهج النظري: (الخطاب والاحتجاج)، اما المطلب الثالث فقد تناول المنهج التطبيقي المتمثل بـ: (اعلان المعارضة ورفض البيعة والمطالبة بفدك ومن ثم المقاطعة وابراز المظلومية وما تعرضت له من عنف مادي ورمزي، وحتى جَعلها خاتمة حياتها فعلاً احتجاجياً بوصاياها وإخفاء قبرها) هذه الآليات وغيرها ستكون محور البحث يرتكز عليه لبيان اثر

وفاعلية دورها في انقاذ الامة من مخاطر الانحراف وآثاره الوخيمة.

ومن ثم بيان اهم استنتاجات البحث التي خلص إليها. وثبت بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

المطلب الاول: الانحراف العقدي، مفهومه، مظاهره، اسبابه.

تعد العقيدة السليمة أساس البناء الصحيح للفرد والمجتمع، لذلك نجد أن الأنبياء ركزوا في دعواتهم على تصحيح أسس الاعتقاد وحاربوا الانحراف العقدي لأنه أساس الرذيلة، وتفكك المجتمعات وفسادها.

ومن هذا المنطلق، جاءت نهضة السيدة فاطمة عليها السلام، بعد أن شخصت بروز ظاهرة الانحراف العقدي الذي عصف بأمة أبيها بُعيد رحيله صلى الله عليه وآله، بل أن مقدمات ذلك الانحراف قد بانت والنبي صلى الله عليه وآله على فراش مرضه.(١)

وقبل الخوض في تفاصيل ذلك لابد من الوقوف عند مفهوم الانحراف وأهم مظاهره، وأسباب حدوثه، كما شخصته السيدة فاطمة عليها السلام في خطابها ومواقفها.

الانحراف لغة: الميل والعدول عن الشيء.(٢) ومن مجمل الدلالات اللغوية أن كلمة (حرف) ذات مدلول محايد، ويبقى على هذا الحال إذا اقتصر على الجانب الوصفي المجرد، ولكنه يجنح إلى المدلول السلبي إذا ما اقترن به فكر أو سلوك.(٣)

أما اصطلاحا: فالملاحظ انعكاس المدلولات اللغوية على تعريفه الاصطلاحي، وقد خلص احد الباحثين إلى تعريفه بالقول: «الخروج عن الوسطية الشرعية، وعن العرف المعتبر»(٤).

الانحراف له مفهوم واسع يشمل كل من الانحراف الأخلاقي والسلوكي (الفسق والمعصية) والعقدي (فساد العقيدة) وحتى النفسي والبدني والفعلي، لان الانحراف بمعناه العام هو الميل عن القصد إي الاعوجاج عن الاستقامة(٥).

(١) كما في حادثة رزية الخميس. ينظر: ابن حنبل: المسند ج١ ص٣٢٤-٣٢٥، البخاري، الصحيح: ج٥ ص١٣٧، مسلم، الصحيح: ج٥ ص٧٦، ابن أبي الحديد: ج١٣ ص٣١، الهيثمي: مجمع الزوائد: ج٩ ص٣٤.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ج٢ ص٤٢. ابن الأثير، النهاية: ج١ ص٣٧٠.

(٣) النعيمي، الانحراف الفكري المفهوم والبدايات: ص٦٩.

(٤) النعيمي، الانحراف الفكري المفهوم والبدايات: ص٧٠.

(٥) الصافي، الانحرافات العقدية: ص٢٦٩.

أما عن ابرز مظاهر الانحراف العقدي الذي شهده المجتمع النبوي بعيد رحيل النبيﷺ، فتمثل بتجرؤ القوم على إقصاء صاحب الحق الإلهي، والاستحواذ على دفة الحكم التي من خلالها بدء الخصم يستحكم ويفرض ما يريد بالقهر والقوة[1] وهذا المنهج – الذي يعتمد منطق القهر والقوة – هو من أهم أعراض داء فساد العقيدة.

ورغم الجهد الذي بذله النبي الأعظمﷺ في الارتقاء بمجتمعه إلى مرضاة الله، وبناءه بناءا عقديا سليما باستخدامه شتى الأساليب الإرشادية والتوعوية والتحذير من مفسدات العقيدة تنفيذا للأوامر الإلهية ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ**﴾[2]، إلَّا أن النفوس قد انطوت على غير ما أظهرت ولم تكن بمستوى الطموح وقد برز ذلك بوضوح بعد غياب النبي فكما وصفت ذلك بقولها: "ظهرت فيكم حسكة النفاق وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين...»[3].

ويمكن إجمال أسباب ذلك:

١ – سطحية التدين: إذ إن كثيرا من أفراد المجتمع لم يستطع التخلص من ترسبات بيئته الجاهلية، التي نشأ وترعرع في كنفها فكرا وسلوكا، ولم يتعمق الإيمان في قلوبهم، ولذلك سرعان ما ارتدوا على أعقابهم. فمشكلتهم الأساسية هي ضحالة معرفتهم بالتوحيد. وقد وصفهم أمير المؤمنين «**والناس حديثوا عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن، ويعكسه اقل خلف...**».[4]

٢– الجهل بواقع النبوة: إذ إن المجتمع المحيط بالنبيﷺ لم يكن بمستوى الفهم لشخصية النبيﷺ،[5] ومهام النبوة[6]، لذلك نجد إن كثيرا منهم ينظر إلى خلافة النبيﷺ نظرة سياسية قاصرة، وملك يتنازعه كل طامح.[7]

---

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: النصر الله: مصادرة الحق السياسي والاقتصادي لأهل البيتعليهم السلام عند الجوهري البصري (الصفحات جميعها).

(٢) سورة الغاشية: الآيتان ٢١–٢٢.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج: ج١ ص١٣٦.

(٤) ابن ابي الحديد، شرح: ج١ص٣٠٨.

(٥) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج١١ ص٤٨، النصر الله، الإمام عليعليه السلام في فكر معتزلة بغداد: ص٤٩٤.

(٦) عن مهام النبوة ينظر: العواد، وظائف النبوة: ص٢٥٦– ٢٨٦.

(٧) يروى أن عمر قال يوم السقيفة: من ذا ينازعنا سلطان محمد. ينظر: الجوهري، السقيفة: ص٦٠. وكذلك من قبله ما قاله ابو سفيان للعباس بن عبد المطلب يوم فتح مكة «لقد اصبح ملك ابن اخيك الغداة عظيما» فرد عليه العباس: «ويحك يا ابا سفيان انها النبوة». ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية: ج٤ص٣٣٢. المقريزي، إمتاع الأسماع: ج١ص٣٨٣.

٣- إتباع الهوى، وسيطرة حب الدنيا على نفوسهم واستجابتهم لغواية الشيطان «**واطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفا بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحمشكم فألفاكم غضابا**»(١)، ولأحد العلماء التفاته لطيفة إذ يشير إن الوساوس الشيطانية وان كانت لا تخلو من اثر في تضليل وانحراف الإنسان، إلَّا أن القرار الفعلي للانصياع للوساوس أو رفضها يرجع بكامله إلى الإنسان(٢).

هذه الأسباب وغيرها سنجدها حاضرة في الخطاب الفاطمي.

وقد بدأت بوادر الانحراف وكان النبيﷺ لازال شاخصا بينهم -كما ذكرنا- إذ أحس منهم نوايا الارتداد(٣)، ومزاحمة صاحب الحق بل وغصبه ما يستحق جهارا، إذ كانوا قد اعدوا العدة لذلك مسبقا، وقد حاول النبيﷺ إفشال مؤامرتهم باتخاذه عدة إجراءات(٤)، لكنهم كانوا عازمين على المضي في مخططهم ولو على حساب رضا الله ورسولهﷺ، ودليل ذلك واضح في مخالفتهم أوامره بل واتهامه بالهجر حتى بات (غضبان أسفا) من جرأتهم عليه.(٥)

وبهذا يمكن إجمال أهم مظاهر الانحراف في المجتمع النبوي:

١- الجرأة على افتعال أطروحة مضادة للأطروحة الإلهية، بدءا بالكذب على النبيﷺ، والاجتهاد المدعم بنص مزعوم لدحض حجة أصحاب الحق المغصوب.(٦)

٢- تصعيد لغة العنف والتهديد بالتصفيات الجسدية للمعارضين. وإشاعة أسلوب الترهيب بين الناس.(٧)

---

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء: ص١٣.

(٢) ناصر مكارم الشيرازي، الامثل: ج ٨ص٦٤.

(٣) وقد تمثل ذلك في تأخر سرية أسامة بن زيد، ومنعهم كتابة الكتاب في رزية الخميس، وإتهام النبيﷺ بالهجر، وقبل كل ذلك بمحاولة اغتيال النبيﷺ في العقبة عند منصرفه من تبوك سنة ٩ هـ.. ينظر: العواد، السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام: ص٦٨٤-٦٨٨، النصرالله: وطاهر، محاولة اغتيال النبي في العقبة: ص٩٩-١١٨.

(٤) منها تسريحهم جميعا في سرية أسامة بن زيد، وأمره بكتابة كتاب لن يضلوا من بعده أبدا لكنهم كانوا بالمرصاد لكل إجراءات النبيﷺ. النصرالله، مرويات الجوهري عن يوم السقيفة: ص٣.

(٥) ابن حنبل، المسند: ج١ ص٣٢٤ - ٣٢٥، البخاري، الصحيح: ج٥ص١٣٧، مسلم: الصحيح: ج٥ص٧٦.

(٦) كما في دعوى أن الأنبياء لا يورثون. وهو خلاف النص القرآني. ينظر: الصنعاني، المصنف: ج٥ص٤٧٢، البخاري، الصحيح: ج٥ ص٢٥، ابن شبه، تاريخ المدينة: ج١ص١٩٧، الجوهري، السقيفة: ص١٠٥، البيهقي، السنن الكبرى: ج٦ص٣٠٠.

(٧) كما في تهديد عمر لسعد بن عبادة، الطبري: تاريخ: ج٣ص٢٦٦، والحباب بن المنذر. الطبري، تاريخ: ج٣ ص٢٦٥، الجوهري: السقيفة: ص٥١، ٦٦.

٣- إعلان هتك كل قدسية تصطدم بمصالحهم، وبهذا تعدوا على حرمة البيت النبوي، وأحدثوا حدثا عظيما أسس لمنهج دموي حرف مسار النهج المحمدي الذي عنونته السماء بالرحمة، وأعادوا أمجاد الغلبة بسطوة القوة والإكراه.(١)

٤- استغفال وتضليل الجماهير التي كانت شريحة كبيرة منها تفتقد للوعي بالواقع، وما بين جهل وخوف صمتوا وتخاذلوا عن نصرة الحق. فبرزت التبعية الفكرية والانقياد لهيمنة الاستخفاف بكرامتهم.

وبما انمازت به السيدة فاطمة عليها السلام من موقعية مؤثرة في المجتمع نهضت بوظيفتها الرسالية صادعة بالتبليغ والإنذار استكمالا لمنهج أبيها صلى الله عليه وآله، كما كان هو يراها صلى الله عليه وآله تمثل النبوة روحا وفكرا وسلوكا، إذ قامت بخطوات تصعيدية لمواجهة هذا الانحراف والذي شخصته بأنه عقدي يمس جوهر الدين، بخروجه عن السياق الذي خطته السماء وبجهد مضني من قبل النبي الخاتم، ونبهت لخطورة السقيفة وما نتج عنها، إذ أنها تشكل بداية محنة تشظي الأمة وانشقاق وحده صفها وضياع مكتسبات النبوة وتغييب دور القيام على الشريعة المناط بالإمام بعد إن غُصب حقه على مرأى ومسمع من الجميع.

فمهمتها الأساسية: تصحيح مسار الانحراف العقدي فاعتمدت آليات فاعلة تنضوي تحت منهجين سارا في أفق متوازي يكمل احدهما الآخر، وهما المنهج النظري (الاحتجاجي) والمنهج العملي التطبيقي، وقبل الخوض في الآليات التي اتبعتها عليها السلام، لابد من التنويه إلى أنها كما يبدو قد شخصت مكامن الخلل الذي احدث الانحراف، وتبين انه لا تقع مسؤوليته على زمرة السلطة الحاكمة فقط وإنما يشاركها المجتمع لذلك وجهت آلية عملها تجاههما معا؛ ودلالة وجود الخلل في المنظومة الفكرية والعقدية تحديدا: إن السلطة: قد استحكمت بمنطق القوة والغلبة بعد إن نأت بعيدا عن شِرعة النبي ومنهاجه الإلهي، واستحدثت منهجا مضادا له، وجهدت في تقويض حرية المجتمع وشلّت حركته عن طريق انتهاج العنف والتهديد. كما اشرنا آنفا.

أما المجتمع: فكان يعاني أزمة اللاوعي بما يجري، وأزمة ضحالة المعرفة بالأسس الدينية الهامة لذلك سهل على السلطة تضليله، فلم يكن مدركا لخطورة المرحلة التي تعيشها الأمة لان غالبية المجتمع كما ذكرنا حديث عهد بالإسلام. كما ولابد من الإشارة «إن الانحراف يبدأ بطبيعته غير منظور في البداية،

(١) فلقد هدد عمر الإمام علي عليه السلام بضرورة البيعة مطيعا أو مكرها. الجوهري، السقيفة: ص٦٢، الطبرسي: الاحتجاج: ج١ ص٩٦، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة: ج٦ ص١١.

لكنه عندما يستمر يكون التباعد بين الخطين كبيرا؛ لان الخروج عن الخط المستقيم قد لا يبدو واضحا أول الأمر، لكنه عند الاستمرار يوما بعد آخر تزداد الفجوة، والبعد يكون واضحا؛ لذا فان المسلمين لم يشعروا به في بداية الأمر لكن عندما استمر الانحراف بدا واضحا، فبعد خمسة وعشرين عاما تقريبا من بداية الانحراف، وجدنا المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي يتحركون لمواجهته في أيام عثمان عفان، مع قطع النظر عن كل الملابسات والتحليلات التي لا نريد الدخول في تفاصيلها».[1]

وان كانت قد شخصت فئة من المجتمع بأنهم على دراية وكان عتابها لهم شديد «**ألا وقد أرى إن قد أخلدتم إلى الخفض وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض**».[2]

(١) الحكيم: الزهراء اهداف مواقف نتائج: ص٩٣.

(٢) الطبري الإمامي: دلائل الإمامة ص١٢١.

المطلب الثاني: المنهج النظري في مواجهة الانحراف العقدي

لقد كان الخطاب الفاطمي في قبالة الخطاب المضلل قد كشف الزيف وبين طبيعة هذا الانزياح عن جادة الحق ومآلاته الخطيرة، والتي ما كانت لتقتصر على مرحلة ظهوره، بل انه ليؤسس لنهج وسلوك عقدي يتجاوز فيه البعد السياسي، فيهدد مستقبل المشروع الرسالي الذي افنى النبي حياته لأجله، فانبرت بصلابة الحضور والمغاير لما تعارفه المحيط من حولها من حالة ركود وجمود فكري تحت تأثير التضليل، إذ شاعت ظاهرة اللاوعي والجهل بحقيقة الواقع، فسعت عليها السلام جاهدة لإيجاد تعبئة وتوعية فكرية كمحاولة للنهوض به من سباته وجهله وذلك من خلال التركيز على جملة أمور تصحيحية في ذاك الخطاب يمكن إدراج أهمها ضمن هذا المحور:

أولا: بدءً لابد من وقفة مع المعاني الجليلة ذات البعد العميق والتي صدرت فيه كلامها وهي توجه خطابها إلى مجتمع ضم رموز السلطة وعامة الناس، وتتجلى خصوصية مقامها و مديات تأثيرها من خلال وصف الراوي الآتي: «قالوا: لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، وانصرف عاملها منها، لاثت خمارها، ثم أقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيولها، ما تخرم مشية رسول الله صلى الله عليه وآله، حتى دخلت على أبي بكر، وقد حفل حوله المهاجرون والأنصار، فنيطت دونها ملاءة، ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء، ثم أمهلت حتى هدأت فورتهم، وسكنت روعتهم، وافتتحت الكلام، فقالت:..»[1] وهنا نسجل ثمة ملاحظات هامة:

١- إن السيدة فاطمة اختارت توقيت حضورها في كثافة الحضور وإمام الملأ المتنوع في الفئات والمواقف.

٢-تأكيدات وصف الرواة على قمة عفتها والتزامها الكبير في الحجاب «لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها»، «فنيطت دونها ملاءة»، وان ذلك لم يمنعها من تأدية وظيفتها الرسالية.

٣- «ثم أنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء» وفي هذا الوصف دلالة ذات بعد كبير يعجز عنه الوصف، إذ إن أنتها تلك ألهبت عواطف الناس، وان تحريك المشاعر تقف وراءه دوافع عدة أولها

(١) الطبري الإمامي: دلائل الإمامة ص١١١.

طبيعة علاقتها بأبيها فهي روحه التي بين جنبيه، ومصيبة فقده التي لا تزال الأمة تعيش فورتها، ولكن الأدهى هو إحساس قسم كبير منهم بالتقصير تجاه بضعة النبي للظلم الذي نالها بحضرتهم وهم على مرأى ومسمع من الأمر.

٤- بدأت كلامها بقولها المشهور: «**اعلموا اني فاطمة وأبي محمد**ﷺ **أقول عودا وبدءا، ولا أقول ما أقول شططا ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**[١] **فان تعزوه وتعرفوه تجدوه أبي دون نساؤكم وأخا ابن عمي دون رجالكم ولنعم المعزى إليه**»[٢]. وهنا نتساءل لماذا تُعرف السيدة فاطمة بما هو معروف لدى الجمع الحاضر؟! ولا شك أنها تتخطى في مقصدها التعريف الظاهري بنسبها وعلاقتها بأبيها، ولعلها ترمي إلي بيان عظمة مقام أبيها المصطفى وهو مقام «النبوة» وموقعيتها من هذا المقام الذي لا يقف عند البنوة النسبية وإنما هي صنيعته ومن يماثله فكرا وروحا ومنهجا، ودليل ذلك واضح بقولها «**ولا أقول ما أقول شططا**» والذي يناغم قوله تعالى بحق نبيه العظيم **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾**، كما قرنت ذلك بموقع زوجها ومقامه من النبوة إذ اختص بالأخوة[٣] دون الخلق.

لقد ضمنت هذه الفقرة – من كلامها- المنظور الواعي للمعرفة الحقيقية التي تحقق الاستعداد الفكري والوجداني عند الجماعات الإنسانية في تبني القرار الحر، وتقبل المقدرات المثالية الصالحة لهداية الناس، والحريصة على سيرورة المجتمع نحو الصراط القويم الذي لا يقبل التيه والخطأ، فقد شخصتعليها السلام النموذج الإنساني المعصوم المختزل في الذاكرة الجمعية، فـ(محمد) هو النبي المرسل لهداية البشرية، و(فاطمة) بضعته وروحه التي بين جنبيه اختصت بهذه الكينونة من دون نساء العالمين جميعا، (علي) ابن عمه والمخصوص بالإخوة من دون رجال الأمة، فلا يمكن لأحد أن ينكر هذا الخط المستقيم المرتبط في جوهره -روحيا وفكريا وجسديا- بالخط الإلهي الذي أنقذ البشرية من براثن التخلف والجهل.[٤].

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٨.

(٢) الطبري: دلائل الإمامة ص١١٤.

(٣) نجد ذلك واضحا في يوم الإنذار في مطلع الدعوة الإسلامية، فبعد أن نزل قوله تعالى **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾**، فدعا النبيﷺ بنو هاشم وقال لهم: **أيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي**، فلم يجبه إلّا علي، فقال النبيﷺ: **يا علي، أنت أخي ووصيي ووليي وخليفتي من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا**. لمزيد من التفاصيل ينظر: العواد، حادثة الإنذار بين النص القرآني والرواية التاريخية: ص٤٦١-٥٠٠.

(٤) التميمي، تجلي المعنى الإنساني في الخطاب الفاطمي: ص١٠١.

ثانيا: ومن الأمور التي ركزت عليها في موقفها ضد الانحراف: تحرير العقول من ضلالة الاعتقاد، إن المعرفة الحقة بوحدانية الله والالتزام بأوامره ونواهيه يتجه بالإنسان نحو فطرته السليمة ويُباعد بينه وبين الرذائل والانحرافات، لذلك فان نسق خطابهاعليها السلام ركز على هذا الجانب إذ أرست في خطابها مبادئ العقيدة الثابتة غير القابلة للتغيير.

إن الحضور الديني يعزز حركة الوعي نحو الشعور بالقيمة الإنسانية، والتوحيد يمثل المرحلة الرئيسة في البناء المعرفي الديني إذ يقول المولى أمير المؤمنينعليه السلام «**أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به وكمال توحيده الإخلاص لـه**»[1] ومن الأصول التوحيدية الكبرى التي أشارت لها السيدة فاطمةعليها السلام الإقرار بالنعم الإلهية[2]، ومن ثم استعراضها لإبداع الخالق فيما خلق في هذا الكون[3]وتشهد له شهادة واقعية ذات بعد عميق خالص[4]، تمنح الإنسانية حقها المشروع في العيش بحرية لأنها تنفي المقاصد الفاسدة والتطلع لاستعباد الناس وحب السمعة والرئاسة، وتحرر المعتقد يُبصر بعين الواقع إلى محض الوجود وآثاره، وتبعية المعلول للعلة والخلق للخالق فلا اله ولا مدبر ولا رازق إلَّا الله وهذا ما يجعل الإنسان يتحكم في قرارات مصيره المشروع.[5]

ثالثا – شرعت في توجيه أنظارهم وعقولهم المفرغة إلى حقيقة ما كانوا يجهلوه: واقعية مقام النبوة وعظمة دور النبيصلى الله عليه وآله إذ إن المعرفة الحقة بذلك تنقذهم من حالة اللاوعي والجهالة التي قادتهم إلى الاستسلام إمام تيار الانحراف وقادته، وبينت كيف إن الله مّن عليهم بوجوده، وأنقذهم به من الضلالة، وبعد إن استعرضت بؤس حالهم وما كانوا عليه، فجاء في خطابها عن أبيها: «**فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه**صلى الله عليه وآله**، فبلغ الرسالة، صادعا بالنذارة مائلا عن مدرجة المشركين، ضاربا ثبجهم، آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة**

---

(١) الشريف الرضي، نهج البلاغة: ص٣٤.

(٢) إذ قالتعليها السلام: «**الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما الهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتداها وسبوغ الاء اسداها وتمام منن اولاها جم عن الاحصاء عددها ونأى عن الجزاء امدها، وتفاوت عن الادراك ابدها وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها**». ابن طيفور: بلاغات النساء ص١٥.

(٣) تقول عليها السلام: «**ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها وانشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها، كونها بقدرته، و ذرأها بمشيئته من غير حاجه منه إلى تكوينها ولا فائدة له في تصويرها الا تثبيتا لحمته وتنبيها على طاعته واظهارا لقدرته وتعبدا لبريته...**». الطبري: دلائل الإمامة ص١١١.

(٤) في قولهاعليها السلام: «**واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الاخلاص تأويلها وضمن القلوب موصولها وانار في الفكر معقولها، الممتنع من الابصار رؤيته ومن الالسن صفته ومن الاوهام كيفيته**». الطبري: دلائل الإمامة ص١١١.

(٥) التميمي: تجلي المعنى الإنساني في الخطاب الفاطمي ص٩٥.

والموعظة الحسنة، يجف الأصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص، في نفر من البيض الخماص، وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطر ق، وتقتاتون القد، أذلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله، وبعد أن مني ببهم، الرجال وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ جناحها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا في ذات الله، مجتهدا في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمرا ناصحا، مجدا كادحا، لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال».[1]

هذا الحال الذي وصفته وما كانوا عليه ورغم جهد النبي الكبير في إصلاحه والارتقاء به بدأ يلوح من جديد في ظل انحراف المسار، وبهذا تؤكد أن دور الإمامة هو الحفاظ على مكتسبات النبوة وان إقصاء الإمام يعني عودة الجاهلية لعهدها الأول، إذ كما وصفت: «**فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، واطلع الشيطان رأسه من مغرزة هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، وأحشمكم فألفاكم غضابا، فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين، فهيهات منكم، وكيف بكم، وأني تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بئس للظالمين بدلا، ومن يبتع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين»**[2].

رابعا – إن أهم ما ركزت عليه في خطابها عليها السلام مسألة الاستخلاف الإلهي: إذ تنتخب السماء

(١) الطبرسي، الاحتجاج: ج١ ص١٣٤-١٣٦.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج: ج١ص ١٣٦.

من يتحمل مسؤولية قيادة المجتمع وفق الضوابط الإلهية، «فالإنسانية غير مخولة أن تنفرد بهواها أو تنعزل باجتهادها عن الخط الإلهي وهي ملزمة بتطبيق قانون السماء، ولا تسمح لنفسها قبول إي نظام يستسيغ مخالفة هذا القانون العادل، والسيدة فاطمة عليها السلام أثبتت من خلال خطابها الحكيم إدراكها المصلحة الإنسانية العامة، التي أقرت السماء قانون تكامله من خلال إتباع خط الإمام المعصوم المجسد للحكومة الإلهية وقد حاولت أن تبصر الإنسانية هذه التجربة القيادية المنفردة؛ لاختزالها وهضمها وتطبيقها واقعيا، إذ تقول «**وطاعتنا نظاما للملة، وإمامتنا أمانا من الفرقة**»(١). فالإمامة التي خصها الله تعالى في أهل بيت النبي هي امتداد رباني ومرجع فكري تشريعي يشرف على سير الجماعة الإنسانية، فالنبي هو حامل الرسالة بالاختيار الإلهي والإمام هو المستودع للرسالة ربانيا فلا يمكن أن يكون إلَّا نظاما آمنا قادرا أن يحمي الأفراد والجماعة من التفرقة والانحلال في الأبعاد الإنسانية جميعا؛ لارتباطه بالمصدر الحيوي (الإنساني والغيبي)المؤّمن الحاجات البشرية كافة، والمحافظ على الأطر الإنسانية التي تمنح الإنسان حرية العيش والكرامة، وهذا النوع من الاستخلاف المعصوم وبما يحمل من ركائز إلهية منضبطة يمنح الإنسانية فرص النمو الحقيقي التي تعزز الذات بالقيم والمباديء العليا مما يجعلها في حركة تصاعد مستمرة نحو الإصلاح الإنساني»(٢).

ولم تترك أمر تأويل النص منوطا باجتهادات عقولهم القاصرة بل حددت شخص الإمام أمير المؤمنين انه المعني بهذا الأمر، الجدير بهذه المهمة مستنكرة فعلهم الشنيع بإقصائه «**ويحهم أنى زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين إلَّا ذلك هو الخسران المبين**»(٣)، ثم بينت الدوافع الكامنة وراء إزاحته عن موقعه «**وما الذي نقموا من أبي حسن نقموا والله من نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه، وشدة وطأته ونكال وقعته، وتنمره في ذات الله**»(٤)، هذا الجهاد المتفرد العظيم لم يستطع احد منهم أن يبلغه وقد كفاهم مؤونته وهم ينعمون في ظل أمانه، بل إنهم تحينوا الفرص لمكافأته بغصب حقه و دفعه عن مقامه الذي لا يسده احد منهم «**كلما فغرت فاغرة المشركين، قذف أخاه عليا في لهواتها، وانتم في رفاهية العيش وادعون، قاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر، وتتوكفون الإخبار، وتنكصون عند النزال، وتفرون من القتال**»!، وأوضحت لو انه باق في الموضع الذي أراده الله ورسوله له لتحقق العدل الإلهي ونعموا في عيشهم وكل حياتهم «**والله لو**

(١) المجلسي، بحار الانوار: ج ٢٩ ص٢٢٣.
(٢) التميمي، تجلي المعنى الإنساني ي الخطاب الفاطمي: ص١٠١.
(٣) الطبري الإمامي، دلائل الإمامة: ص١٢٦.
(٤) الطبرسي، الاحتجاج: ج١ ص١٤٧.

تكافوا عن زمام نبذه رسول الله لاعتلقه. ولسار بهم سيرا سُجحا، لا يكلُم خشاشة، ولا يتعتع راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا فضفاضا تطفح ضفتاه، ولأصدرهم بطانا[1]، قد تخير لهم الري غير متحل منه بطائل[2]، إلاَّ يغمر الماء وردعه سورة الساغب، ولفتحت عليهم بركات السماء والأرض»[3].

ثم اعلنتها جهارا أن اختيارهم الحالي غير صحيح وغير موفق ولم يستند لدليل شرعي ولا عقلي فلا مجال للمقايسة، ومن تزعم لا يمكن أن يحل بديلا عن صاحب الحق أمير المؤمنين «**ألا هلم فاسمع وما عشت أراك الدهر العجب، وان تعجب وقد أعجبك الحادث، إلى إي إسناد استندوا وبأي عروة تمسكوا، استبدلوا الذنابى والله بالقوادم، والعجز بالكاهل، فرغما لمعاطس[4] قوم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[5] ﴿أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[6]، ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾**»[7].

خامسا- كشفت في خطابها جهل السلطة وبطلان حججها وزيف ادعاءاتها من خلال الاحتكام للنص القرآني وذلك في أكثر من مورد، نذكر مثلا:

١- **﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾**[8] بعد قولها «**ابتداءا زعمتم خوف الفتنه**»[9]، وفي هذه الالماحه منها دليل قاطع على أن ما فعلوه هو أساس الفتنة في المجتمع بغصبهم الحق وانحرافهم عن جادة الصواب.

٢- **﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[10]، وجاء هذا النص الخطير إقرارا بأحداثهم في الدين وابتعادهم عنه، بعد أن حذرتهم من خطورة ترك الاحتكام للقران، إذ يخرجهم ذلك من ملة الإسلام وذلك هو الخسران المبين.

---

(١) الطبري الإمامي، دلائل الإمامة: ص١٢٦ ١٢٧.
(٢) المرعشي، شرح إحقاق الحق: ج١٠ ص٢٠٦.
(٣) الطبري الإمامي، دلائل الإمامة: ص١٢٧.
(٤) الطبرسي، الاحتجاج: ١/ ١٤٨.
(٥) سورة الكهف: الآية ١٠٤.
(٦) سورة البقرة: الآية ١٢.
(٧) سورة يونس: الآية ٣٥.
(٨) سورة التوبة: الآية ٤٩.
(٩) الطبري، دلائل الإمامة: ص١١٦.
(١٠) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

٣- احتجت بالآيات القرآنية الخاصة بالإرث إذ أبطلت حجت الخصم في ادعاء عدم أحقيتها في وراثة أبيها، فقالت «**يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا ارث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا، أفعن عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾**[١]. **وخبر زكريا إذ قال ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾**[٢] **وقال: ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾**[٣] **وقال ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾**[٤] **وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾**[٥]. **ثم** قالت «**فزعمتم أن لاحظ لي، ولا أرث من أبي! أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟! أم تقولون أهل ملتين لا يتوارثون؟! أو لست وأبي من أهل ملة واحدة؟! أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم من النبي؟**»[٦].

ويكفي في ذلك إثبات جهلهم وقصورهم في فهم النص القرآني وهم دعاة «حسبنا كتاب الله» فكيف يدعون ما لا يفقهون تأويله؟ مما يفقدهم أهلية القيادة خاصة بوجود من هو اعلم وأحق والذي وصفته بالقول «الطبين بأمور الدنيا والدين»[٧].

سادسا: نبهت عليها السلام إلى خطورة ومآلات الاستسلام للواقع المفروض عنوة، وان السكوت على وقيعة الظلم وانتهاك حرمة البيت النبوي سيهّون لدى المتنفذين كل الحرمات فلا تبقى قدسية ولا خطوط حمراء، وان الأمر لا يقف عند سلب حقوق أهل البيت عليهم السلام، بل انه سيشمل كل الأمة وعلى امتداد الزمان، فان الانحراف العقدي يؤسس لكل ما يمثل خطرا وتهديدا لأمن وأمان ووحدة المسلمين، وهذا ما أوضحته في خطاباتها: «**ثم لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، تسرون حسوا بارتغاء، أو نصبر منكم على مثل حز المدى...**»[٨] وفي كلام آخر لها «**أما لعمري لقد لقحت فنظرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دما عبيطا وذعافا مبيدا، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون، غب ما أسس الأولون ثم طيبوا عن دنياكم أنفسا، واطمئنوا للفتنة جأشا، وأبشروا**

(١) سورة النمل: الآية ١٦.
(٢) سورة مريم: الأيتان ٥ ٦.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٧٥.
(٤) سورة النساء: الآية ١١.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٠.
(٦) الطبري الإمامي، دلائل النبوة: ص١١٧.
(٧) الطبري الإمامي، دلائل النبوة: ص١٢٦.
(٨) الطبري الإمامي، دلائل النبوة: ص١١٦.

بسيف صارم وسطوة معتد غاشم، وبهرج شامل، واستبداد من الظالمين، يدع فيئكم زهيدا وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم، وأنى بكم، وقد عميت عليكم أنلزمكم وها وأنتم لها كارهون...»[1].

(١) المجلسي: بحار الأنوار: ح٤٣ص١٦٠-١٦١.

المطلب الثالث: المنهج التطبيقي في مواجهة الانحراف العقدي

وهنا قد اتخذت عدة إجراءات عملية ضد خصومها:

١- رفض نتائج السقيفة والامتناع عن بيعة الخليفة: إذ انضوت تحت لواء قطب المعارضة الأكبر أمير المؤمنين عليه السلام لكونه صاحب الحق في هذا الأمر، والذي نجد من جانبه صلابة، وثبات في رفض الحكم الجديد الذي تمخض عن مؤامرة السقيفة، ونجد من جانب خصومه في الحكم توجيه الاهتمام الأكبر له وتسليط الضوء عليه، بل حتى أساليبهم التي اتبعوها معه اختلفت عن باقي المعارضين رغم عظم مكانته وأهل بيته، فكانت الأعنف والأقسى إذ هُدد بالقتل وإحراق بيته[١].

وكان موقف السيدة فاطمة عليها السلام مؤيد وموافق لموقف أمير المؤمنين عليه السلام إذ لم يسجل التاريخ أنها بايعت بل امتنعت وقاومت تعنيفهم، لتثبت بطلان ما أحدثوه وجرم ما ارتكبوه بحق أهل بيت النبوة.[٢]

٢- التعبئة الجماهيرية لكسب التأييد واستنهاض الناس: إذ روي قيامها برفقة أمير المؤمنين عليهما السلام بالتطواف على البيوتات في المدينة وتذكير الناس ببيعتهم الأولى لأمير المؤمنين عليه السلام في حضرة رسول الله صلى الله عليه وآله وبماذا أوصاهم صلى الله عليه وآله من وجوب ملازمة الإمام وعدم مخالفته،[٣] «ولم يكن يقصد بذلك التطواف انشاء حزب يتهيأ له القتال به... وإنما أراد أن يمهد بتلك المقابلات لاجتماع الناس عليه».[٤]

---

(١) ينظر: ابن أبي شيبة، المصنف: ج٨ ص٥٧٢، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج١ص٢٨، البلاذري، أنساب الأشراف: ج٢ ص٢٦٨، الطبري، تاريخ: ج٣ ص٢٥٤، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ج٤ ص٢٥٩، الجوهري، السقيفة وفدك: ص٤٦-٥٢، الحاكم، المستدرك: ج٣ ص٦٦، المتقي الهندي: كنز العمال: ج٥ ص٦٥١. ولمزيد من التفاصيل ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٩٠٧ -١٠١٧.

(٢) وقد تمثل بحجاجهم وجدالهم بالادلة القرآنية والنبوية والعقلية. وقد حفظت لنا المصادر لها ثلاث خطب، الأولى: في مجلس نظام الحكم، والخطبة الثانية: في مجلس الأنصار، والخطبة الثالثة: على عدد من نساء المهاجرين والأنصار لما عدنها في مرضها الأخير. ينظر: ابن طيفور، بلاغات النساء: ص٢٣-٢٩، الجوهري، السقيفة وفدك: ص١٠٠-١٠١، الشريف المرتضى: الشافي في الإمامة: ج٤ ص٧٠- ٧٧، ابن الأثير، منال الطالب: ج٢ ص٥٠١-٥٢١، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص: ص٢٨٥، الدمشقي: جواهر المطالب: ج١ ص١٥٦ - ١٦١.

(٣) الطبرسي: الاحتجاج: ج١ ص٥٤.

(٤) الصدر: فدك في التاريخ: ص٩٢.

وكان ذلك الموقف رغم قرارات السلطة وإجراءاتها الصارمة لكل تحرك يناهض حكمهم. وبهذا الفعل فإنها عليها السلام لم تترك مجالا للمتخاذلين وألقت الحجة على الجميع ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.[1]

ولكن لم يستجب لها إلَّا عدد قليل لم يتجاوز الأربعة[2]. وكان قلة الناصر سببا رئيسيا لعدول الإمام علي عليه السلام عن المواجهة المسلحة، فضلا عن الظروف المحيطة به آنذاك والتي جعلت من الصعب المجازفة.[3]

٣- إعلان المعارضة واستقطاب المعارضين في بيتها: إذ أصبح بيت أمير المؤمنين عليه السلام مركزا لاجتماع المعارضين للسلطة بعد أن لزم الإمام بيته بعد خذلان الناس له، وقد اجتمع المعارضون حول صاحب الحق المغتصب، وتحصنوا بداره، وكانوا ثلة من الصحابة من المهاجرين والأنصار، وهنا جاء موقف السلطة التعسفي بمهاجمة البيت الهجوم الأول[4]، الذي كان هدفه إبعاد هولاء المعارضين، وإفراغ الساحة من الناصرين لأجل إبقاء الإمام وحيدا.

وتدلنا النصوص إن للسيدة فاطمة عليها السلام الدور الكبير والريادي في تزعم المعارضة إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام، إذ قامت بتكليفها تجاه إمامها، ودافعت عن حقه، كما هو واضح في موقفها الاحتجاجي[5]، والدليل الأكثر وضوحا أن عمر بن الخطاب لما جاء مهددا بالإحراق وجه كلامه لها تحديدا «إن اجتمع هؤلاء النفر عندك إن إمرتهم إن يحرق عليهم البيت»[6].

٤- رمزية فدك[7] والمطالبة بالحقوق الاقتصادية المصادرة من قبل السلطة: بعد ان صادرت حكومة أبي بكر الحق السياسي لاهل البيت عليهم السلام بانتزاع نظام الحكم المتمثل بخلافة النبي صلى الله عليه وآله من الإمام امير المؤمنين عليه السلام، الحقت ذلك الاجراء بمصادرة الحقوق الاقتصادية والتي تضمنت: مصادرة

(١) سورة ص: الآية ٣.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج: ج١ص٥٤.

(٣) وقد أبان الإمام عن مواقفه في أكثر من مناسبة: ينظر: الشريف الرضي، نهج البلاغة: ص٣١٦- ٤٢٤، أبو هلال الثقفي: الغارات: ج١ ص٣٠٤، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق: ج٤٢ ص٤٣٤.

(٤) عن تفاصيل وملابسات هذا الهجوم ينظر: العواد: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام: ص٩١١- ٩٢٩.

(٥) لقد أكدت كتب التراث على حجاج الصديقة فاطمة عليها السلام، ويندر أن نجد كتابا لم يشر لذلك، سواء كتب الحديث أو الرجال والسيرة والتراجم والتاريخ فضلا عن كتب اللغة والأدب والفلسفة والكلام، بل وحتى كتب البلدان.

(٦) ابن ابي شيبة، المصنف: ج٨ ص٥٧٢، الجوهري، السقيفة وفدك: ص٥٣، ابن ابي الحديد، شرح النهج: ج٢ ص٤٥.

(٧) تناولت فدك وأهميتها وملابساتها عدت دراسات منها: الصدر: فدك عبر التاريخ (الصفحات جميعها)، الجلالي، فدك (الصفحات جميعها)، النصر الله: فدك في مرويات الجوهري البصري: ص١-٩٠. وعيرها.

ارض فدك، ومصادرة ارث النبي صلى الله عليه وآله، ومصادرة سهم ذوي القربى.[1]

ولا يخفى سبب ذلك اذ ارادت السلطة تجريد الامام عليه السلام من مصادر القوة التي من الممكن ان يستند عليها لتقوية موقفه المعارض. وهنا تصدت السيدة فاطمة عليها السلام لذلك، واعلنت احتجاجها على فعل السلطة، وقصدته مطالبة بحقها المشروع، ولكنه انكر عليها محتجا بحديث نسبه للنبي صلى الله عليه وآله[2]، ورفض مطالبتها بفدك وغيرها، وبعد سجال وجدال واحتجاج مدعم بالايات والشهود والبينات، ورغم افحامها لهم بكل ما قدمته من ادلة وبراهين، لكنهم اصروا على تكذيبها، وسلب حقها عمدا.[3]

والغريب ان هذا الاجراء الظالم قد خُصت به بضعة النبي صلى الله عليه وآله دون غيرها ممن حولها؛ اذ انهم لم يصادروا اي قطاع منحه النبي ما خلا فدك! بل احد الصحابة قد ادعى ان النبي وعده ان يقطعه، وبناءا على هذا الادعاء قامت الحكومة باقطاعه ما ادعى دون يمين أو بينه[4].

٥- اعلان المقاطعة والغضب الابدي: بعد ان سجلت رفضها بشكل علني وواضح لكل اجراءات السلطة، وبعد ما نالها من تعنيف واذى اضر بجسدها الشريف حتى لازمت الفراش، ووصفت الروايات حالها ايام علتها: «نحل جسمها حتى كان كالخيال»[5]، اتخذت موقفا صارما جديدا، فاجيء رموز السلطة وكل المتخاذلين في مقاطعتهم، وإعلان غضبها عليهم، هذا الغضب المتصل بغضب الله ورسوله[6] فكان أن أعلمت الإمام علي عليه السلام، بعدم الاذن في زيارتها أو عيادتها خاصة لمن آذوها أو

(١) لمزيد من التفاصيل ينظر: النصر الله: مصادرة الحق السياسي والاقتصادي لأهل البيت عليهم السلام (الصفحات جميعها).

(٢) وهو حديث: نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة. الذي انفرد أبي بكر بروايته، في الوقت الذي كان من الواجب على النبي صلى الله عليه وآله أن يعلم ابنته بذلك كونها الوحيدة التي يخصها الأمر، أن كان الأمر صحيحًا، ولكنه غير صحيح لأنه يخالف صريح القرآن. ينظر: ابن سعد، الطبقات: ج٢ص٣١٥، ابن حنبل، المسند: ج١ ص١٠، الترمذي، سنن: ج٣ ص٨١، ابن حبان، الصحيح: ج١١ ص١٥٢، ابن حجر، فتح الباري: ج٦ ص١٤٠.

(٣) عن مطالبتها بفدك وأدلتها ينظر: ابن شبة، تاريخ المدينة: ج١ص١٩٩، البلاذري، فتوح البلدان: ص٣٥، ابو يعلى، المسند: ج٢ص٣٣٤، الجوهري، السقيفة: ص١٠٤-١٤٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج٤ ص٢٣٩، المحب الطبري، الرياض النظرة: ج١ ص٣٨٥، السيوطي، الدر المنثور: ج ٤ ص١٧٧، الحلبي، السيرة الحلبية: ج٣ ص٥١١، الشوكاني، فتح القدير: ج٣ ص٢٢٤.

(٤) ومن هؤلاء جابر بن عبد الله الأنصاري الذي قال لأبي بكر: أن النبي صلى الله عليه وآله وعده أن يعطيه هكذا وهكذا وهكذا، فبسط يده فحثى له أبو بكر ثلاث حثوات، فكانت خمسمائة وخمسمائة وخمسمائة. ولم يسأله بينة. ينظر: البخاري، الصحيح: ج٣ ص١٦٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء: ص٧٩-٨٠، ومنهم أبو بشير المازني. الذي قال لأبي بكر: أن النبي صلى الله عليه وآله، قال لي: **إذا جائني شيء فاتنا**. فأعطاه أبو بكر حفنتين أو ثلاثا، فوجدها ألفا وأربعمائة درهم. ولم يسأله بينة. ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج٢، ٣١٨-٣١٩.

(٥) القاضي المغربي، دعائم الإسلام: ج١ ص٢٣٢، المجلسي، بحار الانوار: ج٧٨ ص٢٨٢.

(٦) الصنعاني، المصنف: ج٥ ص٤٧٢، مسلم، الصحيح: ج١ ص٦، الطبري: تاريخ: ج٣ ص٢٥٧، الجوهري: السقيفة وفدك ص٥٣، الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص٢٤٥، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج٢ ص٥٧.

خذلوها[1].

وكان هذا الموقف قد زلزل الرأي العام والسلطة الحاكمة، وكان لها صداه الواسع، ولعله السبب الذي جعل رموز السلطة يأتون طالبين رضاها، وبعد توسيط امير المؤمنين عليه السلام في السماح لهما بزيارتها ولما دخلا عليها، حولت بوجهها عنهما، ولم ترد السلام عليهما، وفي ذلك دليل على عظم استياءها منهما، ورغم ان الاوّل ترفق في خطابه طالبا رضاها محاولا تبرير ما فعله، الا انه تفاجيء برد صاعق منها عليها السلام اذ روى الصدوق[2]: «... فقال الثاني للاوّل: انطلق بنا إلى فاطمة عليها السلام فإنا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمة عليها السلام، فلم تأذن لهما، فأتيا عليا عليه السلام فكلماه، فأدخلهما عليها، فلما قعدا عندها، حوّلت وجهها إلى الحائط! فسلّما عليها، فلم ترد عليها السلام. فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله، والله إن قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحب إلي من قرابتي، وانك لأحب إلي من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك إني مت، ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك واعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا إني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: **لا نورث ما تركناه صدقة**. فقالت عليها السلام: **أريتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟** قالا: نعم. فقالت عليها السلام: **نشدكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني**. قالا: نعم، سمعنا، من رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت: **فإني أشهد الله وملائكته، إنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله لاشكونكما إليه**. فقال أبو بكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه ومن سخطكِ يا فاطمة! ثم انتحب أبو بكر يبكي، حتى كادت نفسه تزهق، وهي تقول: **والله، لأدعون الله عليه في كل صلاة أصليها**. ثم خرج فأجتمع إليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معانقا حليلته مسرورا بأهله وتركتموني وما أنا فيه لا حاجة لي في بيعتكم أقيلوني بيعتي».

وفي رواية أخرى إنها استشهدت بحديث: «**فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني**» فلما اقّرا بمعرفة هذا الحديث وسماعه من أبيها صلى الله عليه وآله! «فرفعت يدها إلى السماء. فقالت: **اللهم أنهما قد آذياني، فأني اشكوهما إليك والى رسولك، لا والله لا أرضى عنكما أبداً حتى ألقى أبي رسول الله واخبره بما صنعتما فيكون هو الحاكم فيكما!**» فعند ذلك «دعا أبو بكر بالويل والبثور وجزع جزعا شديداً.

(١) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث: ص٢٧٩، الجوهري، السقيفة: ص١٠٤، ١٤٧، الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام: ج١ ص١٣١، المجلسي، بحار الانوار: ج٤٢ ص١٨٢.

(٢) الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص ٢٤٥.

فقال عمر: تجزع يا خليفة رسول الله من قول امرأة»[١].

وجاء في رواية ثالثة: إن عمر قال لما رأى أبو بكر يدعو بالويل والبثور ويقول: «ليت أمي لم تلدني» فأجابه عمر: «عجباً للناس كيف ولوك أمورهم، وأنت شيخ قد خرفت، تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها، وما لمن اغضب امرأة»[٢].

٦- إبراز ظلامتها: استطاعت السيدة فاطمةعليها السلام ان تحول المآسي التي واجهتها، والاجراءات التي اتخذتها ضد خصومها إلى موقف ثابت في التاريخ، والى قضية ومنهج لا تقف عند حدود زمانها، «والزهراء تمكنت - بالرغم من حجم المظلومية - ان تحرك كل هذه المظلوميات باتجاه الحق، فحولت قضية الارث إلى فكرة، ومنطق، وخط، واساس في كل مجرى التاريخ، وبقيت هذه المعركة حتى يومنا هذا، بحيث اصبحت قضية فدك شعارا من شعاراتنا».[٣]

وكان حزنها وبكاؤها حزنا رساليا له اثره الكبير في مجتمعها، ودليل ذلك ان السلطة منعت السيدة فاطمةعليها السلام من البكاء[٤]، ومن زيارة قبر أبيها النبيصلى الله عليه وآله،[٥] وما سبب ذلك إلَّا للاثر الكبير الذي احدثته مجتمعيا، والا فلا يوجد مبرر لهذا المنع[٦]، الا خوفهم من تهييج الرأي العام ضدهم، فان حزنها وبكاؤها يوقظ الضمائر أو على اقل تقدير يقدح فيها ما ينبهها لفضاعة ما جرى على بيت النبوة ووديعة النبيصلى الله عليه وآله من ظلم يعد مؤشر بداية الانحراف، وتوالي المحن على الامة، وان كانت الامور في اولها لم تدركها عقول الناس بشكلها الواقعي لكن على المدى البعيد ثبت بالدليل ان تلك الظلامة فتحت باب لكل الظلامات في تاريخ الإسلام التي من اعظمها وقيعة كانت فاجعة كربلاء.

ان قضية تحريك العاطفة وتهييج المشاعر له اثره الكبير في ديمومة موقف المظلوم، وثبات منهجه، وبقاؤه حيا في الضمائر الإنسانية الحرة، وخير دليل على ذلك ارتباط ظلامة السيدة فاطمةعليها السلام، وظلامة الإمام الحسينعليه السلام بشكل خاص بكل ثورة ضد الظلم الذي لم تخل منه الأرض، وبذلك

(١) الهلالي، كتاب سليم: ج٢ ص ٨٦٩.
(٢) الصدوق، علل الشرائع: ج١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦.
(٣) الحكيم، فاطمة الزهراء: ص١٣٨.
(٤) ابن قولويه، كامل الزيارات: ص٢١٣، الصدوق، الأمالي: ص٢٠٤، الخصال: ص٢٧٣، ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب: ج٣ ص٣٠٣، المجلسي، بحار: ج٤٣ ص١٧٤-١٨٠.
(٥) الكوراني، جواهر التاريخ: ص١٢٨- ١٣٠، العواد، السيدة فاطمةعليها السلام: ص٧١٦-٧١٧.
(٦) اما ما ذكرته بعض الروايات من ان أهل المدينه تأذوا من كثرة بكاؤها فهي روايات موضوعة ومبالغ فيها وقد ثبت بطلانها، ينظر: المجلسي، بحار الانوار: ج٤٣ ص١٧٤- ١٨٠، العواد، السيدة فاطمة: ص٧١٣- ٧١٦.

نجحت عليها السلام في تحويل ظلامتها إلى قضية، وفكر، ومنهج.

٦- وصاياها: ختمت عليها السلام حياتها الشريفة بفعل احتجاجي لم يخطر ببال خصومها، وهي توصي امير المؤمنين عليه السلام بسرية دفنها، واخفاء قبرها.(١)

هذا الفعل الذي ترك صداه على مديات الزمان، شاهد حق على فعل الطغاة، وما تجنوه على وديعة النبوة، ورغم كل المحاولات الحثيثة لطمس حقيقة ما جرى، بقيت مسألة إخفاء القبر، مثار سؤال عبر التاريخ لم يستطيعوا معالجته أو اعطاء اجابة مقنعة بخصوصه، وهذا من اسرار عظمة منهجها عليها السلام في احياء ضمير الامة المغلوب على امرها منذ انحرافها عن جادة الصواب وحتى يومنا هذا.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج٨ ص٢٩، ابن أبي شيبة، المصنف: ج٨ ص٦٢، ابن أبي عاصم، الأحاد والمثاني: ج٥ ص٣٥٥، الطبري، المنتخب: ص٣٦٣، المسعودي، التنبيه والاشراف: ص٢٥٠، الطبراني: المعجم الكبير: ج٢٢ ص٣٩٨، ابن عبد البر، الاستيعاب: ج٤ ص٣٧٩.

استنتاجات البحث

وختاما: يمكن ايجاز اهم ما توصل له البحث:

١- انتهجت السيدة فاطمة عليها السلام آليات فاعلة تنضوي تحت منهجين سارا في افق متوازي يكمل احدهما الاخر (نظريا وتطبيقيا) وذلك لمواجهة الانحراف الذي عصف بأمة أبيها المصطفى بعد رحيله، والذي لم يكن مجرد انحراف سياسي تقتصر خطورته على مرحلة ظهوره، بل انه انحراف عقدي يمس جوهر الدين، ويؤسس لنهج وسلوك يهدد المشروع الرسالي برمته.

٢- شخصت عليها السلام مكامن الخلل من خلال خطابها المضاد للخطاب المضلل؛ وان مسؤولية الانحراف الحاصل لا تقع على زمرة السلطة فقط والتي تغلبت بالقهر والقوة، وانما على المجتمع ايضا والذي كان يعاني ازمة اللاوعي وضحالة المعرفة بالأسس الدينية وحالة من الجمود الفكري، مما سهل على السلطة تضليله والتحكم بمصيره.

٣- نبهت المجتمع إلى خطورة ما نتج عن السقيفة التي تشكل بداية محنة الامة وتشظيها وضياع لمكتسبات النبوة، وتغييب دور القيام على الشريعة والمناط بالإمام امير المؤمنين عليه السلام والذي غُصب حقه على مرأى ومسمع من الجميع. وان نتائج الانحراف الحاصل ليست آنية بل ستجر الوبلات وتفتح باب الفتن على الامة على مر العصور، فكان كما قالت عليها السلام.

٤- لم يكن حِراكها المعارض ضد السلطة ولا خطابها مجرد مدونة احتجاجية للمطالبة بفدك، كما يحاول البعض تحجيم الخلاف الحاصل بينها عليها السلام وبين السلطة؛ بانه مجرد خلاف على قطعة ارض! لقد كشفت من خلال تحركها وما قامت به ومن خلال خطابها زيف الخطاب المضلل الذي انتهجته السلطة وبعد ان اسقطت كل حججهم الواهية بغصب الحقوق الاقتصادية لأهل البيت عليهم السلام، ركز خطابها على القضية الاهم الا وهي «الاستخلاف والإمامة «وانها مشروع السماء توجهه حيث ترى لما فيه المصلحة وإنقاذ الإنسانية، وانها ليست منوطة باجتهادات البشر، وهي تحاول ان تبصّرهم بتفرد هذه التجربة القيادية التي هي جزء من المنظومة الالهية للارتقاء بالإنسانية لما فيه صلاحهم.

٥- ضّمنت خطواتها التصعيدية فعلا احتجاجيا كبيرا (بإعلان غضبها واخفاء قبرها) فتركته

سؤالا محيرا على امتداد الزمان، والذي لم تصمد امامه كل محاولات طمس الحقائق وتغييبها.

٦-- نهضت السيدة فاطمة عليها السلام بوظيفتها الرسالية و بما تملكه من موقعية مؤثرة في مجتمعها انذاك وعلى امتدد الزمان، وهي تمثل النبوة روحا وفكرا وسلوكا، لذلك فان فاعلية حركتها لم تقتصر على زمانها، بل تخطته لنراها متجددة في كل العصور، اذ استطاعت ان تحول ظلامتها إلى قضية فكر ومنهج وهي تقدم نفسها قربانا للامامة، وحفظ المشروع الالهي، كما هو حال نهضة الإمام الحسين ع من بعدها. ولذلك نجد اثر ظلامتهما حيا مرتكزا في الوجدان الإنساني.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير: مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد (٥٤٤-٦٠٦هـ).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تح: صلاح بن محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- منال الطالب، تح: محمود الطناحي، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧.
- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (١٩٤-٢٥٦هـ).
- الصحيح، مط: دار الفكر، بيروت، ١٤٠١.
- البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر ت ٢٧٩هـ.
- أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار - رياض زر كلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- فتوح البلدان، ب.ط، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
- البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي ت ٤٥٨هـ.
- السنن الكبرى، ب.ط، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (٢٠٩-٢٧٩هـ).
- سنن الترمذي، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، ب.ط، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- التميمي: عماد صالح جوهر.
- تجلي المعنى الإنساني في الخطاب الفاطمي، قراءة تحليلية في المنطلق الفكري والتشريعي، مجلة العقيدة، العدد ٢٣، ٢٠٢٢.
- الجلالي: محمد باقر الحسيني
- فدك والعوالي، ط١، قم، ١٤٢٣.
- الجوهري: ابو بكر احمد بن عبد العزيز البصري ت ٣٢٣هـ
- السقبفة وفدك، تح محمد هادي الاميني، ط٢، شركة الكتبي، بيروت ١٩٩٣م
- الحاكم النيسابوري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٣٢١-٤٠٥هـ).

- المستدرك على الصحيحين، تح: د. يوسف المرعشلي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ابن حبان: أبي حاتم محمد ت٣٥٤.
ـ صحيح ابن حبان، تح: شعيب الارناؤوط، ط٢، بيروت، ١٩٩٣.
- ابن حجر: أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (٧٧٣-٨٥٢هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ب.ت.
-ابن أبي الحديد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٥٨٦-٦٥٦هـ).
- شرح نهج البلاغة، تح: محمد أبو الفضل، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧.
ـ الحكيم: محمد باقر ت٢٠٠٣هـ
ـ الزهراء اهداف مواقف نتائج، مؤسسة تراث الحكيم، النجف، ٢٠٠٦م.
- الحلبي: علي بن بهاء الدين الشافعي (٩٧٥-١٠٤٤هـ/ ١٥٦٧-١٦٣٥م).
- السيرة الحلبية، تصحيح: عبد الله الخليلي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٦.
- ابن حنبل: أبو عبد الله احمد بن محمد (١٦٤-٢٤١هـ).
- المسند، ب.محق، دار صادر، بيروت، ب.ت.
-الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن احمد بن محمد المكي (ت ٥٦٨هـ).
- مقتل الحسين عليه السلام، تح: محمد السماوي، ط٢، مط مهر، أنوار الهدى، ١٤٢٣هـ.
- ابن الدمشقي: شمس الدين أبي البركات محمد بن احمد (ت ٨٧١هـ).
- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تح: محمد باقر المحمودي، ط١، مط: دانتش، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٥هـ.
- سبط ابن الجوزي: شمس الدين يوسف ت ٦٥٤هـ
- تذكرة الخواص، تح: محمد صادق آل بحر العلوم، قم، ١٤١٨.
- ابن سعد: محمد ت ٢٣٠هـ.
- الطبقات الكبرى، ب.ط، دار صادر، بيروت، ب.مكا، ب.ت.
- السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن ت ٨٤٩-٩١١هـ.
- تاريخ الخلفاء، تح: محمد محي الدين، ب.ط، منشورات الشريف الرضي، ب.مكا، ب.ت.
ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ط١، دار المعرفة، جدة، ١٣٦٥.
- ابن شبة: أبو زيد عمر (١٧٣-٢٦٢هـ).

- تاريخ المدينة المنورة، تح: فهيم محمد شلتوت، مط: قدس، الناشر: دار الفكر، قم، ١٤١٠هـ.
- الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين (٣٥٩-٤٠٦هـ).
- نهج البلاغة، شرح محمد عبدة، ط١، ذوي القربى، قم، ١٤٢٧م.
- الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسن علم الهدى (٣٥٥-٤٢٦هـ).
- الشافي في الإمامة، تح: عبد الزهراء الخطيب، مؤسسة الصادق، ط٢، طهران، ٢٠٠٦م.
-ابن شهر آشوب: محمد بن علي ت٥٨٨هـ.
- مناقب آل ابي طالب: تح: لجنة في النجف، النجف، ١٣٧٦.
-الشوكاني: محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ.
- فتح القدير، ب.ط، عالم الكتب، ب.مكا، ب.ت.
- ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد الكوفي ت ٢٣٥هـ.
- المصنف، تح: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، ب.مكا، ١٤٠٩هـ.
ـ الصافي: عبد العزيز
ـ الانحرافات العقدية قراءة في الاسباب واليات العلاج، مجلة الدليل، ع ٢، س١، شتاء ٢٠١٨.
- الصدر: الشهيد محمد باقر ت١٩٨٠.
- فدك في التاريخ، ط١، مط: شريعت، قم، ١٤٢٣هـ.
- الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ.
- الامالي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧.
- الخصال، تح: علي اكبر الغفاري، ب.ط، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ١٤٠٣هـ.
- علل الشرائع، قدم له: محمد صادق بحر العلوم، ط١، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٢١هـ.
-الصنعاني: أبو بكر عبد الرزاق بن همام ت ٢١١هـ / ٨٢٧م.
- المصنف، تح: حبيب الرحمن الاعظمي، الناشر: المجلس العلمي، ب.مكا، ب.ت.
-الطبراني: أبو القاسم سليمان بن احمد (٢٦٠-٣٦٠هـ).
- المعجم الكبير، تح: حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ب.ت.
- الطبرسي: أبي منصور احمد بن علي بن أبي طالب، ت نحو ٥٦٠هـ / ١١٦٥م.
- الاحتجاج، ب.ط، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ب.ت.
ـ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ.

- تاريخ الرسل والملوك، راجعه: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- المنتخب من كتاب ذيل المذيل، تح: صدقي جميل العطار، ط٢، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
ـ الطبري الأمامي: أبي جعفر محمد بن جرير بن رستم (ق ٥هـ).
ـ دلائل الإمامة، تح: قسم الدراسات الإسلامية، ط١، قم، ١٤١٣هـ.
ـ ابن طيفور: أبو الفضل احمد بن أبي طاهر (٢٠٤-٢٨٠هـ).
- بلاغات النساء، ط٢، مط: شريعت، الناشر: المكتبة الحيدرية، قم، ١٣٧٨.
ـ ابن أبي عاصم: ت٢٨٧.
- الآحاد والمثاني، تح: باسم فيصل احمد، ط١، دار الدراية، الرياض، ١٩٩١م.
ـ ابن عبد البر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي ت٤٦٣.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب، بهامش كتاب الإصابة، ب.ط، دار الفكر، ب.ت.
ـ ابن عبد ربه الاندلسي: أبو عمر احمد بن محمد ت ٣٢٨هـ.
- العقد الفريد، تح: احمد امين وآخرين، القاهرة، ١٩٤٤.
ـ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي (٤٩٩-٥٧١هـ).
- تاريخ مدينة دمشق، تح: علي شيري، ب.ط، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
ـ العواد: انتصار عدنان.
ـ حادثة الإنذار بين النص القرآني والرواية التاريخية، مجلة دراسات تاريخية، ع٢٤، ٢٠١٨.
ـ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ط١، دار البديل، بيروت، ٢٠٠٩.
ـ وظائف النبوة، مجلة المبين، العدد الأول، ٢٠١٦م.
ـ ابن فارس: أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ.
ـ معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتب الاعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.
ـ القاضي النعمان: أبو حنيفة محمد بن منصور بن احمد المغربي ت ٣٦٣هـ.
- دعائم الإسلام، تح: آصف بن علي، ب.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.
ـ ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ.
- الإمامة والسياسة (منسوب)، تح: علي شيري، ط١، مط أمير، الشريف الرضي، قم، ١٤١٣هـ.
- تاويل مختلف الحديث، تح: اسماعيل الاسعردي، دار الكتن العلمية، بيروت، ب.ت.

ـ ابن قولويه: جعفر بن محمد القمي ت ٣٦٨هـ.
ـ كامل الزيارات، تح: جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ.
- الكوراني: علي العاملي.
- جواهر التاريخ، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٤.
- المتقي الهندي: علاء الدين بن علي ت ٩٧٥هـ.
- كنز العمال، تح: بكري حياني - صفوة السقا، ب.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
- المجلسي: محمد باقر ت (١١١١هـ).
- بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.
- محب الدين الطبري: أبو جعفر احمد بن عبد الله ت ٦٩٤هـ.
- الرياض النظرة: تح عيسى بن عبد الله، ط١، دار الغروب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٦.
-المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين ت ٣٤٦هـ.
- التنبيه والإشراف، ب.ط، ب.مط، ب.مكا، ب.ت.
-مسلم بن الحجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ.
- الجامع الصحيح، ب.تح، ب.ط، دار الفكر، بيروت، ب.ت.
النصر الله: جواد كاظم.
ـ الإمام علي عليه السلام في فكر معتزلة بغداد، ط١، مؤسسة علوم نهج البلاغة، كربلاء، ٢٠١٧..
ـ فدك في مرويات الجوهري البصري، مجلة دراسات البصرة، العدد ٧، ٢٠٠٩.
ـ مرويات الجوهري عن يوم السقيفة، مجلة دراسات البصرة، العدد ٣، ٢٠٠٧.
ـ مصادرة الحق السياسي والاقتصادي لأهل البيت عليهم السلام، ط١، مركز دراسات البصرة، دار الكفيل، ٢٠١٤.
ـ النصر الله: جواد كاظم وطاهر: ناصر بيد الله.
ـ محاولة اغتيال النبي في العقبة، مجلة دراسات تاريخية، بيت الحكمة، بغداد، العدد ٥٢، ٢٠٢١.
ـ الهيثمي: نور الدين علي بن أبي بكر ت ٨٠٧هـ.
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ب.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
ـ أبو هلال الثقفي: إبراهيم بن محمد ت ٢٨٣هـ.
- الغارات، تح: جلال الدين المحدث، مط: بهمن، ب.ت.

-الهلالي: سليم بن قيس العامري ت حدود ٩٠هـ.
- كتاب سليم بن قيس، تح: محمد باقر الأنصاري الزنجاني، ب.ط، ب،مط، ب.مكا، ب.ت.
- ياقوت الحموي: أبو عبد الله ت ٦٢٦هـ.
- معجم البلدان، ب.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
ـ أبو يعلى: احمد بن علي بن المثنى الموصلي ت ٣٠٧.
- المسند، تح: حسين سليم أسد، ب.ط، مط: دار المأمون للتراث، ب.مكا، ب.ت.

المرأة الرسالية قراءة في النص القرآني

الباحثة: أ. د. أمل سهيل عبد الحسيني

ملخص البحث

يتحدث البحث عن نساء رساليات ذكرهن القرآن أما مباشرة أو تلميحاً فمن ذكرها القرآن بصورة مباشرة هي السيدة مريم، وأما من ذكرهن تلميحاً فكانت النساء الباقيات كالزهراء عليها السلام السيدة خديجة والسيدة أسيا بنت مزاحم وهؤلاء النسوة قدمت للبشرية دروساً عظيمة في التضحية والفداء ما جعلهن مضرباً للأمثال سواء أكان على مستوى الرجال أم على مستوى النساء وبهذهِ يكون البحث قد أثبت بطلان المقولة التي تدعي ان الاصطفاء الالهي للبشرية قد خص رجالها دون نسائها، وكان القرآن الكريم اول المفندين لهذهِ المقولة وقد كذبها من خلال اختياره لأربعة نماذج نسائية كُن انموذجاً يحتذى بهن.

الكلمات المفتاحية: السيدة الزهراء عليها السلام، السيدة خديجة عليها السلام، السيدة مريم بنت عمران عليها السلام، السيدة أسيا بنت مزاحم، بيت العصمة.

المقدمة

إذا اردت الحديث عن النساء تبادر إلى ذهنكَ الحديث عن الإبداع الالهي الذي تمثل في مخلوقة حلوة المعشر، خلقها الله لتكون لك موطناً وسكناً:﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا** ﴾[2]، بل لتكون لك لباساً:﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** ﴾[3].

الحديث عن المرأة: يعني الحديث عن الدفء والرقة والحنان والحياء والعفة، حديث عن العواطف الجياشة والاحاسيس المرهفة.

والحديث عنها: هو الحديث عن معنى الحياة، فهي من تهب الحياة، وهي التي يجب على الرجال ان لا يكونوا سبباً في بُكائها فالمرأة عبق فواح تخفق لشذاه القلوب، وتثير بلطافتها المشاعر الإنسانية، كل هذا لأنها تهز المهد بيد وتهز العالم باليد الأخرى وفي كل هذا وذاك تبقى قيمتها الحقيقية في عفتها وحيائها لا في تبرجها وثيابها التي تفوح عطراً، فكل ذلك زائل لا محال؛ ثم لينكشف بعد ذلك الزيف الذي يلفها بأبهج الالوان واطيب النسائم.

لأجل هذا كله جاء الإسلام ليكرم المرأة ويرفعها إلى أعلى عليين، ليعطيها ويعرفها حجمها الطبيعي؛ لأجل هذا تحدث القرآن الكريم عن بعض النساء اللاتي اصطفين على النساء، ليقول للمرأة: ليسَ فقط الرجال مصطفين، فانتن يمكن ان تكونن مصطفيات إذا ما اتقيتن وكنتن مؤمنات، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً**

(١) سورة الروم: الآية ٢١.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٩.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[1].

أما الهدف الرئيسي من البحث فهو: بطلان المقولة التي تدعي ان الاصطفاء الالهي للبشرية قد خص رجالها دون نسائها، وكان القرآن الكريم اول المفندين لهذهِ المقولة وقد كذبها من خلال اختياره لأربعة نماذج نسائية كُن انموذجاً يحتذى بهن.

ورب سائل يسأل ما المغزى من ذكر هؤلاء النسوة والاهتمام بأمرهن بهذهِ الصورة؟ وإذا كنا في معرض الإجابة عن ذلك نقول: تتدعي بعض النساء أنهن لا يستطعن الوصول إلى الكمال، لأن الكمال ما خلق للنساء بل هو أصطفاء إلهي خص به الرجال، فأثبت البحث بطلان تلك المقولة وأثبت البحث أن هؤلاء النسوة بعضهن قد وصل إلى الكمال الذي جعلهن معصومات، أمثال فاطمة الزهراء عليها السلام ومريم عليها السلام، وأخريات وصلن إلى الكمال الذي جعلهن مضرب الأمثال للرجال والنساء، فقال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[2].

من هنا جاء البحث ليسلط الضوء على اربع نماذج من النساء المصطفيات اللاتي جعلهن الله قدوة حسنة لمن أرادت ان تتخذ إلى ربها سبيلاً، فصرن المثل الأعلى والقدوة التي يحتذى بهن، فقد تسلسلت القيادة الاصطفائية الزمنية لهن واحدةً تلو الأخرى، فكانت آسيا بنت مزاحم أولهن ثم تلتها مريم إبنة عمران، ثم ليأتي بعد ذلك عصر خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله لتكون القدوة خديجة بنت خويلد، ثم لتختتم القائمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فاطمة الزهراء بنت محمد صلى الله عليه وآله سيد خلق الله وتكون الشاهدة والشهيدة على هذهِ الأمة.

أما منهجية البحث فقد انتظم البحث في مقدمة واربع مباحث وخاتمة: تحدث المبحث الأول عن أسيا بنت مزاحم زوجة فرعون، وانطوى تحته مطلبان، المطلب الأول: كان عن شذرات من حياتها، والثاني تكفل بالحديث عن: الطرق التي ابتدعها فرعون لتعذيبها، أما المبحث الثاني، فقد دار موضوعه للحديث عن السيدة مريم بنت عمران عليها السلام، وانقسم أيضاً المبحث إلى مطلبين: تحدث الأول عن حياتها الكريمة، والثاني تحدث عن الدروس والعبر المستفادة من قصتها، أما المبحث الثالث: فقد تحدث عن حياة السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام. فتناولنا في مطلبه الأول شذرات من حياتها، وتناولنا

(١) سورة الاحزاب: الآية ٣٥.

(٢) سورة التحريم: الآية ١١.

في مطلبه الثاني الحديث عن الأدلة القرآنية والحديثية على أصطفائها، أما المبحث الرابع والأخير فقد توج بالحديث عن السيدة الزهراء عليها السلام، فانطوى تحت مطلبه الأول الحديث عن شذرات من حيالتها الشريفة، إما المطلب الثاني، فجمع المطلب الثاني: الأدلة القرآنية على عصمتها عليها السلام. وختم البحث بأهم النتائج التي توصل إليها الباحث مع قائمتين بهوامش البحث ومصادره.

المبحث الأول: آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون

امرأة ليست ككل النساء اختارتها السماء فضربت بها مثلا للرجال، لتبين لهم اجر من عمل صالحاً من ذكر أو انثى، فقال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[1]، انها زوجةٌ لرجل قال للناس ﴿ **أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى** ﴾[2]، ورغم هذا خرجت من بيته مؤمنة صابرة مُصَطفاة، قائلة له: انت رب السُذج من الناس، اما انا فربي الله الذي لا إله الا هو وانا أعوذ بالرحمن منك ومن عملك ودَعت ربها قائلة: ﴿ **وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ** ﴾[3]؛ كونها عالمة أن عمله وادعاءه الربوبية أمر خطير ومغبتهُ أخطر منه، بل هي تطلب من الله البراءة حتى من قوم فِرعونَ الذين سلموا الامر له فقالت: ﴿ **وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[4]، نبذت ديانة زوجها وقومها تلك الديانة التي ابتدعها فرعون لنفسه؛ لأن فرعون عد نفسه الهاً واحداً «ناكراً غيره من الآلهة وكافراً بالبعث والحساب والنشور بل انه لا يقيم وزناً لمعتقدات قومه التي ورثوها عن آبائهم الاولين»[5]؛ لأن ملوك مصر «سواء الذين أُلهَّو ام لم يألهوا كان لديهم جميعاً ولاء ديني لآلهتهم، وتؤكد ذلك نصوصهم التي تركوها حيث كانوا يرجون من هذه الآلهة ان تنفعهم في عالمهم الآخر، وايضاً المباني والمنشآت الدينية التي اقاموها لهذه الآلهة»[6].

المطلب الأول: شذرات من حياتها:

هي ملكة انفردت بخصيصة نادرة، فقد كان لها عرش عظيم تجلس عليه جوار زوجها المعبود اعظم ملوك عصره... فرعون الجبار لكنها رفضت ذلك العرش، انها آسيا بنت مزاحم، التي اختلف المؤرخون في اسمها ونسبها كثيراً، فقد قال ابن كثير: انها آسية بنت مزاحم بن عصدين الريان بن

(١) سورة التحريم: الآية١١.
(٢) سورة النازعات: الآية ٢٤.
(٣) سورة التحريم: الآية١١.
(٤) سورة التحريم: الآية ١٢.
(٥) ملوك مصر القديمة، د. محمد راشد: ص١٢١.
(٦) حضارة مصر، رمضان علي: ج١ ص٣٢٢.

الوليد[١]، تزوجها ابن عمها مصعب الريان -على بعض الروايات- فرعون مصر ايام ولادة موسى عليه السلام وذكر الزمخشري انها عمة موسى عليه السلام[٢]، كانت هذه المرأة من فضليات النساء، ومن بنات الأنبياء آثرها فرعون على بقية زوجاته لدماثة اخلاقها، وسحر جمالها كانت في يوم من الايام جالسة مع زوجها على ضفاف النيل واذا بها تنظر «إلى سواد في عرض النيل يشبه الصندوق فأمرت جواريها بإحضاره، وما كان اشد دهشتها حين فتحت الصندوق فاذا فيه طفل صغير... ندت منها صيحه واعجاب... ما اجملها من هديه... انها هدية السماء»[٣].

وقتها كانت أسيه لم تنجب بعد لكن فرعون لم يفرح، فرد قائلاً: كيف أخطأ هذا الغلام الذبح ثم قام وخرج، وكان سبب ذلك: «ان فرعون رأى في منامه ان ناراً اقبلت عليه من جهة بيت المقدس فأحرقت مصر وأتت على جميع الاقباط، فسأل فرعون كهنته تأويل رؤياه هذهِ فقالو له: سيولد غلام من بني اسرائيل يكون هلاك أهل مصر على يديه، فأصدر اوامركَ بقتل كل مولود ذكر يولد لبني اسرائيل في توه وساعة ولادتهِ»[٤].

فدعى فرعون الذباحين لقتلة فجاءوا وطلبوا منها اعطائهم الطفل، فإنزعجت وقالت لهم بغيظ آمرة: انصرفوا من امامي فأني لا اعطي الطفل لأحد، فقالوا: ان الطفل لا شك من بني اسرائيل، فصرخت: ان هذا الصبي لا يزيد في بني اسرائيل، فجاءت فرعون تلاطفهُ وتستعطفهُ، وتتوسل إليه قائله: ﴿ **قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً** ﴾[٥]، فأجابها فرعون: قرة عين لك، اما انا فلا حاجة لي فيه[٦]، وعن هذا الموقف قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**والذي يحلف به، لو اقر فرعون ان يكون له قرة عين كما اقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته، ولكن الله حرمه ذلك**»[٧].

لكنها لم تيأس من اعادة الطلب عليه، وفرعون يرد عليها: لا فليُذبح فاني اخاف ان يكون من بني اسرائيل، وان يكون هو الذي هلاكنا وزوال مُلكنا على يده، لكن الحاحها عليه اثر في نفسه، حتى

(١) البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي: ج٤ ص٢٢٤.
(٢) تفسير الكشاف، الزمخشري: ج٤ ص٥٥٩.
(٣) نساء في القرآن، مريم نور الدين فضل الله: ص٢٩٢.
(٤) نساء اشار اليهن القرآن ولم يسميهن، مختار فوزي النعال: ص٤٧.
(٥) سورة القصص: الآية ٩.
(٦) معجم اعلام النساء في القرآن الكريم، عماد الهلالي: ص١٦-١٧.
(٧) الكامل في التاريخ، ابن الاثير: ج١ ص١٣٢.

امسك عن قتله ورضي ووهبه لها[1]، وقد جسد القرآن الكريم هذهِ النبوءة بقوله تعالى: ﴿ **فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾[2]، فبعد نتفهِ لحية فرعون، اعتذرت آسيه عنه قائلة: انما هو صبي، لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وقد علمت انه ليس في أهل مصر، امرأة احلى مني أنا أضع له حلياً من ياقوت واضع له جمراً، فان اخذ الياقوت، فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمر هو صبي، فأخرجت له ياقوتها، فوضعت له طستاً من جمر، فجاء جبرائيل فطرح في يده جمرة، فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه فهو الذي يقول الله عزوجل: ﴿ **وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي** ﴾[3] [4]، وبذلك تكون قد انقذت النبوة من القتل، فما كان من السماء الا ان جازتها على معروفها ان كانت من المؤمنين الصالحين بل من المصطفين الاخيار.

ولقد كانت آسيه تعبد الله سراً فهي من سلالة الأنبياء وعلى بقية من دين إبراهيم ولم يكن بمصر كلها الا آسيه ومؤمن آل فرعون-حزقيل- والرجل الذي أنذر موسى، فقال: ﴿ **إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنْ النَّاصِحِينَ** ﴾[5] [6]، وبقيت على عقيدة التوحيد في قصر فرعون تكتم ايمانها وتعبد الله سراً إلى ان قتل فرعون امرأة حزقيل- الماشطة- لأنها آمنت بموسى، واذا بآسية تفقد صوابها قائلة لفرعون: «الويل لك يافرعون! ما أجرأك على الله جل وعلا، فقال لها: لعلك إعتراكِ الجنون الذي اعترى صاحبكِ موسى، فقالت: ما اعتراني جنون، بل آمنت بالله ربي وربك ورب العالمين، فأخذ يهددها بالتعذيب والقتل، فلما اصرت على التمسك بعقيدتها وايمانها بالله»[7]، دعى فرعون امها فقال لها: «ان ابنتكِ أخبريها فأقسمَ لتذوقن الموت أو لتكفرن بإله موسى، فخلت بها امها فسألتها موافقتهُ فيما أراد؟ فأبت وقالت: اما ان اكفر بالله فلا، فأمر بها فرعون حتى مُدت بين اربعة اوتاد»[8].

المطلب الثاني: الطرق التي ابتدعها فرعون لتعذيبها:

١-عن ابن عباس انه قال: «اخذ فرعون أمرأته آسية حين تبين له إسلامها يعذبها لتدخل في دينه،

(١) أنظر اعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ص٩٣٧.
(٢) سورة القصص: الآية ٨.
(٣) سورة طه: الآية٢٧-٢٨.
(٤) معجم اعلام النساء عماد الهلالي: ص١٧.
(٥) سورة القصص: الآية٢٠.
(٦) المصدر نفسه: ص ١٩.
(٧) أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ص ١٨.
(٨) النور المبين في قصص الأنبياء، نعمة الله الجزائري: ص٢٦١.

فمر بها موسى وهو يعذبها، فشكت إليه بأصبعها، فدعى الله موسى ان يخفف عنها، فلم تجد للعذاب الماً، وأنها ماتت من عذاب فرعون، فقالت وهي في العذاب: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ** ﴾[1]، وأوحى الله إليها: ان ارفعي رأسكِ فرفعت فرأت البيت في الجنة بُني لها من در فضحكت»[2].

٢-قيل انها كانت تُعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها أظلتها الملائكة وجُعلت ترى بيتها في الجنة[3]١٥، ورغم هذا الوضع كانت كثيرة السؤال: «مَن غلب؟ فيقال غلب موسى وهارون... فتقول: آمنت برب موسى وهارون... فأرسل إليها فرعون... فقال: أنظروا اعظم صخره تجدونها... فان مضت على قولها... فالقوها عليها... وان رجعت عن قولها فهي امرأتي، فلما أتوها... رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها في الجنة»[4].

٣-قيل انه أمر زبانيته قائلاً: أجعلوا على صدرها رحى وجاءوا بالرحى... وجعلوها على صدرها... والرحى تتوقد من حرارة الشمس فجمعوا عليها ناراً على نار[5].

لكن كل هذا العذاب لم يثن الملكة الجميلة عن عقيدتها، حتى جن جنون فرعون مما يرى... وجعل يعوي: الا تعجبون من جنونها!! إنا نُعذبها وهي تضحكَ[6]، إلى ان قضت نحبها راضية مرضية، فكانت مثالاً «للمرأة العاقلة التي عرفت طريقها إلى الله ولم يضللها زور فرعون أو بهتانه ولم يخفها بطشهُ ولا سلطانه، كانت من خيار النساء وكانت أماً للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم»[7]، قال رسول الله ﷺ «**اختار الله من النساء اربعاً: مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة الزهراء، وكانت مريم وآسية وخديجة سيدات زمانهن، أما فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين**»[8].

فهذه اذاً آسية بنت مزاحم وهذهِ درجتها عند الله تعالى، مضت شهيدة، وهي سيدة الشهيدات إذا ما نظرنا إلى حديث رسول الله ﷺ الذي قال: «**سيد الشهداء حمزه بن عبد المطلب... ورجل قام إلى**

(١) سورة التحريم: الآية١١.
(٢) المصدر نفسه: ص٢٦١.
(٣) المصدر نفسه: ص٢٦١.
(٤) حياة آسية امرأة فرعون، محمود شلبي: ص٣٥٦.
(٥) المصدر نفسه: ص٣٦٨.
(٦) المصدر نفسه: ص٣٧٠.
(٧) قصص المرأة في القرآن الكريم/ منى محمد هنداوي/ ٥٩.
(٨) اعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ج ١٨.

امام جائر فأمره ونهاه فقتله»[1]، وعليه فان الحديث يبين «ان من قام إلى امام ظالم فأمره بالخير ونهاه عن الشر... فقتله ذلك الحاكم لموقفه ذاك... اعتبره سيد الشهداء وكل ذلك متحقق في مقام آسية بنت مزاحم فهي قد قامت إلى امام جائر بل اشد الحكام ظلماً واجراماً واشدهم عذاباً وتعذيباً وهو قد قتلها شر قتلة فإستحقت عن جدارة لقب سيد الشهداء»[2].

وعليه صارت آسية قدوة لكل امرأة تَدعي التدين بل صارت مضرباً لكل المؤمنين رجالاً ونساءً، فقال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[3].

ويمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن هذهِ القصة قد أستفيد منها عدة دروس وعبر:

١-أن المرأة ورغم أنها مخلوق لطيف الا أنها تستطيع ان تعمل المستحيل، فهذهِ آسية قد أنقذت موسى عليه السلام من اعتى جبابرة عصرها فرعون الطاغية، ثم كَفلته وربته.

٢-عندما ضرب الله بها مثلاً انما أراد ان يقول لنا: لا يضركم مخالطة الكافرين إذا كانوا مُحتاجين لهذهِ المخالطة، فقد كان فرعون اعتى أهل الأرض واكفرهم وما ضر امرأته كفر زوجها حين اطاعت ربها بإيمانها به وبرسوله موسى صلى الله عليه وآله[4].

٣-تعلمنا منها ان الإنسان إذا أراد الآخرة وسعى لها سعيها أعانه الله تعالى على تحقيق ذلك، فعندما قالت: ربِ إبن لي عندك بيتاً في الجنة استجاب لها ربها وتوفاها ونجاها من فرعون وقومه، وفي دعائها دليل على ان الالتجاء إلى الله عند المحن والشدائد من سير الصالحين[5].

---

(١) الخصال، الصدوق: ص٢٣٤.

(٢) حياة آسية امرأة فرعون، محمود شلبي: ص٣٩٣.

(٣) سورة التحريم: الآية١١.

(٤) أنظر المستفاد من قصص القرآن، عبد الكريم زيدان: ج١ ص٣٥٠.

(٥) المصدر نفسه/ ٣٥٠-٣٥١.

المبحث الثاني: مريم ابنة عمران

لم يكن وجودها في بيت المقدس محل صدفة، ولا إدراج إسمها ضمن قائمة خَدمة البيت محل عادة عند الكهنة؛ لانهم لم يكونوا يسمحوا للنساء ان تكون من ضمن خَدمة البيت؛ بل كان وجودها وفاءً لنذر نذرتهُ أمها التي لم تكن «تَحبل، فنذرت لله ان هي حَبلت تجعل وليدها من خدام بيت المقدس، فلما حَبلت بها وأولدتها جعلتها من خدام معبد سليمان ببيت المقدس»[1].

هذه المرأة العظيمة ورغم «مُضي عشرين قرناً على وفاتها الا ان حياتها وسيرتها لا تزال ثرية معطاة، تؤكد لبني البشر عامة، ولبنات حواء خاصة، ضرورة الارتباط بالله سبحانه وتعالى والخضوع لشريعته، وأهمية القيم الروحية السامية والمناقب السلوكية ودورها في سعادة الإنسان وتجنبه المخاطر والشرور»[2]، وعندما نتحدث عنها «نجد أنفسنا امام شخصية أم ليست كمثلها أخرى من الامهات بمن فيهن أمهات الأنبياء عليهم السلام، فهي وان كانت أماً بشخصيتها تظُل ابداً ماثلة في سيرة ابنها ورسالتهِ وهي تأخذ مكانتها مع أمهات الأنبياء أصحاب الرسالات الاربع الكبرى، ويعلي من قدر أمومتها كونها سابقة على الإسلام»[3].

عندما نتحدث عنها نتحدث عن المرأة الوحيدة التي ذُكر اسمها في القرآن الكريم صريحاً دون نساء العالمين؛ لان البقية ذكرن تلويحاً لا تصريحاً.

عندما نتحدث عنها نتحدث عن امرأة اتفق المسلمون والمسيحيون جميعاً على براءتها من أي اتهام يمس عفافها أو ينال من شرف انوثتها، مهما كان مصدرهِ أو قائله.

عندما نتحدث عنها نتحدث عن امرأة نبهت نبي من أنبياء الله كيف يدعو وكيف يُخلص في الدعاء، عندما شاهدَ بأم عينيه بدائع العطاء الرباني لهذهِ الصغيرة اليتيمة عندما كان يدخل عليها ﴿ **كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً** ﴾[4]، يقول لها: أنى لكِ هذا فتقول له: ﴿ **هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ**

(١) معجم اعلام النساء في القرآن الكريم، عماد الهلالي: ٢٤٤.
(٢) الصديقة مريم العذراء معجزة الاجيال، جعفر الامرد: ١٥.
(٣) قصص المرأة في القرآن الكريم، منى محمد هنداوي: ص ٧٧.
(٤) سورة آل عمران: الآية٣٧.

اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]، فيهيم النبي على وجهه يفكر في كلامها أين هو من هذا؟ كيف لم يفطن إلى المبادرة للدعاء وطلب الذرية من الله تعالى وهو يعلم ان الرزق من الله يرزق من يشاء بغير حساب، فكانت هي السبب المباشر في ان يطلب من الله الذرية الصالحة فيرزقه الله بها.

فمن تكون صاحبة كل هذهِ السجايا العظيمة؟ أكيد انها مريم العذراء، مريم الطهر والعفاف، المنذورة نطفةً وجنيناً في رحم الغيب، تلك المرأة التي «اعتنى القرآن الكريم بها عناية لم تنلها امرأة قط، فقد ورد اسمها في القرآن الكريم (٧٥) مرة تقريباً»[2].

المطلب الأول: شذرات من حياتها:

هي: «مريم بنت عمران، ويُسميه المسيحيون يوهاكين أو يوعاشيم- ابن ماثان بن ألعازر بن أليو بن أخنز بن صادوق بن عيازوز بن آلياقيم، وينتمي نسبها إلى نبي الله سليمان بن داود عليه السلام، أمها حنة، وقيل حنانة وقيل: مرتا ويسميها المسيحيون آنايا، وهي بنت فاقود بن قبيل ومعنى مريم: العابدة، هي ام نبي الله عيسى المسيح عليه السلام عُرفت بين قومها بكثرة العبادة والتقوى والزهد والطهارة والصفات الحميدة، وهي من نساء الجنة، وكانت قدماها قد تفطرتا من كثرة قيامها في صلواتها»[3].

نذرتها امها للخدمة في بيت الله تعالى إذا قالت: **﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾**[4]، ولكن بعد ان وضعت المولود وتبين انها انثى قالت: **﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾**[5].

وقد انحدرت من أسرة عريقة معروفة بالفضل والقداسة، تمتد جذورها إلى نبي الله ابراهيم عليه السلام، كما ذكر البعض، بينما البعض الآخر قال: ان نسبها يعود إلى النبي ادم عليه السلام بسبع وستين واسطة، وقد ورد في كتب بعض المسيحين: «كانت مريم ابنة يوكيم وحنة، وكانا مُسنين عندما ولدت مريم عليها السلام، لذلك نذراها للهيكل في اورشليم، وبقيت هناك منذ كان عمرها ثلاث سنوات وعمران والد مريم عليها السلام هو من الذين اصطفاهم الله تعالى بقوله: **﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى**

(١) سورة آل عمران: الآية٣٧.
(٢) خالدات في كتاب الله، ولاء أبراهيم حمود: ص١٩٣.
(٣) اعلام القران، عبد الحسين الشبستري: ص ٨٩٨.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٥.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] [٢] ٣٠.

وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن أبيها عمران هل كان نبياً ام لا؟ قال عليه السلام **«نعم كان نبياً مرسلاً إلى قومه، وكانت امرأته حنة، وحنانة امرأة زكريا، أختين، فولد لعمران من حنة مريم، وولد لزكريا من حنانة يحيى عليه السلام وولدَت مريم عيسى عليه السلام وكان عيسى عليه السلام ابن بنت خالتهِ، وكان يحيى عليه السلام ابن خالة مريم، وخالة الأم بمنزلة الخالة»**[٣] ٣١.

وقد ورد في تفسير القمي في تفسير قوله تعالى: **﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾**[٤]، رواية عن الإمام الصادق عليه السلام مفادها: **«ان الله اوحى إلى عمران إني واهب لكَ ذكراً مباركاً يبرئ الاكمه والابرص ويحي الموتى بإذني وجاعله رسولاً إلى بني اسرائيل فَحدث بذلك امرأته حنة وهي أم مريم فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاماً ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى ﴾**[٥] **لان البنت لا تكون رسولاً يقول الله ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ فلما وهب الله لمريم عيسى عليه السلام كان هو الذي يبشر الله به عمران ووعده اياه»**[٦] ٣٢.

لها القاب عدة منها: (القديسة والعذراء والبتول).

بعد ولادتها اخذتها امها إلى سدنة معبد الهيطل وكان من بينهم زكريا والد يحيى، فاختلفوا في كفالتها، لكن السماء تدخلت واوجبت عليهم القرعة لحل المشكلة **﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾**[٧]، فكانت الكفالة لزكريا عليه السلام: «فظهرت في المدة التي قام زكريا برعايتها منها معاجز وكرامات، كتواجد فاكهة الشتاء في فصل الصيف، فاكهة الصيف في فصل الشتاء»[٨] ٣٣، والقرآن الكريم لا يذكر شيئاً عن ماهية هذا الطعام، لكن بعض الاحاديث تفيد انه كان فاكهة من الجنة في غير فصلها.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٣-٣٤.

(٢) ينظر مريم العذراء ام المسيح في القرآن الكريم، محمد حسن الشبستري: ٢٤-٢٦.

(٣) بحار الانوار، المجلسي: ج١٤ص٢٠٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٣٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

(٦) تفسير القمي، القمي: ج١ ص١٢٨.

(٧) سورة آل عمران: الآية ٤٤.

(٨) القصص القرآنية، ناصر مكارم الشيرازي: ص٣٦٨.

ولما بلغت مبلغ النساء، وبينما كانت مشغولة في عبادة ربها، واذا بجبريل يدخل عليها بهيئة فتى فرهبت منه، فأخبرها انه رسول الله عليها، فنفخ في جيب ثوبها فحملت من ساعتها[١]، وقد استمرت في حملها سبعة اشهر، وقيل ستة اشهر، وقيل ثمانية اشهر، وقيل انها ساعة واحدة وقيل: تسع ساعات[٢]، وحين جاءها المخاض حست برهبة الموقف وخطورته رغم اطمئنانها لرعاية الله، فتمنت الموت وقالت:﴿ **يالَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَنْسِيّاً** ﴾[٣]، وقولها هذا على ما اظن نابع من معرفتها بحقارة قومها اليهود رغم ان الطفل نطق في المهد ببراءتها بَعد ما اشارت إليه ﴿ **فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً۞ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً۞ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً۞ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً۞ وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً۞ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾[٤]، والدليل على حقارتهم وجحدهم الحق بعد ما رأوا من الآيات، فقد كانوا يقولون على المسيح: ««ولدهُ يوسف النجار سِفاحاً» وهذا يعني الاتهام المباشر لمريم بارتكابها الفاحشة»[٥]، لكن القران صَدَعَ بالحق حينما قال: ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمْ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾[٦]، فوصفها القرآن بأنها صديقة، وبهذا يكون الحق قد نطق بعصمتها في النص القرآني، فقوله انها: صديقة، وبقوله إن إبنها رسول تحديد دقيق، «تحديد يبطل زعم الذي زعموا انها اتت بإبنها من الفحشاء، ويبطل كذلك زعم الذي زعموا أنها: ام الإلـه»[٧]، اضف إلى ذلك ما نطقت به السُنة المطهرة، فقد روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال: «**حسبُكَ من نساء العالمين، مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية امرأة فرعون**»[٨]، وكذلك ما نقله امير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصف الجنة: «**خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران**»[٩]، إلى غيرها من الاحاديث التي نطقت بعفتها

(١) المصدر نفسه: ص ٣٦٨.
(٢) معجم أعلام النساء في القرآن الكريم، عماد الهلالي: ص٢٤٦.
(٣) سورة مريم: الآية ٢٣.
(٤) سورة مريم: الآية ٢٩- ٣٤.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ص٢٤٦.
(٦) سورة المائدة: الآية ٧٥.
(٧) سر مريم أم المسيح عليها السلام ، حسن يوسف الأطير: ص١٧٠.
(٨) حياة مريم، محمود شلبي: ص٤٠٢.
(٩) سنن الترمزي، الترمزي: ج٥ ص٣٦٧.

ونجابتها وكونها صديقة مطهرة.

والذي لصقها بها بنو اسرائيل شكل عندها علة أثرت على نفسيتها وسببت لها آلآماً نفسية جمة حملتها معها إلى قبرها، رحلت إلى مصر بَعد خوفها على عيسى عليه السلام، بَعد ان اصدر «الملك هيرودس امراً بقتل كل طفل يوجد في بيت لحم، فعند ذلك رحل يوسف النجار ومريم وطفلها عيسى عليه السلام إلى مصر خوفاً من بطش هيرودس بعيسى، فدخلوا مصر واستقروا في مدينة عين شمس مدة (١٢ سنة) فلما هلك الملك رجعوا إلى فلسطين، ولم تزل مواظبة على ولدها في تربيته ونشأته حتى بلغت (٥١ سنة) فتوفيت في مصر»[١]، وبهذا انتهت حياة امرأة عظيمة بيضت صفحات التاريخ بسطور من نور صرح بها الذكر الحكيم والسُنة المطهرة.

المطلب الثاني: الدروس والعبر المستفادة من قصتها:

وقد افدنا من قصتها عليها السلام دروساً وعبرا:

١-تعلمنا منها عليها السلام كيف يكون الإنسان مُسَلماً امره لله راضياً بقضاء الله وقدره، متقبلاً بالشكر العميق ما يرسمه الله له، وبهذا يتم الانسجام بين ما تتوق إليه نفسه وبين ما يراه الله، فيعيش الإنسان هذهِ الحياة بقساوتها وشقاءها وآلآمها وافراحها ينظر إليها غير نظرة غيره إليها لأنه بعين الله.

٢-تعلمنا منها عليها السلام كيف يجب ان يكون الإنسان الذي تهده الخطيئة ولم يعرض عن الله تعالى، كما اعرض بعض الناس عنه، رغم انه تعالى دعاه إلى الكمال والتسامي.

٣-تعلمنا منها كيف يجب على المرأة ان تكون عليهِ من عفة وطهر رغم وجود المغريات، كما ضرب الله بآسية بنت مزاحم مثلاً للذين آمنوا كذلك ضرب بها مثلاً فقال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنْ الْقَانِتِينَ** ﴾[٢].

٤-عندما اشتد بها الخوف من كلام الناس وبهتانهم وافترائهم عليها جاءها العون الالهي بأوضح الوجوه، فأنطق الله رضيعها الحديث الولادة فكان ذلك دليلاً واضحاً وبرهاناً ساطعاً على طهارة امهِ

(١) المصدر نفسه: ج٥ ص٧٠٢-٧٠٣ طبعة دار احياء التراث العربي.

(٢) سورة التحريم: الآيات ١١- ١٢.

مما رُميت به؛ فقد تعلمنا منها التوكل على الله في كل شيء وصَدق المولى حيث قال: ﴿ **وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً** ﴾[1]، فسلاماً عليها حين ولدت وحين رحلت وحين تبعث حية.

(١) سورة الطلاق: الآية ٤.

المبحث الثالث: خديجة بنت خويلد

ملكة نشأت في الحجاز، تملك الحسب والنسب والسمعة الحسنة، تملك من الالقاب ما لا تملكه امرأة من نساء قريش بل لها من الالقاب التي تتمناها كل امرأة سواء كان في الماضي أم في الحاضر، فقد سُميت في الجاهلية بالطاهرة وسيدة قريش، عاشت حياة ترفٍ ونعيم ثم لتنسى ذلك كله وتعيش في شعب ابي طالب، فيصدف انها من الجوع تشد الحجر على بطنها جوعاً لتشارك شريك عمرها آلامه وجوعه، ولتشارك الفقراء والمعوزين آلامهم.

امرأة اعتبرها رسول الله r من أهم الدعامات الأساسية التي اعتمد عليها، فهي من رفعت بمالها اقتصاد الامة الإسلامية، ولولاها ولولا مالها لنفر المسلمون الاوائل جوعاً عندما حوصروا في شعب ابي طالب؛ لأن الله لا يُعبد بدون الخبز.

يكفيها شرفاً انها قامت بتفجير أهم ثورة في عصر الجاهلية، تلك الثورة التي حطمت قيود المرأة في اختيار شريك حياتها بدون اكراه، فقد كانت المرأة محرومة منها، والشاهد التاريخ، بل كانت المرأة توأد خجلاً من ولادتها، فكانت هي صاحبة القلب الجريء الذي قام بإختيار الزوج بعد ما رأت من الآيات على عظمتهِ، فاعترفت لرجل فقير بحبها الطاهر له، وهي تملك نصف الجزيرة العربية، بينما هو لا يمتلك من حطام الدنيا شيئا.

هي امرأة ملكت قلب أعظم شخصية على وجه الخليقة، احبها في حياتها ولم يكسر قلبها ولم يتزوج عليها في حياتها، وأحبها وهي ميتة، حتى غارت منها زوجاته الأحياء، وقد تزوج بعدها رسول الله ﷺ بنساء كثيرات لكنه لم ينسها ولم ينس ايامها حتى قال عنها: «**ما ابدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي اذ كفر بي الناس، وصدقتني اذ كذبني الناس، وواستني بمالها اذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل ولدها اذ حرمني أولاد النساء**»[1]، تلك المرأة التي عانت من استهزاء قريش واستخفافهم رجالاً ونساءً بها عند اقترانها برسول الله ﷺ، وتبنيها لدعوته، ومناصرتها له، لكنها لم تعبأ بهم بل بقيت كالجبل الأشم صامدة صابرة. يكفيها شرفاً ان الله سبحانه وتعالى جعلها اماً لأعظم سيدة في الدنيا،

(١) معجم اعلام النساء في القرآن الكريم، عماد الهلالي: ص٢٤٧.

وأفضل امرأة في الآخرة، فاطمة الزهراء عليها السلام.

المطلب الأول: شذرات من حياتها:

انها: السيدة العظيمة خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وهو رجل معروف بالجود والسخاء سيد كريم من أشراف قريش[1]، أمها: الفاضلة فاطمة بنت زائده بن الاصم بن هرم بن رواحه بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي[2].

ولدت السيدة خديجة عليها السلام في مكة المكرمة قبل عام الفيل بثلاث سنوات، اول المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله بَعد الإمام علي عليه السلام، من صفاتها العفة، فهي من أعف نساء قريش وأطهرهن، وكانت مضرب المثل في طهارتها وسلامتها من كل دنس، في مجتمع جاهلي ندرت فيه الخصال الشريفة التي يجب ان تتمتع بها المرأة[3].

كانت من اهم رموز الإسلام الذين أسهموا في إقامة صروحهِ وتوطيد اركانه، كانت شديدة الميل للتجارة التي كانت سائدة في أوساط مكة[4]، هذه السيدة العظيمة جمعت خصلتين من امرأتين عظيمتين كانتا قبلها هي آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران، فأما «التي من آسية فهي البيت في الجنة، حين دعت ربها فقالت: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ** ﴾، فقد جاءت البشرى إلى خديجة من رسول الله صلى الله عليه وآله حين اخبرها بأن الله تعالى قد خصها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، وأما التي من مريم إبنة عمران فهي ان خديجة عليها السلام قد صَدَّقت... بل كانت اول المصدقين بكلمات ربها حين قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله [كلا... والله لا يُخزيكَ الله ابداً، فانت تحمد الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على النوائب...] وكانت من القانتين»[5].

المطلب الثاني: الأدلة القرآنية والحديثية على أصطفائها:

وقد وردت بعض النصوص في القرآن الكريم تشير إلى اصطفاء تلك السيدة العظيمة ولكن تلميحاً وتضميناً لا تصريحاً وبياناً، وقد وردت الإشارة إلها بقوله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ**

(١) تاريخ الاسلام، الذهبي: ج١ ص٢٣٨.
(٢) ام المؤمنين السيدة خديجة، باقر شريف القرشي: ص١٤.
(٣) المصدر نفسه: ص١٧.
(٤) أنظر الانوار الساطعة من القراء الطاهرة خديجة بنت خويلد، غالب السيلاوي: ص٢٣.
(٥) ام المؤمنين السيدة خديجة، باقر شريف القرشي: ص١٨.

الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(١)، وأيضاً وردت الإشارة إليها في قوله تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ۞ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ۞ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**(٢)، وقد كانت سلام الله عليها أول السابقين للإسلام بعد أن أخبرها رسول الله ﷺ قد صدقته بعد ما كذبه الناس، والقرآن الكريم عندما خاطب مريم القديسة قائلاً: **﴿ وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾**(٣)، فالاصطفاء هذا وان كان خاصاً بمريم لكنه يصدق على كل من تحمل صفات مريم عليها السلام، ومن اللاتي شملتهن هذهِ الصفة الرفيعة، فكما كانت مريم عليها السلام بالأمس مطهرة من الكفر وسائر الادناس كالحيض والنفاس، كانت خديجة عليها السلام كذلك، وهذا ما ذهب إليه الطوسي في تبيانه، فقد نقل أحاديث عن رسول الله ﷺ يؤيد ما ذهب إليه منها أنه قال: «**فُضلت خديجة على نساء امتي كما فضلت مريم على نساء العالمين**»(٤)، وذهب الطوسي إلى ان معنى الاصطفاء هو الاختيار لولادة نبيه عيسى عليه السلام، إذا كان هذا – بالنسبة لمريم– فيكون الاصطفاء الذي خص المولى تعالى به خديجة بأن جعلها وعاءأ لفاطمة الزهراء عليها السلام أم الحجج الميامين.

وتأييداً لهذا نقل حديث عن عبد الله بن جعفر ذكره الترمذي في سُننه يقول: سمعت علياً في الكوفة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**»(٥)، وقد قال الرسول ﷺ هذا عندما كان يتحدث عن نساء الجنة، وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على ان خديجة عليها السلام تساوي مريم عليها السلام في المرتبة من حيث الاصطفاء، وهي مذكورة ضمناً في آية آل عمران، فإن جملة من الامور التي يمكن ان تشار تجاه هذا المنحى ما قد لفت نظري في تحليل رائع للدكتور سيروان عبد الزهرة، حول هذا المعنى أنقله نصاً لما فيه من فائدة: ان خديجه زوج رسول الله ﷺ لم يكن اصطفاؤها من قبل الله تعالى نابعاً لقيامها بما قامت به مريم عليها السلام؛ ذلك أنها تشارك مريم في اصطفائها في العبارة الثانية من عبارات الاصطفاء لا في العبارة الاولى وهي قوله تعالى: **﴿ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾**؛ إذ ان الناظر في النص القرآني سيجد ان الله تعالى قد ذكر لفظة الاصطفاء مرتين في الآية الاولى في قوله تعالى: **﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ ﴾**،اما الثانية فهي قوله

(١) سورة التوبة: الآية١٠٠.
(٢) سورة الواقعة: الآية١٠ – ١١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢.
(٤) خديجة بنت خويلد أول الناس اسلاماً، محمد علي قطب: ص١٢.
(٥) التبيان، الطوسي: ج٢ ص٤٥٦.

تعالى: ﴿ **وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** ﴾ ومن المعروف في المنظور النحوي أن العطف يقتضي التغاير، واذا ما كان بين العبارتين عطف نَسقٍ بـ (الواو) فان هذا يدل على ان الاصطفاء الاول يباين الاصطفاء الثاني في دلالتهِ تأسيساً على قاعدة التغاير بين المتعاطفين؛ ولقد تنبه الطوسي على هذا الامر؛ اذ قال: «انما كرر لفظ (اصطفاكِ) لان معنى الاول اصطفاكِ بالتفريغ لعبادته بما لطف لكِ متى إنقطعتِ إلى عبادتهِ وصرتِ متوفرة على إتباع مرضاتهِ، ومعنى الثاني اصطفاكِ بالاختبار لولادة نبيه عيسى عليه السلام»[1]، ان قول الطوسي هذا فيه التفاتة لطيفة إلى ان معنى الاصطفاء الثاني يختلف في الآية المذكورة عن معنى الاصطفاء الاول؛ يبدو إنا لا نتفق معه على أن معنى الاصطفاء الاول هو التفرغ للعبادة وأن دلالة الاصطفاء الثانية هي اختصاص مريم عليها السلام بولادة عيسى عليه السلام من غير أب، ذلك بأن ما نعتقده هو خلاف ذلك، اي أنَّ الاصطفاء الاول هو الذي أراد به سبحانه ولادة عيسى عليه السلام وأنَّ الاصطفاء الثاني معناه التفرغ للعبادة والانقطاع لله تعالى، وما يسند هذا الاتجاه أن الاصطفاء الاول مسنود إلى الله مع بيان لفظ الجلالة صراحة؛ لأن مدار الأمر هو ولادتها عيسى عليه السلام من غير أب، فكان ذكره تعالى صراحة لنفسه هنا أولى من غيره من جهة، ومن جهة أخرى فإن القول بتقديم الاصطفاء الذي يخص ولادة مريم لعيسى عليه السلام في بداية الآية أوقف لمدار الدلالة وأجل لمقام المعجزة واكثر اهتماماً في ابرازها وايضاحها عن عملية الاصطفاء بالعبادة في نهاية الآية، من هنا نقول: إن خديجة عليها السلام امرأة مصطفاة من الله تعالى في محور الاصطفاء الثاني لا الاول؛ لأن الاصطفاء الاول انما هو خاص بمريم عليها السلام من دون غيرها من النساء.

ولابد من القول ان تقديم الاصطفاء الاول لخصوصية مريم وتأخير اندراج خديجة عليها السلام في الاصطفاء الثاني لا يعني بالضرورة أن مريم عليها السلام هي أفضل من السيدة خديجة عليها السلام؛ ذلك بأن التقديم هنا وقع لأن مدار الحديث هي مريم عليها السلام والمعجزة التي ابدعها سبحانه عن طريقها للناس وهي ولادة نبيه عيسى عليه السلام من غير أب»[2]، واذا ما طعن احد بهذا القول وقال: إذا قلتم هذا القول فسيفضي ذلك إلى التعارض في النص القرآني لأن السيدة مريم عليها السلام هي الوحيدة المصطفاة على نساء العالمين، فكيف تدخل خديجة معها؟.

للجواب على ذلك نقول: ان السُنة المطهرة هي موضحة وشارحة للقرآن الكريم، فعندما يقول عليه السلام

(١) الجامع الصحيح (سُنن الترمزي)، الترمذي: ج٥ ص٧٠٢.
(٢) التبيان، الطوسي: ج٢ ص٤٥٦.

«**فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين**»[1]؛ وعليه فان التفضيل الذي حصلت عليه مريم عليها السلام، انما كان يخص نساء عالمها، اي لم يكن لجميع الأكوان والأزمنة، والى هذا ذهب الطبرسي في مجمعه اذ قال: «اي على نساء عالمي زمانكِ»[2]، وعليه فإن السيدة خديجة عليها السلام بدرجة مريم عليها السلام بنص القرآن والسُنة المطهرة، بل قد تكون أفضل منها بأمور:

١-أنها زوجة لأعظم رسول على وجه الأرض من الاولين والآخرين.

٢-أنها عليها السلام أول من صدق النبي محمدا عليه السلام وأول المصلين معه مع أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٣-أنها عليها السلام جندت كل أموالها لخدمة الإسلام والمسلمين، ولتعزيز نصر زوجها رسول الإنسانية، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما قام ولا استقام ديني الا بشيئين مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**»[3] ٥٣.

٤-انها الوعاء الذي وضع سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فاطمة الزهراء عليها السلام.

٥-أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول عنها «**اني قد رُزقت حبها**»[4]، فكأن حبها رزق يدعو الإنسان ربه ويتوسل به لينال شرفه وقد ناله صلى الله عليه وآله وفيه دلالة على الأفضلية؛ لأن الرسول الخاتم قد ناله، فأي درجة هذهِ درجتها وقد نقل العلماء والمفسرون حديث الإصطفاء الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله بعدة طرق، فقد نقله القرطبي مرة عن طريق أبي هريرة كالآتي: «**خير نساء العالمين أربع مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد**»[5]، وعلى هذا التسلسل تكون الأفضلية لمريم ثم لآسية ثم لخديجة ثم لفاطمة عليهن السلام، وهذا غير صحيح، لأنه عليه السلام في حديث آخر عندما كان يتحدث عن أفضل نساء أهل الجنة قال: «**اول من يدخل الجنة فاطمة بنت محمد...**»[6]، ثم بَعد ذلك ينقل حديثاً آخر عن ابن عباس يكون تسلسل النساء فيه هكذا، قال عليه السلام: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون**»[7]، واعتقد أن هذا هو التسلسل الأصح؛ على اعتبار انه يبدأ بخديجة ثم بفاطمة

(١) خديجة بنت خويلد سيدة النساء، سيروان عبد الزهرة الجنابي: ص٣.
(٢) تفسير الطبرسي، الطبرسي: ج ٣ ص٢٦٢.
(٣) مجمع البيان، الطبرسي: ج٢ ص٧٤٦.
(٤) شجرة طوبى، المازندراني الحائري: ج٢ ص٢٣.
(٥) صحيح مسلم، مسلم: ص٩٨ حديث ٢٤٣٥.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج٤ ص٨٣.
(٧) أعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ص٧٧٨.

وذلك باعتبار ورود احاديث اخرى عنه صلى الله عليه وآله تبين هذه الأفضلية، لكن القرطبي آلى على نفسه ألا ان يختار التسلسل الأول وهو أن مريم سيدة تلك النسوة، ليس هذا فقط بل بالغ القول فقال: «فظاهر القرآن والاحاديث يقضي ان مريم افضل من جميع نساء العالم من حواء إلى آخر امرأة تقوم عليها الساعة... فهي اذاً نبية والنبي افضل من الولي فهي افضل من كل النساء الأولين والآخرين مطلقاً، ثم بعدها في الفضيلة فاطمة ثم خديجة ثم آسية»[1]، ولكن يرد عليه بالقول: «ان مريم عليها السلام ليست نبية، بل هي وليةً، اما كلام جبرائيل معها فلم يكن وحياً لها فأن الله يقول: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ** ﴾[2]، ولا نبوه للنساء بالإجماع»[3]، يقول العلامة الحائري: «لم يبعث الله نبياً من أهل البادية ولا من النساء»[4].

وعليه فإن السيدة خديجة من المصطفيات البارات بنص القرآن والسُنة الشريفة.

أحاديث كثيره قالها رسول الإنسانية بحقها لو احصيناها لطال بنا المقام، لكن يكفينا ان ننقل قوله صلى الله عليه وآله بحقها وكأنه صلى الله عليه وآله يعدد محاسنها فلا يصل إلى نتيجة في تعداد فضائلها فيقول صلى الله عليه وآله «**انها كانت وكانت وكان لي فيها ولد**»[5]، قوله صلى الله عليه وآله: كانت وكانت لدليل لا يقبل الشك على أنها بالمستوى العالي الذي يؤهلها بأن تكون زوجة اعظم أنبياء الله، وكذلك دل قوله: كانت وكانت على كثرة ما كانت تفعله عليها السلام، بل كانت تفعل اشياء لا يعلم بها غير رسول الله صلى الله عليه وآله نفسهُ.

ونحن نقول: قد ظلت خديجه تقدم وتقدم للإسلام والمسلمين كل ما كان في وسعها، حتى بلغت الخامسة والستين وجاء زمن الحصار في شعب أبي طالب، فساءت صحتها «تحت وطأة الهموم والحوادث بعد ما تقدمت بها السن ولاقت من قومها الاضطهاد والمقاطعة لأجل إسلامها وصمودها مع محمد صلى الله عليه وآله توفيت عليها السلام قبل ثلاث سنوات من الهجرة، بكاها رسول الله بحرقة وألم وحَزن لفقدها حزناً عظيماً... وسمي ذلك العام عام الحزن لانه فقد فيه اعز الناس عليه... عمه ابا طالب -المحامي والكفيل- وخديجة الزوجة الوفية»[6]، «ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله في حفرتها وادخلها القبر بيدهِ الحجون»[7]،

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج٤ ص٨٣.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٩.
(٣) المصدر نفسه: ج٤ ص٨٣.
(٤) خديجة بنت خويلد سيدة النساء، سيروان عبد الزهرة: ص٤.
(٥) مقتنيات الدرر، الحائري: ج٦ ص٨٨.
(٦) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص٢٣١.
(٧) نساء في القرآن، مريم نور الدين فضل الله: ص٤١٤.

والحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.

يقال: عندما توفيت سلام الله عليها أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله في تجهيزها وغسلها وحنطها، فلما أراد ان يكفنها هبط الامين جبرائيل وقال: «**يا رسول الله ان الله يقرؤك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك: يا محمد ان كفن خديجة من عندنا فإنها بذلت مالها في سبيلنا، فجاء جبرائيل بكفن وقال: يا رسول الله هذا كفن خديجة وهو من أكفان الجنة اهداه الله إليها**»[1] ٦٤، هذا اضافة إلى انه قد لفها برداءه الذي كان يلبسه حين نزول الوحي عليه بطلب منها[2] ٦٥.

لقد غابت بعد ما بشرت ببيت بالجنة من قبل جبرائيل الذي قال لرسول الله صلى الله عليه وآله «**يا رسول الله... هذهِ خديجة... قد أَتت معها اناء فيه ماء ادام أو طعام أو شراب، فإذا هي اتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة، من قصب لا صَخب فيه ولا نصَب**»[3]، علمًا ان جمهور العلماء قالوا: المراد به قصب اللؤلؤ المجوف كالقصر المنيف، وقيل قصب من ذهب منظوم بالجواهر[4].

وبهذا ماتت خديجة «بَعد ان من الله عليها وعلى المسلمين بأن حفظ في نسل ابنتها الزهراء الطاهرة ذرية رسول الله... وحفظ بأولاد فاطمة الزهراء قبساً من سنى نور محمد ونفحة من عطر شذاة»[5].

ماذا تعلمنا من خديجة عليها السلام:

١-تعلمنا منها ان الإنسان إذا آمن بعقيدة ما بذل من أجلها الغالي والنفيس، كما بذلت خديجة عليها السلام جميع اموالها لأجل ايمانها بدين زوجها واعطت للحياة اكثر مما اخذت منها.

٢-تعلمنا منها كيف تستطيع المرأة ان تتسامى ان هي ارادت ذلك وكيف انها ممكن ان تصل إلى الحضيض ان ارادت هي ذلك أيضاً.

٣-تعلمنا منها كيف نكون عند الله مرضيين إذا ما اخلصنا لله وطلبنا مرضاتهِ.

٤-منها تعلمنا ان الاصطفاء الالهي يشمل المخلصين لله في العبادة حتى وإن كانت امرأة، بل قد تكون المرأة اعلى حَظاً من بعض الرجال.

---

(١) معجم أعلام النساء، عماد الهلالي: ص١١٧.
(٢) شجرة طوبى، الحائري: ج٢ ص٢٣٥.
(٣) خديجة بنت خويلد امةً جمعة في امرأة، نبيل الحسني: ج٤ ص١٠٢.
(٤) صحيح البخاري، البخاري: ج٤ ص٢٣١.
(٥) حياة ام المؤمنين خديجة عليها السلام، محمود شلبي: ص١٦.

٥-تعلمنا منها ان الإنسان يجب ان يترك له بصمه ذكر حسن ليذكر بها بَعد مماته، فها هو رسول الله ﷺ يذكر تلك السيدة بِلوّعة وألم، وكم وكم بكى حزناً عليها.

فسلام على من كان ذكرها حسناً يوم ولدت ويوم ماتت ويوم تبعث حية.

المبحث الرابع: فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله

تتبعنا حياة هذه السيدة نجد أن حياتها صفحة فذة من صفحات التاريخ؛ كوننا نلمس فيها لوناً جديداً من الوان العظمة فهي ليست كالملكة بلقيس أو كيلوبترا، اللتان استمدتا عظمتهما من عرشيهما الكبيرين وثروتيهما الطائلتين، وجماليهما النادرين، لكننا أنفسنا أمام شخصية استطاعت ان تلفت نظر العالم وحولها هالات من الاجلال والحكمة، لم تكن حكمة هذهِ المرأة مستقاة من كتب العلماء والفلاسفة، انما هو علم لدني مضاف إليه تجارب الدهر المليء بالتقلبات والمفاجآت.

جلالها لم تستمده من مُلك أو ثراء، انما كان نابعاً من صميم نفسها العظيمة.

وعندما ماتت أمها «وجد رسول الله صلى الله عليه وآله عليها حتى غُشي عليه»[1]، فكانت كما كانت أمها وجد عليها زوجها كما وجد رسول الله صلى الله عليه وآله بالأمس على امها، وكانت حياتها الزوجية معه «في أعلى مراتب المثالية من حسن السلوك والحب المتبادل؛ اذن ما ظنك بزوجين معصومين لا يصدر منهما الخطأ»[2]، حتى قال عنها زوجها: «**فوالله ما اغضبتها، ولا اكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عز وجل، ولا اغضبتني ولا عصت لي امراً، ولقد كنت انظر إليها فتنكشف عني الهموم والاحزان**»[3].

عندما نتحدث عن تلك السيدة فإننا نتحدث عن أنشودة كل سيدة كريمة من بنات حواء، كذلك نتحدث عن امرأة رفضت متع الحياة وعاشت العفاف والزهد والفضيلة.

عندما نتحدث عنها انما نتحدث عن تلك الثائرة العظيمة التي انطلقت من معدن الوحي والرسالة بثورة كبرى على الانحراف الذي مني به المسلمون بَعد رحيل أبيها، فجاهدت بصلابه وشموخ على ارجاعها إلى الخط الرسالي الذي رسمه ابوها لصيانة الامة من الانحراف، اكيد اننا سنتحدث عن تلك الحورية الأنسية، أصلها الجنة وفروعها منابع نور الإمامة، ومولدها اطهر حجر في الكون، ذلك هو حجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وخديجة بنت خويلد.

---

(١) نساء في القرآن، مريم نور الدين فضل الله: ص٤١٥.

(٢) روضة الواعظين، الفتال النيسابوري: ص٢٩٥.

(٣) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج١ ص٤١.

المطلب الأول: شذرات من حياتها عليها السلام:

هي فاطمة الزهراء: بنت محمد التي سأقدمها إلى كل امرأة تفتش عن مرود – عن قارورة... طيب... عن ريشة خضاب، كما يقول المسيحي سليمان كتاني[1]، فاطمة الزهراء: التي ولدت في العشرين في الجمادى الآخرة بعد خمس سنوات من البعثة النبوية المباركة بمكة، وأقامت مع أبيها سبع سنين ثم هاجرت معه إلى المدينة[2].

أكثر الصديقات المصطفيات اسماءاً والقاباً، فمن اسماءها: فاطمة، الزهراء، البتول، الصديقة، الطاهرة، الزكية، المباركة، الرضية، المرضية، المحدثة، أم أبيها[3].

أبوها: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف، صاحب الرسالة العظمى التي هي خاتمة الرسالات السماوية، وهو أفضل الأنبياء وسيد البشر كافة.

أمها: خديجة بنت خويلد، من اشرف وأشهر نساء قريش.

زوجها: أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب بَعد مولد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بثلاثين سنة[4].

ابناؤها: الحسنان عليهما السلام، ومن البنات زينب عليها السلام وأم كلثوم.

اما تكوين نطفتها فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام قال: **قال النبي صلى الله عليه وآله: لما عُرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرائيل صلى الله عليه وآله فأدخلني إلى الجنة فناولني من رُطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صلبي فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة عليها السلام ففاطمة حوراء أنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة أبنتي فاطمة**[5].

عن الإمام الصادق صلى الله عليه وآله انه قال: «**ان خديجة عليها السلام لما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وآله هجرتها نسوة مكة فكن لا يدخلن عليها ولا يسلمن عليها ولا يتركن امرأة تدخل عليها، فاستوحشت خديجة لذلك وكان حزنها وغمها حذراً عليه فلما حملت بفاطمة عليها السلام كانت فاطمة تحدثها من بطنها وتصبرها وكانت تكتم ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة عليها السلام**

(١) هذهِ فاطمة الزهراء، محمد علي هاشم العلي: ص٣٨.
(٢) فاطمة الزهراء وتراً في غمد، سليمان كتاني: ص ٢٨.
(٣) أنظر: هذهِ فاطمة الزهراء/ محمد علي هاشم العلي: ص١٣.
(٤) المصدر نفسه: ص١٤.
(٥) أنظر: بحار الانوار، المجلسي: ج٤٣ ص٩٢.

فقال لها: يا خديجة من تحدثين؟ قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني ويؤنسني، قال: يا خديجة هذا جبرائيل يبشرني ويخبرني أنها انثى وأنها النسلةُ الطاهرة الميمونة وان الله تعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة ويجعلهم خلفاءه في ارضه بَعد انقضاء وحيه، فلم تزل خديجة عليها السلام على ذلك إلى ان حضرتها ولادتها... فبينما هي كذلك اذ دخل عليها اربع نسوة سمر طوال كأنهن من نساء بني هاشم ففزعت منهن لما رأتهن فقالت احداهن: لا تحزني يا خديجة فإنا رسل ربكِ اليكِ ونحن اخواتكِ، انا سارة وهذهِ آسية بنت مزاحم وهي رفيقتكِ في الجنة وهذهِ مريم بنت عمران وهذهِ كلثم اخت موسى بن عمران بعثنا الله اليكِ لنلي منكِ ما تلي النساء من النساء، فجلست واحدة عن يمينها، وأخرى عن يسارها، والثالثة بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة»[1].

وقد وردنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله من الاحاديث ما يملأ الخافقين عن عصمتها وبيان مقامها، من ذلك ما قاله صلى الله عليه وآله: «**كانت مريم سيدة نساء زمانها، اما ابنتي فاطمة فهي سيدة نساء العالمين من الاولين والآخرين**»[2].

المطلب الثاني: الأدلة القرآنية على عصمتها عليها السلام:

اما الأدلة القرآنية على عصمتها فكثير وهذا ما اتفق عليه علماء المسلمين من الفريقين، اهم تلك النصوص:

١- آية التطهر: ورد في المأثور ان نزول قوله تعال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾[3] انما كان في فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها، وهذا موضع اتفاق اكثر العلماء، يقول إبن عاشور: »وفي صحيح مسلم عن عائشة: خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرجل فجاء الحسن فأدخله، ثم الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ وهذا اصرح من حديث الترمذي»[4]، وبما ان السنة شارحة وموضحة لما أشكل القرآن - لان البعض ادعى ان زوجات النبي صلى الله عليه وآله داخلات ضمن مفهوم أهل البيت- فقد ورد في الاخبار المستفيضة حصر الآية بهؤلاء الخمسة، فعن انس

(١) المصدر نفسه: ج٤٣ ص٤.
(٢) المصدر نفسه: ج٤٣ ص٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية٣٣.
(٤) الزهراء خير النساء، ناصر مكارم الشيرازي: ص٥.

ابن مالك ان النبي ﷺ: كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾.

٢- آية المباهلة: وهذهِ الآية المباركة اعلنت عن سمو أهل البيت عليهم السلام وعظيم منزلتهم عند الله فقال تعالى: ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾[١]، اجمع المفسرون ورواة الحديث ان هذِه الآية الكريمة نزلت في أهل بيت النبوة ومعدن الرحمة، والمراد بالأبناء الحسن والحسين سبطي الرحمة وامامي الهدى، والمراد بالنساء سيدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام وبالأنفس امير المؤمنين عليه السلام[٢].

٣- آية المودة: وهي قوله تعالى: ﴿ **قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾[٣]، قال ابن عباس: «لما نزلت هذِه الآية قيل للرسول ﷺ من قرابتك الذين اوجبت علينا مودتهم قال ﷺ **علي وفاطمة وابناهما** عليهم السلام..»، يقول الفخر الرازي: «روى صاحب الكشاف انه لما نزلت هذِه الآية قيل: يا رسول من قرابتَك هؤلاء الذين اوجبت علينا مودتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما، فثبت ان هؤلاء الأربعة اقارب النبي ﷺ واذا ثبت هذا وجب ان يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ويدل عليه وجوه: الاول: قوله تعالى: ﴿ **إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ ووجه الاستدلال به ما سبق. الثاني: لا شك ان النبي ﷺ كان يحب فاطمة عليها السلام قال ﷺ: «**فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها**» وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ انه كان يحب عليًا والحسن والحسين واذا ثبت ذلك وجب على الامة مثله لقوله: ﴿ **وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾[٤]، وبَعد هذا الكلام لا تعليق لدينا عن عصمة هذه المرأة.

٤- آية الابرار: قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً۞ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً۞ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً۞ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً۞ فَوَقَاهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً۞ وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا**

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور: ج٢١ ص٢٤٧.

(٣) سورة الشورى: الآية٢٣.

(٤) حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء، باقر شريف القرشي: ص١٢٨.

جَنَّةً وَحَرِيراً ۞ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلا زَمْهَرِيراً ﴾[1] السيوطي في دره المنثور يقول: اخرج ابن مردوية عن ابن عباس قال: نزلت هذِه الآية في علي بن ابي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

اما الألوسي في تفسيره روح المعاني فله تعليق جميل - بِعد ان اثبت نزول هذِه الآيات بعلي وفاطمة وإبنيهما- على ان القرآن الكريم في كل مكان يصف بها الجنة يتحدث عن الحور العين الا في هذِه السورة ثم يتحدث عن ذلك لماذا؟؟ يقول الألوسي: «ومن اللطائف على القول بنزولها فيهم انه سبحانه لم يذكر الحور العين وانما صرح عز وجل بولدان مخلدين رعاية لحرمة البتول وقرة عين الرسول لئلا تثور غيرتها الطبيعية إذا احست بضرة وهي في افواه تخبطات الطباع البشرية ولو في الجنة مرة ولا يخفى عليك انها زهرةُ ربيع ولا تتحمل الفرك»[3].

٥- آية القربى: قال تعالى: **﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ ﴾**[4]، في تفسير هذِه الآية ينقل الطبرسي في مجمعه رواية عن ابي سعيد الخدري وغيره «انه لما نزلت هذِه الآية على النبي صلى الله عليه وآله اعطى فاطمة عليها السلام فدكا وسلمها إليها وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام وابي عبدالله عليه السلام»[5].

يقول الحويزي: «**خاطب الله نبيه قائلًا ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ﴾ اي اعطِ ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم من الاخماس، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله فدكا إلى فاطمة بأمر الله**»[6].

وقد احصى العلامة عبد الحسين الشبستري في كتابه اعلام القرآن الكثير من الآيات في سور متعددة من القرآن نازلة بحقها، فمن أراد الاطلاع فليراجع هذا الكتاب، وقد اضاف الاحاديث النبوية الساندة[7] والأدلة القرآنية التي تدل على الاصطفاء الالهي لهذِه السيدة العظيمة، اكتفينا بهذا القدر بُعدًا للاطالة.

قضت سلام الله عليها شهيدة بَعد وفاة أبيها بأربعين يومًا على بعض الروايات، وقيل خمسة

(١) سورة الإنسان: الآية٥-١٣.
(٢) التفسير الكبير، الفخر الرازي: ج٢٧ ص١٦٦.
(٣) الدر المنثور، السيوطي: ج٦ ص٤٨٥.
(٤) سورة الروم: الآية ٣٨.
(٥) روح المعاني، الألوسي: ج١٥ ص١٩٩.
(٦) مجمع البيان، الطبرسي: ج٨ ص٤٧٨.
(٧) نور الثقلين، الحويزي: ج٤ ص١٨٦.

وسبعين يومًا، وقيل اثنان وسبعين يومًا، وقيل ستين يومًا، وقيل ستة اشهر، والذي عليه الاكثرية هو الخمسة وسبعون يومًا[1]، استشهدت سلام الله عليها بَعد ان دافعت عن الإمامة والخلافة الإسلامية.

وقد تولى تجهيزها الإمام امير المؤمنين عليه السلام، عن المفضل بن عمر قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام من غسل فاطمة الزهراء؟ قال: **ذاك امير المؤمنين** عليه السلام فكأنما استفضعتُ ذلك من قوله، فقال لي: **كأنك ضقت عما اخبرتك؟** فقلت قد كان جُعلت فداك، فقال **لا تضيقن فإنها صديقة لا يغسلها الا صديق، اما علمت ان مريم** عليها السلام **لم يغسلها الا عيسى** عليه السلام **؟**[2]

«فسلام عليها يوم ولدت من محمد ابنة غالية، امًا حانية، ويوم اقترنت بعلي عليه السلام زوجة لا كفؤ له بين النساء سواها، ولا كفؤ لها بين الرجال سواه، فُخلدا معًا اسمًا ومعنى ورمزًا وقيمة في قلوب استضاءت بولائهما وفي كتاب خالد لم يقدمهما كأطهر خلق الله واقربهم إلى نبيهم فحسب بل قدمهما لنا كأرقى نموذج نسائي استحقت مقاصير الجنان، وكامرأة نباهي بذكرها الدهُر وسورة الإنسان التي بوأتها موقع فوق قمم الايثار الاعلى والاصعب في كل زمان ومكان وحيثما يُصلي لوجه الخالق إنسان»[3].

حياة الزهراء عليها السلام دروس وعبر:

بَعد هذِه الاطلالة السريعة على حياتها الشريفة التي لا تسعها السطور- فقد الف والف العلماء عنها، ولا زالت حياتها نبراسًا لكل الأجيال- تعلمنا منها الكثير الكثير، ولا زالت وستبقى إلى آخر الزمان مدرسة للأجيال، فمما تعلمناه منها:

١-إذا اردنا الفضيلة فسنجدها عندها لأنها تربعت على عرش مملكة من الفضائل التي زانها شخصها النوراني.

٢-منها تعلمنا كيف يجب ان تكون المرأة قوية رغم الاعاصير التي تحيط بها من كل جانب.

٣-تعلمنا منها كيف تكون المرأة زوجة وامًا، ثم لتكون بعدها عابدة لربها متهجدة، ثم لتكون من المصطفيات الابرار.

(١) أنظر: اعلام القرآن، عبد الحسين الشبستري: ص ٧٧٤-٧٧٦.
(٢) أنظر: هذِه فاطمة الزهراء، محمد علي هاشم العلي: ص ١٢٧- ١٢٨.
(٣) الصديقة مريم العذراء معجزة الاجيال، جعفر الامرد: ص٢٠٩.

واخيراً نقول: كأن الله سبحانه وتعالى قد خلق هؤلاء المصطفيات لأجل إكرام رسول الإنسانية ﷺ وان يكون له زوجات في الآخرة، وهذا ما أشار ﷺ له عند وفاة خديجة: «**ولما مرضت خديجة مرضها الذي توفيت فيه دخل عليها رسول الله فقال لها: بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرا كثيرا، أما علمت ان الله قد زوجني معكِ في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون، قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، قالت: بالرفاء والبنين**»[1].

(١) بحار الانوار، المجلسي: ج١٩ ص٢٠.

الخاتمة

ها نحن قد وصلنا إلى ختام بحثنا في الحديث عن اربع نساء في سماء الاصطفاء الالهي وقد توصل البحث إلى نتائج عدة، اهمها:

١-اثبت البحث بطلان المقولة التي تدعي ان الاصطفاء الالهي للبشرية قد خص رجالها دون نسائها، وكان القرآن الكريم اول المفندين لهذهِ المقولة وقد كذبها من خلال اختياره لأربعة نماذج نسائية كُن انموذجاً يحتذى بهن.

٢-ادرك البحث ان اثنتين من هؤلاء النسوة اللاتي اختارهن القرآن للنساء المؤمنات قد نالتا درجة الشهادة على يد اعتى اعداء الله، الاولى آسية بنت مزاحم على يد طاغية عصرها فرعون، والأخرى فاطمة الزهراء على يد من نكثوا البيعة بعد اقرارها.

٣-ان الله سبحانه وتعالى قد ضرب في القرآن الكريم مثلاً للذين آمنوا بآسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران، والملاحظ ان القرآن قد قدم آسية في نفس الآية على مريم لأن آسية قد نالت شرفين: شرفٌ انها انموذج نادر من النساء، وشرفٌ إذا قورنت بفضليات النساء فأن لها السمو والرفعة والقمة وذلك بالتوازي مع افضل نساء العالمين مريم ابنة عمران.

٤-اثبت البحث ان مريم ابنة عمران كانت سيدة نساء عصرها، اما فاطمة الزهراء عليها السلام فكانت سيدة نساء العالمين من الاولين والاخرين، وذلك من خلال القرآن والسُنة.

٥-قدم البحث نماذج من النساء المصطفيات كقدوة للنساء حتى لا تدعي امرأة انها غير قادرة على الوصول إلى القمة، فخاطبها القرآن: انكِ وحدكِ من تستطيعين ان تكوني عظيمة، ووحدكِ من تكوني مثلاً سيئاً يضرب به القرآن كإمرأتي نوحٍ ولوط.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أعلام القرآن: عبد الحسين الشبستري، مؤسسة بوستان كتاب مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الاعلام الإسلامي، قم المقدسة، ١٣٨٧هـ.
- أم المؤمنين خديجة: باقر شريف القرشي مؤسسة أنوار الهدى، مطبعة ستارة، ط١، ١٤٢٩هـ.
- الانوار الساطعة من الغراء الطاهرة خديجة بنت خويلد: غالب السلاوي، محلاتي للنشر والتوزيع، ايران، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الاطهار: المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- البداية والنهاية: ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء اسماعيل القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق علي شيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، ط١.
- تفسير القمي: القمي، ابو الحسن علي بن أبراهيم (ق٤)، تحقيق: طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
- تفسير مقتنيات الدرر: الحائري مير علي الطهراني، تحقيق: محمد وحيد الطبسي، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي،ط١، ١٤٣٣هـ.
- جامع البيان في تأويل آي القرآن: الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ.

- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري (ت: ٦٧١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- حضارة مصر القديمة منذ اقدم العصور حتى نهاية عصر الاسرات الوطنية، سلسلة الثقافة الاثرية والتاريخية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.
- حياة آسة امرأة فرعون: محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
- حياة أم المؤمنين خديجة عليها السلام: محمد شلبي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
- حياة مريم: محمود شلبي، دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- خالدات في كتاب الله (رياحين من القرآن): ولاء أبراهيم حمود، دار الهادي للطباعة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- خديجة بنت خويلد امةً جمعت في امرأة: نبيل الحسني، قسم الشؤن الفكرية العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ط١، ١٤٣٢هـ.
- خديجة بنت خويلد اول الناس إسلاماً: محمد علي قطب، دار القلم، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- خديجة بنت خويلد سيدة النساء وسكينة الرسول r قرائه تحليليه في النص القرآني: بحث للدكتور سيروان عبد الزهرة الجنابي.
- الخصال: الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي بن بابوية (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط٦، ١٤٢٤هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي محمود البغدادي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار الفكر بيروت، ١٤٠٨هـ.
- روضة الواعظين: الفتال النيسابوري، محمد ابن الفتال (ت: ٥٠٨هـ)، تحقيق: حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- الزهراء خير النساء: ناصر مكارم الشيرازي، دار الهادي للطباعة، بيروت، ط٤، ١٤٢٨هـ.
- سر مريم ام المسيح عليها السلام: حسني يوسف الأطير، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.
- سُنن الترمذي: الترمذي، احمد بن عيسى ابن سورة (ت: ٢٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد

عثمان، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
• شجرة طوبى: الحائري، محمد مهدي مازندراني، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٦٩هـ.
• صحيح البخاري: البخاري ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت: ٢٦٥هـ)، دار إشبيلية، الرياض.
• صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري (ت: ٢٦١هـ)، بيت الافكار الدولية للنشر، الرياض، ١٤١٩هـ.
• الصديقة مريم العذراء معجزة الاجيال: جعفر الامرد، دار البيان العربي، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
• الطبقات الكبرى: ابن سعد محمد بن سعد الهاشمي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ.
• فاطمة الزهراء وتراً في غمد: سليمان كتاني، مكتبة العلمين الطوسي وبحر العلوم، النجف الاشرف، ط١، ١٣٨٨هـ.
• قصص القرآن: حسين الحسيني، مؤسسة انصاريان، قم، ٢٠٠٣م.
• قصص المرأة في القرآن الكريم: منى محمد هنداوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.
• الكامل في التاريخ: ابن الاثير، ابو الحسن علي ابن ابي الكرم، محمد ابن محمد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
• مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي ابو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ)، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
• المستفاد من قصص القرآن: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
• ملوك مصر القديمة منذ عهد أبراهيم حتى عهد موسى/ محمد راشد، دار الكتاب العربي، دمشق، سوريا،ط١، ٢٠١٣م.
• نساء اشار اليهن القرآن ولم يسمهن: مختار فوزي ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٣م.
• نساء في القرآن: مريم نور الدين فضل الله، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- نور الثقلين: الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي (ت: ١١١١هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة اسماعليان، قم، ط٤، ١٤١٥هـ.
- النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين: نعمة الله الجزائري، منشورات الشريف الرضي، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- هذهِ فاطمة الزهراء: محمد علي هاشم العلي، مطبعة ثامن الحجج عليه السلام، ايران، ط١، ١٤٣٠هـ.

المفاهيم العقائدية في الخطاب الفاطمي

(الخطبة الفدكية انموذجاً)

الباحثة: رؤى محمد عبد العزيز

ملخص البحث

الغرض من هذا البحث بيان المفاهيم العقائدية واهمية هذه المفاهيم في حياة المسلم وتتبين هذه الأهمية من خطاب الزهراء عليها السلام حيث ضمن خطبتها قبل المطالبة بحقها المشروع أسس مهمة هي دور المعرفة في التوحيد وصفات الله المبررة لحمده وكذا معرفة الغاية من الخلقة ونظام هذا الوجود والاثر المترتب عليه من حيث المسؤولية التي تقع على العبد في حركته الوجودية من ان يكون العمل على يقين ومعرفة كذلك ان يتبع هذا اليقين معرفة بالنبوة ومعرفة النبي والعمل بوصاياه وخصوصا في ما تركه من وجوب اتّباع أهل بيته وبرهم والحفاظ على حقهم كأمر شرعي غير مرخص في التهاون عنه الذي يُثمر فيما ذكرته بالمعاد والقيامة التي هي يوم الجزاء واعتمد هذا البحث على ذكر الآيات القرآنية ومرويات المعصوم وكلام العلماء في ما نستدل عليه من إثبات الخطبة اولاً وبيان أمهات المفاهيم العقائدية ثانياً، ولبيان ان إرساء هذه المفاهيم هو واجب على الكل ان استطاع إليه سبيلا حيث ان الظرف الذي مر على الزهراء عليها السلام لم يمنعها من ان تبلغ بهذه المسائل بل قدمتها على حقها الشرعي لذا ليس الدور مقتصر على الرجل فموقف السيدة عليها السلام أسس دور مهم للمرأة في العمل على التبليغ والإرشاد والتأكيد على المطالبة بالحقوق مع غاية الحفاظ على اللباس الشرعي والحجاب المعنوي الذي يجعل من المرأة مثال للسمو العقائدي في الإسلام.

المقدمة

الحمد لله الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء خالق الأشياء ومُبدعها ومصورها من غير مثال والصلاة والسلام على نبيه المختار المصطفى لهداية ما خلق وعلى آله الطاهرين المجعولين من رب العالمين رحمة وهدى لخلقه اجمعين.

لما كانت العقيدة هي الأساس لبناء النفوس والطريق لكمال الموجود وجب ان يكون مأخذها من حيث أراد الله ليكون العبد على الصراط المستقيم، وخير من يكون الهادي إلى هذه العقيدة هم من نصبهم الله محمد وال محمد وبما ان البحث جعل المحور سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام وهي كمال العصمة وروح النبي الذي بين جنبيه[1] اخذتُ خطبتها المسماة بالخطبة الفدكية لما تحوي على مفاهيم عقائدية حيث صدحت بها عليها السلام في الأمة لتبين لهم الانحراف الذي اصابهم بعد النبي صلى الله عليه وآله وميلهم عن عقيدة الإسلام الحق، وبما ان حدود البحث تخضع لقوانين محددة فقد جعلت من الخطبة مقاطع في بيان المراد مع الاختصار الغير مخل تاركاً الاطناب أو التعمق في هذه المفاهيم ولوترك القلم لاحتجنا إلى مئات الأوراق ولقد تناولت في تلك المضامين والموضوعات، المنهج التحليلي لكل مفهوم عقائدي ورد في الخطبة، وقد قمت بالاستدلال على بعض تلك المفاهيم من كلامها، كما قمت بتوضيح ما يرتبط بالمفاهيم العقائدية من امور تطرقت لها الخطبة، وقد وجدت بعض الصّعوبات متمثلةً بقلّة من تناول تلك الخطبة تناولاً عقائدياً، كما ان المسألة تكون شاقة إذا اعتمدت على نص خطابي واحد، ولكن وبحمد الله استطعت تذليل تلك الصّعاب، ، وقسمت البحث إلى مبحثين الأول في تعريف العقيدة والخطبة واسانيدها وقول العلماء فيها والمبحث الثاني في المفاهيم العقائدية في التوحيد والنبوة والعترة والمعاد وغيرها، حيث بينتُ ان هذه المفاهيم العقائدية انما بينتها الزهراء عليها السلام دون غيرها انما لتبين محتوى الانحراف العقائدي في المجتمع المعاصر لها ومدى عدم أستيعاب الرسالة والعقيدة التي هي جديدة عهد فيهم، موقناً ان ما به من قصور فما ناله دلوي وعجزت عنه قريحتي وما خطه فكري الا بما تفضل علي ربي فعسى ان ينبته نبات حسناً ويكفله الكرام.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) وروى عن مجاهد قال: خرج النبي صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد فاطمة عليها السلام فقال: **من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني وهي قلبي وروحي التي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله.**
انظر بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٤٣ ص ٥٤.

المبحث الأول: المطلب الأول: العقيدة في اللغة والاصطلاح

الفقرة الأولى: العقيدة في اللغة

العقيدة لغة فعيلة: من عقد بمعنى معقودة (بمعنى اسم المفعول) عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: شده- والعقد العهد واليمين لعقدهما عقدا وقد قرأ عقدت بالتشديد معناه التوكيل والمعاقدة الميثاق والإيمان والعقيدة مع عقد عليه القلب والضمير وما تدين به الإنسان واعتقده[1].

وخلاصة ما ذكر فالعقيدة من العَقد، وهو الربط والإبرام والإحكام والتوثق والشدُّ بقوة، والتماسك، والمراصَّة والإثبات، ومن اليقين والجزم فضلاً عن ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به، فهو عقيدة، سواء كان حقاً أم باطلاً.

الفقرة الثانية: العقيدة في الاصطلاح

هي الأمور التي يجب أن يُصدق بها القلب، وتطمئن إليها النفس حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك[2] أي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للواقع، لا يقبل شكاً ولا ظناً فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة، وسمي عقيدة لأن الإنسان يعتقد أو يعقد عليه قلبه[3].

وأما العقيدة الإسلامية فهي الإيمان الجازم بربوبية الله سبحانه وتعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وسائر ما ثبت من أمور الغيب وأصول الدين.

العقيدة: هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع، والفطرة، يعتقد عليها

(١) لسان العرب للعلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩: ج٦ ص٣٥٤، والقاموس المحيط مجد الدين الفيروزابادي، (ت ٨١٧) المكتبة التجارية- القاهرة، فصل العين ١/ ٥١٣، و الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت، السنة بلا: ج٢ ص١٣٧، و مختار الصحاح، للشيخ الإمام محمد بن أبي بكر الرازي، مطبعة القاهرة، السنة بلا، ص٢٩٨.

(٢) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، الإمام موفق أبو محمد بن عبد الله بن يوسف الجويني، ٤٣٨هـ، دار التوفيقية، القاهرة، السنة ١٩٩١: ج١ ص٧١.

(٣) لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، الإمام موفق أبو محمد بن عبد الله بن يوسف الجويني: ج١ ص٧١.

الإنسان قلبه ويثني عليها صدره جازمة بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، ولا يرى خلافها انه يصح أو يكون[١].

العقيدة: هي المُثل العليا التي يؤمن بها الإنسان، فيضحي من أجلها بالأموال والنفس، لأنها أغلى من الأموال والنفس[٢].

ويرى العلّامة الطبطبائي[٣] إن «العقيدة بمعنى حصول إدراك تصديقي ينعقد في ذهن الإنسان»[٤].

إن عقيدة الإنسان هي الأساس لجميع توجهاته وسلوكه في الحياة، فهي التي تحفزه للعمل وتحدد اتجاهه وتدفعه للإنتاج، ومن المؤكد أنه ليس هناك فكر يفوق الإسلام في تقديره للعقيدة، فالعقيدة في الإسلام هي الميزان لتقويم الأعمال، حتى الصحيحة منها فإنها تعتبر فاقدة لقيمتها ما لم تنبعث عن عقيدة صحيحة.

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لا ينفع مع الشك والجحود عمل**»[٥]، فصحة العمل وفائدته ودوره في تكامل الإنسان أمور مرتبطة بصحة عقيدة العامل، فإذا لم تتوفر سلامة عقيدته وكان منكراً لما هو حق، أو سيطر عليه الشك، فإنّ هذا الإنسان لا يملك دافعاً للعمل الصحيح، فالعقيدة السويّة هي التي توجّه نحو العمل وتحدد ارتباطه وبالتالي قيمته.

المطلب الثاني: الخطبة وأسانيدها وأقوال العلماء

الفقرة الأولى: مصادر الخطبة وأسانيدها

عند الاستقراء في المصادر التي ذكرت الخطبة الشريفة، بُين ان المصادر ترجع إلى مصدرين رئسيين هما: كتاب (السقيفة)لابي بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري[٦]وكتاب (بلاغات النساء) لابن

(١) عقيدة المؤمن، أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ص١٤.

(٢) بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت: ص١٣٣.

(٣) السيد محمد حسين الطباطبائي، المعروف بالعلامة الطباطبائي مفسرّ، ومتكلم، وفقيه، وأصولي، وعارف. من كبار علماء الشيعة في القرن الرابع عشر الهجري توفي سنة ١٤٠٢هـ.

(٤) الميزان، ج٤ ص١١٧، نفس المؤلف، قضايا المجتمع والأسرة والزواج على ضوء القرآن الكريم، دار الصفوة: ص٤٢.

(٥) الكافي، الكليني: ج٢ ص ٤٠٠.

(٦) أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري الم محدث كثير الأدب ثقة ورع أثنى عليه المحدثون ورووا عنه مصنفاته توفي سنة ٣٢٣هـ.

طيفور[١]، ووردت الخطبة في كتاب السقيفة في ثلاث أسانيد: تنتهي إلى السيدة زينب بنت علي[٢] عليها السلام والى ابي جعفر بن محمد بن علي[٣] عليه السلام والثالث عبد الله بن الحسن[٤] و اما ابن طيفور إلى عدد من الأسانيد في كتابه منها ما ذكر من السند الموصل إلى عبد الله بن الحسن عن ابيه[٥]، ومنها ما اوصله إلى زيد بن علي[٦] (والمقصود هنا الإمام زين العابدين) عن عمته زينب بنت الحسين[٧]، وروى الشيخ الصدوق[٨] بعض فقراتها المتعلقة بالعلل في (علل الشرائع)[٩]، بسند مُوصل إلى السيدة زينب بنت علي[١٠].

وكذا ذكر أبو سعد بن منصور بن الحسين الأبي[١١] للخطبة في كتابه (نثر الدر)، وقد اورد من الخطبة الفصل الثاني والثالث[١٢].

وأورد الخطبة السيد المرتضى[١٣] في كتابه (الشافي)، واشار الشيخ الطوسي[١٤] إلى ما ذكره الشريف

---

(١) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الماروزي الكاتب الملقب بإبن طيفور، وهو مؤرخ وأديب وجغرافي مسلم توفي سنة ٢٨٠هـ.

(٢) جاء عن محمد بن زكريا قال: حدثني جعفر بن محمد بن عمارة الكندي قال: حدثني أبي عن الحسين بن صالح بن حي، قال حدثني رجلان من بني هاشم، عن زينب بنت علي.

(٣) قال حدثني عثمان بن عمران العجفي عن نائل بن نجيح عن عُمير بن شمر، عن جابر الجعفي، عن ابي جعفر بن محمد بن علي عليه السلام.

(٤) ما ورد عن ابي احمد بن محمد بن زيد، عن عبد الرحمن بن محمد بن سليمان عن ابيه، عن عبد الله بن الحسن.

(٥) ما ذكر عن الحسن بن علوان عن عطية العوفي، انه سمع عبد الله بن الحسن عن ابيه.

(٦) عن جعفر بن محمد عن رجل من أهل ديار مصر لقيه بالرافقة، قال حدثني ابي، قال:اخبرنا موسى بن عيسى، قال: اخبرنا عبد الله بن يونس، قال اخبرنا جعفر الاحمر عن زيد بن علي رحمه الله عن عمته زينب بنت الحسين.

(٧) ذكر الأمين في كتابه اعيان الشيعة في الجزء٧ صفحة ١٣٢ بأن للحسين عليه السلام ستة ذكور وثلاث إناث: علي الأكبر وعلي الأوسط وعلي الأصغر ومحمد وعبد الله وجعفر، والبنات زينب وسكينة وفاطمة.

(٨) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، من أعاظم علماء القرن الرابع الهجري، ومن أشهر المحدثين والفقهاء الشيعة توفي سنة ٣٨١هـ.

(٩) علل الشرائع، الصدوق: ج١ ص ٤٨٤.

(١٠) عن ابن المتوكل عن السعد آبادي، عن البرقي عن إسماعيل بن مهران عن احمد بن محمد بن جابر عن زينب بنت علي.

(١١) أبو سعد منصور بن الحسين الرازي يكنى الآبي، وزير، من العلماء بالأدب والتاريخ، فاضل عالم فقيه شاعر نحوي لغوي جامع لأنواع الفضل، إمامي من أهل الري توفي سنة٤٢٢هـ.

(١٢) نثر الدر، لابي سعد منصور بن الحسين الابي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ط:٤.

(١٣) الشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى بن محمد الموسوي الملقب ذي المجدين علم الهدي، عالم إمامي من أهل القرن الرابع الهجري توفي سنة ٤٣٦هـ

(١٤) محمد بن الحسن بن علي بن الحسن المعروف بشيخ الطائفة والشيخ الطوسي. مؤلف كتابين من الكتب الأربعة ومن كبار المتكلمين والمحدثين والمفسّرين والفقهاء الشيعة. قدم إلى العراق من خراسان وتتلمذ على يد كبار علماء الشيعة هناك كالشيخ المفيد والسيد المرتضى توفي سنة ٤٦٠هـ.

المرتضى من الخطبة في (تلخيص الشافي)،[١]، ووردت الخطبة في كتاب (منال الطالب) لابن الاثير[٢] وقد ضمّت الفصلين الاخيرين[٣].كذا اوردها الشيخ الطبرسي[٤] في كتاب (الاحتجاج) و ذكر ابن الجوزي[٥] شيئاً من الخطبة في كتابه (تذكره الخواص)[٦] واشار ابن ابي الحديد المعتزلي[٧] في شرح (نهج البلاغة)إلى قسم من الخطبة، نقلاً عن كتاب السقيفة المذكور آنفاً، وروى السيد ابن طاووس[٨] في كتاب (الطرائف)موضع الشكوى والاحتجاج من الخطبة، منتهياً بالسند عن عائشة[٩]، وذكر علي بن عيسى الاربلي[١٠] في كتابه (كشف الغُمة)[١١] نقلا ايضاًعن كتاب السقيفة.

ما ابن الدمشقي الباعوني[١٢] روى من الخطبة الفصل الثاني في كتابه (جواهر المطالب)[١٣]، وذكر

(١) تلخيص الشافي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي مكتبة العلمين د.ط.،:٣ / ١٣٩.

(٢) عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي المعروف بابن الأثير الجزري، من أبرز المؤرخين المسلمين، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها ويعد كتابه الكامل في التاريخ مرجعا لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي توفي سنة٦٣٠هـ.

(٣) منال الطالب في شرح طوال الغرائب، مجد الدين محمد ابن الأثير، ت/ محمود محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة-مصر، د.ط،: ٥٠١.

(٤) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي المعروف بأمين الإسلام، من أبرز علماء الشيعة الإمامية في القرن السادس الهجري. له مصنفات كثيرة منها تفسير مجمع البيان الذي يعد من التفاسير المهمة عند الشيعة توفي سنة ٥٨٤هـ.

(٥) ابن الجوزي، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. فقيه حنبلي محدث ومؤرخ ومتكلم توفي سنة ٥٩٧هـ.

(٦) ينظر كتاب تذكرة الخواص في مناقب علي بن ابي طالب والأئمة الاثنا عشر، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: ص٢٨٥.

(٧) عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد هو أحد أبرز علماء وكتاب المعتزلة في عصره. من كتبه كتاب شرح نهج البلاغة. توفي في ٦٥٦ هـ.

(٨) السيد رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر بن طاووس المعروف بالسيد ابن طاووس من أحفاد الإمامين الحسن المجتبى والسجاد عليهما السلام ومن كبار شخصيات الشيعة وعلماء الإمامية، صاحب المصنفات الكثيرة توفي سنة ٦٦٤هـ.

(٩) عن اسحاق بن عبد الله إبراهيم عن شرفي بن قطام عن صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة عن عائشة.

(١٠) علي بن عيسى الإربلي، هو مُحدّث ومُؤرّخ وأديب، ومن أعلام الشيعة في القرن السابع الهجري توفي سنة ٩٦٣هـ.

(١١) ينظر: الطرائف في معرفة الطوائف، السيد ابن طاووس،دار الخيام قم – ايران ط١ ١٣٩٩: ص٢٦٤.

(١٢) أحمد بن يوسف ابن الشيخ الأديب الفاضل القاضي شهاب الدين ابن القاضي جمال الدين الباعوني الدمشقي الشافعي توفي سنة ٩١٠هـ.

(١٣) جواهر المطالب في مناقب علي بن ابي طالب، ابن الدمشقي الباعوني ت/ محمد باقر المحمودي، دار احياء الثقافة قم -ايران ط١، ١٤١٥: ص١٥٦.

الخطبة العلامة المجلسي[١] في كتابه (بحار الأنـوار)[٢]، وقد ذكر الخطبة الأنصاري التبريزي[٣] في كتابه (اللُمعة البيضاء)، نقلا عن الطبرسي، اما من المعاصرين فقد رواها عباس محمود العقاد[٤] في كتابه (فاطمة بنت محمد)، ذاكراً الفصل الثاني من الخطبة، نقلاً عن كتاب بلاغات النساء لابن طيفور.

الفقرة الثانية: أقوال العلماء في الخطبة وتقريظهم

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بمضامين الخطبة، فقد أشاروا إلى مكانتها وذكرهم بليغ سبكها فضلاً عن مضامينها العقائدية والفقهية، ودقة عباراتها، ولقد ذكر المحقق علي بن عيسى الاربلي «نها من محاسن الخطب وبديعها، عليها مسحة من نور النبوة، وفيها عبقة من ارج الرسالة، وقد رواها الموالي، والمخالف...»[٥].

اما العلامة المجلسي فقال: «ولنوضح تلك الخطبة الغراء الساطعة عن سيدة النساء صلوات الله عليها، التي تحير من العجب منها والاعجاب بها، احلام الفصحاء، والبلغاء...»[٦].

وذكر السيد محمد تقي الرضوي[٧]: «إني كنت في سالف الزمان مولعاً بالنظر في الخطبة المشهورة الغراء، المنتسبة إلى سيدة النساء، وحبيبة سيد الأنبياء، وحليلة سيد الأوصياء، ام الأئمة النجباء، التي عجز عن إنشاء مثلها ألسن الادباء، والبلغاء وعن ادراك كنهها والوصول إلى دقائقها، عقول الحكماء وألباب الأزكياء، كيف لا وقد فرغت من العصمة الإلهية...»[٨] اما الانصاري التبريزي فقال: «اعلم ان هذه الخطبة الغراء، والدرة البيضاء، خطبة في نهاية الفصاحة، وغاية البلاغة من حيث عذوبة الفاظها الكافية، وغرابة مضامينها الشافية، وجزالة معانيها الوافية، مع ما عليها من البهاء، والجلالة، والرواء، والديباجة...»[٩].

(١) محمد باقر بن محمد تقي المجلسي المعروف بالعلامة المجلسي أو المجلسي الثاني من محدثي الشيعة وفقهائهم المعروفين، صاحب المصنفات الكثيرة، منها موسوعة «بحار الأنوار» والتي تعدّ أكبر دائرة معارف حديثية شيعية توفي سنة ١١١٠هـ.

(٢) بحار الأنوار،المجلسي: ج٢٩ص٢١٦.

(٣) محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري هو رجل دين وفقيه ومفسر ومرجع شيعي توفي سنة ١٣١٠هـ.

(٤) عباس محمود العقاد أديب ومفكر وصحفي وشاعر مصري توفي سنة ١٣٨٣هـ.

(٥) كشف الغمة، علي بن عيسى الاربلي: ج٢،ص١٠٨.

(٦) بحار الأنوار، المجلسي: ج٨،ص١١٤.

(٧) محمد تقي الرضوي عالم زاهد ولد في ايران من معاصري الشاه حسين العصفوري،توفي بمشهد (١١٥٠)،اعيان الشيعة: ٩ج،ص١٩٣.

(٨)عن القاصمة في بيان خطبة فاطمة ،عبد الفتاح محمود سرور، دار أضواء السلف السعودية: ص٤.

(٩) اللمعة البيضاء، التبريزي: ص٨.

وأشار الإمام شرف الدين[١] «كان أهل البيت يلزمون أولادهم بحفظ خطبة الزهراء...»[٢]، اما الكتاني[٣] فقد قال «ان ما سمع من خطابها ليس كلامها المنطوق فحسب... ان ما دونه التاريخ من ذلك الخطاب هو المعنى، هو الفكر، هو التمرد على كل ظلم وجور... ان خطاب فاطمة بكلماته القليلة، لم يكن على كل حال كثيراً عليها، بل إن العكس يفرض، فهو بالنسبة قليل وضئيل، إن العظيم منه، والجليل هو الذي يتوارى خلف الحروف، هو الشموخ الذي لا يمكن للحروف ان يتلفظ به، هو عزة النفس، هو الشعور بالكبر، هو تلك الأنفة التي تصاغ رفعة الجبين..»[٤]. وقد وصف إسماعيل الأنصاري الخطبة بقوله «إنها مليئة بالبهاء، والضياء، والرفعة، والجلال، فلم تتوقف خطبتها في جو المدينة وفناء المسجد النبوي، بل تكونت منها خطب أخرى وتولدت منها في سكك الكوفة وفي المسجد الأموي، وفرغت من اللسان العلوي الفاطمي شفتي زينب عليها السلام»[٥].

أما العقاد فقال: «... ان هذا النصيب من البلاغة إذا استكثر على السيدة فاطمة، فما من احد في عصرها لا يستكثر عليه، لقد نشأت وهي تسمع كلام أبيها ابلغ البلغاء، وانتقلت إلى بيت زوجها، فعاشت تسمع الكلام من إمام متفق على بلاغته بين محبيه وشانئيه، وسمعت القرآن يرتل في الصلوات، وفي سائر الاوقات، وتحدث الناس في زمانها بمشابهتها لأبيها في مشيها، وحديثها، وكلامها ومنهم من لا يحابيها، ولا ينطق في أمرها عن هوى...»[٦].

(١) السيد عبد الحسين شرف الدين عالم دين شيعي من جبل عامل، له العديد من المؤلفات وخاصة في مجال العقائد الشيعية، كما له العديد من المواقف السياسية من الأحداث التي كانت دائرة في زمانه توفي سنة ١٣٧٧هـ.

(٢) المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين: ص٣٩٢.

(٣) سليمان كتاني، المفكّر، الكاتب، الأديب والشاعر المبدع المعاصر والشخصية المسيحية اللبنانية الشهيرة، إحدى القامات من أصحاب القلوب الزلال الصافية والطينة الطاهرة المُحبّة لأهل البيت توفي سنة ٢٠٤٤م

(٤)فاطمة وتر في غمد، سليمان الكتاني ،ت/ محمد الساعدي، المجمع العلمي لأهل البيت، بيروت –لبنان،ط (١)١٤٣٢: ص١٦٣.

(٥)الموسوعة الكبرى عن فاطمة،الزنجاني: ج١٣ ص١٦٥.

(٦)فاطمة الزهراء، عباس محمود العقاد،: ج٣ ص٤٣.

المبحث الثاني: مفاهيم العقيدة

اولاً: مفهوم التوحيد

«**وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإْخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الإْبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَْلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَْوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَْشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلَّا تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ**» بينت عليها السلام في هذا النص معنى التوحيد وصفاته عزوجل والغاية من الخلق وابتدأت بالشهادة له وهي غاية المعرفة وذروتها وعليها قامت الشريعة فالشهادة: هي الإخبار بما شوهد[1] قال الفيومي[2] في كتابة المصباح المنير: «فالشهادةُ: «اسمٌ من المشاهدة، وهي الإِطِّلاعُ علىٰ الشيء عياناً، وشهدتُ الشيءَ: اطلعتُ عليه وعاينتُهُ، فأنا شاهدٌ، والجمع: أشهاد وشهود. يقال: شَهِدْتُ العِيْدَ: أدْرَكتُهُ، وشاهدتُهُ مُشَاهَدَةً، مثل عايَنْتُهُ مُعَايَنَةً، وشَهِدْتُ المَجْلِسَ: حَضَرْتُهُ، فأنا شَاهِدٌ وشَهِيدٌ، والشَاهِدُ يَرَىٰ ما لا يَرَىٰ الغَائِبُ: أي الحاضرُ يَعْلَمُ لما لا يَعْلَمُهُ الغَائِبُ، وشَهِدَ بكذا: أي أخبَرَ بِهِ»[3] اذن ان الشهادة هي الاعتقاد الناتج عن الحضور والمعاينة اما بالحضور المادي أو المعنوي القلبي الحاصل الذي هو محله في هذه الشهادة قال المولى امير المؤمنين عليه السلام لمن سأله هل رأيت ربك قال: «**ويلك ما كنت أعبد ربا لم أره**، قال: وكيف رأيته؟ قال: **ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان**»[4] وبينت ان كلمة التوحيد بشهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ان لها ثلاث حقائق أولا حقيقة التأويل ولا تنكشف هذه الحقيقة الا بالإخلاص الذي حث علي القران الكريم بأثر من عشرين اية تجعل الإخلاص قاعدة

(١)العين عبد الرحمن بن احمد الفراهيدي: ج٣ ص٣٩٨.

(٢)أحمد بن محمّد بن عليّ شهاب الدّين أبو العبّاس الخطيب الفقيه اللّغويّ الفيُّومي، من أعلام القرن الثامن الهجري توفي سنة٨٣٤هـ.

(٣)المصباح المنير أحمد بن محمد الفيومي المقرئ: ص١٢٤.

(٤)الكافي، الشيخ الكليني: ج١ص٩٨.

قبول العبادة قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[1] ووردت روايات كثيرة حول الإخلاص واهميته في حياة العبد قال المولى أمير المؤمنين عليه السلام: «**عند تحقق الإخلاص تستنير البصائر**»[2] ورد في تهذيب اللغة للأزهري[3]: «وأما التأويل فهو تفعيل من أول يؤول تأويلاً: أي رجع وعاد»[4] قال السيد الطباطبائي في تفسيره: «إنّه ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ، بل هو الأمر العيني الذي يعتمد عليه الكلام»[5] اذن ان صفات الذي شهد الشهادة ووعاها تجره إلى الإخلاص وتجعل محور حركته عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من شهد أن لا إله إلَّا الله مخلصا، وجبت له الجنة**»[6] وثانيا حقيقة وصلها وان القلوب مكان ذلك الوصل فان القلب حرم الله كما جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «**القلب حرم الله فلا تسكن حرم الله غير الله**»[7] وجميل ما شارت اليه عليها السلام بأن اثرها تعهد به الله وضمن واما الحقيقة الثالثة ان لهذه الكلمة نور وبصير للذي يتعقلها بفكره لذا ورت آيات كثيرة وروايات حول التفكر واثره على العبد وكما قال صدر المتألهين[8]: «هو امّا عبارة عن حصول صورة المعقول في العاقل وحلولها فيه كما هو المشهور وعليه الجمهور»[9] اذن ان التعقل هو ادراك معاني الأشياء اما عن طريق الحس بالنسبة للماديات أو عن طريق التفكر بالمعنويات وارشدت عليها السلام ان الفكر يوصل إلى تعقل هذه الكلمة لان الله اودع نورا يرشد سالكي هذا الطريق وخلاصة الامر ان كلمة التوحيد لا ينال معرفتها بالشهود حتى تكون محور حركة العبد في عمله وفكره وقلبه.

ثانياً: مفهوم الصفات الإلهية

«**الْمُمْتَنِعُ مِنَ الْإِبْصارِ رُؤْيِتُهُ، وَمِنَ الْأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الْأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ**»

بينت عليها السلام بعض صفات الله عزوجل ولعل اختيارها هذه الصفات دون غيرها لعهد القوم القريب من الشرك والتجسيم وتعمق الوثنية في بواطن نفوسهم فقولها الممتنع من الابصار وهي جمع

(١)سورة البينة: الآية ٥.
(٢)ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج ١ ص٧٦٠.
(٣)أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الأزهري الهروي اللغوي الشافعي، الملقب بالأزهري توفي سنة ٣٧٠هـ.
(٤)تهذيب اللغة الأزهري: ج١٥ ص٤٣٧.
(٥)تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ج٣ ص٥١.
(٦)المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج ١ص٣٣.
(٧)بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٦٧ ص٢٥.
(٨)صدر الدين الشيرازي والمعروف بصدر المتألهين حكيم وفيلسوف مسلم شيعي إثنى عشري توفي ١٠٥٠ هـ
(٩)الحكمة المتعالية، لشيرازي، صدر الدين: ج٣ ص٤٧١.

للبصر رؤيته أي انه ليس بجسم[١] قال العلامة الحلي[٢] في شرح الباب الحادي عشر «الباري تعالى ليس بجسم خلافا للمجسمة. والجسم هو ماله طول وعرض وعمق. والعرض هو الحالّ فى الجسم، ولا وجود له بدونه. والدّليل على كونه ليس بجسم ولا عرض وجهان: الأوّل، انّه لو كان أحدهما، لكان ممكنا؛ واللّازم باطل، فالملزوم مثله. بيان الملازمة، انّا نعلم بالضّرورة أنّ كلّ جسم فهو مفتقر إلى المكان، وكلّ عرض مفتقر إلى المحلّ والمكان والمحلّ غيرهما، والمفتقر إلى غيره ممكن. فلو كان الباري تعالى جسما أو عرضا، لكان ممكنا. الثّاني، أنّه لو كان جسما لكان حادثا وهو محال. بيان الملازمة، ان كلّ جسم فهو لا يخلو من الحوادث، وكلّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث. وقد تقدّم بيانه فلو كان جسما لكان حادثا، لكنّه قديم فيجتمع النقيضان»[٣] روى الشيخ الصدوق في كتابة التوحيد سأله بعض اصحابه قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن بعض أصحابنا يزعم أن لله صورة مثل صورة الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة أمرد جعد قطط، فخر أبو عبد الله ساجدا، ثم رفع رأسه، فقال: **سبحان الله الذي ليس كمثله شئ، ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به علم، لم يلد لأن الولد يشبه أباه، ولم يولد فيشبه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفوا أحد، تعالى عن صفة من سواه علوا كبيرا**»[٤] وفي نفس الكتاب روى عن الإمام الصادق: «**إنه ليس منا من زعم أن الله عز وجل جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، إن الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه**»[٥].

تجلت صفات الله في مخلوقاته وخاضت المدارس من الفلاسفة والمتكلمين والعرفاء والسالكين

---

(١) اعتقد الشيعة الإمامية بالتوحيد، ونفي التجسيم، ونفي الرؤية، وقد أقاموا على ذلك الأدلة، من العقل والنقل، وألفوا في ذلك الكتب، لكن المخالفين – ولأغراض أو شبه – اتهموهم بخلاف ذلك، فتصدى لهم كبار الطائفة بالرد والتفنيد.قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي (ت ٣٨١) في مقدمة كتابه «التوحيد»: إن الذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا أني وجدت قوما من المخالفين لنا ينسبون عصابتنا إلى القول بالتشبيه والجبر، لما وجدوا في كتبهم من الأخبار التي جهلوا تفسيرها، ولم يعرفوا معانيها... فقبحوا لذلك عند الجهال صورة مذهبنا، ولبسوا عليهم طريقتنا، وصدوا الناس عن دين الله، وحملوهم على جحود حجج الله، فتقربت إلى الله تعالى ذكره بتصنيف هذا الكتاب في التوحيد، ونفي التشبيه والجبر.

لاحظ: التوحيد: ص ١٧ – ١٨. هذا، والشيخ الصدوق يعد في أهل الحديث من الشيعة.

وقد ألف أخوه الحسين بن علي بن الحسين القمي كتابا باسم «التوحيد ونفي التشبيه».

وأنظر حول اعتقادنا في التوحيد: نهج الحق، للعلامة: ص ٥٥ – ٥٦، وكشف المراد، له: ص ٢٩٣ – ٢٩٤.

(٢) الحسن بن يوسف بن مُطهّر الحلي المعروف بالعلامة الحليّ الفقيه والمتكلم الشيعي في القرن الثامن للهجرة كان العلامة أول من لقب بآية الله؛ وذلك لفضله وعلمه الكثير، توفي سنة ٧٢٦هـ.

(٣) النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر العلامة الحلي: ص٥٠.

(٤) التوحيد الشيخ الصدوق: ص١٠٣.

(٥) ن.م: ص١٠٤.

حول صفات الله وتنزلاتها في عالم الموجودات وهل هي زائدة عن الذات كما عند الاشاعرة[1] أو هي عين الذات كما عند غيرهم ومنهم الامامية ولو خضنا في هذا المجال لطال الكلام ولذي يهمنا هو ما أشارت به عليها السلام بقولها «**ومن الالسن صفته**» فكيف وان الواقع ان الصفات تداولت على الالسن من بحث أو عباده لان أسماء الله تعالى حادثة ومخلوقة، كما ورد عن الإمام الجواد عليه السلام حين سأله رجل عن أسماء الله وصفاته قال: «أخبرني عن الرب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه؟ وأسماؤه وصفاته هي هو؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: **إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول: هي هو أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول: هذه الصفات والأسماء لم تزل فإن «لم تزل» محتمل معنيين فان قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها، فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شئ غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه، يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله ولا ذكر، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل. والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعني بها هو الله**»[2]، ولهذا نستنتج بأنّ الله لم يكن له اسم في الأزل، وإنّما خلق الأسماء في رتبة متأخّرة ليعرفه العباد ويدعوه بها، ولا محذور أن لا يكون لله اسم في الأزل; لأنّ الاسم غير المسمّى، وفقدان الاسم لا يلازم فقدان المسمّى.

ولذي يظهر من هذا الكلام من افراد الصفة في الامتناع هي اشاره إلى الصفة الجامعة لصفاته والتي اظهر منا كل الصفات، والمحجوبة عن الخلق لعدم ادراكهم لها بأي نحو من الانحاء كما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله تبارك وتعالى خلق اسما بالحروف غير متصوت، وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد والتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ، منفي عنه الأقطار، مبعد عنه الحدود، محجوب عنه حس كل متوهم، مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معا ليس منها واحد قبل آخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلق إليها وحجب منها واحدا وهو الاسم المكنون المخزون...**»[3].

وقولها «**ومن الأوهام كيفية**» أي امتنع عن الأوهام قال الجرجاني[4] في كتاب التعريفات: «الوهم:

(١) الأشعرية نسبة إلى إمامها ومؤسسها أبي الحسن الأشعري المتوفي سنة ٣٢٤هـ، وهي مدرسة إسلامية سنية، اتبع منهاجها في العقيدة والكلام الجم الغفير من المسلمين من أبناء العامة.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١ ص١١٦.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١ ص١١٢.

(٤) علي بن محمد بن علي الشريف الحسني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف، فلكي وفقيه وموسيقي وفيلسوف ولغوي توفي سنة ٨١٦هـ.

هو إدراك المعنى الجزئي المتعلق بالمعنى المحسوس»[١] أي ان الأوهام هي في المحسوسات وكل محسوس مخلوق فكيف يدرك المخلوق ويحيط بالخالق قال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٢] قال مولا الموحدين مولانا امير المؤمنين في نهج البلاغة[٣]: «**ما وحّدَه مَن كيّفَه، ولا حقيقتَه أصابَ مَن مثّلَه، ولا إيّاهُ عنى مَن شبّهَه، ولا حمدَه مَن أشارَ إليهِ وتوهّمَه**».[٤]

ثالثاً: مفهوم الحمد والثناء لله

«**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الخلائق بِإِجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إِلى أَمْثالِها**»

ابتدأت مولاتنا الزهراء في حطبتها بالحمد والشكر لله وبيان الأسباب التي أوجبت على العبد من الحمد لان شكر المنعم من الواجبات التي اقرها الدين والعقل وانما جاء لفظ الجلالة بعد الحمد لبيان ان الحمد بجميع اطواره مختص بالذات الإلهية المقدسة وعطفت بالشكر في كلامها وبينت ان سبب هذا الشكر هو انه عز وجل الملهم لعباده الذي مبدأه قوله تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾[٥]الذي جعل هذا الإلهام في فطرة الإنسان للتمييز بين الحق والباطل ودل على ان الإلهام هو حقيقة ربانية يشترك بها جميع الخلق غير مختصة ببعض مثل الوحي جاء في كتاب رياض السالكين «الإلهام: ما يلقى في القلب بطريق الفيض فلا يجب إسناده واستناده إلى المعرفة بالنظر في الأدلة»[٦] وجاء في تفسير العياشي[٧] عن محمد بن يوسف الصنعاني عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام «إذ أوحيت إلى الحواريين قال: **الهموا**»[٨] وعدة السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان من الوحي الي هو

(١) التعريفات الشريف الجرجاني: ص٥٥.

(٢) سورة الشورى: الآية١١.

(٣) هو مجموعة مختارة من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ورسائله، وحِكَمه القصيرة، التي جمعها السيد الرضي أواخر القرن الرابع الهجري فرغ من تدوينها سنة ٤٠٠ هـ.

(٤) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج٢ ص١٩٩.

(٥) سورة الشمس: الآيات ٧ – ٨.

(٦) رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، السدي علي خان المدني الشيرازي: ج١ ص٣١٨.

(٧) الشيخ أبو النصر أو أبو النضر محمد بن مسعود العياشي السمرقندي. هو رجل دين وفقيه ومُفسرّ شيعي ومن رواة الأحاديث توفي سنة ٣٢٠هـ.

(٨) تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي: ج١ ص٣٥٠.

من العموم قال: «الايحاء هو التكليم الخفي ويستعمل في القرآن في تكليمه تعالى بعض خلقه بنحو الالهام والالقاء في القلب»[1] وهناك إشارة لبعض مقاماتها جاء في علل الشرائع للشيخ الصدوق «عن زيد بن علي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: **إنما سميت فاطمة عليها السلام محدثه لان الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول: يا فاطمة الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا فاطمة إقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إن مريم كانت سيدة نساء عالمها، وان الله عز وجل جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها وسيدة نساء الأولين والآخرين**»[2]. وقولها «**بالثناء لما قدم**» بأن استحقاق هذا الثناء له اذ هيأ أسباب التكامل الإنساني في مسيرته الوجودية وبينت عليها السلام بقولها «**مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها**» ان هذه النعم هي ابتداء منه وانه اتم فضله بسبوغ اكمال هذه الآلاء وهي النعم بأنه اسداها واعطاها وتممها منة منه أولاها بالعطاء الغير منقطع وفي قولها «**جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عَدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها**» أي لا يمكن للإنسان مهما فعل ان يؤدي شكر خالقه قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾[3] وان غايتها ومنتهاها لا امد لها ولا منتهى وان ادراك دوام هذه النعم وابديتها تتفاوت بتفاوت الموجودات والقابليات التي يملكها الخلق وقولها «**وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الخلائق بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أَمْثالِها**» أي ان الله عز وجل حث خلقه ورغبهم للازدياد من هذه النعم وان الشكر هو موجب لنموها قال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾[4] وانه امتن على الخلائق بأجزال تلك النعم وانه ندبهم للزيادة حيث ان للنعم أمثال على العبد ان يسعى لها و يزداد قال تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**﴾[5]. في البحار للشيخ المجلسي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ما أنعم الله على عبد مؤمن نعمة بلغت ما بلغت فحمد الله عليها إلّا كان حمد الله أفضل وأوزن وأعظم من تلك النعمة**».[6]

واما ابتداء خطابها عليها السلام لم يكن تذكيرا فقط بل تقريرا من ان ما جرى عليها هو في عين الله وفضله

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي: ج ١٦ ص١٠.
(٢) علل الشرائع، الشيخ الصدوق: ج ١ ص١٨٢.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.
(٤) سورة إبراهيم: الآية ٧.
(٥) سورة النجم: الآية ٣٩.
(٦) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٩٠ ص٢١٥.

ولم تخرج عن جزع أو اشر أو بطر فيما تطلبه.

رابعاً: مفهوم ابتداء الخلق

«اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلَّا تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازاً لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ»

في هذا النص من خطبتها عليها السلام تطرقت إلى اصل الخلق والغاية منها وبينت اربعة مفاهيم هي الابتداع والانشاء والتكوين والذرء وان كانت بالمفهوم العام تشير إلى الايجاد ولكن هناك تمايز وكما يقول البلاغيون ان بتعدد الألفاظ تتعدد المعاني، فلابتداع كما قال الفراهيدي[1]: «البَدع: إحداثُ شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة»[2] قال تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[3] فقرنته بالشيئية لان الشيئية مساوقه للوجود كما قال المتكلمون ذكر العلامة[4] الحلي في كتابة شرح الاعتقاد: «اختلف الناس في هذا المقام، فالمحققون كافة من الحكماء والمتكلمين اتفقوا على مساوقة الوجود الشيئية وتلازمهما حتى أن كل شئ على الإطلاق فهو موجود على الإطلاق، وكل ما ليس بموجود فهو منتف وليس بشيء»[5] وثبت هذا الكلام بتعقيبها عليها السلام «**لا من شيء كان قبلها**»، اما الانشاء فعرفه الراغب الاصفهاني[6] في المفردات: «والانشاء إيجاد الشيء وتربيته»[7] فهو لم ينشئ لمثال سابق بل جعلها بحدود وصفات لم تكن كما ابتدع ذواتها، واتمت كلامها كجواب لسائل بديهي بأي أسباب كانت هذه الأشياء انه كونها بقدرته أي لا بتوسط آلة وليست القدرة هنا غيره، فعن الإمام الرضا عليه السلام حين سئل خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة قال: «**لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة. لأنّك إذا قلت: خلق الأشياء بالقدرة فكأنّك قد جعلت القدرة شيئاً غيره، وجعلتها آلة له بها خلق**

(١) أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ الْفَرَاهِيدِيُّ شاعر ونحوي عربي بصري، يُعد عالمًا بارزًا وإمامًا من أئمة اللغة والأدب توفي سنة ١٧٠هـ.

(٢) العين الفراهيدي: ج٢ ص٥٤.

(٣) سورة البقرة: الآية١١٧.

(٤) مرت ترجمته.

(٥) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد العلامة الحلي ص٤٦

(٦) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، أديب وعالم، وأحد علماء مسلمين في القرن الحادي عشر توفي سنة ٥٠٢هـ

(٧) المفردات في غريب القران الراغب ج١ ص٤٩٣.

الأشياء، وهذا شرك، وإذا قلت: خلق الأشياء بغير قدرة، فإنّما تصفه أنّه جعلها باقتدار عليها وقدرة، ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره، بل هو سبحانه قادر لذاته لا بالقدرة»[1] قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا... والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء ... وقع ... القدرة على المقدور**»[2] اما قولها «**ذرأها بمشيئته**» كما جاء عن الراغب الاصفهاني هو اظهار الله ما أبداه[3] لذا فسر أبو إسحاق[4] قوله تعالى ﴿**وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ**﴾ المعنى يذرؤكم به أي يكثركم بجعله منكم ومن الأنعام أزواجا[5] فتبين ان هذه المفرده تشير إلى البسط والبثّ بعد الإيجاد، أي مرتبة متأخّرة عن الخلق والتكوين وانها كانت بمشيئته عزوجل قال الإمام الصادق عليه السلام: «**خلق الله المشيئة بنفسها، ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة**»[6].

ثم بينت عليها السلام امر بالغ الأهمية وهو وجود غاية من التكوين والذرأ وانها راجعة إلى خلقه لا إليه والا

للزم الاحتياج وهي من صفات الممكن لا الواجب[7] وتم وفق الحكمة التي ينال بها العبد مسيرته وكماله وعزز ذلك بالثواب والعقاب ليجذبهم لرضوانه ويبعدهم عن غضبه.

خامساً: مفهوم النبوة

«**وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِير حَتْمِهِ.**

فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ج ١، باب ١١، ح ٧ ص١٠.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١، كتاب التوحيد، باب صفات الذات: ح١ ص١٠٧.

(٣) معجم مفردات الفاظ القران الراغب الاصفهاني: ص١٩٩.

(٤) أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، هو عالم في تفسير القرآن توفي سنة ٤٢٧هـ

(٥) لسان العرب ابن منظور: ج١ ص٧٩.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني: كتاب التوحيد، باب الإرادة ...: ج٤ ص١١٠.

(٧) (واجب الوجود) هو الذي لا يحتاج إلي علّة في اتّصافه بالوجود، بل يتّصف بالوجود من صميم ذاته ولكن «ممكن الوجود» هو الذي يحتاج إلي علّة في اتّصافه بالوجود أو العدم؛ لأنّه في حالة التساوي بين الوجود والعدم، فيحتاج إلي علّة تخرجه من حالة التساوي، وتجرّه إمّا إلي جانب الوجود أو إلى جانب العدم. (التوحيد عند مذهب أهل البيت علاء الحسون: ص٣٧)

بِمُحَمَّدٍ ﷺ ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاختِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيِّهِ وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ، وَصَفِيِّهِ وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ

فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ ما كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كِتابِ الله صادِفاً، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفاً، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ).

في ما ورد من خطبتها عليها السلام بيانها لمقام النبوة الخاصة وهي نبوة ابيها ﷺ حيث أوضحت مقام النبي قبل الخلقة وبعدها والنبوة العامه من الله والتي هي للخلق، والخاصة وهي التي كان ظاهرا بين ظهراني قريش والعرب فأما قبل الايجاد بقولها: «**وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّداً ﷺ عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْماً مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُورِ، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ**» وردت روايات كثيرة تؤكد هذه المعاني ذكر الحاكم[1] في المستدرك من سأل النبي: «**قلت لرسول الله متى كنت نبيا قال: وآدم بين الروح والجسد**»[2].

وذكر المجلسي في البحار عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سأله بعض أصحابه قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى**﴾ قال: **يعنى به محمدا ﷺ حيث دعاهم إلى الاقرار بالله في الذر الأول**»[3] وبينت سلام الله عليها الغاية من بعثته إلى الخلق بقولها: «**ابْتَعَثَهُ اللهُ تعالى إتْماماً لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذاً لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ**» ويدل على هذا الكلام ان النبوة ليست هي اصل من أصول العقيدة فقط بل هي اصل من أصول الخليقة وجدت بوجودها وأُقيمت حتى قبل نشورها لطف منه عزوجل في اتمام حجته في التكليف، واما قولنا في النبوة العامة للرسول يفهم من كلامها عليها السلام بقولها: «**فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً**

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري من كبار المحدّثين. اشتهر بكتابه «المستدرك على الصحيحين» توفي سنة ٤٠٥هـ

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري: ج ٢ ص ٦٠٨.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٥ ص ٢٥٠.

لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها. فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّريقِ المُستَقيمِ» نقل صاحب البحار عن تفسير القمي[1] حول قوله تعال: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾**[2] قال: «فأخذ الله الميثاق لنفسه على الأنبياء ثم أخذ لنبيه ﷺ على الأنبياء والأئمة ثم أخذ للأنبياء على رسوله ﷺ»[3] أي أن الله اخذ من جميع الأنبياء عهد منهم لنبوته ﷺ وادت الأنبياء بتبليغ الأمم مقامه وانهم انما جاؤا للبشارة به، قرأ عاصم[4] في قوله تعالى: **﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾**[5] الخاتم بالفتح بمعنى أنهم به ختموا، فهو كالخاتم والطابع لهم[6] بمعنى ان الأنبياء تثبت نبوتهم بإمضائه ﷺ.

وقولنا بالنبوة الظاهرة فيما ورد من نص الخطبة: «**فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعاً بِالنِّذارَةِ، مائِلاً عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِباً ثَبَجَهُمْ، آخِذاً بِأَكْظامِهِمْ، داعِياً إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوا الدُّبُرَ**» أي جهد الرسول غاية الجهد في التبليغ وردع المشركين وتفريقهم واسكات منطقهم بالحجة والنصح للناس بالدعوة بالحسنى حتى قال تعالى: **﴿ طه۞ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾**.[7]

سادساً: مفهوم أهمية العترة والكتاب

«**وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ. كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وشرائعه المَكْتُوبَةُ كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ**

---

(١) علي بن إبراهيم بن هاشم القمي هو راوي وفقيه ومُفسّر شيعي. ويُعدّ من أشهر رواة الشيعة وأبرزهم توفي سنة ٣٢٩هـ.

(٢) سورة الأحزاب: الآية٧.

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٢٦ ص٢٧١.

(٤) عاصم بن أبي النُّجُود الكوفي الأسدي أو عاصم القارئ أحد القراء العشرة للقرآن الكريم، من أهل الكوفة وكان شيخ الإقراء فيها توفي سنة ١٢٧هـ.

(٥) سورة الأحزاب: الآية٤٠.

(٦) ينظر تفسير القرطبي ج١٤ ص٩٦.

(٧) سورة طه: الآيات١-٢.

أَطْفَأها اللهُ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وِيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رِسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلياءِ اللّهِ، مُشْمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ».

تكلمت عليها السلام في خطبتها ببيان امر الثقلان وهما القران الكريم والعترة المتمثلة بالمولى امير المؤمنين عليه السلام وكان نطقها اما بالتلميح والكناية أو بالإشهار والتصريح واستنتجنا ذلك بوصفها ذكر الكتاب بقولها (كتاب الله الناطق) وقد استفيض من الروايات بان هذه من صفات الإمام علي عليه السلام جاء في كتاب العمدة لابن البطريق[1] عنه عليه السلام حول التحكيم في معركة صفين «**وهذا كتاب الله الصامت وانا المعبر عنه، فخذوا بكتاب الله الناطق وذروا الحكم بكتاب الله الصامت إذ لا معبر عنه غيري**»[2] وجاء في الكافي للكليني عن الإمام علي عليه السلام في وصف القران: «**ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه**»[3] اذن الذي ينطق بالقران ويكون صوته هو عليه السلام اذن هو القران الناطق روى الحاكم في مستدركه عن ام سلمة[4] حيث نقل قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**»[5] وانما ذهبت عليها السلام للكناية للضرف والموقف الخاص التي فيه وبينت صفات هذا القران واثره وجعلت من التصريح غاية لبيان التلويح وبينت من التلويح حقيقة ما بيّنه التصريح انهما واحد لذا قالت «**وبقية استخلفها**» قال رسول الله صلى الله عليه وآله «**كأني قد دعيت فأجبت، وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله تعالى حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما**»[6]، واشد دلالة على ان قيام القران بالعترة قولها «**وَكِتابُ اللّه بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ**» والكل مجمع على ان القران لم يكن مجموعا في عهد النبي فكيف اذن اشارت بقيامه

(١) أبو الحسين يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد بن البطريق الأسدي، المتكلم الفاضل، المحدث الجليل، المعروف بابن البطريق توفي سنة ٦٠٠هـ.

(٢) العمدة في مناقب الأئمة، ابن البطريق: ص٣٣٠.

(٣) الكافي، الشيخ الكليني: ج ١ ص٦١.

(٤) أم سلمة، زوجة رسول الله، وإحدى أمهات المؤمنين. اعتنقت الإسلام في أوائل البعثة والإعلان عن الرسالة، فهي من السابقين إلى الإسلام توفيت سنة ٦٢هـ.

(٥) المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري: ج٤ ص٩٣.

(٦) انظر بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٢٣ ص١٤٥، مسند أحمد: ج٣ ص١٧.

على نحو الكينونة الظاهرية الا بأن قوامه وحقيقته بوجود العترة الطاهرة.

لكن هذا التلميح لم يمنعهاعليها السلام ان تشير إلى الولاية والأحقية للمولى امير المؤمنين ومكانته وأثره على الدين حينما قالت: «**كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ اللّهِ، مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللّهِ سِيِّدَ أَوْلِياءِ اللّهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً**» فلولا وجود سيد الاولياء كما ذكرتعليها السلام وصبره وعظيم عطائه لما قام الإسلام ولو اردنا الاطناب لتسعت الصفحات لكنه كالشمس في رابعة النهار وقولها اخاه هي الحجة الدامغة قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي**»[1] وقولهصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام: «**أنت أخي في الدنيا والآخرة**».[2]

وذكرتعليها السلام في موضع اخر مقام العترة «**وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإِمامَتَنا أَماناً مِنَ الْفُرْقَةِ**» دلالة واضحة على وجوب اتباعهمعليهم السلام قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «**من سره ان يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنة عدن قضيب غرسه ربى فليتول عليا وأوصيائه من بعدي فإنهم لا يدخلونكم في باب ضلال ولا يخرجونكم من باب هدى ولا تعلموهم فإنهم اعلم منكم وانى سئلت ربى ان لا يفرق بينهم وبين الكتاب حتى يردا على الحوض معي**»[3].

لا شك من هذا النص انها عليها سلام داخله معهم في انها نظام للملة وامان من الفرقة وهذا سر نهضتها للمطالبة بحقها ارادت ان تجمع الامة بالاعتراف بحقها وما يلزمه اقرارهم بأحقيتهمعليهم السلام وكذا يفهم انهاعليها السلام مشتركة بالإمامة معهمعليهم السلام لذا إنّ هذا المعنى يدعم ما نقله السيد عبد الحسين الإصفهاني[4] في كتابه أطيب البيان في تفسير القرآن عن الإمام العسكريعليه السلام قوله: «**نحن حجج الله على خلقه، وجدّتنا فاطمةعليها السلام حجّة الله علينا**».[5]

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٣٧ ص٢٧٣.

(٢) سنن الترمذي، أبو عيشى الترمذي، أبواب المناقب باب (حديث رقم: ٣٧٢٠).

(٣) بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار: ص٦٩.

(٤) السيد عبد الحسين الطيب من الفقهاء والمفسرين الإماميين كان زاهداً متقللًا حافظاً مأنوساً بالقرآن، وبرع في الوعظ والتفسير واشتغل بالتفسير أكثر من خمسين سنة توفي في سنة ١٤١١هـ.

(٥) أطيب البيان في تفسير القرآن، عبد الحسين الإصفهاني:ج١٣ص٢٢٦.

سابعاً: مفهوم المعاد

«تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ ما تَخْسِرُونَ، وَلا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ»

ذكرت في هذه النص امر الساعة والقيامة أو ما يسمى بالمعاد وانه يوم الجزاء وهو من المسلمات عند جميع طوائف المسلمين وهناك آيات وروايات تشير إليه قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[1] وقال عزوجل: ﴿**لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ۞ وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ۞ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ۞ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾[2] قال الشيخ المظفر[3] في كتابة عقائد الامامية: «عقيدتنا في البعث والمعاد نعتقد أن الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين وهذا أمر على جملته وما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الأكرمﷺ، فإن من يعتقد بالله اعتقادا قاطعا ويعتقد كذلك بمحمد رسولا منه أرسله بالهدى ودين الحق لا بد أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث والثواب والعقاب والجنة والنعيم والنار والجحيم، وقد صرح القرآن بذلك ولمح إليه بما يقرب من ألف آية كريمة»[4] روى الشيخ الصدوق في أماليه عن الإمام الباقرعليه السلام قال: «**كان أمير المؤمنينعليه السلام بالكوفة إذا صلى العشاء الآخرة ينادي الناس ثلاث مرات حتى يسمع أهل المسجد: أيها الناس، تجهزوا رحمكم الله، فقد نودي فيكم بالرحيل. واعلموا أن طريقكم إلى المعاد، وممركم على الصراط**»[5] وعن الإمام زين العابدينعليه السلام في الكافي للكليني قال: «**عجب كل العجب لمن أنكر الموت وهو يرى من يموت كل يوم وليلة والعجب كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى**»[6] يمكن إقامة عدة أدلة لإثبات المعاد، نعرض منها، إثنين:

(١) سورة المؤمنون: الآية١١٥.

(٢) سورة القيامة: الآية١-٤.

(٣) الشيخ محمد رضا المُظَفَّر أكاديمي، أستاذ فلسفة وفقيه شيعي عراقي، كان مؤسس وعميد كلية الفقه التي أصبحت تابعة لجامعة الكوفة حالياً. يعتبر من أبرز علماء الإسلام في القرن الرابع عشر الهجري، وهو معروف بالأعمال التجديدية التي قام بها على مستوى الدراسات الدينية، والقضايا الاجتماعية والثقافية توفي سنة ١٣٨٣هـ.

(٤) عقائد الإمامية، الشيخ محمد رضا المظفر: ص١٢٦.

(٥) أمالي الصدوق: ص٤٠٢.

(٦) الكافي، الشيخ الكليني، ج ٣ ص٢٥٨.

الدليل الأول: إنّ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على أفضل صورة وأحسن تقويم، وكلما إزداد العلماء تحقيقاً وصلوا إلى مزيدٍ من أسراره وعجائب خلقه، سواء في قواه المعنوية من عقل وإدراك وغيرهما، أو في قواه المادية والبدنية، وسخر له كل هذا الكون بهوائه ومائه وترابه ونباته وحيواناته وشمسه وقمره ونجومه، كل ذلك ليواصل حياته. وهنا يرد إلى أذهاننا سؤال، ما هو الهدف من خلق الإنسان؟ وما هو هدف هذه السنين المحدودة التي يعيشها الإنسان؟ هل ستكون بلا هدف وبمجرد موته ينتهي كل شيء؟ إن كان الموت هو النهاية فهذا يعني أن خلقنا في الحياة الدنيا فقط لغو وعبث، والحكيم لا يفعل اللغو والعبث، تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وعليه، فإنّ حياة الإنسان لا تنحصر في العيش القصير ضمن هذا العالم ليفنى بالموت ويطوي سجل حياته نهائياً، بل خُلِق لعالم اخر أبدي، وانما العيش في هذه الدنيا بهدف أن يربّي الإنسان نفسه بالإيمان والعمل الصالح والأخلاق الحسنة، الدليل الثاني: بعض أفراد البشر مؤمنون صالحون، أبرار طيّبون يؤدون واجباتهم ولا يظلمون، ويتصفون بصفات الصلاح والورع، كذلك يُوجد فريق اخر من الناس جاحدون، يقصرون في أداء واجباتهم، ظالمون معتدون، ويتصفون بصفات السوء والفجور، وهذان القسمان من الناس غالباً ما لا يرون جزاءهم على أعمالهم الحسنة أو السيئة في هذه الدنيا. كذلك هناك أشخاص يقضون حياتهم في طريق العدالة والخير والطاعة لله عزوجل، ويعيشون العسر والمشقة والتعب والنصب ثم يرحلون عن هذه الدنيا من دون أن يروا ثواب أعمالهم بصورة كاملة، بل رب أشخاص قدّموا الغالي والنفيس وبالغوا في محاربة الظلم والظالمين وتحقيق العدالة وجاهدوا في سبيل الله عزوجل وبذلوا النفس في هذا الطريق المقدّس، ونالوا الشهادة دون أن يحصلوا في هذا العالم على فائدة تعود اليهم، كما يُوجد أشخاص يقضون حياتهم في طريق الظلم والشر والمعصية لله سبحانه وتعالى، ثم يغادرون هذه الدنيا دون أن يلقوا نتائج ما أقترفت أيديهم بصورة تامة. وهنا يأتي السؤال، هل يقبل العقل أن يكون هذا المحسن وذلك المسيء بمنزلة سواء؟ وإذا لم يكن هناك عالم أخروي ومعاد وحساب، فعلى أي أساس يدعو الأنبياء الناس إلى الخير والطاعة، ويحذرونهم الفساد والمعصية؟ إنّ من العدل الإلهي أن يُثاب المحسن، ويُعاقب المسيء بحسب ما يستحق، ولهذا لا بد من وجود عالم اخر يتحقق فيه العدل الإلهي الكامل فيُثاب المحسن، ويُعاقب المسيء بحسب ما يستحق، وهذا العالم هو عالم الاخرة الذي يتميز فيه المحسنون عن المسيئين والمطيعون عن العاصين، فيفوز الابرار المحسنون بالجنة، وينالون ثواب أعمالهم ويعيشون في تلك الدار الأبدية في جوار الأنبياء والأئمة والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. وأما

المسيئون الظالمون فيدخلون نار جهنم، ويلاقون أعمالهم السيئة، وبئس الورد المورود[1].

ثامناً: مفهوم التكليف بالعبادات

«فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتاً للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييداً لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقاً لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظاماً لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أماناً مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزاً لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضاً لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازينِ تَغْييراً لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهاً عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجاباً عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السَّرِقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ الله الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَأَطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّه إِنَّما يَخْشَى الله مِنْ عِبادِهِ العُلِماءُ».

ذكرت عليها السلام الغاية من تشريع العبادات حيث ان الاعتقاد الواعي بالمعرفة للعبادات والغاية منها يؤدي ذلك إلى الالتزام بها والازدياد منها لذا بينت بعشيرين مفرده ولو تكلمنا حولهن لم يسع المقام ولوضوح مرادها لكن نستكفي ببعض المفردات والتي هي من صلب عقيدتنا فقد ذكرت ان الايمان هو تطهير من الشرك وبما ان الإسلام اعم من الايمان جاء في كتاب الكافي للكليني في بعض أصحاب الإمام الصادق عليه السلام سأله: «قلت لأبي عبد الله، أخبرني عن الإسلام والإيمان أهما مختلفان؟ فقال: **إنّ الإيمان يشارك الإسلام والإسلام لا يشارك الإيمان**. فقلت: فصفهما لي فقال: **الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله، به حقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس، والإيمان الهدى وما يثبت في القلوب من صفة الإسلام وما ظهر من العمل به. والإيمان أرفع من الإسلام بدرجة، إنّ الإيمان يشارك الإسلام في الظاهر والإسلام لا يشارك الإيمان في الباطن وإن اجتمعا في القول والصفة**»[2]، فيمكن ان يخالط المسلم الشرك ولا ينقيه غير الايمان ويُفهم ان للشرك جهتين جهة تقابل الإسلام ويسقط هذا الشرك الذي هو الاعتقاد بوجود خالق مؤثر مع الله قال تعالى: ﴿**قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي**

(١) انظر شبكة المعارف الإسلامية

https://www.almaaref.org/maarefdetails

(٢) الكافي، الشيخ الكليني: ج٢ ص٢٤.

بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1] بشهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله والجهة التي تقابل الايمان وهو العمل والاعتقاد بغير مراد الله قال تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾[2] ذكر الشيخ المجلسي في بحاره حول الشرك والكفر الذي يقابل الايمان «صفة الخروج من الايمان: وقد يخرج من الايمان بخمس جهات من الفعل كلها متشابهات معروفات: الكفر، والشرك، والضلال، والفسق، وركوب الكبائر، فمعنى الكفر كل معصية عصي الله بها بجهة الجحد والانكار والاستخفاف والتهاون في كل ما دق وجل، وفاعله كافر، ومعناه معنى كفر، من أي مله كان ومن أي فرقة كان، بعد أن تكون منه معصية بهذه الصفات، فهو كافر.

ومعنى الشرك كل معصية عصي الله بها بالتدين، فهو مشرك صغيرة كانت المعصية أو كبيرة ففاعلها مشرك. ومعنى الضلال الجهل بالمفروض وهو أن يترك كبيرة من كبائر الطاعة التي لا يستحق العبد الايمان إلَّا بها، بعد ورود البيان فيها، والاحتجاج بها، فيكون التارك لها تاركا بغير جهة الانكار، والتدين بإنكارها وجحودها، ولكن يكون تاركا على جهة التواني والاغفال والاشتغال بغيرها فهو ضال متنكب طريق الايمان، جاهل به خارج منه مستوجب لاسم الضلالة ومعناها، ما دام بصفته التي وصفناه بها. فإن كان هو الذي مال بهواه إلى وجه من وجوه المعصية بجهة الجحود والاستخفاف والتهاون كفر، وإن هو مال بهواه إلى التدين بجهة التأويل والتقليد والتسليم والرضا بقول الاباء والاسلاف فقد أشرك وقل ما يلبث الإنسان على ضلالة حتى يميل بهواه إلى بعض ما وصفناه من صفته.

ومعنى الفسق فكل معصية من المعاصي الكبار فعلها فاعل، أو دخل فيها داخل بجهة اللذة والشهوة والشوق الغالب، فهو فسق، وفاعله فاسق خارج من الايمان بجهة الفسق»[3] فنستخلص ذلك انّ العلاقة بينهما قد تلحظ باعتبار الصدق أي الانطباق على المصداق، فالإسلام أعمّ مطلقاً من الإيمان وهو أخصّ مطلقاً من الإسلام، فكلّ مؤمن هو مسلم وليس كلّ مسلم هو مؤمن ولو اخذنا آيات كثيرة تذكر الكفر في قبال الايمان لنبثق لدينا كثير من المعارف.

(١) سورة الأنعام: الآية١٩.
(٢) سورة يوسف: الآية ١٠٦.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ج ٦٥ ص٢٧٨.

الخاتمة

واما النتائج التي توصل إليها البحث:

إن للمرأة دوراً كما للرجل في التبليغ والإرشاد والوعظ والنصح، وتنبيه الغافل وتوعية الساهي، ولهما دور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولا يمنع الإسلام ممارسة المرأة لدورها التربوي والتعليمي والعملي، على أن لا تُغفل القواعد الفقهية المتعلقة بحجابها وحشمتها.

وتأكيد الإسلام على المطالبة بالحقوق القائمة على التعاليم الإسلامية، وبمعنى التأكيد على المطالبة بالحقوق المشروعة التي لا تُحل حراماً ولا تُحرم حلالاً.

واشارت عليها السلام إلى التوحيد الحق الذي جاء به الإسلام الحنيف، ودوره في حياة الفرد والمجتمع.

وأكدت عليها السلام على استحالة رؤية الله سبحانه.

وتجسيد الصورة المشرقة لنبي الرحمة صلى الله عليه وآله الذي بُعث لإنقاذ البشرية، فقد نقلت الزهراء عليها السلام لنا أخلاق النبي وصفاته ومُنجزاته، وفي هذا رداً على الحملة الظالمة التي عرضها بعض المغرضين للانتقاص من شخصية الرسول صلى الله عليه وآله العظيمة.

وأكدت عليها السلام أن طريق نجاة الأمة يكون بالتمسك بالقرآن الكريم، وعترة نبيه صلى الله عليه وآله.

وتأكيدها على أهمية العترة التي نص عليه القران والنبي في قيادة الامة.

وأكدت الزهراء في خطبتها على تربية النفس، والاستعداد للقاء رب العالمين، وتجسيد ذلك الاستعداد بالأعمال الصالحة، وإطاعة الله ورسوله، والوقوف مع الحق.

وأكدت الخطبة الشريفة على أهمية بيان فلسفة الثواب والعقاب للناس؛ ليزدادوا إيماناً واعتقاداً والتزاماً.

وتناولت عليها السلام في خطبتها التوحيد والنبوة والإمامة والمعاد؛ لتحاول إعادة الأمة إلى الصراط المستقيم والعقيدة الحقة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أطيب البيان في تفسير القرآن، عبد الحسين الإصفهاني، طهران، مؤسسة الثقافة الإسلامية (بنياد فرهنك إسلامي) كوشان بور (مكتبة الإسلام) (وكتابفروشى إسلام).
- اعيان الشيعة، السيد محسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان، سنة النشر١٩٨٣م.
- الامالي، السيد علي بن الحسين المرتضى ت/ احمد امين، منشورات دار المرعشي ط (١) ١٣٢٥.
- بحار الانوار، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاق، بيروت- لبنان، ط (٢)، ١٤٠٣.
- بصائر الدرجات، ابو جعفر القمي، محمد بن الحسن، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، سنة النشر ١٩٨٣.
- بيت الاحزان، عباس القمي، دار الحكمة- لبنان، ط (١)، ١٤١٢.
- بين العقيدة والقيادة، محمود شيت خطاب، دار الفكر، بيروت.
- التعريفات، الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت تاريخ النشر: ١٩٨٥م
- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المطبعة العلمية، طهران سنة النشر ١٣٨٠ ق.
- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، دار الكتب المصرية - القاهرة، لطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- تفسير الميزان السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة، د.ط.
- تلخيص الشافي، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، مكتبة العلمين د.ط.
- تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد الأزهري، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، سنة النشر ٢٠٠١
- التوحيد، محمد بن علي بن الحسين الصدوق، مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان، ط (١)١٤٢٧- ٢٠٠٦.
- جواهر المطالب في مناقب علي بن ابي طالب، ابن الدمشقي الباعوني ت/ محمد باقر المحمودي، دار احياء الثقافة قم -ايران ط١، ١٤١٥.

- الحكمة المتعالية، صدر الدين الشيرازى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة النشر١٩٨١
- رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين عليه السلام، السيد علي خان المدني الشيرازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، سنة النشر ١٤٣٥هـ.
- سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: ١٩٩٦.
- الصحاح في اللغة والعلوم، تجديد صحاح العلامة الجوهري، تقديم العلامة الشيخ عبد الله العلايلي، دار الحضارة العربية، بيروت، السنة بلا.
- الطرائف في معرفة الطوائف، السيد ابن طاووس، دار الخيام قم – ايران ط١، ١٣٩٩.
- عقائد الامامية، محمد رضا المظفر، موسوعة التاريخ العربي، بيروت- لبنان- ط (١) ١٤٣٢- ٢٠١١.
- عقيدة المؤمن، أبي بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
- علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق، دار المتقين، بيروت- لبنان، د. ط.
- عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، الحافظ ابن بطريق يحيى بن الحسن الحلي العين عبد الرحمن بن احمد الفراهيدي، مكتبة العلامة المجلسي، قم، سنة النشر ١٤٣٦هـ.
- عيون اخبار الرضا، للشيخ ابي جعفر الصدوق، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ٢٠١٣م.
- الغدير في الكتاب والسنة والادب، العلامة الاميني، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، سنة النشر ١٩٩٤.
- فاطمة الزهراء، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، سنة النشر١٩٣٨
- فاطمة وتر في غمد، سليمان الكتاني، ت/ محمد الساعدي، المجمع العلمي لأهل البيت، بيروت -لبنان، ط (١)١٤٣٢.
- القاصمة في بيان خطبة فاطمة، عبد الفتاح محمود سرور، دار أضواء السلف السعودية ط١، ١٤٢٨- ٢٠٠٧.
- القاموس المحيط مجد الدين الفيروزابادي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، سنة النشر ٢٠٠٥ م.

- قضايا المجتمع والأسرة والزواج على ضوء القرآن الكريم، العلامة السيد محمد حسين الطبطبائي، دار الصفوة، لبنان- بيروت، سنة النشر بلا.
- الكافي، الشيخ ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، ت/ علي اكبر غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران- إيران، ط٣، ١٣٦٧.
- كشف الغمة، علي بن عيسى الاربلي، منشورات الشريف الرضي قم - ايران د.ط.
- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، سنة النشر ١٩٨٨.
- لسان العرب للعلامة ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٩،
- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، الإمام موفق أبو محمد بن عبد الله بن يوسف الجويني، ٤٣٨هـ، دار التوفيقية، القاهرة، السنة ١٩٩١.
- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، محمد علي التبريزي، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، سنة النشر ٢٠١١م.
- المحاسن، احمد بن خالد البرقي ت/ جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية ايران، د.ط.
- مختار الصحاح، زين الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، ت/ يوسف الشيخ محمد، ، الدار النموذجية، لبنان، ط٥، ١٤٢٠- ١٩٩٧.
- المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين، مؤسسة المراقد المقدسة، بيروت -لبنان، ط(١)، ١٤٣٣-٢٠١٠.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله بن حمدويه النيسابوري، ت/ مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط.
- مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان ط١، ١٤٢١-٢٠٠١.
- المصباح المنير أحمد بن محمد الفيومي المقرئ، لمكتبة العلمية، بيروت، سنة النشر ١٩٨٧ .
- معجم مفردات الفاظ القران، الراغب الاصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، تاريخ النشر٢٠٠٤ م.
- المفردات في غريب القران، الراغب الأصفهانى، دار القلم، الدار الشامية، دمشق بيروت، سنة النشر ١٤١٢هـ.

- الموسوعة الكبرى عن فاطمة، اسماعيل الأنصاري الزنجاني، منشورات دليل ما، قم – ايران، ط١، د.ت.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث، بيروت، ١٤٢٢ هـ، نهج البلاغة، خطب الإمام علي، دار المعرفة بيروت– لبنان، سنة النشر بلا.